جـامعة عمار ثليـجي بالأغـواط



دراســـــات

مجلّة دولية محكّمة

العدد: 60
نوفمبر 2017

ISSN 1112-4652

مجلّة "دراسات"

مجلّة دولية علمية محكّمة متعدّدة التخصّصات

تصدر عن جامعة عمار ثليجي بالأغواط

مجلة دراسات العدد : 60 - نوفمبر 2017

الهيئة الاستشارية

مجلة دراسات العدد: 60 - نوفمبر 2017

قواعد النشر

1- تنشر المجلّة البحوث العلمية للأساتذة الباحثين في مختلف التخصّصات.

2- تقدّم البحوث على قرص مكتوب بنظام word أو عن طريق البريد الإلكتروني:

bourguiba_d@yahoo.fr

3- يرفق البحث بملخّص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخّص ثانٍ باللغة الإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخّص للسيرة الذاتية للباحث (نموذج معتمد لدى المجلة).

4- أن لا يكون البحث منشورًا من قبل، أو مقدّمًا للنشر في جهة أخرى، ويقدّم الباحث تعهّدًا مكتوبًا بذلك (نموذج معتمد لدى المجلة).

5- أن لا يكون البحث فصلاً من رسالة جامعية.

6- أن لا تقلّ صفحات البحث عن 15 صفحة (أي في حدود 4000 كلمة)، وأن لا تزيد عن 30 صفحة.

7- **البحوث التي تخلّ بأيّ ضابط من الضوابط لا تؤخذ بعين الاعتبار.**

8- تخضع البحوث والمقالات لرأي محكّمين من مختلف الجامعات.

9- ترتيب البحوث لا يخضع لأهمّية البحث ولا لمكانة الباحث.

10- البحوث التي تقدّم للمجلّة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلّة بإبداء أسباب عدم النشر.

- **قواعد التوثيق: تتبع إحدى الطريقتين:** 1-عندما يشار إلى المراجع في المتن، يذكر الاسم الأخير للمؤلّف وسنة النشر بين قوسين، مثل (القوصي،1985)، وعند الاقتباس يوضع النص المقتبس بين قوسين صغيرين " " وتذكر أرقام الصفحات المقتبس منها مثل: (القوصي، 1985: 43)

2- عندما يشار إلى المراجع في الهامش، يشار إليها بأرقام متسلسلة، -استعمال التهميش الآلي- وتكون في أسفل الصفحة نفسها، وتذكر المعلومات حسب المتعارف عليه منهجيًا.

3- في كلتا الطريقتين، تجمع المراجع في نهاية البحث وترتّب ترتيبًا ألفبائيًا حسب الاسم الأخير للمؤلف، وتكون كالآتي:

- اسم المؤلِّف (سنة النشر) عنوان المؤلَّف، (رقم الطبعة)، اسم البلد، اسم الناشر.

ملاحظة:

جميع الآراء الواردة في المجلّة تعبّر عن وجهة نظر أصحابها, ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلّة أو الجامعة.

فهرس المحتويات

الإبستمولوجيا الباشلارية والفيزياء المعاصرة

د.محمد تونسي

جامعة عمار ثليجي الاغواط

ملخص :

تميزت الإبستمولوجيا الباشلار برؤية جديدة، حيث أعاد باشلار النظر في العلاقة بين العلم والفلسفة، فهذه الأخيرة لا يجب أن تبقى مجرد انساق منغلقة أمام التطورات العلمية المتسارعة، كما أن العلم هو بأمس الحاجة إلى الفلسفة، فعلى فلسفة العلوم أن تواكب تطورات العلم المعاصر في نجاحاته وانتكاساته وأزماته، وتحاول الكشف عن العقبات المعرفية التي تحول دون تقدم الفكر العلمي المعاصر، وتبرز القيم الإبستيمولوجية التي تفرزها النظريات العلمية، وتكشف عن أثر المعارف العلمية في بنية العقل.

الكلمات المفتاحية: الإبستمولوجيا، المعرفة العلمية، العائق الإبستمولوجي، القطيعة الإبستمولوجية، الفيزياء المعاصرة، الفلسفة والعلم، الفكر العلمي الجديد.

Abstract: Bachelard's epistemology was characterized by a new vision. Bachelard rethinks in the relationship between science and philosophy. Philosophy should not remain closed doctrines in the face of scientific developments, as science needs philosophy. The task of philosophy of science is to follow the developments of contemporary science in its successes and failures. And tries to discover the cognitive obstacles that prevent the progress of modern scientific thought, and highlight the epistemological values produced by scientific theories, and reveal the impact of scientific knowledge in the structure of the mind.

مقدمة: عند الحديث عن الإبستمولوجيا، أو عن علاقة العلم بالفلسفة لا يمكن أن نتجاهل فيلسوف بحجم غاستون باشلار، فهو يعد من أبرز فلاسفة العلم المعاصرين الذين كان لهم أثر عميق في الإبستمولوجيا المعاصرة، فقد كرّس جزءاً كبيراً من حياته للاهتمام بهذا المجال الصعب والمعقد، وقد ساعده في هذا إحاطته وإلمامه بالعلوم الرياضية والفيزيائية، حيث قدم قراءة متميزة وثاقبة لمختلف التطورات الحاصلة في هذه العلوم، ، وابتكر عدة مفاهيم أضحت تشكل جزءا من الفكر الإبستمولوجي المعاصر، وقد تركت آثارها واضحة في فلسفة معاصريه ومن جاءوا بعده. لقد تميزت فلسفة باشلار بالطابع النقدي، فلطالما أعاد النظر في الكثير من المفاهيم، وجادل المذاهب الفلسفية التي عمرت لقرون، وأراد تأسيس إبستمولوجيا جديدة تقوم على قراءة مختلفة للفكر العلمي المعاصر، من خلال هذا المقال سنحاول الكشف عن العلاقة بين الإبستمولوجيا الباشلارية والفيزياء المعاصرة، فكيف كانت قراءة باشلار لنتائج الفيزياء المعاصرة؟، وكيف استقى منها دروسا وقيما ابستمولوجية أصبحت جزءا من فلسفته ؟

تعتبر الفيزياء العلم الأكثر تقدما فهو يسير بوتيرة متسارعة، وهو أول ما يتعرض للمشكلات الجديدة، ولذا لا بد من ملازمة الإبستمولوجيا للفيزياء في مواجهة مختلف المستجدات، ولقد تكلم أينشتاين عن هذه الفكرة حيث قال : " إن الصعوبات الحالية للعلم، تجبر الفيزيائي على الالتصاق بالفلسفة بدرجة اكبر من الأجيال السابقة "[1]، كما أن تصور الفيزياء دون جهد نقدي قد يفضي إلى إفقادها طابعها الصارم، ولقد أدرك أينشتاين أهمية الدراسة النقدية للعلم حيث رأى أن العلم دون نظرية للمعرفة قد يكون مشوشا وبدائيا[2].

كذلك فإن الفيزياء تعتبر العلم الذي يتميز موضوعه بالشمولية والعمومية، فهي تدرس قوانين المادة، المادة الكونية بأكملها، وهي قريبة من ارض الفلسفة، لأنها مرتبطة بالانطولوجيا أو الوجود، وكل فكرة عن الوجود المادي تتمتع بقدر من التعميم،

---

[1]- ريتانوف واخرون، **اينشتاين والقضايا الفلسفية لفيزياء للقرن العشرين**، تر:ثامر الصفار (ط1دمشق، الأهالي للطباعة والنشر، 1990)، ص52

[2] -ميشيو كاكو، جنيفر ترينر، **ما بعد اينشتاين**، تر:فايز فوق العادة، (ط1، بيروت، أكاديميا، 1991)، ص67

سيكون لها حظ من المناقشة في الابستمولوجيا، إذ أن الفيزياء بحاجة لجهد إبستمولوجي، خاصة حول المفاهيم التي تكون لها انعكاسات كبيرة، مثلا أفكار مثل نسبية الزمان وتحول المادة إلى طاقة والقفزة الكوانتية والصدفة في نظرية الكوانتم كلها أفكار تعبر عن تغير عميق ولها وقع كبير ولا بد لها من اهتمام فلسفي.

إن هذا التأثير ليس بالغريب خاصة إذا علمنا أن الفيزياء تعتبر العلم المادي الذي يعبر عن الدقة، فهو يعتبر في نظر الكثير مثلا لكل العلوم، حتى أن كونت سمى علم الاجتماع بالفيزياء الاجتماعية لان كلمة فيزياء توحي بالدقة والصرامة، ولذا فان النظر إلى للفيزياء كمثال للعلوم ينجر عنه الاهتمام بمشكلاتها والاستفادة من تطوراتها باستخلاص الإفرازات والأفكار الفلسفية الجديدة.

إن ما يميز العلم الفيزيائي عن بقية العلوم الأخرى فضلا عن موضوعه الذي هو الوجود المادي، هو أن لنتائجه وقع كبير على الفكر الإنساني وعلى العلوم المادية الأخرى، فلا يمكن أن يتجاهل البيولوجي أو الكيميائي نتائج الفيزياء كما لا يمكن أن يتجاهل الفيلسوف النظريات التي تصف الوجود المادي الذي هو وجود كوننا ويكتنفه من نواميس، ولذا فان للعلم الفيزيائي ما يجعله يشكل الخطوة الأكثر توغلا في العالم المادي.

لقد أحدثت نظرية النسبية ثورة على الفيزياء الكلاسيكية وحطمت المطلقيات، وحلت محلها مفاهيم جديدة، لقد أصبح الزمان بعدا رابعا إلى جانب الأبعاد المكانية، حيث توصف الظاهرة في إطار الزمكان، وهذا الأخير هو معطى متغير حسب وجود الكتلة، فلا وجود لزمان مطلق وإنما الزمان المحلي فقط، فكل حادثة فيزيائية لها إطارها الزمكاني الخاص بها، كما أن الكتلة يمكن أن تتغير حسب الظروف، إضافة إلى هذا فقد توصلت نظرية النسبية إلى نتيجة هامة حيث اعتبرت أن المادة والطاقة وجهين لعملة واحدة، ووفقا لهذا فان الضوء يمتلك كتلة وسرعته هي ثابتة عبر الكون ولا يمكن لأي جسم اختراقها، أما مفهوم الجاذبية بالرغم من أن نيوتن وضع قانونا للجاذبية، فإن الجاذبية نفسها بقيت مبهمة، وقد رأى أينشتاين أنها نتيجة الالتواءات التي تحدثها الكتل في النسيج الزمكاني الرباعي الأبعاد[1].

لقد تمكنت نظرية النسبية من احتواء الظواهر الماكروسكوبية وذات السرعات العالية، أما على المستوى الميكروسكوبي فقد تمكنت نظرية الكم من اختراقه والتكيف مع طبيعته الغريبة، بابتكار مفاهيم مختلفة عن المفاهيم الكلاسيكية العادية، لقد تمخضت نظرية الكم من أزمة التصور المزدوج للإشعاع، حيث تفسر نفس الحادثة بصورتين مختلفتين، هما الصورة الموجية والصورة الجسيمية، لكن هذا التعارض تمكن دوبروي من حله حيث جمع بين المادة والحركة، ورأى أن الضوء يمكن أن يتجلى كموجات كما يمكن أن يتجلى كجسيمات.

إن صعوبة تحديد موقع الكائن الذري واندفاعه تجعل من نشاط الجسيمات ضبابيا لا يمكن استجلاؤه إلا من خلال طرق الاحتمالات، ولقد ظهر مبدأ مشهور مع هايزنبرغ يسمى مبدأ الارتياب حيث يمكن من خلاله معرفة التحولات المحتملة للمنظومة الذرية، لقد أحدثت نظرية الكم تحولات كبيرة في نظرتنا للطبيعة بصفتها عالما منتظما وقابل للملاحظة، حيث أجبرتنا على إعادة النظر في تصوراتنا واعتقاداتنا حول الطبيعة.

1- الإبستمولوجيا البشلارية:

يعد غاستون باشلار[*] واحد من أبرز فلاسفة العلم المعاصرين الذين كان لهم أثر عميق في الفلسفة والإبستمولوجيا المعاصرة، فقد كرّس جزءاً كبيراً من حياته وعمله لفلسفة العلوم، وقدّمَ أفكاراً متميزة في مجال

---

[1] - دونالد جيلز.**فلسفة العلم في القرن العشرين**. ترجمة : حسن علي، (ط1.التنوير للطباعة والنشر، 2009).ص266

[*] غاستون باشلار : فيلسوف علم، وأديب فرنسي (1884-1962)، يعتبر غاستون باشلار من أبرز فلاسفة القرن العشرين، وقد عمل على إبراز الطابع الثوري للتقدم المعرفة العلمية، وقد ألف عدة مؤلفات في مجال فلسفة العلم والأدب، من ابرز مؤلفاته في مجال فلسفة العلوم: "تكوين العقل العلمي" 1938، "الفكر العلمي الجديد"1934 ، "العقلانية التطبيقية" 1948 ، "فلسفة النفي"."العقلانية المادية" 1953.

الإبستمولوجيا، وابتكر عدة مفاهيم أضحت تشكل جزء من الفكر المعاصر، مثل مفهوم العائق الإبستمولوجي والقطيعة الإبستمولوجية والجدلية المعرفية، فلسفة الرفض، وقدم مساهمات لا يمكن تجاوزها، وقد تركت آثارها واضحة في فلسفة معاصريه ومن جاء بعده. لقد ميز فلسفة باشلار الطابع النقدي، فلطالما أعاد النظر في الكثير من المفاهيم، وجادل المذاهب الفلسفية المختلفة على امتداد العصور، وقد كان يرمي من خلال هذا إلى تأسيس إبستمولوجيا جديدة ومختلفة.

لقد عاصر باشلار مرحلة تحول حاسمة من تاريخ العلم، حيث حدثت تطورات مهمة وبرزت أفكار علمية جديدة وتغيرات جوهرية شاملة امتدت إلى الأسس والمبادئ ذاتها التي تقوم عليها بعض العلوم، إذ شهدت العلوم الفيزيائية تحولا عميقا تجسد في الثورة النسبية ثم الثورة الكوانتية، هذا الأمر الذي تطلب من العلماء تجديد أدواتهم المفاهيمية، وإحداث تحول ذهني ونفسي في تفكيرهم، أمام هذه التحولات رفض باشلار أن يكون الفكر العلمي المعاصر امتدادا للفكر العلمي السابق. بل يرى أن هذا الفكر الجديد مبني أساسا عبر قطائع وعبر ثورات، فعلم كل مرحلة هو ثورة على علم المرحلة السابقة لها.

لقد تميزت الإبستمولوجيا الباشلارية بثورتها على الفلسفات التقليدية التي حاولت التفكير حول المعرفة العلمية بطريقة دوجماتية جامدة، إن فلسفة العلوم أو الإبستمولوجيا لا تستطيع مسايرة العلم المعاصر إلا إذا عملت على مرافقة تطور العلم في نجاحاته وانتكاساته وأزماته، وإبراز العقبات المعرفية التي تقف حائلا دون تقدم الفكر العلمي المعاصر، واستقصاء الشروط العقلية التي تدفع مسيرة الفكر العلمي إلى الأمام، واستخلاص القيم الإبستيمولوجية التي تفرزها النظريات العلمية، وأن تبحث عن أثر المعارف العلمية في بنية العقل القابلة للتشكل باستمرار.

لقد انتقد باشلار العقلانية الديكارتية التي تعتمد على مفهوم الوضوح، لقد رأى أنه لا يمكن قبول مبدأ الوضوح أو البساطة كمعيار للحقيقة، أن الفيزياء المعاصرة وضحت أن ليس هناك مكانا لمبدأ البساطة ولا للواقع البسيط، لقد تعلمنا أن ننظر إلى البسيط على أنه نتيجة لعملية تبسيط لا على أنه بسيط في ذاته، وبهذا يسير الفكر العلمي المعاصر في غير الاتجاه الذي سارت فيه العقلانية الديكارتية، فبينما يركب العلم ذو الروح الديكارتية المعقد من البسيط، فإن العلم المعاصر يقرأ المعقد في مظاهر البساطة[1] التي تعطى في الظواهر، لقد أصبح العلم يبحث عن المعقد وراء البسيط.

إن فلسفة النفي عند باشلار فلسفة مفتوحة ذلك لأن الكشوف العلمية المعاصرة خاصة في مجال الميكروفيزياء بيّنت أن الأضداد تتصارع للتكامل فيما بينها وأنها تفرض نفسها كحقائق يجب الاعتراف بها على الرغم من تناقضها، وعليه فإن الإبستمولوجيا الباشلارية تقوم على ديالكتيك علمي حيث تسلم بأن كل فكرة هي دوما في حالة صيرورة وأن أي قضية علمية مهما كانت تقبل المراجعة، وهذا يعني أن الفكر ينبغي أن يظل دائما في حالة تقبل أي استعداد لتقبل أية أفكار جديدة، وهذا يعني أن يظل العلم في حالة استعداد دائم لمراجعة مبادئه وأفكاره باعتبار أنه ليس هناك حقيقة مطلقة أو قانونا علميا مطلقا.[2]

إن المعرفة حسب باشلار تتعرض لاضطرابات وتباطؤات، ولا بد من تبيان أسباب الجمود المعرفي، وحتى أسباب النكوص، وهده الأسباب هي العوائق الإبستمولوجية، وبهذا يمكن تصور المعرفة العلمية بأنها عرضة لأزمات وعوائق تتطور من خلالها، ولذا يجب وضع الثقافة العلمية في حالة تعبئة دائمة، وإبدال المعرفة المغلقة والجامدة بمعرفة منفتحة ونشطة، إن الإبستمولوجيا في نظر باشلار في حاجة ماسة لتاريخ العلوم، إذ أن له أهمية خاصة وملحة في الدراسة الإبستمولوجية، حيث نعرف من خلاله حلقات العلم المتلاحقة، والقطائع الإبستمولوجية التي شهدتها المعرفة، فالدراسة الإبستيمولوجية تكشف عن سيرورة المفاهيم العلمية، ومدى نجاعتها في مرحلة ما من تاريخ العلم.

1- المرجع نفسه، ص79.

[2]- محمد عابد الجابري، **تطور الفكر الرياضي العقلانية المعاصرة**- ج1 (دار الطليعة- بيروت- لبنان - 1982) ص30.

إن كل نظرية جديدة في العلم هي في الحقيقة ثورة على مفاهيم سائدة وذهنيات مرافقة لها، وعندما تحل المفاهيم الجديدة يدب معها نوع جديد من التفكير، وينفتح الباب على ذهنية جديدة، وكما يقول أينشتاين فـ" إن التمرد المكلل بالنجاح، ضد مفهوم شائع، يؤدي إلى تطورات مفاجئة جديدة تماما تصبح مصدرا لرؤية فلسفية جديدة " [1]

إن التطورات التي تحدث في الفيزياء المعاصرة والمفاهيم التي تظهر فيها والأزمات التي تتعرض لها هي في نظر غاستون باشلار دروس يستفيد منها الإبستمولوجي[2]، حيث نرى أن القضايا المثارة والقيم العلمية في الإبستمولوجيا لها جذور مرتبطة بالفيزياء، ومثال ذلك مشكلة الحتمية واللاحتمية، رغم أنها مشكلة موجودة منذ القديم، إلا أننا لا يمكن اليوم أن نتجاهل ما أفرزته الفيزياء، كذلك مشكلة الزمن التي ناقشها الفلاسفة منذ القديم لا يمكن تناولها الآن دون الوقوف على النتائج التي توصلت إليها الفيزياء بخصوص هذه المسالة، حتى مسألة بداية الكون تطرقت إليها الفيزياء والكوسمولوجيا ولا يمكن للفيلسوف الإبستمولوجي أن يغض الطرف عنها.

إن فيلسوف العلم يستقي أفكارا من الفيزياء تعبر عن ذهنيات جديدة، فالأبستمولوجيا الباشلارية اعتمدت على مفاهيم ودلائل مستقاة من الفيزياء المعاصرة، ولإيضاح هذا يذكر لنا باشلار أن من الدروس التي يجب أن يستفيد منها الإبستمولوجي من الفيزياء المعاصرة هو أن الجدل والتناقض هو ليس صفة سلبية بقدر ما هي صفة إيجابية، وخير مثال على ذلك هو التكامل الذي تشكله كل من الصورة الموجية والصورة الجسيمية للإشعاع [3]، فعلى الرغم من تناقض الصورتين إلا أنهما شكلين لنفس الظاهرة، حيث أن نظرية الكم قامت على الأخذ بكلا الصورتين.

كما أن الاحتمال يعتبر من الدروس المهمة التي يجب أن يستفاد منها في الفيزياء المعاصرة التي انتقلت إلى دراسة الجسيمات الدقيقة، حيث أن احتمال الخطأ يشكل جزءا من المعرفة الميكروسكوبية، وفي هدا الشأن يقول باشلار "إذا كان الخطأ قد نفذ إلى المعرفة في ميدان معين إلى الحد الذي أصبح عنصرا أساسيا منها، فان الإمكان ينبغي أن يؤخذ في هذا المستوى على انه عنصر إيجابي "[4].

2- **قراءة باشلارية لنتائج الفيزياء المعاصرة:** أوضح باشلار في كتابه "الفكر العلمي الجديد" العلاقات العامة للفكر "النيوتني" والفكر "الآنشتيني". لقد كانت نظرية نيوتن تؤلف نظاما مكتملا، حيث ظهرت ثمار قوانين الحركة وقانون الجاذبية، فتحقق نجاحا في تفسير العديد من الظواهر الطبيعية والفلكية، فاضطراب حركة عطارد التي لطالما حيرت العلماء وجدت تفسيرها في إطار فيزياء نيوتن، ولم تكن ثمة حاجة لقلب الفكر النظري رأسا على عقب حتى بجعله يوائم معطيات التجربة، لقد كان الفكر النيوتني بالدرجة الأولى نمطا جليا جلاء رائعا من أنماط الفكر المطلق ولم يكن الخروج منه امرأ يسيرا5.

ولهذا ظلت فيزياء نيوتن مسيطرة على فيزياء العلم حتى ظهور فيزياء آنشتين، لقد كانت إعادة النظر التي قام بها آنشتين إعادة كلية من زاوية علم الفلك، وإن علم الفلك المستند إلى النظرية النسبية لم ينشأ عن علم الفلك النيوتني، لأنه ليس ثمة انتقال موصول بين المذهبين ونحن لا نمضي من الأول إلى الآخر بتكتيل المعرفة ومضاعفة العناية بالمقاييس وبتصحيح المبادئ، بل إن الأمر يقتضي بذل جهد تجديد كامل.6

---

[1] البرت اينشتاين، ليوبولد انفلد، **تطور الأفكار في الفيزياء**، تر: أدهم السمان، (دار طلاس للدراسات والنشر، 1992)ص47.

[2] محمد وقيدي، **فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار**، (ط3، بيروت، دار الطليعة، 1980). ص198

[3] المرجع نفسه، ص184

[4] المرجع نفسه، ص184

[5]- غاستون باشلار- **الفكر العلمي الجديد**، تر: عادل العوا، تقديم الجيلالي اليابس، (الجزائر، موفم للنشر، 1994) ص47.

[6]- المرجع نفسه- ص48.

إن علم الفلك عند نيوتن حالة خاصة من علم الفلك عند آينشتين، فالنسبية هي وليدة تفكير يتناول المفاهيم الأولية إذ أنها وليدة شك في أفكار كان يعتقد أنها راسخة وبديهية1، إن عبقرية آينشتاين تكمن في وعيه بضرورة التمرد وعدم الخضوع للعقلية التي رسمتها فيزياء نيوتن لقرون، حيث ظل فيها العقل أسيرا للعقلية الميكانيكية.

إن ما طرحته الفيزياء النسبية حول مفهوم المكان والزمان يعتبر بالنسبة لباشلار سندا مهما[2]، لقد تجاوزت مفهوم المكان المطلق الذي قالت به الفلسفات الكلاسيكية، فالمكان بالنسبة للإبستمولوجي المعاصر ليس الإطار المطلق والمتجانس الذي تجري عليه الأحداث الفيزيائية، وإنما هو جزء من هذه الأحداث، كذلك الأمر بالنسبة لمفهوم الزمان، فعلى الإبستمولوجي أن يأخذ بعين الاعتبار الدرس الذي قدمته لنا نظرية النسبية، حيث لا يمكن الحديث عن زمان مطلق، فكل حادثة لها زمانها الخاص بها ولا يمكن الحديث عن إيقاع واحد للزمن.

لقد رأى باشلار أن فيزياء النسبية تجاوزت الصورة السكونية للفيزياء النيوتونية، فقد أوضحت أن هناك ترابطات متشابكة بين المادة والطاقة والمكان والزمان، فلم يعد المكان والزمان شيئين منفصلين، بل أصبح كل من المكان والزمان كيانين متصلين لا معنى لوجود أحدهما دون الآخر، حيث أصبح الحادث يتحدد بالمكان والزمان، في متصل واحد يدعى بالزمكان، كذلك بينت النسبية أن المكان والزمان ليسا مسرحين جامدين بل يتأثران بالكتلة والطاقة، لقد تصور آينشتاين أن المكان المنحنى بفعل الكتلة ينتشر فيه الضوء باعتباره وسط يفرض على الضوء نوعا من الانحراف، وكذلك يؤثر وجود الكتلة وبالتالي انحناء المكان على إيقاع الزمن. يتكلم باشلار عن التغير الذي أحدثته النسبية في مفهوم الزمن حيث يقول: « إذا كان زمن الفيزيائي استطاع أن يتراءى حتى أيامنا هذه كأنه زمن واحد ومطلق، فمرد ذلك لكون الفيزيائي قد وضع نفسه منذ الوهلة الأولى على صعيد اختباري خاص. فقد ظهرت التعددية الزمانية مع النسبية ».[3] كما أن ثورة الكم أيضا أفرزت مفاهيم جديدة فيما يخص الزمان والمكان، وما يتعلق بانتقال الجسيمات، حيث لم تعد الذهنية الماكروسكوبية ذات جدوى في فهم العالم دون الذري، لقد رأى باشلار أن عالم الجسيمات الدقيقة اظهر انه غير خاضع لتلك الأطر التي راكمتها تقارير العلم الكلاسيكي، فلأجل تعيين موقع الإلكترون، لا بد من تسليط تيار من الفوتونات، حيث يؤدي التقاء الإلكترون بالفوتون إلى التباس موقع الإلكترون، إن هذه الصعوبة تتأتى من التداخل بين مناهج البحث وبين الموضوع الذي تسعى هذه المناهج إلى تقديم معرفة عنه، ويتضح من هذا أن مفهوم الواقع في الميكروفيزياء هو غير ما كان يعنيه العالم الكلاسيكي. إن الفيزياء الكوانتية لفتت انتباه الإبستمولوجي إلى فكرة مهمة وهي انه لا يمكن أن نفكر في المجال الميكروسكوبي بنفس الذهنية التي نفكر بها في التجارب الماكروسكوبية، إن الفيزياء الكوانتية قد فتحت نمطا جديدا من التفكير بعدما كان التفكير الميكانيكي الماكروسكوبي سائدا من قبل، وبرزت ظواهر مشوشة بعد ما كان يعتقد أن العالم كله منتظم[4].

إن الطبيعة غير المألوفة للحركة وانتقال الجسيمات التي كشفت عنها الميكروفيزياء تنذر بتغير مفهومنا عن الزمن، إذ لا بد من التعامل مع هذه العالم بتركيب زمني مناسب لها، وفي هذا الشأن يعلق باشلار : «إن مفهوم الأزمنة في مذاهب النسبية ما زال يتقبل التواصل بوصفه طابعا جليا. فهذا المفهوم هو بالتالي مما تعلمه حدوس الحركة. وليس الأمر كذلك بخصوص الفيزياء الكوانتية. هنا الفيزياء موجودة على صعيد جديد، وما يحدد حدسه ليس الحركة بل التبدل... إن تطور

---

[1]- المرجع نفسه- ص48.

[2]محمد وقيدي، **فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار**، ص192_197

[3] - غاستون باشلار، **جدلية الزمن**، ترجمة:خليل احمد خليل، (ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.1982)، ص109

[4] غاستون باشلار، **تكوين العقل العلمي**، تر:خليل احمد خليل، (ط3، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1986).ص196

فيزياء الكوانتي سيستلزم مفهوم الأزمنة المتفاصلة التي لن تكون لها خواص التسلسل التي ترسمها حدوسنا عن المسارات المتصلة»[1]

كذلك بالنسبة للمكان في الميكروفيزياء يرى باشلار أن طبيعة العالم الميكروسكوبي تطلبت ابتكار فضاءات رياضية مجردة للتعامل معها، وستلعب هذه الفضاءات نفس الدور الذي لعبته هندسة ريمان في نظرية النسبية[2]، أن العالم الذري فرض علينا أن نتعامل مع الجسيمات بتصورات مكانية جديدة، حيث أن موجات الاحتمال ينجم عنها عدة أمكنة محتملة للجسيم، وتترجم هذه الاحتمالات في تعبير رياضي يشمل أمكنة يجاوز عدد أبعادها الثلاثة، « وهذا العدد هو الذي يميز المكان الحدسي، فنفهم حينئذ أن من الطبيعي، إن صح القول، الانتقال من هذه الأمكنة الجبرية إلى المكان العادي الذي ينبغي ألا نعتبره بعد الآن في الفكر العلمي الجديد إلا كوسيلة إيضاح، إلا كمحل موائم لصورنا، من دون أن تكون له البتة القدرة على صنع الرسم الموائم للعلاقات التامة.»[3]

ناقش باشلار أيضا فكرة الحتمية واللاحتمية، حيث رأى أن الفيزياء النيوتنية قامت على الحتمية المطلقة، فلكل ظاهرة سبب، ونفس السبب سيؤدي بالضرورة إلى نفس النتيجة، ومن الأفكار التي تعتبر من دعائم الحتمية المطلقة، فكرة المكان والزمان المطلقين، فالمكان المطلق هو مكان لانهائي، متصل ومتجانس، وأي جسم موجود يحتل نقاط معينة من هذا المكان، وإذا تحرك في المكان فانه يوجد في كل لحظة من الزمان ذو الإيقاع الكوني المنتظم، ومعرفة حالة الجسم في لحظة معينة تمكن من التنبؤ بحالته في أي لحظة أخرى تنبؤا دقيقا وحتميا [4].

لقد رأى باشلار أن هناك عدة تحولات تضافرت في العلم المعاصر أدت إلى انهيار الحتمية المطلقة، حيث أصبحنا نتعامل مع الزمان والمكان بشكل محلي، واكتشفنا في الميكروفيزياء ظواهر لا يمكن التعامل معها إلا بالاحتمالات، فالحادث ذو الاحتمال الرياضي الأكبر، سيكون تواتر حدوثه في الطبيعة أكبر، وقد ظهر في الفيزياء الكمية مبدأ هايزنبرغ الذي يسمى بمبدأ الارتياب، وهذا المبدأ هو بمثابة الحد الذي يجيز اعتبار الظاهرة الميكروسكوبية محددة من الناحية العملية، يقول باشلار: « كان النزاع بين الحتمية واللاحتمية العلميتين غافيا بنوع ما عندما جاءت ثورة هايزنبرغ وأيقظته، ولا ترضى هذه الثورة بأقل من إقامة لا حتمية موضوعية.»[5] ناقش باشلار مسألة المكان الفيزيائي وعلاقته بالهندسات الرياضية، واعتبر أن الهندسات اللااقليدية تمثل ثورة في علم الهندسة، وهي تعبر عن قيام فكر علمي جديد أكثر شمولا من الهندسة الاقليدية، ولا يمكن إن يفهم انطلاقا منها. لقد هيمنت الهندسة الاقليدية لقرون عدة، وكانت تمثل عقلانية مطلقة تفهم من خلالها كل نتائج واكتشافات ومشاكل المعرفة العلمية، لكن الهندسات اللااقليدية فتحت المجال لعقلانيات منفتحة، إن هذه الهندسات ليست تطويرا للهندسة الإقليدية ولا استمرارا لها، بل هي تقوم على مصادرات جديدة و مختلفة، كما أن النتائج المترتبة عن هذه المصادرات هي ليست تلك التي اعتدناها في النسق الاقليدي.

إن التطور الذي حصل في الهندسة، بين أن الهندسة الاقليدية تعتبر حالة خاصة من عدة حالات، فقد تبين بأن الهندسة الاقليدية «فقيرة نسبيا، وقد أفسحت المجال لظهور زمر أغنى وأكثر تأهبا لوصف التجربة المرهفة وصفا عقليا.»[6]، إن الفيزياء المعاصرة وما أفرزته من تحولات نتجت عنها بنى تتطلب هندسات معينة بالذات، حيث أن هناك ظواهر لا يمكن استيعابها إلا بالهندسات اللااقليدية، لقد رأى باشلار أن الشيء الذي لا يمكن أن ننكره هو « أن الفيزياء المعاصرة هي

---

[1] - غاستون باشلار، **جدلية الزمن**، ص109-110

[2]- Gaston Bachelard. **Expérience de l’espace.**(Librairie Felix Alcan,Paris,1937), p120

[3] - غاستون باشلار، **الفكر العلمي الجديد**، ص108

[4] - المرجع نفسه، ص 117

[5] - المرجع نفسه، ص 134-135

[6] - المرجع نفسه، ص 39

فعلا في سبيل بناء ذاتها بالاستناد إلى اطر فكرية لاأوقليدية »[1]، لقد تبين مع نظرية النسبية العامة ضرورة استخدام هندسة ريمان لفهم المكان الفيزيائي الرباعي الأبعاد، بل إن هندسة ريمان كان لا بد منها لتعميم نظرية النسبية الخاصة.[2]

إن ما يلاحظ في الفيزياء المعاصرة هو ارتباطها الكبير بالرياضيات، وقد ظن البعض أن هذا افقد الفيزياء طابعها الواقعي، وطغى عليها الجانب التجريدي، لقد رأى باشلار أن الرياضيات أضحت تشكل الأداة الإبداعية في الفيزياء، لقد علق قائلا: "و نحن نذكر هذه الرموز الرياضية الجميلة التي يتحد فيها الممكن بالواقع...تنتمي الإمكانات الرياضية المحضة إلى الظاهرة الواقعية ولو ضد المعرفة الأولى، معرفة التجربة المباشرة، وما يحكم الرياضي بإمكان الفيزيائي أن يحققه دوما، إن الممكن يجانس الكائن ".[3]، وهذا يبين بحق أن الرياضيات التي غالبا ما نربطها بالممكن تتطابق مع الواقع وكأنها أعدت لأجله، لقد رأى باشلار أن التجريب لا يثير تلقائيا " أزماته الخاصة، وإنما ينبجس الاندفاع الثوري من ناحية أخرى، إنه يولد من مملكة المجرد ولذا فإنه في المجال الرياضي توجد ينابيع الفكر " [4]

لقد علق باشلار على ارتباط الرياضيات بمجال الميكروفيزياء وكيف غيرت الرياضيات المعقدة المرهفة من هذا الصرح، فعوضا عن أن يربط الباحثون الإلكترون مباشرة بخصائص وقوى ربطوا به أعدادا كوانتية واستنتجوا بحسب توزع هذه الأعداد توزيع أمكنة الإلكترون في الجوهر الفرد أو في الذرة، وهنا صار العدد صفة أو محمولا للجوهر.

لقد رأى باشلار أن أهمية الرياضيات أساسية في تشييد صرح الفيزياء المعاصرة، وأنها أكثر من أداة للعلم حيث يقول : "...إن الباحثين لا يقدرون دور الرياضيات في الفكر العلمي حق قدره، فقد كرروا بلا كلل أن الرياضيات لغة، وسيلة تعبير بسيطة...و قد كان من الممكن أن تتمتع مثل هذه التجزئة بمعنى في غابر الفكر العلمي وأصله، عندما كانت الصور الحدسية الأولى قوة إيمان تعين على تشكيل النظرية، ولكن الفكر العلمي يغدو بنوع ما أكثر انسجاما في المذاهب الجديدة التي تبتعد عن الصور الساذجة، فقد صار بعد اليوم كله حاضرا في جهد الرياضي، وبتعبير أفضل غدا الجهد الرياضي هو الذي يؤلف محور الاكتشاف، وهو وحده يتيح لنا أن نفكر في الظاهرة."[5]

إن الملاحظ في كتابات باشلار انه دائما يستشهد بالعلم وخاصة علم الفيزياء ويستخلص منه الدروس، ومن خلال هذا يظهر أن فلسفة باشلار تعمل على التأكيد كل مرة على ضرورة الارتباط بين العلم والفلسفة، فأمام الفتوحات العلمية التي شهدها القرن العشرين لابد من ردم الهوّة بين العلم والفلسفة التي زادت اتساعا، وقد حاول باشلار التنبيه إلى التفاوت الذي وقع بين خطي سير الفلسفة والعلم. وبما انه لا غنى لأحدهما عن الآخر فلا بد من نفض الغبار عن الفلسفة ومواكبتها للتطورات العلمية، انتقد باشلار فلسفات عصره محاولا لفت الانتباه لضرورة تجاوز الصورة السكونية والنمطية التي تطبع الكثير من الفلسفات، فلا يمكن غض النظر عن نتائج العلم وقفزاته الهائلة، ولذا تصّور باشلار أنه من مهام الفلسفة الإنصات للأسئلة التي يطرحها العلم عوض الانغلاق داخل الأنساق المجردة، إن العلم اليوم يعرف طفرات وثورات سريعة مقارنة مع القرون السابقة، وهو في كل مرحلة من مراحله يتطلب فلسفة جديدة، وكل فيلسوف لا يأخذ ذلك التطور العلمي بعين الاعتبار يحكم على فلسفته بالجمود والانغلاق.

---

[1] -ا المرجع نفسه، ص 42

[2]- Gaston Bachelard, **Expérience de l'espace** ,p115

[3] غاستون باشلار، **الفكر العلمي الجديد**، ص63.

[4] غاستون باشلار، **الفكر العلمي الجديد**، ص 148.

[5] غاستون باشلار، **الفكر العلمي الجديد**، ص 61

مدى حجّية البصمة الوراثية في نفي النسب وآثارِه في الفقه الإسلامي

أ.عبد اللطيف بعجي

جامعة: باتنة1

الملخص: يهدف البحث إلى مناقشة إشكالية استخدام البصمة الوراثية في مجال نفي النسب، وعلاقة ذلك باللعان، ويسعى إلى الإجابة عن التساؤل حول مدى إمكان مسح آثار النسب بين الملاعن والولد -التي أبقى عليها الفقهاء القدامى بعد إجراء اللعان- على ضوء ما تفرزه نتائج البصمة الوراثية، وما يتعلق بذلك من اختلاف الفقهاء المعاصرين، وما يجب على القاضي فعله حين الفصل في قضايا اللعان حال كون نتائج البصمة الوراثية داعمة لجانب الزوج الطالب للّعان.

الكلمات المفتاحية: البصمة، الوراثية، اللعان، النسب، الفقه، الإسلامي.

Abstract: The research aims to discuss the problematic use of genetic fingerprint in the denial of genealogy, and its relation with the curse, and seeks to answer the question about the possibility of erasing effects of descent between who ask a curse and the child – which was main by the old scholars after a curse. In light of what they produce genetic fingerprint, and related to the difference between the modern scholars, and what the judge must do when it is adjucated in the cases of the curse if the genetic fingerprint is supportive of the side of the husband who ask curse.

مقدمة: تعتبر مسألة البصمة الوراثية ومدى الاحتجاج بها أمام القضاء عموما- والقضاء الإسلامي خصوصا- من المسائل المستجدة التي اختلف فيها المعاصرون، وتنازعوا في المجالات التي يمكن الاستفادة منها، وعلى أي درجة من الحجية تكيّف نتائجها، وهذا ما يجعل بحثها ودراستها من جهة القضاء الإسلامي أمرا مطلوبا، ومن بين المجالات التي استشكل استخدام البصمة الوراثية فيه مجال نفي النسب؛ نظرا لحساسيته ولخطورته على الفرد والأسرة، ولاقتصار الفقه الإسلامي في ذلك على طريق واحد هو اللعان، مما يثير التساؤل عن مدى إمكانية استخدام هذه التقنية الحديثة في هذا المجال، وعن دورها في حسم آثار النسب التي أبقاها الفقهاء بين الولد والملاعن؛ بسبب الاحتمال في كون الزوج كاذبا في لعانه أو واهما.

ولمعالجة الإشكالية المطروحة آنفا جاء هذا البحث موسوما بـ:"**مدى حجية البصمة الوراثية في نفي النسب وآثارِه في الفقه الإسلامي**"، واقتضت مناقشة مسائله تقسيمه إلى أربعة مطالب: كان الأول للتعريف بالبصمة الوراثية، والثاني لبيان طريق نفي النسب (اللعان)، ومن خلاله التعرف على منهج الفقه الإسلامي في التشديد في الموضوع، وخصص المطلب الثالث لمعرفة آراء الفقهاء المعاصرين في مدى جواز الاستعاضة عن اللعان بالبصمة الوراثية حال تأكيدها لادعاء الزوج، وجاء المطلب الرابع لبيان مدى أثر البصمة في نفي آثار النسب بعد إجراء اللعان.

المطلب الأول: تعريف البصمة الوراثية.نتطرق في هذا المطلب إلى تعريف مصطلح البصمة الوراثية، وبيان مدلولها في لسان العرب باعتبارها مركبا إضافيا، وفي اصطلاح العلماء باعتبارها لقبا على علم معين؛ وذلك كالآتي:

أولا: التعريف اللغوي: البصمة الوراثية مركب من كلمتين: البصمة – الوراثية، وفيما يلي تعريف بكل منهما:

1- البصمة: وتعني العلامة، تقول: بُصِم القماش أي رسم عليه.

ولقد أقر مجمع اللغة العربية لفظ "البصمة" بمعنى أثر الختم بالإصبع، تقول بصم بصما: أي ختم بطرف إصبعه[1].

وأصل الكلمة في اللغة: بُصْمٌ (بضم الباء وسكون الصاد)، وتطلق على معنيين:

الأول: الكثيف والغليظ، تقول: ثوب ذو بصم، أي كثيف كثير الغزل، ورجل ذو بصم: أي غليظ، **والثاني**: هو فَوْت ما بين طرف الخنصر إلى البنصر، قال ابن الأعرابي: "يقال: ما فارقتك شبرا، ولا فترا، ولا عتبا، ولا رتبا، ولا بصما، قال: والبصم ما بين الخنصر والبنصر، والفوت ما بين كل إصبعين طولا"[2].

---

[1]- مجمع اللغة العربية (د.ت): المعجم الوسيط، (د.ط)، القاهرة، دار الدعوة، مادة بصم، 60/1.

[2]- ابن منظور (1414هـ): لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، مادة: ورث، 51/12.

2- الوراثية: وهي مشتقة من مادّة (ورث)، بمعنى الانتقال، تقول ورث المال يرثه وَرْثا وإرثا ووراثة، أي صار إليه بعد موت مورّثه، ويقال: ورث المجد وغيره، وورث أباه ماله ومجده، أي ورثه عنه، وأورثه الشيء، أي أعقبه إياه[1].

ومنه تعريف الوراثة: "العلم الذي يبحث في انتقال صفات الكائن الحي من جيل إلى آخر، وتفسير الظواهر المتعلقة بطريقة هذا الانتقال"[2].

ولتعريف المركب لغة يمكن القول بأن البصمة الوراثية هي:"العلامة أو الأثر الذي ينتقل من الآباء إلى الأبناء، أو من الأصول إلى الفروع عن طريق المورثات الكامنة في الحيوان المنوي للأب وفي بويضة الأم"[3].

ثانيا: تعريف البصمة الوراثية في الاصطلاح.

لا يتصور أن نجد لفقهائنا القدامى تعريفا بخصوص البصمة الوراثية، لأن الأمر لم يكن معروفا في زمانهم، وإنما هو اكتشاف معاصر، ولذلك فالتعاريف التي سنذكر بعضها هي للمعاصرين، الذين اختلفت ألفاظهم في ضبط هذا المصطلح، وإن كان مؤداها واحدا، وفيما يأتي بعض تعاريفهم:

- عرفها بعضهم بأنها: "المادّة العاملة للعوامل الوراثية والجينات[4] في الكائنات الحية"[5].

- وعرفتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، والمجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي بأنها: "البنية الجينية – نسبة إلى الجينات- التفصيلية التي تدل على هوية كل فرد بعينه"[6].

- واختار خليفة الكعبي تعريفها بأنها: "التركيب الوراثي الناتج على فحص الحمض النووي لعدد واحد أو أكثر من أنظمة الدلالات الوراثية"[7].

- وعرفها الدكتور محمد أبو الوفاء بأنها: "الصفات الوراثية التي تنتقل من الأصول إلى الفروع، والتي من شأنها تحديد شخصية كل فرد عن طريق تحليل جزء من حامض الدنا (DNA) الذي تحتوي عليه خلايا جسده"[8].

والمتأمل لهذه التعريفات، سواء كانت تعريفات جماعية (تعريف المنظمة الإسلامية أو المجمع الفقهي) أو كانت تعريفات فردية كتعريفات الباحثين، يجد أنها تدور حول معنيين:

الأول: انتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء.

الثاني: دراسة التركيب الوراثي[9].

لكن الذي ينبغي أن يعلم أن تحليل البصمة الوراثية كما أنه يفيد في معرفة تطابق الصفات الوراثية بين الآباء والأبناء – وهو ما ركزت عليه جل التعاريف- فهو مفيد كذلك في التحقق من هوية الشخص؛ وهو ما يستثمر في المجال الجنائي والقبض على المجرمين.

---

[1]- الفيروز آبادي (1426هـ): القاموس المحيط، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة، مادة ورث، 177/1،.

[2]- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، (م،س)، مادة ورث، 1024/2،.

[3]- الهلالي: سعد الدين (2010م)، البصمة الوراثية وعلائقها الشرعية، ط1، القاهرة، مكتبة وهبة، ص30.

[4]- الجينات جمع جين، وهو عبارة عن قطعة أو جزء محدد من السلسلة الطويلة للDNA التي تحمل القراءة الوراثية اللازمة لتصنيع بروتينات الجسم، بمعنى أنه عبارة عن جزء من الحمض النووي DNA أو جزء من الكروموزوم الذي يتحكم بإظهار صفات وراثية محددة". دانييل كيفلس وليروي هود (1997م): معجم الكلمات العسيرة في كتاب الشفرة الوراثية للإنسان، ترجمة: أحمد مستجير، عدد 217، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ص405.

[5]- بهنام: رمسيس (2000م)، البوليس العلمي أو فن التحقيق، ط1، الإسكندرية، منشأة المعارف، ص150.

[6]-المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية(2000م): ندوة الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم والعلاج الجيني -رؤية إسلامية- إشراف: عبد الرحمن العوضي، تحرير: رجاء الجندي، الكويت، ص1050.

[7]- الكعبي: خليفة (1426هـ)، البصمة الوراثية وأثرها على الأحكام الفقهية، ط1، عمّان، دار النفائس، ص45.

[8]- أبو الوفا: محمد، مدى حجية البصمة الوراثية في الإثبات الجنائي في القانون الوضعي والفقه الإسلامي، بحث مقدم إلى مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون"، 5-7 ماي 2002م، جامعة الإمارات، كلية الشريعة والقانون، 685/2.

[9]- الكعبي: البصمة الوراثية وأثرها على الأحكام الفقهية، (م،س)، ص45.

المطلب الثاني: طريق نفي النسب في الفقه الإسلامي. نتعرف في هذا المطلب إلى مفهوم اللعان- باعتباره الطريق الوحيد لنفي النسب في الفقه الإسلامي- وأدلة مشروعيته في الشريعة الإسلامية، كما نتعرض لأهم الشروط الواجب تحققها في اللعان الذي به يتم نفي نسب الولد، وذلك ما نستثمره عند مناقشة إمكانية نفي النسب بالبصمة الوراثية من عدمه.

أولا: معنى اللعان: يشتق مصدر اللعان من الأصل: "لعن"، ومعناه الإبعاد والطرد من الخير، وقيل: الطرد والإبعاد عن الله[1].

أما في الاصطلاح فقد اختلفت تعريفات الفقهاء له حسب المذاهب الفقهية وتقاربت معانيها، وهذا بيان (مختصر) لتعريف اللعان حسب ترتيب المذاهب الفقهية:

1- عند الأحناف: هو "شهادات مؤكدات بالأيمان مقرونة باللعن قائمة مقام حد القذف في حقه، ومقام حد الزنا في حقها"[2].

2- عرفه المالكية بأنه "حلف زوج مسلم مكلف على زنا زوجته، أو نفي حملها، وحلفها على تكذيبه أربعا"[3].

3- عند الشافعية بأنه: "كلمات معلومة جعلت حجة للمضطر إلى قذف من لطخ فراشه وألحق العار به أو إلى نفي الولد"[4].

4- عرفه الحنابلة بأنه "شهادات مؤكدات بأيمان من الجانبين مقرونة باللعن والغضب قائمة مقام حد قذف أو تعذيب أو حد زنا في جانبها"[5].

5- عرفه ابن حزم بأنه "قذف امرأته بالزنا هكذا مطلقا أو بإنسان سماه دخل بها أو لم يدخل ادعى رؤيته أو لم يدع"[6].

ثانيا: أدلة مشروعية اللعان: دل على مشروعية اللعان القرآن والسنة والإجماع والمعقول:

1-من القرآن الكريم: قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ النور: ٦ – ٩ **ووجه الاستدلال:** أن هذه الآية مخصصة لعموم قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ النور: ٤ ، فخص منها الأزواج الذين يرمون أزواجهم، فرفع الله عنهم حد القذف إذا لم يستطيعوا إثبات زنا زوجاتهم بأربعة شهداء، فهو من باب الرخصة والعذر للأزواج في إقدامهم على القول في أزواجهم بالزنا[7]، وهذه الآية فيها فَرَج للأزواج، وزيادة مخرج، إذا قذف أحدهم زوجته، وتعسر عليهم إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر الله تعالى[8].

2- من السنة النبوية: أحاديث كثيرة نذكر منها:

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، (م،س)، مادة: لعن، 387/13.

[2]- السمرقندي: أبو بكر علاء الدين (1414ه)، تحفة الفقهاء، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 217/2. ابن نجيم: زين الدين (د،ت)، البحر الرائق شرح كنز كنز الدقائق، ط2، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، 122/4.

[3]- المواق: أبو عبد الله (1416ه)، التاج والإكليل لمختصر خليل، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 455/5. عليش: أبو عبد الله محمد (1409ه)، منح الجليل الجليل شرح مختصر خليل، (د،ط)، بيروت، دار الفكر، 270/4.

[4]- الأنصاري: زكريا (د،ت)، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، (د،ط)، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، 370/3. الشربيني: شمس الدين(1415ه)، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 52/5.

[5]- البهوتي: منصور (د،ت)، كشاف القناع عن متن الإقناع، (د،ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، 390/5.

[6]- ابن حزم: أبو محمد (د،ت)، المحلى بالآثار، (د،ط)، بيروت، دار الفكر، 331/9.

[7]- ابن طاهر: الحبيب (1426ه)، الفقه المالكي وأدلته، ط4، بيروت، مؤسسة المعارف، 152/4.

[8]-ابن كثير: أبو الفداء (1420ه)، تفسير القرآن العظيم، ط2، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 14/6.

عن سهل بن سعد الساعدي: "أن عويمر العجلاني أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسط الناس فقال: يا رسول الله، أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك فاذهب فأت بها، قال، قال سهيل: فتلاعنا، وأنا مع الناس عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا فرغا من تلاعنهما قال عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال مالك: قال ابن شهاب: فكانت تلك بعد سنة المتلاعنين"[1].

وواضح تشريع الله تعالى للّعان من هذه الحادثة، والأحاديث فيها كثيرة، آثرت تركها بغية الاختصار ومخافة الإطالة.

3-من الإجماع: فقد نقل الإجماع على مشروعية اللعان غير واحد من الفقهاء منهم: النووي، حيث قال: "وأجمع العلماء على صحة اللعان في الجملة"[2].

وفي رحمة الأمة في اختلاف الأئمة قال: "أجمعوا على من قذف زوجته، أو رماها بالزنا، أو نفى حملها وأكذبته، ولا بيّنة له أنه يجب عليه الحد، وله أن يلاعنها"[3].

4-من المعقول: ويستدل لمشروعية اللعان من وجهين:

1- أن الله تعالى جعل للزوج اللعان مخلّصا من المحنة بتلطيخ الفراش، وشافيا من الغيظ في رؤية المكروه، وقطعا لعلائق النسب الباطل عن الأب[4].

2- أن الزوج حين يتلطخ فراشه بسبب امرأته، فله أن يقذفها لينفي العار والنسب الفاسد، فجعل اللعان بينة له[5]، يثبت بها صحة أقواله.

ثالثا: أهم شروط نفي الولد باللعان. بعد أن تكلم الفقهاء عن الشروط التي تجب في المتلاعنين بشخصيهما فذكروا منها: أن يكون الزوجان مكلفين، وأن يكون الزوج مختارا غير مكره على اللعان، وأن يكون اللعان بحضور القاضي أو الإمام ونحو ذلك[6]... تكلموا عن شروط أخرى من شأنها التضييق على وقوع نفي الولد، لما لهذه المسألة من خطورة بالغة، وأهم هذه الشروط:

1- أن يقع نفي الولد فور العلم به، فلو أن الزوج علم بالحمل أو الولادة فسكت عن نفيه بعد علمه –دون عذر- ثم أراد أن ينفيه باللعان فلا يصح منه ذلك، ويحد حد القذف، ومع اتفاقهم على الفورية، فإنهم اختلفوا في تقديرها، فقدرها بعضهم بمدة التهنئة بالمولود، وبعضهم بأكثر مدة النفاس، وأحالها بعضهم للعرف[7].

2- عدم إقرار الزوج بالولد: فيشترط ألا يكون الزوج قد أقر بالولد قبلها صراحة أو ضمنا، ومثال الإقرار الصريح: أن يقول هذا الحمل أو هذا الولد مني، ومثال الإقرار الضمني: أن يسير مع زوجته وهي حامل لمداواتها، أو أن يقبل التهنئة بالمولود، لأن العاقل لا يسكت عادة عند التهنئة بمولود ليس منه[8].

---

[1]- أخرجه البخاري: كتاب الطلاق، باب اللعان ومن طلق بعد اللعان، رقم: 5308، 42/7. ومسلم: كتاب الطلاق، باب اللعان، رقم: 1492، 1129/2.

[2]-النووي: أبو زكريا محيي الدين (1392هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم)، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 119/10.

[3]-الصفدي: القاضي صدر الدين (د،ت)، رحمة الأمة في اختلاف الأئمة، تحقيق: عبد الكريم حامدي، (د،ط)، الجزائر، دار البصائر، 210/2.

[4]- ابن العربي: أبو بكر (1992م)، القبس في شرح موطإ مالك بن أنس، تحقيق: محمد ولد كريم، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 747/2.

[5]-ابن قدامة: أبو محمد (1388هـ)، المغني، (د،ط)، القاهرة، مكتبة القاهرة، 48/8.

[6]-السبيل: البصمة الوراثية ومدى مشروعية استخدامها في النسب والجناية، (م،س)، ص35.

[7]-الكاساني: بدائع الصنائع، (م،س)، 246/3. ابن رشد الحفيد (1425هـ): بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (د،ط)، القاهرة، دار الحديث، 95/2.

[8]-الهلالي: البصمة الوراثية وعلائقها الشرعية، (م،س)، ص326. الموسوعة الفقهية الكويتية: (م،س)، 262/35.

قال الشيرازي: "إن هنّأه رجل بالولد، فقال: بارك الله لك في مولودك، وجعله الله لك خلفا مباركا، وأمّن على دعائه، أو قال: استجاب الله دعاءك، سقط حقه في النفي؛ لأن ذلك يتضمن الإقرار به"[1]، وقال المالكية: "إذا وطئ زوجته بعد رؤيتها تزني، أو بعد علمه بوضع الحمل يمتنع لعانه، ويثبت نسب الولد له، وبقيت زوجته"[2].

3- حياة الولد: اشترط الحنفية أن يكون الولد حيا عند اللعان، وعند الحكم بقطع نسبه، فلو ولدت المرأة ولدا، ونفى الزوج نسبه منه، ثم مات الولد قبل حصول اللعان، أو مات بعد حصول اللعان ولكن قبل الحكم بقطع نسبه عن الزوج لا ينتفي عنه؛ لأن النسب يتقرر بالموت، والشيء إذا تقرر لا يمكن نفيه، ولكن للزوجة الحق في طلب إجراء اللعان إن مات الولد قبل إجرائه لدفع عار الزنا عنها[3].

ولم يشترط الجمهور من المالكية الشافعية والحنابلة حياة الولد عند اللعان لنفي نسبه؛ لأن نسبه لا ينقطع بالموت، بل يقال: مات ولد فلان، وهذا قبر ولد فلان، ويلزم الزوج تجهيزه وتكفينه؛ فيكون له نفي نسبه وإسقاط مؤنته كما لو كان حيا[4]. والمتأمل لهذه الشروط يدرك مدى توجه الفقهاء نحو جعل اللعان قليل الوقوع –إن لم نقل متعذرا- فيجعل كالكيّ الذي هو آخر الدواء، لما يترتب عليه من تشتيت للأسر، وفضح لأسرار الناس، وقطع لأقوى آصرة في الحياة، وهي آصرة البنوة والأبوة، وهذا التشدد في تصحيح اللعان يجعل الزوج يبحث عن أية مندوحة أخرى يمكن أن تعالج ما ألمّ به من رزء في عرضه، إلا إذا كان على يقين قاطع من كون الولد ليس من مائه.

المطلب الثالث: آراء الفقهاء المعاصرين في نفي النسب بالبصمة الوراثية دون اللعان.

علمنا مما تقدم أن طريق نفي النسب هو اللعان، وإذا تبين من خلال نتائج البصمة الوراثية صحة ما يدعيه الزوج، من أن الولد المولود على فراشه ليس ابنا له، فقد اختلفت أنظار الفقهاء المعاصرين -والحال هذه-، في مدى إمكان الاكتفاء بالبصمة الوراثية لنفي الولد دون اللجوء للعان، إلى قولين:

أولا: أقوال الفقهاء.

1- قول المانعين: يرى أصحابه أنه تعتبر نتائج البصمة الوراثية قرينة تقوي جانب الزوج، وتؤكد حقه في اللعان، لكن لا تحل محل اللعان، وعليه لا ينتفي النسب إلا باللعان فقط، ولا يجوز تقديم البصمة الوراثية عليه.

وهو قول جمهور الفقهاء المعاصرين، ومن بينهم الدكتور وهبه الزحيلي[5]، والدكتور نصر فريد واصل[6]، والدكتور علي القره داغي[7]، والدكتور عبد الستار فتح الله سعيد[8]، والدكتور محمد الأشقر[9]، والدكتور عمر السبيل[10]... وعليه قرار مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي، حيث جاء فيه: "لا يجوز شرعا الاعتماد على البصمة الوراثية في نفي النسب، ولا يجوز تقديمها على اللعان"[11].

---

[1]-الشيرازي: أبو إسحاق (د،ت)، المهذب في فقه الإمام الشافعي، (د،ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، 84/3. المرداوي: علاء الدين (د،ت)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 263/9.

[2]-ابن طاهر: الفقه المالكي وأدلته، (م،س)، 166/4.

[3]-الكاساني: بدائع الصنائع: (م،س)، 246/3.

[4]-الدردير: أحمد (د،ت)، الشرح الكبير، (د،ط)، بيروت، دار الفكر، 459/2. الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، (م،س)، 122/2. الموسوعة الفقهية الكويتية: (م،س)، 264/35.

[5]- الزحيلي: وهبة (1425هـ)، البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، بحث مقدم للمجمع الفقهي بمكة المكرمة، دورة 16،ص23.

[6]- واصل: نصر فريد (1425هـ)، البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، بحث مقدم للمجمع الفقهي بمكة المكرمة، دورة 16، ص109.

[7]- القره داغي: علي (2006م)، فقه القضايا الطبية المعاصرة، ط2، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ص355.

[8]- فتح الله سعيد: عبد الستار، البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، بحث مقدم للمجمع الفقهي بمكة، الدورة 16، 1425هـ، ص147.

[9]- الأشقر: محمد (1998م)، إثبات النسب بالبصمة الوراثية، بحث مقدم إلى مؤتمر الوراثة والهندسة الوراثية، الكويت، ص441.

[10]- السبيل: البصمة الوراثية ومدى مشروعية استخدامها في النسب والجناية: (م،س)، ص41.

[11]- القرار السابع بشأن البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، الدورة 16، أيام 21-26، 10، 1422هـ.

2- قول المجيزين: ويرى أصحابه أنه لا وجه لإجراء اللعان إذا ثبت يقينا بالبصمة الوراثية أن الحمل أو الولد ليس من الزوج، وينفى النسب بذلك، ويستغنى به عن اللعان.

وإلى هذا القول ذهب كل من الشيخ محمد مختار السلامي[(1)]، والدكتور يوسف القرضاوي[(2)].

ثانيا: أدلة الفريقين.

1- أدلة الفريق الأول: استدل القائلون بأن النسب لا ينفى إلا باللعان، ولا تحل البصمة الوراثية محله لحال بما يأتي:

أ- من القرآن الكريم: استدلوا بقوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ النور: ٦ – .

ووجه الدلالة: أن الآية ذكرت أن الزوج إذا لم يكن له شاهد إلا نفسه فيلجأ للعان، وإحداث البصمة الوراثية بعد الآية تزيّد على كتاب الله، ومن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ[(3)].

ب- من السنة النبوية: استدلوا بأحاديث منها:

- حديث أنس أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال في قصة المتلاعنين: "أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الإليتين، خدلّج الساقين، فهو لشريك بن سمحاء"، فجاءت به كذلك، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: " لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن"[(4)].

ووجه الدلالة: أن معرفة النبي صلّى الله عليه وسلّم للنتيجة لم تجعله يترك العمل باللعان، مع أن الولد جاء على الصفة المكروهة[(5)].

- ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: "كان عتبة عهد إلى أخيه سعد: أن ابن وليدة زمعة مني فاقبضه إليك، فلما كان عام الفتح أخذه سعد فقال: ابن أخي عهد إلي فيه، فقام عبد بن زمعة فقال: أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه، فتساوقا (تدافعا) إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم ، فقال سعد: يا رسول الله ابن أخي قد كان عهد إلي فيه، فقال: ابن أخي عهد إلي فيه، فقال عبد بن زمعة: أخي وابن وليدة أبي، ولد على فراشه، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم قال لسودة: احتجبي منه، لما رأى من شبهه بعتبة، فما رآها حتى لقي الله"[(6)].

ووجه الدلالة: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أهدر الشبه البيّن وهو الذي يعتمد على الصفات الوراثية، وأبقى الحكم الأصلي وهو الفراش، فلا ينفى إلا باللعان فحسب[(7)].

ج- من المعقول: واستدلوا لذلك من جهتين:

[(1)]- السلامي: محمد المختار، التحليل البيولوجي للجينات البشرية وحجيته في الإثبات، بحث مقدم لمؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، 22-24، 2، 1423هـ، 405/2.

[(2)]- مؤتمر المنظمة الطبية الإسلامية للعلوم الطبية (1998م)، المناقشات الفقهية للبصمة الوراثية: الندوة الحادية عشر، الكويت، 506/1.

[(3)]-قاسم: عبد الرشيد (1425هـ)، البصمة الوراثية وحجيتها، عدد23، الرياض، مجلة العدل، ص18. وهو نص حديث أخرجه البخاري:كتاب الصلح، باب إذا إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم: 2697، 184/3. ومسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم: 1718، 1334/3.

[(4)]-أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ويدرأ عنها العذاب، رقم: 4747، 100/6.

[(5)]-العمر: أيمن (1431هـ)، المستجدات في وسائل الإثبات، ط1، بيروت، دار ابن حزم، ص462.

[(6)]-أخرجه البخاري: كتاب الحدود، باب للعاهر الحجر، رقم: 6818، 165/8. ومسلم: كتاب الرضاع، باب الولد للفراش وتوقي الشبهات، رقم: 1457، 1080/2.

[(7)]-فتح الله سعيد: البصمة الوراثية ومدى الاستفادة منها، (م،س)، ص155.

- أن إبقاء حكم اللعان يتحقق فيه من المصالح ما لا يتحقق بالبصمة الوراثية، فلو قدر أن تنصل الأب من الحلف بعد أن ادعى على زوجته بالزنا، فإن هذا النكوص يعتبر لصالح الولد في بقاء نسبه من ذلك الأب، لصالح بيت الزوجية ببقاء العلاقة بين الرجل وزوجته، وبذلك يتحقق الستر واتصال النسب[1].

- أننا لا نستطيع أن نعتمد على البصمة فحسب، ونقيم حد الزنا على الزوجة، بل لا بد من البينة، فكيف نقدم البصمة على اللعان، ولا نقيم بها الحد؟[2].

2- أدلة الفريق الثاني: استدل القائلون بتقديم البصمة على اللعان، أنه لا وجه لإجراء اللعان بما يأتي:

أ- من القرآن الكريم: استدلوا بقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ النور:6 .

وجه الدلالة: أن الزوج يلجأ للعان لنفي النسب عند فقد من يشهد له بما رمى به زوجته من أن الحمل ليس منه، وهذا معنى قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (النور، 6)، ومع هذا التقدم العلمي لم يبق الزوج وحيدا لا سند له، بل أصبح له شاهد –المقصود منه البصمة الوراثية- فإذا كان موثوقا به، فإنه يكون رافعا لاتهام الزوج بالكذب [3].

ب- من المعقول: أنه ورد في كلام الفقهاء ما يدل على حالات قريبة ومشابهة لمثل هذا الحكم، وهي الحالات التي يكون فيها مانع حسي يمنع من الإنجاب، فلا يحتاج فيها إلى لعان، مثل أن يكون الزوج مجبوبا[4]، أو خصيّا، أو عنّينا[5]، أو صغيرا لا يولد لمثله... فكذلك بالنسبة للبصمة الوراثية، فإنها تحكي واقعا محسوسا لا يتخلّف حتى لو تكرر مرات عديدة[6].

ثالثا: جمع وتوفيق.

بعد الاطلاع على ما ذكره الفقهاء من أدلة في مسألتنا هذه، والتأمل فيها، جدير بنا أن نسجل ما يلي:

- الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية لا يعتبر حاسما في الموضوع، ولا يسلم الاحتجاج به لكلا الفريقين، بل وأمكن لكل من الفريقين الاحتجاج بالنص ذاته؛ كما رأينا استدلال الفريقين بآية اللعان، ووجّهها كل واحد لخدمة رأيه، وهو ما وقع مع حديث: "الولد للفراش وللعاهر الحجر"[7]، حيث جعله بعضهم قاضيا بالنسب للفراش، مهملا تماما الشبه، في حين حين استدل به البعض الآخر من أن أمره صلّى الله عليه وسلّم لسودة بالاحتجاب من الغلام يعتبر أثرا مترتبا على إعمال الشبه في القضية. وعليه فإني ألخص عمل القاضي حين تعرض عليه دعوى نفي النسب من طرف الزوج، في الخطوات الآتية:

1- وعظ الزوج وتبصيره بخطورة الدعوى التي أقامها على زوجته، ويبين له الوعيد المترتب على نفي الولد؛ إن لم يكن متيقنا، بمثل بما رواه أبو هريرة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "أيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين"[8]، ويجتهد القاضي ليوضح للزوج الآثار السلبية الكبيرة التي تترتب على مضيّه في

---

[1]-العمر: المستجدات في وسائل الإثبات، (م،س)، ص462.

[2]- قاسم: البصمة الوراثية وحجتها، (م،س)، ص20.

[3]- السلامي: التحليل البيولوجي للجينات البشرية، (م،س)، ص405.

[4]- المجبوب: من استؤصلت مذاكيره، الفيومي: المصباح المنير، (م،س)، 89/1.

[5] - العنّين: من له ذكر لا يمكن به جماع لشدة صغره أو لدوام استرخائه، الرصاع: شرح حدود ابن عرفة، ص168.

[6] - العمر: المستجدات في وسائل الإثبات، (م،س)، ص 464.

[7] - سبق تخريجه.

[8]- أخرجه أبو داود: كتاب الطلاق، باب التغليظ في الانتفاء، رقم: 2263، 575/3. والنسائي: كتاب الطلاق، باب التغليظ في الانتفاء من الولد، رقم: 4645، 286/5. والحاكم: كتاب الطلاق، رقم: 2814، 220/2، وقال:" هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي. قال ابن حجر: "وصححه

دعواه، كما يطلب منه التثبت في أمره، وأن لا يمضي في دعواه إلا إذا كان متيقنا تماما بأن لا مجال لكون الولد منه، بل ويستفسر منه عن دليله في نفي الولد، فربما كان دليلا ضعيفا؛ كأن بنى ذلك على أنه كان يعزل حين الوطء، أو لكون الولد لا يشبهه... إلى ما هنالك من الحجج التي نص الفقهاء على عدم بناء دعوى اللعان استنادا إليها.

وبعد هذا؛ فإن رجع الزوج عن دعواه فذلك حسن، أما إن تمادى فيحيله القاضي إلى الخطوة الثانية.

2- فإذا استمر الزوج في دعواه يطلب منه القاضي تحليل البصمة الوراثية، ليتأكد من ذلك، ويقطع الشك باليقين، وهذا الإجراء يجعلنا أمام احتمالين لا ثالث لهما:

الأول: ثبوت نسب الابن من الزوج، وهي مسألة اختلفت فيها أنظار الفقهاء المعاصرين بين قائل بأن الزوج يجبر على ترك اللعان، ولو لاعن فإن النسب يثبت، ومؤدّى هذا القول تقديم البصمة الوراثية، والعمل بها، سواء ترك الزوج اللعان أم مضى فيه، وبين قائل بعدم الالتفات إلى نتائج البصمة الوراثية، ولا يسقط حق الأب في نفي الولد باللعان، وعلى أية حال فالمسألة خارجة عن مجال بحثنا، ولا يسمح المقام ببسط الكلام فيها [1].

الثاني: نفي نسب الابن من الزوج، وعلى ذلك يتأكد قول الزوج ويتبين صحة دعواه، وفي هذه الحال يتوجب على القاضي أن يواجه الزوجة بهذه الحقيقة، ويفسح لها المجال لتجيب عن ذلك، وإجابتها لا تعدو أن تكون أحد الاحتمالات:

الاحتمال الأول: أن تعترف بالزنا، وعليه يجب عليها حد الزنا، وينفى نسب الولد من الزوج، ولا حاجة للعان حينئذ.

الاحتمال الثاني: أن تدعي وطئًا بشبهة أو اغتصابا... ، مما يسقط عنها الحد، للمبدإ المتقرر في الفقه الإسلامي؛ من دفع الحدود بالشبهات، ويمكن طلب يمينها دعما لدعواها، وينفى نسب الولد، ولا لعان في هذه الحال.

الاحتمال الثالث: أن تنكر الزنا ووطء الشبهة والاغتصاب...، وتصرّ على أن الولد منه، وأنها لم تزن طواعية، ولم تتعرض للاغتصاب ولا لوطء شبهة، ففي هذا الموقف المتعنت منها، لا يجد القاضي بُدًّا من الخطوة الثالثة.

3- أمام استغلاق المشهد، وكون الزوجة تنكر تماما، فحينها يلجأ القاضي للعان، وما يترتب عليه من إجراءات، بل ويمكن للقاضي أن يظهر لمن يحضر جلسة اللعان مقتضى تقرير البصمة الوراثية الذي يصدق دعوى الزوج، كل ذلك زجرا لها للتعنّت غير المبرر، وللعزة بالإثم، وردعا لغيرها من النساء من أن يحذين حذوها، أو يقتفين أثرها.

المطلب الرابع: أثر البصمة الوراثية في نفي آثار النسب بعد اللعان

رتب الفقهاء آثارا على قطع النسب – بعد اللعان-، بين الولد والملاعِن، ومن بينها منع التوارث بينهما، وعدم وجوب النفقة بينهما، سواء نفقة الآباء على الأبناء أو نفقة الأبناء على الآباء، وهذا باتفاقهم.

وفي الجهة المقابلة فقد نصوا كذلك على بقاء بعض آثار البنوة والأبوة بين الولد والملاعن، وفيما يلي الأحكام التي يعتبر فيها الولد أجنبيا عن الملاعن، وما لايعتبر فيه أجنبيا:

1- الأحكام التي يعطى فيها الولد حكم الأجنبي:

أ- الإرث: فلا توارث بين الملاعن وبين الولد باتفاق.

ب- النفقة: فلا تجب بينهما نفقة الآباء على الأبناء، ولا نفقه الأبناء على الآباء، وهذا باتفاق كذلك.

2- الأحكام التي لا يكون فيها الولد أجنبيا:

أ- الشهادة: ذهب الحنفية والمالكية إلى أنه لا تجوز شهادة أحدهما للآخر لإمكان استلحاقه[2].

ب- القصاص: فلو قتل الملاعن الولد الذي نفاه باللعان لا يقتل به كما لو قتل ولده.

الدارقطني في العلل، مع اعترافه بتفرد عبد الله بن يونس به، عن سعيد المقبري، وأنه لا يعرف إلا بهذا الحديث" التلخيص الحبير 453/3. وضعفه الأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة: رقم: 1427، 617/3. وصححه بالمتابعة في السلسلة الصحيحة: رقم: 3480، 1403/7.

([1]) - للتوسع ينظر: الهلالي: البصمة الوراثية وعلائقها الشرعية، (م،س)، ص358. والسبيل: البصمة الوراثية ومدى مشروعيتها، (م،س)، ص44.

[2]-الدسوقي: حاشية على الشرح الكبير: (م،س)، 168/4. الزرقاني: شرح على مختصر خليل، (م،س)، 295/7.

ج- الالتحاق بالغير: فلو ادعى غير الملاعن الولد الذي نفي نسبه باللعان لم يصح ادعاؤه، لاحتمال أن يكذب الملاعن نفسه فيعود نسب الولد له.

د- المحرمية: فلو كان للملاعِن بنت من امرأة أخرى، فلا يحل له تزويجها ممن نفى نسبه باللعان، لأن الولد يجوز أن يكون ابنا للملاعن، ونفى الشافعية في أحد قولين على أن المنفية باللعان حكمها أنها تحرم على نافيها، ولو لم يدخل بأمها، لأنها لا تنتفي عنه قطعا لدليل لحوقها به لو أكذب نفسه، ولأنها ربيبة في المدخول بها[1].

3- تعليلات الفقهاء لبقاء أثر النسب بعد اللعان.

نقلت معظم مصادر الأحناف ما مفاده: "أن ولد الملاعنة بعدما قطع نسبه فجميع أحكام نسبه باق من الأب سوى الميراث، حتى أن شهادة الأب له لا تقبل، وشهادته لأبيه لا تقبل، ودفع الزكاة إليه لا تجوز، ولو كان أنثى فتزوجه أبوه، أو تزوج بنته منه إن كان ابنا لا يجوز، وغير ذلك من أحكام النسب"[2].

وقال الكمال بن الهمام: "واعلم أن ولد الملاعنة إذا قطع نسبه من الأب وألحق بالأم لا يعمل في جميع الأحكام، بل في بعضها فيبقى النسب بينهما، في حق الشهادة والزكاة والقصاص والنكاح وعدم اللّحوق بالغير، حتى لا تجوز شهادة أحدهما للآخر، ولا صرف زكاة ماله إليه، ولا يجب القصاص على الأب بقتله، ولو كان لابن الملاعنة ابن، وللزوج بنت من امرأة أخرى لا يجوز للابن أن يتزوج بتلك البنت، وإن ادعى إنسان هذا الولد لا يصح، وإن صدّقه في ذلك"[3].

ومما يوضح العلة من بقاء هذه الأحكام هو استشكال الكمال بن الهمام عدم صحة لحوق الولد بمن يدعيه بعد وفاة الملاعن حيث يقول: "وهو مشكل في ثبوت النسب إذا كان المدعي ممن يولد مثله لمثله، وادعاه بعد موت الملاعن، لأنه مما يحتاط في إثباته، وهو مقطوع النسب من غيره، ووقع الإياس من ثبوته من الملاعن"[4].

وعند المالكية نجد الأمر ذاته من تعليلهم بصحة استلحاقه، يقول الدسوقي في حاشيته: "فلا يشهد أب ولا أم وإن ولد ملاعنة لصحة استلحاقه"[5]، وقال الخرشي في شرحه على خليل: "ويدخل في الولد ولد الملاعنة لأن له أن يستلحقه"[6].

وعند الشافعية قولان في بقاء ما ذكرنا من أحكام النسب، وصحّحوا بقاءها، يقول الشربيني في حديثه عن المنفية بلعان "وحكمها أنها تحرم على نافيها ولو لم يدخل بأمها؛ لأنها لا تنتفي عنه قطعا بدليل لحوقها به لو أكذب نفسه، ولأنها ربيبة في المدخول بها، وتتعدى حرمتها إلى سائر محارمه، وفي وجوب القصاص عليه بقتله لها، والحد بقذفه لها، والقطع بسرقة مالها، وقبول شهادته لها وجهان أوجهها كما قال شيخي: لا"[7].

وكما علل الشربيني بقاء آثار النسب بأنها لم تنتف عنه قطعا، ولاحتمال إعادة ثبوت نسبها بإلحاقه لها حال ما أكذب نفسه، نجد غيره من علماء الشافعية كذلك يعللون؛ فيقول الغزالي: "وجه التحريم أنها عرضة اللحوق به بسبب الفراش

---

[1]-السرخسي: محمد شمس الأئمة (1414هـ)، المبسوط، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة، 198/29. الغزالي: أبو حامد (1417هـ) الوسيط في المذهب، تحقيق: أحمد محمود إبراهيم، محمد محمد تامر، ط1، القاهرة، دار السلام، 103/5. عليش: منح الجليل، (م.س)، 752/4.

[2]-العيني: بدر الدين (1420هـ)، البناية شرح الهداية، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 573/5. الزبيدي: أبو بكر (1322هـ) ، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، ط1، القاهرة، المطبعة الخيرية، 71/2. أفندي: عبد الرحمن داماه(د.ت)، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 197/2. ابن نجيم: البحر الرائق، (م.س)، 80/7.

[3]-ابن الهمام: كمال الدين (د.ت)، فتح القدير، (د.ط)، بيروت، دار الفكر، 297/2.

[4]- ابن الهمام: فتح القدير، (م.ن)، 297/2.

[5]-الدسوقي: حاشية على الشرح الكبير، (م.س)، 108/4.

[6]-الخرشي: أبو عبد الله محمد (د.ت)، شرح على مختصر خليل، (د.ط)، بيروت، دار الفكر، 179/7.

[7]- الشربيني: مغني المحتاج، (م.س)، 288/4.

إن كذب نفسه"[1]، ويقول النووي: "ومنهم من قال: لا يجوز للملاعن نكاحها لأنها غير منفية عنه قطعا، ولهذا لو أقر بها ثبت النسب"[2].

ولم أظفر من نصوص الحنابلة إلا على ما ذكره ابن تيمية؛ حيث قال: "وبنت الملاعنة لا تباح للملاعن عند عامة العلماء؛ وليس فيه إلا نزاع شاذ؛ مع أن نسبها ينقطع من أبيها، ولكن لو استلحقها للحقته، وهما لا يتوارثان باتفاق الأئمة، وهذا لأن النسب تتبعّض أحكامه، فقد يكون الرجل ابنا في بعض الأحكام دون بعض، فابن الملاعنة ليس بابن، لا يرث ولا يورث، وهو ابن في باب النكاح"[3].

وذكر المرداوي حرمة البنت المنفية بلعان عطفا على المحرمات ولم يعلل "وكذا ابنته المنفية بلعان"[4].

وإننا نلاحظ تبريرهم لبقاء بعض الأحكام بين الملاعن والولد باحتمالية كون الولد من الزوج، وهذا الاحتمال سائغ مشروع في الزمن الذي لم يكن للقضاة فيه سبيل لإدراك مدى صدقية الزوج من الزوجة، لكن في عصرنا أصبحت البصمة الوراثية تبين بدقة مدى انتساب الولد للملاعن من عدمه، وعليه ينشأ سؤال مفاده: هل يمكن للبصمة الوراثية –حين تأكد نفي الولد من الملاعن- أن تجيز لنا أن نمسح كل الآثار المتبقية بين الملاعن والولد، مثل الشهادة، والقصاص، والالتحاق بالغير، والمحرمية..؟

وعند النظر فيما سبق من نصوص الفقهاء -على اختلاف مذاهبهم- نجدهم يبررون بقاء بعض آثار النسب –غير الميراث والنفقة- بشيئين يؤولان في النهاية إلى أحدهما؛ وهما:

الأول: احتمالية كون الولد من الملاعن، فقد يكون الزوج كاذبا.

والثاني: هو إمكانية استلحاق الملاعن للولد، وهذا الأخير أثر من آثار الأول؛ إذ لو لم يكن هناك احتمال للبنوة لما أمكن استلحاقه، وعلى الرغم من تفقّد جملة من المصادر لم أجد تعليلا آخر لبقاء هذه الآثار بعد اللعان.

وإذا نظرنا إلى نتائج تحليل البصمة الوراثية؛ فإننا نجدها تتسم بالدقة الكبيرة؛ بل القطعية –سيّما في حالة النفي-، ولذلك فإذا سار القاضي في نازلة اللعان على ما وصفنا آنفا من اللجوء إلى البصمة قبل إجراء اللعان، ليكون على علم بالصادق والكاذب من الزوجين؛ فإنه –والحال هذه- يُجري اللعان بين الزوجين، وهو متأكد يقينا أن الولد ليس من صلب الزوج، فلا احتمال وارد لبنوة الولد من الملاعن، ولا أبوة الملاعن للولد.

ومن هنا يتبدّى لنا إشكال عند دراسة هذه المسألة وهو: هل يمكن للقاضي أن يلغي كل آثار النسب بين الملاعِن والولد – مما أثبته الفقهاء بعد اللعان، للاحتمال الذي استندوا إليه؟

أعود فأسجّل أن هذه المسألة لم يتطرق إليها أحد – في حدود اطلاعي-، مما يجعلني أدلي فيها بدلوي، معتمدا في ذلك على الآتي:

1- مزيّة البصمة الوراثية أنها قطعت الشك باليقين؛ فلم يعد هناك احتمال يعلل به بقاء آثار النسب بين الملاعن والولد.

2- ما قرره العلماء من أن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما، وبناء عليه فإذا انتفى الاحتمال الوارد انتفى حكم تلك الآثار المتبقية.

---

[1]-الغزالي: الوسيط في المذهب، (م،س)، 103/5. والكلام نفسه تماما قاله زكريا الأنصاري: أسنى المطالب، (م،س)، 149/3.

[2]-النووي: أبو زكرياء محيي الدين (د،ت)، المجموع شرح المهذب، (د،ط)، بيروت، دار الفكر، 219/16. والتعليل نفسه نجده عند: الشيرازي: المهذب، (م،س)، 440/2. والرافعي: أبو القاسم (1417هـ)، العزيز شرح الوجيز، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، (م،س)، 31/8. والعمراني: أبو الحسين يحيى (1421هـ)، البيان في فقه الإمام الشافعي، تحقيق: قاسم النوري، ط1، جدة، دار المنهاج، 257/9.

[3]-ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم (1416هـ)، مجموع الفتاوى، (د،ط)، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد، 139/32.

[4]- المرداوي: الإنصاف، (م،س)، 109/8.

3- بقاء تلك الآثار تعدّ إثقالا لكاهل الولد، وتقييدا له، وتضييقا عليه، وعلى سبيل المثال: منع غيره من استلحاقه يعتبر إرغاما له على البقاء دون نسب، مما يلحق به من الأضرار ما الله به عليم.

ومما سبق ذكره أخلص إلى أنه يمكن للقاضي أن يلغي كل آثار النسب بين الملاعن والولد بعد إجراء اللعان إذا اعتمد على البصمة قبلها، إلا في مسألة واحدة؛ وهي ثبوت أحكام الربيب (أو الربيبة للبنت) إذا ولدت من زوجته التي دخل بها، فإن لم يدخل بها فلا حكم حينها.

خاتمة: بعد تمام البحث بتوفيق من الله تعالى؛ وجب تذييله بما تمخض عنه من نتائج:

-لا يمكن أن تحلّ البصمة الوراثية محل اللعان في نفي النسب ولو جاءت نتائجها مؤكدة لدعوى الزوج الملاعن؛ ولكن يستفاد منها في التأكد من ادعاء الزوج، وهي المرحلة التي ينبغي على القاضي أن يراعيها قبل إجراء اللعان بين الزوجين.

-يمكن الاستفادة من نتائج البصمة الوراثية في مسح كل الآثار التي يبقيها اللعان بين الملاعِن والولد، كعدم جواز الشهادة لبعضهما، وعدم إعمال القصاص بينهما عند ارتكاب موجبه، ومنع الولد من الالتحاق بالغير، وسريان المحرمية بينهما، وما في ذلك من توسعة ورفع للحرج عن الولد الذي أضحى دون نسب.

قائمة المصادر والمراجع:

1- **الأشقر:** محمد (1998م)، **إثبات النسب بالبصمة الوراثية**، بحث مقدم إلى مؤتمر الوراثة والهندسة الوراثية، الكويت.

2- **أفندي:** عبد الرحمن داماه (د،ت)، **مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر**،(د،ط)، بيروت، دارإحياء التراث العربي.

3- **الألباني:** محمد ناصر الدين (1415ه)، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، ط1، الرياض، دار المعارف.

4- **الألباني:** محمد ناصر الدين (1412ه)، **سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة**، ط1، الرياض، دار المعارف.

5- **الأنصاري:** زكريا (د،ت)، **أسنى المطالب في شرح روض الطالب**، (د،ط)، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.

6- **البخاري:** محمد بن إسماعيل (1422ه)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله γ وسننه وأيامه**، ط1، بيروت، دار طوق النجاة.

7- **بهنام:** رمسيس (2000م)، **البوليس العلمي أو فن التحقيق**، ط1، الإسكندرية، منشأة المعارف.

8- **البهوتي:** منصور (د،ت)، كشاف القناع عن متن الإقناع، (د،ط)، بيروت، دار الكتب العلمية.

9- **ابن تيمية:** أحمد بن عبد الحليم (1416ه)، مجموع الفتاوى، (د،ط)، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد.

10- **الحاكم:** أبو عبد الله (1411ه)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: محمد عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

11- **ابن حجر:** أبو الفضل علي (1416ه)، **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، تحقيق: أبي حسن بن قطب، ط1، القاهرة، مؤسسة قرطبة.

12- **ابن حزم:** أبو محمد (د،ت)، **المحلى بالآثار**، (د،ط)، بيروت، دار الفكر.

13- **الخرشي:** أبو عبد الله محمد (د،ت)، **شرح على مختصر خليل**، (د،ط)، بيروت، دار الفكر.

14- **دانييل كيفلس وليروي هود** (1997م): **معجم الكلمات العسيرة في كتاب الشفرة الوراثية للإنسان**، ترجمة: أحمد مستجير، عدد 217، الكويت، سلسلة عالم المعرفة.

15- **أبو داود:** سليمان بن الأشعث (1430ه)، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، ط1، بيروت، دار الرسالة العالمية.

16- **الدردير:** أحمد (د،ت)، **الشرح الكبير**، (د،ط)، بيروت، دار الفكر.

17- **الرافعي:** أبو القاسم (1417ه)، **العزيز شرح الوجيز**، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

18- **ابن رشد الحفيد** (1425ه): أبو الوليد محمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (د،ط)، القاهرة، دار الحديث.

19- **الرصاع:** أبو عبد الله (1350ه)، **شرح حدود ابن عرفة**، ط1، بيروت، المكتبة العلمية.

20- **الزبيدي:** أبو بكر (1322ه) ، **الجوهرة النيرة على مختصر القدوري**، ط1، القاهرة، المطبعة الخيرية.

21- **الزحيلي:** وهبة (1425ه)، **البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها**، بحث مقدم للمجمع الفقهي بمكة المكرمة، دورة 16.

22- **السرخسي:** محمد شمس الأئمة (1414ه)، **المبسوط**، (د،ط)، بيروت، دار المعرفة.

23- **السلامي**: محمد المختار(1423ه)، **التحليل البيولوجي للجينات البشرية وحجيته في الإثبات**، بحث مقدم لمؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، 22-24، 2،.

24- **السمرقندي**: أبو بكر علاء الدين (1414ه)، **تحفة الفقهاء**، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية.

25- **الشربيني**: شمس الدين(1415ه)، **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج**، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

26- **الشيرازي**: أبو إسحاق (د،ت)، **المهذب في فقه الإمام الشافعي**، (د،ط)، بيروت، دار الكتب العلمية.

27- **الصفدي**: القاضي صدر الدين (د،ت)، **رحمة الأمة في اختلاف الأئمة**، تحقيق: عبد الكريم حامدي، (د،ط)، الجزائر، دار البصائر.

28- **ابن طاهر**: الحبيب (1426ه)، **الفقه المالكي وأدلته**، ط4، بيروت، مؤسسة المعارف.

29- **ابن العربي**: أبو بكر (1992م)، **القبس في شرح موطإ مالك بن أنس**، تحقيق: محمد ولد كريم، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

30- **عليش**: أبو عبد الله محمد (1409ه)، **منح الجليل شرح مختصر خليل**، (د،ط)، بيروت، دار الفكر.

31- **العمراني**: أبو الحسين يحي (1421ه)، **البيان في فقه الإمام الشافعي**، تحقيق: قاسم النوري، ط1، جدة، دار المنهاج.

32- **العمر**: أيمن (1431ه)، **المستجدات في وسائل الإثبات**، ط1، بيروت، دار ابن حزم.

33- **العيني**: بدر الدين (1420ه)، **البناية شرح الهداية**، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

34- **الغزالي**: أبو حامد (1417ه)، **الوسيط في المذهب**، تحقيق: أحمد محمود إبراهيم، محمد محمد تامر، ط1، القاهرة، دار السلام.

35- **فتح الله سعيد**: عبد الستار(1425ه) ، **البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها**، بحث مقدم للمجمع الفقهي بمكة، الدورة 16.

36- **الفيروز آبادي**: أبو طاهر مجد الدين(1426ه)، **القاموس المحيط**، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة.

37- **الفيومي**: أبو العباس (د،ت)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (د،ط)، بيروت، المكتبة العلمية.

38- **قاسم**: عبد الرشيد (1425ه)، **البصمة الوراثية وحجيتها**، عدد23، الرياض، مجلة العدل.

39- **ابن قدامة**: أبو محمد (1388ه)، **المغني**، (د،ط)، القاهرة، مكتبة القاهرة.

40- **القره داغي**: علي(2006م)، **فقه القضايا الطبية المعاصرة**، ط2، بيروت، دار البشائر الإسلامية.

41- **ابن كثير**: أبو الفداء (1420ه)، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع.

42- **الكعبي**: خليفة (1426ه)، **البصمة الوراثية وأثرها على الأحكام الفقهية**، ط1، عمّان، دار النفائس.

43- **مجمع اللغة العربية** (د،ت): **المعجم الوسيط**، (د،ط)، القاهرة، دار الدعوة.

44- **المرداوي**: علاء الدين (د،ت)، **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف**، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

45- **مسلم**: بن الحجاج النيسابوري (د،ت)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى العدل إلى رسول الله γ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د،ط)، بيروت، دار إحياء التراث.

46- **المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية** (2000م): **ندوة الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم والعلاج الجيني** -رؤية إسلامية- إشراف: عبد الرحمن العوضي، تحرير: رجاء الجندي، الكويت.

47- **ابن منظور**: أبو الفضل جمال الدين (1414ه): **لسان العرب**، ط3، بيروت، دار صادر.

48- **المواق**: أبو عبد الله (1416ه)، **التاج والإكليل لمختصر خليل**، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية.

49- **ابن نجيم**: زين الدين (د،ت)، **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، ط2، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.

50- **النسائي**: أبو عبد الرحمن (1421ه)، **السنن الكبرى**، تحقيق: حسن شلبي، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة.

51- **النووي**: أبو زكرياء محيي الدين (د،ت)، **المجموع شرح المهذب**، (د،ط)، بيروت، دار الفكر.

52- **النووي**: أبو زكريا محيي الدين (1392ه)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** (شرح النووي على مسلم)، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

53- **الهلالي**: سعد الدين (2010م)، **البصمة الوراثية وعلائقها الشرعية**، ط1، القاهرة، مكتبة وهبة.

54- **ابن الهمام**: كمال الدين (د،ت)، **فتح القدير**، (د،ط)، بيروت، دار الفكر.

55- **واصل**: نصر فريد (1425ه)، **البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها**، بحث مقدم للمجمع الفقهي بمكة المكرمة، دورة 16.

56- **أبو الوفا**: محمد، **مدى حجية البصمة الوراثية في الإثبات الجنائي في القانون الوضعي والفقه الإسلامي**، بحث مقدم إلى مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون"، 5-7 ماي 2002م، جامعة الإمارات، كلية الشريعة والقانون.

أهمية التخيل في تحسين أداء التلاميذ في مادّة اللغة العربية من وجهة نظر أساتذتها في المرحلة المتوسطة بالجزائر

أ. د. حديد يوسف- أ. هاين ياسين

قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا

جامعة محمد الصديق بن يحيى -جيجل

الملخص: هدفت هذه الدراسة لمعرفة درجة أهمّية التخيّل في تحسين أداء التلاميذ في مادّة اللغة العربية من وجهة نظر أساتذة المادّة في المرحلة المتوسطة في الجزائر، ومعرفة ما إذا كانت هناك فروق في درجة الأهمية على أنواع كل من الأداء اللغوي، والمعرفي، والتفاعلي، والعاطفي، وعلى الأداءات ككل ومعرفة ما إذا كانت ثمة فروق في درجة الأهمية راجعة إلى جنس الأساتذة، وإلى سنوات الخبرة (من 15سنة إلى 24 سنة/ من 25 سنة فأكثر). وقد تكونت عينة الدراسة من (103) أستاذا وأستاذة ممن خضعوا لدورة تكوينية في إطار الترقية لرتبة أستاذ التعليم المتوسط. وقد أظهرت نتائج استبيان بني لأغراض الدراسة وخضع لشروط الصدق والثبات أن درجة أهمية التخيل من وجهة نظر الأساتذة كانت متوسطة بشكل عام في حين كانت درجة الأهمية كبيرة فيما يتعلق بالجانب المعرفي ومتوسطة في الجانب اللغوي، وضعيفة في الجانبين التفاعلي والعاطفي. كما أظهرت نتائج تحليل التباين الثنائي المتعدد عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\propto$= 0.05) بين درجات أهمية التخيل على كل نوع أداء راجع إلى متغير جنس الأساتذة وخبرتهم، كما أظهرت نتائج تحليل التباين الثنائي عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة أهمية التخيل في الأداءات ككل تعزى للمتغيرين السابقين. وأوصى الباحثان بضرورة استثمار استراتيجيات تدريسية تثير القدرة التخيلية مع توجيه عناية الأساتذة لأهميتها في تدريس نصوص اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: التخيل – أداء التلاميذ – أساتذة مادّة اللغة العربية.

Abstract. This study aims at determining the degree of imagination importance on improving student performances in Arabic language from the point of view of intermediate stage teachers in Algeria, as well as determining the differences of the degree of this importance regarding each types of performances (linguistics, cognitive, interactive, and emotional) and regarding the whole performances altogether, this study investigates whether there were differences in the degree of importance due to teachers gender and to the years of experiences (15 years to 24 years / 25 years and over). The study sample consisted of (103) male and female teachers whose underwent at a training session in the context of promotion to the rank of intermediate education professor. The results of a questionnaire built for the purposes of this study and underwent the terms of validity and reliability have shown that the degree of importance of imagination from the viewpoint of the teacher were medium in general, while the degree of this importance was great in cognitive performance, medium in the linguistic, and weak on both interactive and emotional performances. Results of multi-bilateral Anova also showed no statistically significant differences at ($\alpha = 0.05$) between the degree of importance of imagination on every performances type refer to variables of gender and experiences teachers, as the results of two-way analysis of variance showed also no statistically significant differences in the degree of imagination importance on the whole performances due to the former variables. The researchers recommend the need to invest imaginative teaching strategies and draw the attention to its importance to develop an understanding and interaction with Arabic literary texts.

المقدمة: تعتبر مادّة اللغة العربية من أساسيات المواد التعليمية في البرامج المدرسية بالجزائر، لما تضطلع به من أهداف دقيقة تتلخص في بناء اللغة الوطنية الأولى للطفل الجزائري، فضلا عن إكسابه المعارف والمعلومات ذات الصلة بالمضامين والنصوص العربية في بعدها الاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي والثقافي والتاريخي والروحي، لذلك فتدريس اللغة

العربية يتجاوز فكرة تدريب المتعلم على الأداء اللغوي النحوي والصرفي والإملائي الصحيح، كما يتجاوز مجرد تدريبه على بعض الجوانب الجمالية والدلالية والمعرفية المقررة.

إن تعليم اللغة العربية بناء لشخصية متكاملة لفرد من المجتمع قادر على الاندماج والتوافق والتفاعل بسهولة مع الآخرين. ومن هذا المنطلق فإن المسؤولية التعليمية والتربوية وحتى الأخلاقية المسندة لمعلم اللغة العربية أضحت كبيرة ومهمة في آن واحد، الأمر الذي يستدعي توفير الإمكانات المادية والتدريبية والتوجيهية الكفيلة بتحقيق تلك الأهداف، ولعل تطوير المناهج التعليمية في سياق المقاربة بالكفاءات، وتجديد الكتاب المدرسي وإخراجه في حلة مطورة، وكذا تنويع وتفعيل البرامج والأنشطة والتدريبات التعليمية، إضافة لتنظيم الدورات التكوينية للمعلمين، كلها داخلة ضمن هذا المسعى التطوري. غير أن هذه الجهود كثيرا ما تصطدم بواقع كثافة الدروس والمقررات والأنشطة، يضاف لها عدد التلاميذ المعتبر داخل الحجرة الدراسية، ناهيك عن الاهتمام المفرط بالامتحانات والنتائج الفصلية والسنوية لاعتمادها فقط معيارا لحسن أداء المتعلم والمعلم والمؤسسة كافة. إن هذا الواقع الصعب جعل من مهمة تعليم اللغة العربية شاقة ومضنية، كما أضعف اهتمام ورغبة المتعلمين بها، وقد انعكس بشكل سلبي على مردودهم العلمي كما تؤكده النتائج المتدنية سنة بعد سنة (هباشي، 2008؛ لحسن، 2007، تازروتي،2003).

إن واقعا كهذا يجعلنا نعيد النظر في الأساليب والطرق والاستراتيجيات المتبعة في تدريس هذه المادّة الحيوية مرة أخرى، إذ تطبيق المقاربات التي تتمحور حول المتعلم وتثير النشاط التعلمي الذاتي لا تتم عبر إسناد بعض المهمات والتدريبات للتلميذ خارج المدرسة فحسب، وإنما تتجسد حقيقة بتطوير أساليب للتفاعل الصادق بين أفراد الحلقة الدراسية، أي أن تعليم اللغة العربية ممارسة لغوية ونشاط عقلي وشعور بمسؤولية المشاركة والتجاوب العاطفي وتمثل للتصورات الأخلاقية بالدرجة الأولى (العيسوي، وموسى، والشيزاوي، 2005).

وعلى هذا الأساس فإن أداء التلاميذ يجب النظر إليه من منظور شمولي يأخذ بعين الاعتبار بادئا الجانب التفاعلي الظاهر في المستويات الجيدة من الاندماج والتوافق داخل القسم، والمتجسد عبر الحوارات والمناقشات والمشاركات المستمرة، أو طرح الأسئلة الذكية والسابرة، أو في إظهار الاهتمام والتعلق بموضوع الدرس، أو في إنجاز المهمات بدقة وتفان، أما في الجانب المعرفي فتتجسد مستويات الأداء الجيد للتلميذ في القدرة على تذكر المعلومات وتوظيفها وفق مستويات عالية من الفهم والتحليل والاستنتاج، تجعل منه قارئا مبدعا وناقدا بصيرا بكل ما تحمله النصوص العربية من معاني ومعارف وآراء وأفكار، وعلى هذا سوف تصير هذه المعرفة البنائية قاعدة للانتقال إلى حقول معرفية أعلى درجة تعالج أفكارا في القيم والمبادئ والأسس الفكرية التي سوف تكون بدورها دعامة لبناء جوهر شخصية التلميذ، بل إن هذه المعرفة البنائية سوف تكون جسر عبور لإدراك وفهم وربط معارف أخرى تقدمها مختلف المواد التعليمية المقررة حتى وإن كانت مجردة كالرياضيات، أو علمية بحتة كالعلوم الطبيعية، لأن النسق الفكري الذي توفره المكتسبات المعرفية واحد في أصله ومكمل لبعضه بعضا.(Wright,2005)

والجانب الثالث الحيوي في أداءات التلميذ التعلّمية في مجال نصوص اللغة العربية يمس العاطفة والشعور، أي الجانب الانفعالي، وقيمة هذا المجال وإن كانت مقررة لدى المختصين في التربية والتعليم كمهارة يجب تطويرها في جميع المواد التعليمية، إلا أنها تتأكد بالدرجة الأولى في النصوص التي تقدمها اللغة الوطنية للتلميذ، إنها نصوص كثيرا ما تكتب بلغة تحاول إثارة الجمال والذوق الحسن في بنائها وبلاغتها، كما تثير العاطفة الصادقة في دلالاتها ومضامينها الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية. لذلك فهي أول حقل لتحريك العواطف وصقلها وتنمية مشاعر الفطرة النبيلة التي تتسع رقعتها من نواة حب واحترام الأقربين والأصدقاء وأبناء الوطن، إلى رحابة القيم الإنسانية التي تجمع الود والخير بين كافة الناس على وجه الأرض(Popp,2005) .

ويرتبط الجانب الرابع في أداءات المتعلمين باللغة وبنائها وتطويرها، قراءة وفهما وكتابة وتحدثا واستماعا، إنها مهارات تتصدر من غير شك قائمة الأهداف الخاصة التي تولها تعليمية اللغة العربية مكانة مهمة في تراتبية هذه المجالات، غير أن تأخيرها في هذا المقام له دلالته ، وهذه الدلالة تتلخص في كون تطوير واكتساب اللغة في مهاراتها المذكورة آنفا ليس له معنى إلا إذا كانت للغة وظيفة تتجاوز مجرد بناءات نحوية أو صرفية أو إملائية أو صوتية ـ على أهميتها ـ إلى وظيفة تفاعلية عاطفية فكرية، وبهذا فقط يمكن تدريس اللغة متكاملة في نظامها الطبيعي الذي وجدت فيه ونمت من خلاله. أما حفظ القواعد المجردة، وترديد الكلمات المفردة أو قراءة النصوص الطويلة دون الاستمتاع بها أو تمثلها كخبرة حياتية مميزة، فلا يمكنه أن يطور لغة صحيحة في قواعدها ومهارات تداولها (Popp,2005).

لذلك فقد بات ضروريا تطوير أساليب في تعليم النصوص العربية تحقق هذه الأبعاد مجتمعة، وفي هذا السياق يعتقد كثير من خبراء التربية أن استثمار التخيل وتوظيفه من بين أحسن الاستراتيجيات لتفعيل القدرات العليا لدى التلميذ لما يحققه من استثارة للخبرات الكامنة والتصورات المتطورة لمواقف لم تحدث في الواقع، وهذا ما يشعر المتعلم بالحرية في اختيار البدائل وتصور الأحداث واقتراح النهايات، ويذكر الخبراء أيضا أن هذه المشاركة الصادقة كفيلة بتنشيط دور التلميذ في المشاركة الذهنية واللغوية والعاطفية للقضية موضوع التخيل، أي أنه سينتج لغة وفق نسق فكري عالي التجريد من أجل صياغة فكرته وتحديد معالمها وتنظيمها في أسلوب منظم وصحيح لا يغفل الشحنة العاطفية والشعورية التي شكلها أثناء توليد الأفكار ودون أن يهمل المخزون المعرفي والخبراتي الذي سبق وأن عايشه (Heal,2003).

إن التخيل: " قدرة ذهنية مركبة تتيح للدماغ إنتاج صور ذهنية مجردة، ترتبط بالأفكار والمعاني، والأشياء غير الحسية مدار التفكير والتناول، ولذا فإنها تقوم بوظيفة توليدية، تتمثل في تحريض المخزون الخبري، وإثارته لإنتاج متغيرات وبدائل متنوعة وعديدة " (نصر،2009: 385)، وهو قدرة عقلية إيجابية يختلف تماما عن الأوهام أو الفانطازيا التي تعد نشاطا غير متحكم فيه ينغمس الفرد فيه للهروب من الواقع(عبد الحميد، 1995)، أما التخيل فهو نشاط عقلي واع ومنظم قائم على مهارات عقلية عليا يساعد على إدراك الأفكار والمعاني من زوايا مختلفة فيها كثير من المرونة والحيوية، وتظهر فيها أصالة جوهر الفكرة كما غزارة في الإنتاج.

ويذكر علماء النفس أن الخيال منه الإبداعي، ومنه البنائي، فالأول يمثل إحدى العمليات التي يلجأ إليها الأطفال لتطوير أفكار وتصورات وخبرات جديدة غير مألوفة، أما البنائي فيشمل النشاط النفسي الذي تحدث من خلاله العمليات التركيبية لدمج مكونات الذاكرة والصور العقلية التي شكلها الطفل في مسار خبراته الحياتية (Robert,2009)، واللعب باعتباره مظهرا متطورا للنشاط العقلي والنفسي والحركي لدى الطفل يكشف بوضوح كيف يستخدم هذا الصغير أدوات أو ألعابا لم تصنع لذلك الاستخدام، وإنما وبفضل التخيل الإبداعي استطاع إيجاد تلك الصيغة الجديدة من التوظيف والتي غالبا ما تثير الكبار وتجلب انتباههم. أما النمط الثاني البنائي فيظهر في اللعب كذلك وبشكل معتاد، حيث يوظف الصغير ألفاظا أو مواقف أو يستخدم أدوات على ما شاهده داخل أو خارج البيت، فيستجمع تلك الخبرات ويجمعها في نظام اللعب الذي وضعه لنفسه (كرافث، 2006).

لذلك يقر الخبراء أن الخيال في وظائفه الرئيسة يعد أحد أشكال التفكير الأساسية التي يتمكن الطفل من خلالها من تمثيل الواقع داخل نسقه التصوري الذهني والذي يتجسد في سلوك اللعب، كما أن الخيال وسيلة فاعلة للتنفيس العاطفي والانفعالي، فاللعب الرمزي مجال لإسقاط تلك الشحنات العاطفية سواء كانت سارة أم غير سارة، وستصبح الأدوات المستخدمة في اللعب عندئذ مركز التفاعل وتفريغ العواطف. كما يعتبر الخبراء الخيال وسيلة لتحقيق الذات، أي لتكامل بناء الشخصية، لأنه مجال توظيف أدوار الشخصية والتفاعل معها وتجريب شيء من خصائصها الاجتماعية والفكرية واللغوية والتفاعلية (نصر،2004).

ومن هذا المنطلق يؤكد بياجي (Piaget)، كما في Archambault & Venet (2007)، أن الطفل حينما يستعصى عليه فهم خبرة جديدة بشكل مباشر(مرحلة ما قبل المفاهيم) فإنه يلجأ لتمثلها بدون تكييف، أو يكيف نشاطه بواسطة المحاكاة والتقليد، أو الرسم، أو غير ذلك من أشكال التعبير، ويذكر بياجي أنه ومع تقدم الطفل للمراحل الآتية تزداد قدراته التوافقية مع البيئة ويتناقص اللعب الرمزي والمحاكاة التمثيلية.

ويحدد بارون كما في حنورة (1997: 31) أربعة أنواع للتخيل تتلخص فيما يأتي:

- التخيل ذو البعد الواحد: ويعني به القدرة على تخيل شيء ما كالشجرة دون أية إضافة عدا ما تنقله الحواس، وهذا النوع البسيط يكاد يشبه التذكر.
- التخيل ذو البعدين: ويعتمد على الجمع بين العناصر المتباعدة ولكنه يعتمد على ما ندركه كذلك بالحواس، مثل أن نتصور حيوانا بجسم الحصان له جناحان يطير بهما في السماء.
- التخيل ذو الأبعاد الثلاثة: وهو الذي يعتمد على الرمز، فحينما تنظر في السماء تجد سحبا في أشكال فنية مختلفة فتتخيلها وحوشا أو جبالا أو نوع حيوان.
- التخيل ذو الأبعاد الأربعة: وهو الذي يعيد بناء الواقع بناء جديدا معتمدا على عناصره القديمة يضاف لها الرمز ثم يأتي دور السمو فوق الواقع فيبدع الشخص عالما جديدا ليس له علاقة بعالم الوقع.

ويذكر أبو سيف(2005)، أن الملاحظات العلمية حول سلوك الأطفال أظهرت أنهم يكتسبون نوعا من الخيال يسمى "الخيال بالصورة"، ويسود في الطفولة المبكرة لدرجة أن كثيرا من هؤلاء الأطفال يمتلكون خيالا صُوَريا دقيقا والذي يعبر عنه (بالذاكرة الفوتوغرافية)، لذلك يستطيع الطفل وصف مناظر بتفاصيلها الدقيقة والمحددة مثلما يفعل الكبار، وعلى هذا الأساس يحذر التربويون وعلماء النفس من الاهتمام بالنمو اللغوي على حساب الصور لأن التفكير بالصور لا يقل أهمية عن التفكير باللغة.

وفي سياق الحديث عن اللغة أشار عبد الحميد (1995: 233-234)، أن الخيال له دور بالغ الأهمية في اكتساب اللغة خصوصا في المراحل المتقدمة لأنه يعد مخزون الصور الداخلية التي تعكس معرفة الطفل بالعالم المحيط به، وعلى المخزون هذا سوف يعتمد الطفل في تطوير وبناء لغته والتفاعل معها رغم أنها سوف تبني نظامها الخاص بها. وفي السياق هذا سوف يستخدم الطفل في المراحل المتقدمة قدرته التخيلية في فهم الأحداث والأفكار والمعلومات في شتى أنواع المعرفة التي تنقل عبر اللغة، لأنه سوف يستعين بمخيلته تلك لإعادة تنظيم هذه المعاني في تراكيبه الخاصة في غير حاجة لإعادتها.

وضمن إطار اللغة دائما، يقر علماء التربية أن التخيل باعتباره مهارة عقلية عليا يعد المسؤول الأول عن الإبداع في التعبير الكتابي، سواء ظهرت في عمليات الدمج بين الخبرات السابقة والمعرفة الجديدة، أو ظهرت في عمليات التركيب بابتكار صور جديدة وأصيلة تتسم بالجدة والإبداع، هذا الإبداع محكوم بخاصية التحرر من الواقع، الشيء الذي يوفره مجال التخيل العقلي بامتياز (حنورة،1997)، وتزداد قيمة الكتابة الإبداعية في شقها التفاعلي حينما تجعل الطلبة يقبلون على الكتابة بشغف وعمق، لأن خبرة التخيل أثناء الكتابة تحقق للمتعلم إرضاء لذاته وتشكل خصوصية لديه كثيرا ما يعتز ويهتم بها (قطامي واللوزي، 2008).

وبمثل الكتابة تساهم القدرة التخيلية في بناء معاني النصوص القرائية التي يجيد كاتبها تصوير المواقف والأحداث وتجسيد المعاني والأوصاف في بلاغة راقية وبناء محكم يجعل القارئ يندمج مع النص فيشكل لنفسه شخوصا وأجواء وأحداثا تتوافق ورؤيته التخيلية التي طورها عبر الخبرات المتراكمة من جهة، وتحاول أن تتوافق لحد ما مع المثيرات اللغوية الراقية للكاتب وأحداث النص وموضوعاته من جهة ثانية. ومن ثمة يظهر نص جديد لا يشبه نص الكاتب رغم أنه مستلهم منه، هذا النص الجديد لم تبنه لغة ثانية ولا أحداث مختلفة ولا شخصيات جديدة، بل بناه خيال القارئ، لذلك فبقدر ما

يعجب القارئ بنص الكاتب يعجب أيضا بنصه الذي استطاع أن يؤلفه تخيلا فيحيا معه وضمنه وكأنه صار ملكا له لا للكاتب، وبهذا يشعر القارئ بمتعة القراءة، وبقدر ما يثيره النص الأول من فهم عميق وتخيل أصيل يزداد اعتراف القارئ للكاتب ليس لأنه استطاع أن يثيره ويأسره بنصه بل لأنه استطاع أن يحرره ويحرر خياله بهذا النص بالذات (نصر،2004).

ولقد أفرزت مناقشة الفلاسفة وعلماء النفس حول العلاقة بين المتخيل (غير الواقعي) والعواطف والمشاعر (الحقيقية) التي تثيرها تلك المتخيلات، آراء متباينة غير أن أقربها للحقيقة النفسية والتربوية تقول أن الإنسان يتعاطى مع الصور الذهنية الخيالية كما يتعاطى مع الصور الذهنية الواقعية، غير أن هذا يتوقف على سماح العقل أن يتقبل المتخيل في مقام الحقيقة، لأنه ببساطة أراد ذلك، أي أراد أن يتفاعل مع أشخاص القصة كحقيقة. فحزن الإنسان لموت بطل ما حزن حقيقي، غير أنه حزن مسيطر عليه بالعقل، ومتى ظهرت حالة تضليل أو فساد معنوي في النص المتخيل (moral depravity) بحيث لا يسمح الإنسان لنفسه أن يكون طرفا في (اللعبة) التخيلية للفساد المعنوي المبالغ فيه، فعندئذ سوف يكتفي بتتبع المتخيل دون الانغماس العاطفي فيه (Nichols,2006). وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار النصوص الأدبية المنتقاة بعناية والموجهة للتخيل الصادق فرصة كبيرة لتطوير المهارات العاطفية والشعورية للمتعلمين في مواقف تخدم القيم السامية والمشاعر الصادقة لتصبح خبرة نفسية ممتازة لا تقل عن الخبرات المعرفية والاجتماعية الأخرى.

ورغم هذه الميزات للتخيل إلا أن الغموض والشك والريبة في القدرة على توظيفه تبقى سائدة إلى اليوم لدى المربين عموما والمعلمين على وجه التحديد، فعلماء النفس المعرفي والمختصون في بناء البرامج التربوية وطرق التدريس يكادون يجمعون على أن العائق الأول في تطبيق هذه المهارة يأتي من اللبس والغموض الذي يحيط بمفهوم التخيل بسبب اشتباهه بالتخييل أو الفانطازيا، أو الوهم، أو أحلام اليقظة وكلها عبارات إيحاءاتها سلبية تناقض التفكير والفهم وحضور الذهن والعقل، معاني لا يمكن للمدرسة أن تتبناها لأنها مجرد وهم ساذج(عبد الحميد،2009).

والأمر الثاني الذي قد يزهد المعلمين في الاعتداد بالتخيل قد يعود حسب المختصين إلى ارتباط كثير من الدراسات في هذا الحقل بما يعرف اليوم بالخيال العلمي (science fiction)، فالمفهوم الكاسح للخيال المرتبط بالظواهر الخارقة للعادة، وتعليق التفكير بالظواهر الغريبة جعل كثيرا من المربين يستنكفون عن استثماره معتقدين خطأ أن التخيل تفكير في اللاواقع العجيب، أو إلهاء للذهن بالأحداث والصور والشخصيات الغريبة وربما الفظيعة المرعبة، والمدرسة في نظرهم وإن كانت تقر بإمكان تدريس نماذج من هذا النوع الأدبي القصصي المعاصر إلا أنها ترفض أن يُصَيّر الطفل رهينة لعالم الفانطازيا عالم (السوبرمان) و (حرب النجوم)، فنبعده بهذا عن واقعه وعن مجتمعه، فالتحديات تحديات الواقع، والمستقبل يبنى بفهمنا وإدراكنا للواقع. أما الأمر الثالث الذي قد يزهد المربين في تبني التخيل واعتماده فهو عدم وضوح الصورة العملية في استثماره داخل الدرس اللهم إلا ما تعلق بإيجاد وتوقع النهايات لقصص الأطفال والمغامرات الشيقة، والرحلات العجيبة (Leonard & Willis,2008).

ومعلم اللغة العربية في الجزائر وفي المرحلة المتوسطة على وجه التحديد، وكغيره من المربين له نظرته وفهمه الخاص لمهارة التخيل ولكيفية استثمارها وللدور الذي تحققه في تحسين أداء التلاميذ، هذا وقد أشارت المقررات الرسمية الصادرة عن وزارة التربية الوطنية في الوثائق المرفقة، أو دليل المعلم إلى أهمية استثمار هذه القدرة مع ذكر بعض فوائدها ولو بشكل عام أو ربما بنوع من السطحية، مما يولد شيئا من الإبهام والغموض، ولو تفحصنا كتب اللغة العربية المقررة لوجدنا بعض النصوص تندرج ضمن القصص الخيالية، وبعضها الآخر ضمن النصوص التي تصف هذا النوع من التفكير، فقراءة سريعة لنص: "بين الخيال والعقل" (اللجنة الوطنية للمناهج، 2015: 199)،المقرر لتلاميذ السنة الثالثة متوسط في الجزائر يهدف صراحة إلى تصحيح نظر المتعلم نحو الخيال، لأن ما قد نتخيله اليوم بشيء من السخرية والتعجب قد يصير في المستقبل حقيقة، فلولا أن سمح الإنسان لنفسه أن يتخيل نفسه يحلق عاليا في السماء لما تجرأ يوما أن يخطو خطوة واحدة لإنجاز تلك الطائرات العظيمة التي تجوب اليوم الأجواء دون انقطاع. وكمثال آخر نجد نصا آخر مقررا في الكتاب

ذاته بعنوان "الخيال العلمي" (الجنة الوطنية للمناهج، 2015: 203) يوجه عناية التلميذ لقيمة هذا النوع من الخيال، وكيف استطاع الكاتب الفرنسي جول فيرن (Verne Jule) أن يطور قصصا رائعة بمجرد أنه خاض بمخيلته في أعماق البحار أو دار حول العالم لمدة ثمانين يوما، أو دخل يستكشف مجاهل الأرض العميقة.

إن وجود تلك الإشارات الإيجابية الموحية باهتمام المقررات التعليمية بالقدرة التخيلية ليس دليلا بالضرورة على استثمارها في الواقع، لأن واقع تعليم اللغة العربية مازال يواجه الصعوبات والمشاكل ومازال يعاني من نمطية التدريس، وفتور في التفاعل، ونقص في الأداء بشهادة معظم المعلمين من ذوي الخبرة الذين خضعوا لدورات تحسين المستوى، والتي كان أحد الباحثين أحد المكونين فيها.

والدراسات المتعلقة باستخدام التخيل، أو ما يعرف عند الكثيرين بالتخيل الموجه، في تدريس اللغات عموما واللغة العربية تحديدا متوافرة نسبيا، وتعتمد المنهج شبه التجريبي في معظمها حيث تتجه نحو محاولة تحسين مهارات التفكير الإبداعي، غير أن الدراسات الوصفية التي تهتم بتقصي آراء التربويين ومنهم الأساتذة حول موضوع التخيل قليلة في حدود علم الباحث، رغم أن المعرفة بأحسن الطرق التطبيقية العملية لاستثمار هذه القدرة في تدريس الأدب تبقى ملحة خصوصا مع قلة المعطيات النظرية التربوية حول الموضوع بشكل عام.

ويرى الباحثان أن اتجاه الدراسات نحو التطبيق المنهجي التجريبي للتخيل من خلال اختيار الاستراتيجيات المناسبة يدل على شغف الباحثين بالمجال وتبنيهم نظرة تطورية تتوافق مع التوجه العام نحو الاستثمار الأمثل في المهارات الإبداعية التي تلبي حاجيات مجتمعات المعرفة في القرن الحادي والعشرين. ورغم صحة هذا التوجه وسلامته فإن الاهتمام بالدراسات الوصفية في المجال ومحاولة تقصي الآراء والأفكار الداعمة لاستخدام أسلوب التخيل في التعليم وكيفيته لا يقل أهمية، خصوصا إذا كانت من ذوي الاختصاص كالأساتذة والمعلمين أصحاب الخبرة، لأن تلك المعطيات سوف تكون قاعدة بيانات لا غنى عنها في إثراء الجانب النظري والعملي على السواء.

ولم يقف الباحثان في حدود علمهما على أية دراسة عربية وصفية في المجال، أما الأجنبية منها فقليلة، ومنها دراسة دارت (Dart,2001) الوصفية التحليلية، والتي حاولت الباحثة من خلالها تقصي رأي أساتذة اللغة الإنجليزية للمرحلة الثانوية في أهمية التخيل وكيفية تطويرها من خلال النصوص الأدبية، ولهذا الغرض اختارت عينة تتشكل من خمسة أساتذة من ذوي خبرة تزيد عن (12) سنة، ثلاثة منهم رجال واثنتان نساء، يدرّسون في ثانويات جنوب شرق إنجلترا، ومن خلال مقابلات نصف مفتوحة جمعت الباحثة بيانات رتبت وبوبت لتظهر في شكل النتائج الآتية:
أقر الجميع بأهمية توظيف القدرة التخيلية في تدريس النصوص الأدبية الإنجليزية.
وأنه يمكن الاستدلال عليه من خلال الأصالة التي تظهر في كتابات الطلاب الإبداعية، كما أقر غالبية الأساتذة استخدامهم لصور الكتاب المدرسي، وبعض التوجيهات (مثل: حاول أن تكون متميزا في إجابتك) من أجل إثارة القدرة على التخيل، كما يرى معظمهم أن تطوير هذه القدرة في البرامج المقررة تحتاج جوا ثقافيا عاما يساعد على إدراك الجميع أهمية التخيل، ثم الممارسة العملية بما توفره المناهج المطورة من أساليب وطرق واستراتيجيات دقيقة لتطبيق الدراسة، من قبيل كتابة القصة، أو إعطاء الخيارات المتعددة للطالب من أجل الإجابة الحرة. ومن المفارقات التي أظهرتها الدراسة إقرار المعلمين أن النصوص الكلاسيكية التي كانوا يدرسونها كانت تتيح استثمار القدرة التخيلية لكن بشكل غير واضح، لأن بناءها اللغوي وعمقها الدلالي وجمالها الفني يعطي دائما الفرصة للطالب لاستثمار التخيل في شيء ما.

وتتفق دراسة دارت مع الدراسة الحالية من حيث اعتماد المنهج الوصفي من أجل معرفة درجة أهمية التخيل من منظور أساتذة مادّة اللغة، كما تتفق معها في محاولة جمع بعض المعلومات حول إمكانية استثمار وتوظيف هذه المهارة داخل القسم، وتتفق معها أيضا في اعتماد عينة من الأساتذة من ذوي الخبرة في مجال تعليم اللغة.

أما أوجه الاختلاف فتتلخص أساسا في البيئة العربية الجزائرية مقابل بيئة أجنبية إنجليزية، كما تختلف في حجم العينة حيث نجدها في دراسة دارت القليلة مقارنة بحجم عينة الدراسة الحالية مما يزيد من ثراء المعلومات والمقترحات المقدمة، كما اعتمدت الدراسة الأجنبية أسلوب التحليل الكيفي اعتمادا على معطيات جمعت عبر المقابلات في حين اعتمدت الدراسة الحالية أسلوب العرض والتحليل الإحصائيين للبيانات المرصودة عبر استبيان بني هذا الغرض، مع ما يتبع ذلك من تحليل ومناقشة للنتائج.

مشكلة الدراسة: بناء على ما سبق ذكره من أهمية التخيل، ورغم اعتباره مهارة تفكيرية عليا قادرة على استثارة مهارات تفكيرية مصاحبة كالتفكير الناقد، وحل المشكلات، والتفكير التأملي، والتفكير الاستدلالي مع ما يلزم هذا، حسب رأي التربويين، من تحفيز التلاميذ للدرس وتحبيبهم المواضيع وإعطائهم مجالا واسعا للحركة والحرية الفكرية، مع الاستخدامات المطورة للغة الشفوية والمكتوبة، أو التوظيف الصادق للمشاعر والعواطف، رغم كل هذا فإن استثماره في تدريس النصوص الأدبية في المدرسة الجزائرية يبقى نادرا إن لم نقل معدوما متى استثنينا تلك الإشارات الموضوعاتية، على غرار ما ورد وذكر في كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة متوسط. وقد تأكد الباحث من هذه الحقيقة خلال المناقشات التي كانت تدور في سياق الدروس التكوينية التي قدمها في المناهج والتقويم التربوي، وهي حقيقة لا تختص بالجزائر فحسب وإنما تمس كثيرا من البلدان العربية والأجنبية حسبما أقرته الدراسات في هذا المجال،(خليفة وعبد الحميد، 2000؛ نصر،2004؛ وعبد الباري،2009) ويعتقد الباحث أن أول خطوة لتطبيق استراتيجية قائمة على التخيل في أرض الواقع سوف تبدأ أول ما تبدأ بإدراك مدى أهميته من قبل المعلمين الممارسين على وجه التحديد، خصوصا إذا كانوا من أهل الخبرة الطويلة في تدريس المادّة، وتمكنوا من طرح تصورات ومقترحات لتجسيد هذه المهارة في الميدان التربوي بما يلاءم واقع تدريس اللغة العربية في الجزائر. وضمن هذا السياق يطرح التساؤل البحثي الأساسي الآتي: ما أهمية التخيل في تحسين أداء التلاميذ في مادّة اللغة العربية من وجهة نظر أساتذة المادّة في المرحلة المتوسطة بالجزائر؟ وتترتب على هذا السؤال المنهجي الفرضيتان الآتيتان:

- للتخيل أهمية بدرجة متوسطة من وجهة نظر أساتذة اللغة العربية.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\propto = 0.05$) بين متوسطات استجابات أساتذة اللغة العربية في درجة أهمية التخيل على كل نوع أداء التلميذ (معرفي، عاطفي، تفاعلي، لغوي) وعلى درجة أهمية التخيل في الأداءات ككل تعزى إلى الجنس الأساتذة (ذكور، إناث)، وإلى سنوات خبرتهم (من 15 إلى 24 سنة / من 25 سنة فما فوق)؟

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة لتحقيق ما يأتي:

1. معرفة درجة أهمية مهارة التخيل من وجهة أساتذة وأستاذات اللغة العربية من ذوي الخبرة التعليمية الطويلة في المجال.
2. معرفة نوع الأداء (اللغوي، أو العاطفي، أو المعرفي، أو الشعوري) الذي يمكن أن يحظى بدرجة أهمية أكبر في استخدام مهارة التخيل في تدريس اللغة العربية من وجهة نظر الأساتذة.
3. معرفة نوع الأداء الذي يمكن أن يحظى بدرجة أهمية أكبر حين استخدام مهارة التخيل، حسب جنس الأساتذة (ذكور، إناث) وخبرتهم (من 15 سنة إلى 24 سنة، ومن 25 سنة فأكثر).
4. معرفة أهم الآليات التي يقترحها الأساتذة في تدريس التخيل في مادّة اللغة العربية.

أهمية الدراسة: تتضح أهمية الدراسة من خلال النقاط الآتية:

1. توجيه عناية المختصين في بناء المناهج العربية وتطويرها لأهمية التفكير في استثمار التخيل كاستراتيجية محورية في تدريس النصوص الأدبية.

2. اعتبار الدراسة ونتائجها في مقام الاستشارة العلمية التي يقدمها المختصون ذوو الخبرة (أساتذة اللغة العربية) لرسم الخطوط العريضة في تطبيق وبلورة استراتيجية للتخيل في الدرس العربي.

3. المساهمة في إثراء المعارف والمعلومات النظرية المتعلقة بالتخيل باعتباره حقلا قلما يبحث فيه المختصون في التربية والتعليم وعلم النفس.

4. توجيه عناية واضعي مناهج اللغة العربية والأساتذة لقيمة توظيف التخيل في تحسين أداء التعليم والتعلم.

التعريفات الإجرائية:

التخيل: العملية العقلية المسؤولة عن إنتاج أشياء جديدة في شكل أفكار وحلول ومقترحات ومعان بطرق غير مألوفة وهي أداة العقل المبدع.

أداء التلميذ: هو كل السلوكات الظاهرة المعبرة عنها في أداة الدراسة في شكل مؤشرات سلوكية فرعية لكل من الجانب:

- اللغوي، الذي يعنى باستخدام اللغة وتوظيف الكلمات والعبارات المناسبة في السياقات التعبيرية الكلامية أو الكتابية داخل القسم في حصة اللغة العربية.
- التفاعلي، الذي يتحدد بكل مؤشرات الدافعية والمشاركة والاهتمام ومؤشرات التفكير المتواصل والاندماج مع أفراد القسم والمعلم عبر السؤال والمناقشة والحوارات والنقد وأعمال الفكر.
- المعرفي، الذي يعنى بالقدرة على إدراك وفهم الجمل والعبارات وتحديد المعاني وتطوير المعارف وتفعيل المخزون الفكري واستثمار التجارب السابقة وتحصيل الأفكار والمعاني الجديدة.
- العاطفي، ويتضح هذا الأداء في المؤشرات السلوكية التي تظهر عبر إيماءات الوجه والعبارات التي يستخدمها التلميذ ليبرز جانبا عاطفيا كالحب والتألم والحزن أو الغضب وغيرها من المشاعر الدالة على ارتباط المتعلم بمجريات الأحداث أو المعاني التي جاء بها النص.

أساتذة التعليم المتوسط: وهم أساتذة اللغة العربية (ذكورا وإناثا) الذين يمارسون مهنتهم منذ أكثر من(15) سنة في المدارس المتوسطة في الجزائر ممن يخضعون لتكوين تحسين المستوى.

تلاميذ المرحلة المتوسطة: ونعني بهم التلاميذ (ذكورا وإناثا) الذين درسوا المرحلة الابتدائية وانتقلوا إلى المرحلة المتوسطة في الجزائر سواء كانوا يدرسون في السنة الأولى أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة من هذه المرحلة، سواء كانوا من المعيدين أو من غير المعيدين.

محددات الدراسة:اعتمد تطبيق الدراسة على المحددات الآتية:

* اقتصرت الدراسة على أساتذة اللغة العربية من الجنسين.

* حدد أداء التلميذ في الدراسة بالجانب اللغوي، والتفاعلي، والمعرفي، والعاطفي فقط.

* التخيل المقصود في الدراسة يقتصر على القدرة العقلية التي يمكن استثمارها في نصوص كتاب اللغة العربية.

إجراءات الدراسة:يتناول الباحثان في هذا الجزء الطريقة والإجراءات التي سار وفقها من أجل تحقيق أهداف الدراسة، وفيه نوضح عينة الدراسة والأداة المعتمدة وطرق التحقق من الصدق والثبات وإجراءات تنفيذ الدراسة ومتغيراتها والأدوات الإحصائية المستخدمة.

عينة الدراسة: تألفت عينة الدراسة من (103) أستاذا وأستاذة ممن يمارسون مهنة تعليم اللغة العربية في المرحلة المتوسطة، ولديهم خبرة تتجاوز 15 سنة وهم من خريجي المعاهد التكنولوجية بالجزائر ويباشرون تكوينا في إطار تكوين أساتذة التعليم الأساسي لترقيتهم إلى رتبة أستاذ التعليم المتوسط كما يوضحه الجدول (01)

الخبرة / الجنس	من 15 إلى 24 سنة	من25 سنة فأكثر	المجموع

ذكور	16	28	44
إناث	25	34	59
المجموع	41	62	103

الجدول(01) عدد أفراد عينة الدراسة باعتبار الجنس وسنوات الخبرة

أداة الدراسة: و هي استمارة أعدها الباحثان تألفت من قسمين أساسيين، الأول منهما خاص ببيانات العينة، والثاني يقيس درجة أهمية التخيل من منظور الأساتذة حسب نوع أداء التلاميذ، هذا الأخير تشكل من الأداء التفاعلي، ويضم (10) عبارات، ثم اللغوي، ويضم (12) عبارة، ثم المعرفي ويتشكل من (10) عبارات، وأخيرا العاطفي الذي ضم (11) عبارة.بما يتعلق بأداء التلاميذ فقد تشكل من الأداء التفاعلي، ويضم (10) عبارات، ثم اللغوي، ويضم (12) عبارة، ثم المعرفي ويتشكل من (10) عبارات، وأخيرا العاطفي الذي ضم (11) عبارة.

وقد روجع الأدب النظري في بناء محاور الاستمارة خصوصا ما تعلق بنوع أداءات التلاميذ المشار إليها في الجداول (04، 05، 06، 07) والعبارات الدالة عليها (2014 المرسومي، Heahs et al,2014, Mellui,2007)

كما اعتمد الباحثان على بعض المقابلات والمناقشات التي كانت تدور أثناء المحاضرات المقررة مع الأساتذة في إطار الدروس التكوينية والتي كان أحد الباحثين محاضرا فيها.

وتم اعتماد مقياس ليكرت الخماسي في تدريج مستوى الإجابة، بحيث تعطي درجة (05) للاستجابة على الموافقة الكبيرة جدا إلى درجة (01) للاستجابة على درجة الموافق القليلة جدا. وللحكم على نتاج المقياس تم اعتماد ثلاثة مستويات (عال، متوسط، منخفض) بناء على الفئات التي يتيحها مقياس ليكرت وعددها أربعة (من 01إلى 1.99/ من02 إلى 2.99 / من 03 إلى 3.99 / من 04 إلى 05). وبحساب العملية الآتية: 5-3/1= 1.33، تكون المستويات الثلاثة التي اخترناها للحكم كالآتي: من (01 إلى 2.33) منخفضة، من (2.34 إلى 3.66) متوسطة، من (3.67 إلى 05) مرتفعة.

صدق الأداة: للتحقق من صدق الأداة في شكلها الأولي عرضت الاستمارة على مجموعة من السادة المحكمين عددهم (13) منهم الأساتذة الجامعيون في تخصصات العلوم التربوية، وعلم النفس، واللغة العربية، وأساتذة اللغة العربية في المرحلتين الثانوية والمتوسطة، ممن لم يخضعوا للبرنامج التكويني. وقد طلب منهم التأكد من مدى مناسبة المحاور لموضوع البحث، وكذلك مدى مناسبة المؤشرات السلوكية لتلك المحاور، مع مراجعة مدى ملائمة اللغة وسلم الإجابة المقترح في ذلك. وقد وافق المحكمون على معظم العبارات المؤشرة للمحاور في القسم الأول من الاستمارة إلا ما تعلق ببعض التعديلات الطفيفة فيما يخص الأداء العاطفي.

ثبات الأداة: استخدم الباحثان طريقة التطبيق وإعادة التطبيق لحساب ثبات الأداة الخارجي، حيث اختار مجموعة من أساتذة اللغة العربية في المرحلة المتوسطة من ذوي الخبرة الكبيرة من خارج عينة الدراسة، أي ممن لم يحضروا للتكوين المشار إليه سابقا، وقد طبقت الأداة مرتين بفارق (16) يوما، وبعد حساب معامل ارتباط بيرسون لاستجابة مجموعة الثبات على القياس الأول والثاني تحصلنا على معامل ثبات يساوي(0.81) وهو معامل ثبات مناسب لإجراءات الدراسة. أما الثبات الداخلي للأداة، أو ثبات الاتساق الداخلي فقد حسب بمعامل ألفا كرومباخ كما هو موضح في الجدول (2).

جدول (2) معامل الإرتباط بيرسون ومعامل الاتساق الداخلي (كرومباخ ألفا) لمجالات درجة أهمية التخيل والأداة ككل.

المجال	ارتباط بيرسون	ألفا كرومباخ
التفاعلي	0.88	0.90
اللغوي	0.85	0.91
المعرفي	0.79	0.89
العاطفي	0.89	0.86

ككل	0.87	0.89

متغيرات الدراسة: شملت الدراسة على المتغيرات المستقلة والتابعة كما يلي:

- **المتغيران المستقلان:** وتتشكل من: أولا: الجنس وله مستويان ذكور، إناث. ثانيا: الخبرة ولها مستويان أيضا، من 15 إلى 24 سنة / ومن 25 سنة فما فوق.
- **متغير تابع:** وهو متغير درجة أهمية التخيل حسب أربعة مستويات (التفاعلي، اللغوي، المعرفي، العاطفي).

المعالجة الإحصائية:

للإجابة عن أسئلة الدراسة استخدم الباحث التحليلات الإحصائية الآتية:

1. للإجابة عن السؤال الأول حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة أهمية التخيل على الأداة ككل وحسب كل نوع أداء من الأنواع الأربعة، وقوبلت متوسطات كل عبارة بأحد التقديرات الثلاثة (منخفضة، متوسطة، مرتفعة) التي تدخل في فئتها.

2. للإجابة عن السؤال الثاني قمنا بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية حسب متغيري الجنس والخبرة، وتم استخدام تحليل التباين الثنائي المتعدد لاختبار الفروق على الأداءات الأربعة للمقياس (اللغوي، أو العاطفي، أو المعرفي، أو الشعوري) كل على حدى حسب الجنس والخبرة. كما استخدم تحليل التباين الثنائي لاختبار الفروق على درجات المقياس ككل حسب الجنس والخبرة.

نتائج الدراسة:

- **أولا: نتائج الفرض الأول:** للإجابة عن هذا الفرض قمنا بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة أهمية التخيل في تحسين أداء التلاميذ من وجهة نظر أساتذة اللغة العربية في مرحلة التعليم المتوسط، حسب كل بند، وحسب الأداء ككل والجداول (3،4،5،6،7) توضح ذلك.

الجدول (03) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة أهمية التخيل في تحسين أداء التلاميذ من وجهة نظر أساتذة اللغة العربية حسب مجال أداء التلاميذ

الرتبة	الأداء	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
01	المعرفي	3.73	0.63	كبيرة
02	اللغوي	2.80	0.53	متوسطة
03	التفاعلي	2.18	0.47	ضعيفة
04	العاطفي	1.90	0.49	ضعيفة
	الدرجة على الأداة ككل	**2.65**	**0.87**	**متوسطة**

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
01	**03**	يستنتج التلميذ بعض الأحداث حينما يتخيل مجرياته بدقة	**3.97**	**1.00**	**كبيرة**
02	**10**	يتوقع التلميذ نهايات الأحداث بمجرد تخيل الواقعة بالتفصيل	**3.93**	**1.07**	**كبيرة**
03	**04**	يحلل التلميذ الفقرة بتوسع حينما تصير مفتاحا لبناء صورة ذهنية خاصة	**3.87**	**0.95**	**كبيرة**
04	**07**	يفهم التلميذ معاني الكلمات حتى يشكل تصوره الخاص	**3.79**	**1.05**	**كبيرة**
05	**06**	يقنع التلميذ الآخرين برجاحة تصوراته الذهنية وقوتها	**3.77**	**1.02**	**كبيرة**
06	**08**	يتأمل التلميذ تصوراته الذهنية بمجرد ما ينتهي من كتابتها أو قراءتها	**3.75**	**1.07**	**كبيرة**
07	**02**	يبحث التلميذ حلولا للمشكلات التي تعترضه وهو يتخيل الأحداث	**3.74**	**1.08**	**كبيرة**
08	**09**	يقارن التلميذ بين موقف الكاتب وموقفه الذي بناه من تخيله المطور	**3.67**	**1.10**	**متوسطة**
09	**01**	ينقد التلميذ تصورات الآخرين حينما يشعر بنوع من التناقض المنطقي	**3.47**	**1.27**	**متوسطة**
10	**05**	يركب التلميذ في مخيلته بين صورتين أو أكثر قلما تنسجم مع بعضها	**3.43**	**1.14**	**متوسطة**

يبين الجدول (3) المتوسطات والانحرافات المعيارية لدرجة أهمية التخيل في نظر الأساتذة حسب كل نوع أداء، حيث أقر الأساتذة بأن أهمية التخيل تظهر في الجانب المعرفي بالدرجة الأولى، بمتوسط حسابي بلغ (3.73) وانحراف معياري (0.63) ثم الجانب اللغوي بمتوسط قدره (2.80) وانحراف معياري بـ (0.53)، فالجانب التفاعلي بمتوسط حسابي يساوي (2.18) وانحراف معياري يساوي (0.47)، وأخيرا الجانب العاطفي بمتوسط حسابي (1.90) وانحراف معياري قدره (049). وعليه فقد جاءت درجة الأداء المعرفي كبيرة، ودرجة الأداء اللغوي متوسطة في حين جاءت درجة كل من الأداء التفاعلي والعاطفي ضعيفة. أما ما تعلق بالدرجة الكلية فقد كانت متوسطة حيث جاءت بمتوسط حسابي قدره (2.65) وانحراف معياري (0.87).

ولمزيد من التحديد لدرجات أهمية التخيل من منظور أساتذة اللغة العربية حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل بند حسب كل نوع أداء كما توضحه الجداول (4، 5، 6، 7).

الجدول (04) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأهمية التخيل في أداء التلاميذ المعرفي حسب كل عبارة.

يوضح الجدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة استجابة الأساتذة على الأداء المعرفي حسب كل فقرة شكلت هذا المحور. وقد جاءت معظم الفقرات درجاتها عالية إلا الثلاثة الأخيرة منها فقد جاءت بدرجة عالية. ويتضح من الجدول أن الفقرات (3، 10، 4) جاءت متوسطاتها كبيرة ومتقاربة حسب الترتيب (3.97، 3.93، 3.87) وبانحرافات معيارية حسب الترتيب، (1.00، 1.07، 0.95)، وهي عبارات تشير إلى قدرات الاستنتاج، وتوقع النهايات، والتحليل المعرفية التي يثيرها التخيل في التلميذ حسب رأي الأساتذة. وكذلك العبارات (7، 6، 8، 2) فجاءت أيضا متوسطاتها مرتفعة ومتقاربة أيضا حسب الترتيب (3.79، 3.77، 3.75، 3.74) وبانحرافات معيارية على الترتيب (1.05، 1.02، 1.07، 1.08)، وكلها درجاتها مرتفعة أيضا وتشير إلى القدرات المعرفية المرتبطة بالفهم والاقناع والتأمل وحل المشكلات التي يمكن للتخيل أن يثيرها لدى التلاميذ حسب رأي الأساتذة. وعلى خلاف ذلك فقد جاءت العبارات (9، 1، 5) بدرجات متوسطة حيث كانت متوسطاتها الحسابية على الترتيب (3.67، 3.47، 3.43) وانحرافاتها المعيارية (1.1، 1.27، 1.14) وتشير في مجملها إلى القدرة على المقارنة بين موقف الكاتب وموقف التلميذ المطور، والقدرة على النقد، والتركيب بين صورتين أو أكثر قلما تنسجم مع بعضها البعض.

الجدول (05) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأهمية التخيل في أداء التلاميذ اللغوي حسب كل عبارة ودرجة الاستجابة على كل واحدة منها

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
01	11	يكتب التلميذ معان جديدة في النصوص التي يطورها من تصوراته	**3.52**	**1.31**	**متوسطة**
02	06	يستعين التلاميذ بالتشبيهات لنقل التصورات التي أنتجوها في أذهانهم	**3.44**	**1.31**	**متوسطة**
03	12	يكتب التلميذ بطلاقة حينما يعبر عن تخيلاته بصدق	**3.04**	**1.35**	**متوسطة**
04	02	يختار التلميذ في استخدام كلمات توافق تصوره تماما	**2.85**	**1.17**	**متوسطة**
05	08	ينظم التلميذ المكتوب حينما يريد نقل تصوراته بأمانة	**2.84**	**1.24**	**متوسطة**
06	03	يركب التلميذ جملا جديدة لا تُتداول في العادة بفضل التصورات المطورة	**2.83**	**1.31**	**متوسطة**
07	09	يستمع التلميذ لكل كلمة يقولها الأستاذ حينما يتخيل أحداث النص	**2.82**	**1.28**	**متوسطة**
08	05	يتكلم التلميذ لغة فصيحة حينما يريد نقل تصوره بأمانة	**2.81**	**1.64**	**متوسطة**
09	07	يتابع التلميذ قراءة زملائهم متى تخيل مجريات النص بدقة	**2.52**	**1.02**	**متوسطة**
10	10	يستفسر التلميذ عن الكلمات والعبارات الغامضة حينما يتخيل النص	**2.44**	**1.06**	**متوسطة**
11	04	يقرأ التلاميذ نصوصهم التي طوروها قراءة صحيحة وجادة	**2.41**	**1.02**	**متوسطة**
12	01	يستمر التلميذ في الحديث بلغة عربية فصيحة رغم صعوبة المهمة	**2.30**	**0.81**	**ضعيفة**

يبين الجدول (5) المتعلق بالأداء اللغوي أن كل العبارات جاءت درجاتها متوسطة، ويمكن تقسيمها تقريبيا إلى قسمين أساسيين، يتعلق الأول منهما بالمهارة اللغوية الكتابية حيث جاءت العبارات (11، 6، 12) بمتوسطات أعلى حسب الترتيب كالآتي (3.52، 3.44، 3.04) وبانحرافات معيارية حسب الترتيب (1.31، 1.31، 1.35) هي عبارات تشير بدرجة متوسطة لأهمية التخيل في كتابة المعاني الجديدة، واستخدام التشبيهات، والطلاقة، حسب رأي أساتذة اللغة العربية. وبدرجة متوسطة أقل ترتبط أيضا بالمهارات اللغوية جاءت العبارات (2، 8، 3) بمتوسطات حسابية حسب الترتيب (2.85، 2.84، 2.83) وانحرافات معيارية تقابلها حسب الترتيب (1.17، 1.24، 1.31) وهي تشير إلى القدرة الأدائية المرتبطة باختيار الكلمات، وتنظيم المكتوب، وتركيب جمل جديدة، وهي كما أشرنا ترتبط دائما بالكتابة. وجاءت العبارات (9، 5، 7، 10، 4) بدرجات متوسطة أيضا لكن بمتوسطات حسابية أقل من العبارات السابقة (2.82، 2.81، 2.52، 2.41، 2.44) وانحرافاتها على الترتيب (1.28، 1.64، 1.02، 1.06، 1.02) وهي عبارات تشير إلى أهمية التخيل في تتبع التلميذ لمجريات النص عبر الاستماع الجيد، والتكلم بلغة فصيحة ومتابعة المقروء، وطرح الاستفسارات، والقدرة على الحديث بلغة فصيحة باستمرار من منظور الأساتذة. وبدرجة ضعيفة جاءت العبارة (1) بمتوسط حسابي (2.3) وانحراف معياري (0.81) وتدل على القدرة على الاستمرار في الحديث بلغة عربية فصيحة.

الجدول (06) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأهمية التخيل في أداء التلاميذ التفاعلي حسب كل عبارة.

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
01	07	يبدي التلاميذ فضولا لمعرفة الصورة الذهنية التي يشكلها الزملاء	**2.71**	**1.46**	**متوسطة**
02	01	يجيب التلميذ عن الأسئلة في جميع مراحل الدرس	**2.68**	**1.30**	**متوسطة**
03	06	يراقب التلميذ زملاءه ليتأكد هل وافق تصوره تصوراتهم	**2.54**	**1.38**	**متوسطة**
04	05	يبدي التلميذ اهتماما بالدرس حينما يتصور تفاصيله	**2.38**	**1.03**	**متوسطة**
05	03	يناقش التلميذ زملاءه حول الموضوع حينما يتخيل أحداثه	**2.20**	**0.84**	**ضعيفة**
06	10	يسأل التلميذ باستمرار حينما يتخيل الموقف جيدا	**2.03**	**1.04**	**ضعيفة**
07	02	يحاور التلميذ زميله الجالس أمامه دون انقطاع	**1.97**	**0.85**	**ضعيفة**
08	08	يبادر بالصعود للسبورة ليوضح صورته	**1.85**	**0.80**	**ضعيفة**
09	09	يرسم التلميذ صورة تعبر عن صورته الذهنية ليجسدها في الواقع	**1.83**	**0.70**	**ضعيفة**
10	04	يدافع التلميذ عن رأيه بقوة حينما يتخيل الموضوع من منظوره	**1.75**	**0.71**	**ضعيفة**

يوضح الجدول (06) المتعلق بالجانب الأدائي التفاعلي أن العبارات (7، 1، 6، 5) جاءت درجاتها متوسطة، حيث أن متوسطاتها الحسابية (2.71، 2.68، 2.54، 2.38) على الترتيب وانحرافاتها المعيارية (1.46، 1.3، 1.38، 1.03) على الترتيب نفسه، وهي عبارات تشير إلى التفاعل القائم على إبداء الفضول والإجابة على الأسئلة، ومراقبة الزملاء، وإظهار الاهتمام بالدرس. وبقية العبارات (3،10، 2، 8، 9، 4) جاءت بدرجات ضعيفة، وهي تتعلق بمؤشرات المناقشة، والسؤال، والحوار، والمبادرة بالصعود للسبورة، والاستعانة بالرسم لتجسيد الصورة الذهنية، والدفاع عن الرأي باستماتة.

الجدول (07) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأهمية التخيل في أداء التلاميذ العاطفي حسب كل عبارة.

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
01	08	يسود نشاط للفرح والابتهاج حينما يسمع التلاميذ خبرا جميلا غير متوقع	**2.48**	**1.42**	**متوسطة**
02	07	يسود صمت كبير في القسم حينما يتفاعل التلاميذ بقوة لموقف حزين	**2.33**	**0.96**	**ضعيفة**
03	06	تظهر الابتسامة في وجوه التلاميذ لمجرد سماع النهايات المفرحة	**2.23**	**1.38**	**ضعيفة**
04	05	يطأطئ التلاميذ رؤوسهم حينما يكون المشهد الذي يتصورونه مؤلما جدا	**1.87**	**0.75**	**ضعيفة**
05	03	يتدخل التلميذ في أحداث النص للتصريح بحالته الشعورية الشخصية	**1.86**	**0.88**	**ضعيفة**
06	11	يبدي التلاميذ إعجابا بشخصيات النص إلى آخر لحظة من الحصة	**1.81**	**0.99**	**ضعيفة**
07	10	يسأل التلاميذ عن مصدر النص لقراءته مرة ثانية والاستمتاع به	**1.78**	**0.83**	**ضعيفة**
08	02	يوظف التلميذ عبارات رقيقة أو غاضبة تبعا للصورة التي شكلها	**1.76**	**0.82**	**ضعيفة**

09	04	يوظف التلميذ كلمات دالة على المشاعر في كتابته أو تحدثه	1.73	0.79	ضعيفة
10	01	يبدي التلميذ تأثرا واضحا حينما يتخيل النهايات المحزنة أو السعيدة	1.72	0.75	ضعيفة
11	09	يعترف التلاميذ أنهم استمتعوا بقراءة النص لأنهم تفاعلوا مع أحداثه	1.59	0.66	ضعيفة

من خلال الجدول (7) يتضح أن كل درجات العبارات جاءت ضعيفة، إلا ما تعلق بالثامنة منها، حيث جاءت درجتها متوسطة وهي تنص على:" يسود نشاط للفرح والابتهاج حينما يسمع التلاميذ خبرا جميلا غير متوقع " حيث متوسطها الحسابي (2.48) وانحرافها المعياري (1.42)، أما بقية العبارات فدرجاتها ضعيفة متوسطاتها (2.33، 2.23) بانحرافين معياريين (0.96، 1.38) بالنسبة للعبارتين (7) و(6) واللتان تشيران إلى الصمت حينما يتفاعل التلاميذ مع المواقف المتخيلة الحزينة، وظهور الابتسامة عليهم حينما يسمعون النهايات الجميلة.أما بقية العبارات فجاءت متوسطاتها أدنى حيث تراوحت بين (1.87 إلى 1.59) وهي عبارات تؤشر لجملة من السلوكات الدالة عن التفاعل مع المتخيل كطأطأة الرأس، أو التصريح بالحالة الشعورية، أو الإعجاب بالشخصية، أو توظيف عبارات عاطفية صادقة.

– **ثانيا: نتائج الفرض الثاني:** قسم الباحث الإجابة عن هذا الفرض إلى قسمين:

أولا: ما يتعلق بدلالة الفروق بين درجات استجابة أساتذة اللغة العربية في أهمية التخيل على كل نوع أداء التلميذ. ولهذا الغرض حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة أهمية التخيل من منظور الأساتذة حسب متغيري سنوات الخبرة والجنس كما يبينه الجدول (08).

الجدول (08) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة أهمية التخيل في كل نوع أداء حسب متغيري الخبرة والجنس.

نوع الأداء	الخبرة	الجنس	متوسط حسابي	الانحراف المعياري	ن
المعرفي	من 15 سنة إلى 24 سنة	ذكر	3.63	0.61	16
		أنثى	3.76	0.64	25
		المجموع	3.71	0.62	41
	من 25 سنة فأكثر	ذكر	3.60	0.49	28
		أنثى	3.84	0.71	34
		المجموع	3.73	0.63	62
العاطفي	من 15 سنة إلى 24 سنة	ذكر	1.86	0.40	16
		أنثى	1.98	0.54	25
		المجموع	1.93	0.49	41
	من 25 سنة فأكثر	ذكر	1.90	0.50	28
		أنثى	1.89	0.51	34
		المجموع	1.89	0.50	62
التفاعلي	من 15 سنة إلى 24 سنة	ذكر	2.20	0.40	16
		أنثى	2.29	0.51	25
		المجموع	2.25	0.47	41
	من 25 سنة فأكثر	ذكر	2.08	0.47	28
		أنثى	2.20	0.46	34
		المجموع	2.15	0.47	62
اللغوي	من 15 سنة إلى 24 سنة	ذكر	2.73	0.58	16
		أنثى	2.81	0.55	25
		المجموع	2.78	0.55	41
	من 25 سنة فأكثر	ذكر	2.78	0.44	28

		أنثى	2.87	0.59	34
		المجموع	2.83	0.52	62

يبين الجدول(8) وجود فروقا ظاهرية في المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة أهمية التخيل لدى أساتذة مادّة اللغة العربية، عينة الدراسة، على كل نوع أداء حسب متغير الخبرة، ومتغير الجنس، ولبيان دلالة الفروق الإحصائية بين المتوسطات والانحرافات المعيارية استخدم تحليل التباين الثنائي المتعدد على المجالات الأربعة كما يبينه الجدول (9) .

الجدول (09) تحليل التباين الثنائي المتعدد لأثر جنس الأساتذة وخبرتهم في استجابتهم لمقياس درجة أهمية التخيل على كل أداء

مصدر التباين	الأداء	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
الخبرة Wilk's Lambda 983=. الدلالة الإحصائية = 795.	المعرفي	017.	1	017.	042.	839.
	العاطفي	016.	1	016.	063.	802.
	التفاعلي	241.	1	241.	073.1	303.
	اللغوي	059.	1	059.	199.	657.
الجنس Wilk's Lambda 965=. الدلالة الإحصائية =487.	المعرفي	801.	1	801.	017.2	159.
	العاطفي	066.	1	066.	258.	613.
	التفاعلي	270.	1	270.	203.1	275.
	اللغوي	187.	1	187.	632.	429.
الخطأ	المعرفي	318.39	99	397.		
	العاطفي	197.25	99	255.		
	التفاعلي	22.195	99	224.		
	اللغوي	29.327	99	296.		
الكلي	المعرفي	40,373	102			
	العاطفي	25.379	102			
	التفاعلي	22.768	102			
	اللغوي	29.578	102			

***ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (∝= 0.05)**

يتضح من الجدول (09) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (∝= 0.05) بين درجات أهمية التخيل على كل نوع أداء معرفي أو عاطفي أو تفاعلي أو لغوي راجع إلى متغير جنس الأساتذة. كما يتضح من الجدول عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (∝= 0.05) بين درجات أهمية التخيل على كل نوع أداء معرفي أو عاطفي أو تفاعلي أو لغوي راجع إلى متغير خبرة الأساتذة.

ثانيا: ما يتعلق بالفروق في درجة أهمية التخيل في الأداءات ككل تعزى لمتغيري الجنس والخبرة. وللتأكد من دلالة الفروق حسب جنس الأساتذة وخبرتهم استخدم تحليل التباين الثنائي كما يبينه الجدول (10).

الجدول (10) تحليل التباين الثنائي لدرجة أهمية التخيل ككل حسب متغيري الخبرة والجنس

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
الجنس	1.53	1	1.53	1.05	.307
الخبرة	3.58	1	3.58	2.47	.119
الخطأ	143.80	99	1.45		
الكلي	150..03	102			

***ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (∝= 0.05)**

يتبين من الجدول (10) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (∝= 0.05) تعزى لأثر الجنس حيث بلغت قيمة ف 1.05 وبدلالة إحصائية 0.307، كما يبين الجدول عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لأثر الخبرة

حيث بلغت قيمة ف 2.47 وبدلالة إحصائية 0.119. مما يدل على أنه لا فرق ذو دلالة بين أساتذة اللغة العربية والأستاذات، كما أنه لا فرق بين ذوي الخبرة (من 15 إلى 24 سنة) وذوي الخبرة (من 25 سنة فأكثر).

مناقشة النتائج:

أولا: مناقشة نتائج الفرض الأول والذي نصه: للتخيل أهمية بدرجة متوسطة من وجهة نظر أساتذة اللغة العربية.

أظهرت نتائج الدراسة أن درجة أهمية التخيل في تحسين أداءات التلميذ الكلية من وجهة نظر الأساتذة جاءت بدرجة متوسطة، مما يدل على أن القدرة على التخيل وإن كانت تحوز أهمية في تطوير أداء التلميذ ككل إلا أنها ليست بالشكل كبير وجوهري، وهي نتيجة تختلف عما أقرته دراسة دارت (Dart,2001)، حيث اعتبر أساتذة اللغة الإنجليزية أن القدرة التخيلية مهمة ومحورية في تدريس النصوص الأدبية. وقد تعود هذه النتيجة لكون أساتذة اللغة العربية في الجزائر، ورغم خبرتهم الطويلة، لم يجربوا تطبيق هذه المهارة على أرض الواقع من خلال استراتيجيات واضحة وعملية، خصوصا وظروف التدريس في الأقسام ذات الأعداد الكبيرة، وكثافة الدروس مع ما يصاحبها من اختبارات دورية متقاربة المدة، قد يجعلهم لا يتنبهون لأهمية هذه القدرة العقلية، وبالمقابل يمكن تفسير هذه الدرجة المتوسطة من منطلق كون عينة الدراسة قد اكتسبت مفهوما للتخيل يرتبط ببعد أدبي فني أكثر من بعده الفكري، وهي الحقيقة التي أخذت حيزا مهما في الدراسات الأدبية العربية التي جعلت التخييل والتخيل محورا أساسيا في مباحث النقد والبلاغة العربية (نصر،2004).

كما يمكن أن تعزى هذه النتيجة لكون الأساتذة يجدون صعوبة في تقديم القدرة التخيلية على بعض المهمات اللغوية والدلالية والكتابية التي تعكس الأهداف القاعدية للدرس اللغوي العربي حسبهم، ولذلك فلا مجال لموازنة هذه المهارات الأساسية الأولية وجعلها في مصاف مهارة التخيل. وأخيرا يمكن أن تعزى هذه النتيجة لكون بعض الأساتذة يفهمون التخيل على أنه مجرد أوهام قد تحبس التلميذ في عالم اللاواقع وتجعله رهن تخييلات غير منطقية أو فنطازيا مموهة، وهي حقيقة وقف عندها الباحث من خلال عديد المناقشات مع الأساتذة.

أما فيما يخص النتائج المتعلقة بدرجة أهمية التخيل حسب كل نوع أداء فقد أظهرت النتائج أن أهمية التخيل في تحسين أداء التلاميذ المعرفي جاءت بدرجة كبيرة، وهذه النتيجة تؤكد في بعدها النظري صدق علماء النفس المعرفي في تبني الدراسات التي تعالج هذه القدرة من منظور معرفي مهاري، إذ ورغم قدم الدراسات والأبحاث في مجال التخيل عموما إلا أنها كانت تعالج بطريقة فلسفية أو نفسية تحليلة أكثر منها معرفية، ولعل هذا التوجه يعكس حقيقة دور هذه القدرة العقلية في تطوير الأداء العقلي والمعرفي ومنه العلمي والتربوي للطفل داخل المدرسة(عبد الحميد،1998)، لذلك نجد معظم الدراسات التجريبية في التخيل تتجه صوب تطوير برامج تعليمية قائمة على التخيل والتدوير العقلي والتصور وملاحظة أثر تدريب التلميذ وفقها في تطوير بعض القدرات العقلية العليا على غرار التفكير الابتكاري أو حل المشكلات أو توقع النتائج (عليان،2008).

وضمن الأداء المعرفي دائما يظهر أن الأساتذة يعتبرون قدرة استنتاج التلميذ لبعض الأحداث وتوقع النهايات والتحليل وفهم المعاني بدقة، والقدرة على الإقناع وكذا القدرة على تأمل الصور الذهنية والتفكير فيما أنتجه، إضافة للقدرة على حل المشكلات، كلها مهارات يمكن للتخيل تحفيزها بشكل كبير وجوهري.

وعلى خلاف ما سبق جاءت الدرجة المتعلقة بقدرة التلميذ على المقارنة بين موقفه وموقف الكاتب متوسطة، ومثلها قدرة التلميذ على نقد تصورات الآخرين وتركيب صورتين عقليتين غير منسجمتين. وربما تعود هذه النتيجة لاعتقاد الأساتذة أن هذه المهارات صعبة وتتجاوز قدرة التلميذ خصوصا وأن الواقع داخل الأقسام الدراسية يثبت هذا. والحقيقة أن الخبراء كما تؤكده Nicols (2006) يرون أن كل القدرات العقلية العليا متاحة للطفل في هذه السن شرط مراعاة مستويات المعاني والأفكار المعالجة. أي أن العبرة ليست في طبيعة ومستوى القدرة العقلية بقدر ما هو في توظيف الأفكار المناسبة والمتاحة للتلميذ، وهو ما توفره كثير من النصوص الأدبية المقررة في مناهج اللغة العربية، ولذلك يرى بعض خبراء التربية أن قدرة

الأستاذ على تقديم درس ناجح تبدأ من قدرته على استثمار الأفكار والمفاهيم لاستثارة أنماط تفكيرية مختلفة تتجاوز مجرد الشرح أو التحليل البسيط (العيسوي، موسى، والشيزاوي،2005).

وعلى العموم فإن المهارات ذات الدرجات العالية كثيرا ما تنوه بأهميتها الوثائق المرفقة لمعلم اللغة العربية، إذ على هذا الأساس أصبح التوجه العام للمدرسة الجزائرية في تبني التدريس وفق المقاربة بالكفاءات قائما، حيث بوشر بالعمل به منذ مدة الأمر الذي قد يبرر رؤية الأساتذة كما في هذه الدراسة.

وفيما يرتبط بأهمية التخيل في تحسين الأداء اللغوي للتلميذ كشفت الدراسة الحالية أنها جاءت بدرجة متوسطة، وهي نتيجة تؤكد بأن المكانة التي يحتلها البعد اللغوي لدى أساتذة اللغة العربية لم يكن مبررا قويا لاعتبار التخيل قدرة عقلية مهمة في تحسين هذا الأداء اللغوي. وفي هذا السياق، وخلافا لرأي الأساتذة، كشفت بعض الدراسات حول أثر التخيل العقلي ضمن المواقف التعلمية الأدبية في تحفيز التلاميذ على تطوير الأفكار وتصور المشاهد الجديدة أنه يثير أيضا مخزونهم اللغوي وينشط المعجم المفرداتي، ويحفز التلميذ على بناء لغة جميلة وراقية تتسم بالإبداع والتميز (عليان،2008).

ويتضح من خلال استجابة الأساتذة على بنود محور مدى أهمية البعد اللغوي في تحسين القدرة التخيلية أن اكتساب المعاني الجديدة وتطوير التشبيهات جاءت بدرجات متوسطة لكنها أعلى نسبيا من القدرات اللغوية على غرار القدرة على الكتابة بطلاقة، واختيار الكلمات وتركيب الجمل ومتابعة القراءة والتحدث بلغة فصيحة، وعلى هذا الأساس فإن المهارات اللغوية الدلالية تتأثر حسب الأساتذة بالمهارات اللغوية البنائية والوظيفية، وهي حقيقة تؤكدها الدراسات في هذا الشأن، والتي تقر بأن التخيل يسهم بدرجة عالية في تحفيز الدماغ على توليد أفكار جديدة وراقية، تتسم بالإبداع والتميز، لأن التخيل يتيح للتلميذ تصور بدائل عديدة قد تتجسد في معان ودلالات مطورة، في حين تقر تلك الدراسات بأن الجانب اللغوي قد يستثار بدرجة أدنى نتيجة معوقات أهمها قلة الخبرة بالكتابة أو التحدث الإبداعيين، وضعف رصيد التلميذ اللغوي (عليان،2008).

وفي ضوء هذا التفسير يمكن تبرير موقف الأساتذة في اعتبار درجة أهمية التخيل متوسطة رغم أهمية البعد اللغوي في الدرس العربي، وهي حقيقة تعكس ضعف المهارات اللغوية الإرسالية (التحدث والكتابة)، خصوصا في مواقف إنتاج أفكار إبداعية، وقد يضاف لها سبب جوهري يرتبط بالخجل الذي قد يحبس التلميذ عن إنتاج الكلام مشبع بالعواطف والخواطر، وهي المسألة التي لم تعالجها المدرسة الجزائرية لحد اليوم، ولذلك أقر الأساتذة عينة الدراسة بأن قدرة التلميذ على الاستمرار بالحديث بلغة عربية فصيحة رغم صعوبة المهمة تتأثر بشكل ضعيف بالتحفيز الذي يولده التخيل.

وعن أهمية التخيل في أداء التلاميذ التفاعلي جاءت استجابة الأساتذة ضعيفة، أي أن التخيل لا يحفز التلميذ على التفاعل داخل القسم عبر المشاركة وطرح الأسئلة ومناقشة الزملاء وإبداء الرأي والمبادرة إلى الاستفسار وغيرها، وقد تعود هذه النتيجة للنظرة السلبية التي يحملها أساتذة اللغة العربية لموضوع تفاعل التلاميذ داخل القسم، إذ يشتكي معظمهم من عزوف التلاميذ عن الانخراط في الدرس والمشاركة الفاعلة فيه، مما يصعب حسب الأساتذة إنجاح الدرس ويزيد من الملل والإحباط لديهم، وهي الحقيقة التي استنتجها الباحث من خلال المناقشات التي أجراها مع عينة الدراسة في إطار المحاضرات التكوينية.

ويمكن أن تكون النظرة السلبية نتيجة لعدم إدراك الأساتذة للبعد التفاعلي للتخيل حينما تصبح التصورات الذهنية المطورة من طرف الزملاء مثار فضول وتتبع وتساؤل، أي أن التلميذ سوف يحاول قراءة فكرة زميله وسوف يهتم للطريقة التي بنا عليها فكرته لأن الفضول كما يشير إليه أبو سيف (2004) يزيد بزيادة أصالة ومرونة وطلاقة وحساسية الفكرة المقدمة.

وأخيرا وبالنسبة لدرجة أهمية التخيل في أداء التلميذ العاطفي، بينت النتائج أنها جاءت ضعيفة على العموم، الأمر الذي يؤكد حسب الأساتذة بأن الجانب الشعوري العاطفي لا يتأثر نتيجة للتخيل، وهذه النتيجة تغاير ما أكدته دراسة دارت

(Dart,2001)، حيث ذكر أساتذة اللغة الإنجليزية مدى الإسهام الإيجابي للنصوص المقدمة في تحفيز الجانب العاطفي للتلميذ.

وبالنظر لطبيعة الدرس الأدبي في الجزائر، ورغم الأهمية التي تولها تحليلات الأساتذة لمعاني النص الأدبي ودلالاته العاطفية، كما تؤكده الوثيقة المرفقة (وزارة التربية،2004)، نجد أساتذة اللغة العربية عينة الدراسة لا يرون في التخيل عاملا مساعدا على استثارة العاطفة رغم أهميتها في هذه المرحلة العمرية للتلميذ، وقد يعود هذا لتركيزهم على البعد المعرفي على حساب البعد العاطفي، لأن التخيل في الأساس مهارة عقلية تساعد على تطوير البدائل والخروج من المألوف وفق نسق عقلي مبدع.

وبالرجوع مرة أخرى إلى الوثيقة المرفقة نجد أن التعبير الإبداعي، وهو مجال خصب لتطوير القدرة التخيلية، يعتمد على البعد العاطفي ف" هو ذلك التعبير الذي يهدف إلى ترجمة الأفكار والمشاعر الداخلية والأحاسيس ونقلها بأسلوب أدبي رفيع بغية التأثير في نفوس السامعين أو القارئين تأثيرا يكاد يقترب من انفعال أصحاب هذه الأعمال" (وزارة التربية،2004 ص 26).

كما تختلف هذه النتيجة تماما مع رأي خبراء التربية وحتى علماء النفس المعرفي وعلماء النفس الإكلينيكي الذي يرون في التخيل عاملا فاعلا في تطوير الجانب العاطفي للطفل، فهم يجمعون بأن اللعب مثلا سلوك ضروري لتطوير هذا المجال النفسي نتيجة لتمثل الطفل مواقف تحاكي الواقع في الإدراك والشعور(Gallas,2003)، ولذلك فإن التلميذ في المرحلة المتوسطة قد يستطيع توظيف شحنة عاطفية كبيرة حينما يولد أفكارا ويتصور أحداثا ويعيد تشكيل أنماط تفكيرية مبدعة تعبر عن مدى صدقه قبل أن تعبر عن مدى قدرته التفكيرية.

ويمكن أن تعزى هذه النتيجة لكون الأساتذة قد أجابوا بناء على تصورهم المسبق لطبيعة النصوص المقررة لتلاميذ المرحلة المتوسطة، حيث أكدوا بالإجماع بأن اختيار النصوص تلك أهمل البعد العاطفي الأخلاقي بنسبة عالية مما جعل كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة متوسط أقرب لكتاب مادّة الجغرافيا حسب توصيف أحدهم، وعليه لا يمكن بأي حال من الأحوال استثارة عاطفة من نص يفتقد هذا البعد ولو عملنا على استثمار المهارات العقلية العليا كالتخيل.

ثانيا: مناقشة نتائج الفرض الثاني والذي نصه:" لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\propto$= 0.05) بين متوسطات استجابات أساتذة اللغة العربية في درجة أهمية التخيل على كل نوع أداء التلميذ (معرفي، أو عاطفي، أو تفاعلي، أو لغوي) وعلى درجة أهمية التخيل في الأداءات ككل تعزى إلى الجنس الأساتذة (ذكور إناث)، وإلى سنوت خبرتهم (من 15 إلى 24 سنة / من 25 سنة فما فوق)".

فيما يتعلق بالفروق بين متوسطات درجات أهمية التخيل في تحسين كل أداء (معرفي، أو عاطفي، أو تفاعلي، أو لغوي) حسب الجنس، تبين أنه لا توجد فروق بين الأساتذة والأستاذات في كل أنواع الأداءات، وهذا يدل على أن عامل الجنس لم يؤثر في تفضيل أي أداء، وربما تعزز هذه النتيجة ما سبق الإشارة إليه على أن القدرة التخيلية غير موظفة بشكل واضح في المدرسة الجزائرية مما يجعلها مبهمة وغير مألوفة في نظر جميع الأساتذة على اختلاف جنسهم.

أما ما تعلق بالفروق بين متوسطات درجات أهمية التخيل في تحسين كل أداء (معرفي، أو عاطفي، أو تفاعلي، أو لغوي) حسب سنوات الخبرة فقد تبين أنه لا توجد فروق دالة بين الأساتذة ممن لديهم خبرة بين (15) سنة و(24) سنة، وبين من لديهم خبرة تزيد عن (25) سنة، وهذا يدل على أن الخبرة في التعليم ورغم كونها طويلة نسبيا لم تغير في درجات أهمية التخيل حسب كل نوع أداء، وربما يعزز هذا قلة الاهتمام بقدرة التخيل منذ سنوات طويلة في مجال تدريس اللغة العربية. ويؤكد هذا مرة أخرى تطابقا كبيرا في رأي الأساتذة جميعا حول أهمية الجانب المعرفي بدرجة كبيرة، ثم الجانب اللغوي بدرجة متوسطة، وأخيرا الجانبين التفاعلي والعاطفي بدرجة ضعيفة.

وضمن هذا الفرض المنهجي وفيما يتعلق بالفروق في درجة أهمية التخيل في الأداءات ككل وهل يمكنها أن لمتغيري الجنس والخبرة، فقد تبين أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا في درجة أهمية التخيل في الأداءات ككل يمكن أن تعزى لمتغيري الجنس والخبرة، وهذا يعزز النتيجة بأن الأساتذة لا يختلفون في استجاباتهم عن بعضهم بعضا سواء على مستوى درجات أهمية التخيل حسب كل نوع أداء أو عليها مجتمعة.

خاتمة و اقتراحات:

لقد حاولت الدراسة الحالية معرفة مدى أهمية التخيل في تحسين أداءات التلاميذ المعرفية، والتفاعلية، والعاطفية، واللغوية من وجهة نظر أساتذة اللغة العربية ذوي الخبرة التدريسية الطويلة، واتضح جليا أنهم يقرّون بأن التخيل يساهم في تحسين الأداء المعرفي بدرجة كبيرة، وأنه يساهم أيضا بتحسين الأداء اللغوي لكن بدرجة متوسطة، في حين لا يرى الأساتذة، عينة الدراسة، للتخيل دورا مهما في تحسين الأداء التفاعلي والعاطفي، حيث جاءت استجاباتهم على المحورين ضعيفة.

إن النتيجة تكشف على العموم نقصا بينا في إدراك أبعاد التخيل التربوية والنفسية، هذا رغم أننا مع اساتذة من ذوي الخبرة الطويلة ممن تتاح لهم فرص استثمار التخيل عبر تدريس النصوص الأدبية، على اختلاف أنواعها، أكثر من غيرهم من الأساتذة، فتدريس القصة، والمقامة، وقراءة الأشعار الزاخرة بالتشبيهات والصور البيانية، وقراءة مقالات الأسفار والرحلات، أو السير والأحداث التاريخية وغيرها كثير، كل ذلك لا ينفك عن ممارسة التخيل وتحريك الدماغ من أجل تفعيل هذه القدرة.

والحقيقة أن هذه النتيجة، التي يتفق عليها جل أساتذة مادّة اللغة العربية عينة الدراسة، دون اختلاف دال بينهم، ليست غريبة متى وقفنا على المقررات الدراسية والمناهج التعليمية التي تدرس في مادّة اللغة العربية، والتي لا زالت لحد اليوم لم تعط التخيل حقه من الاهتمام باعتباره قدرة عقلية لا يقل شانا عن الإدراك، كما قرر ذلك علماء النفس والتربية.

ومن هذا المنطلق يقترح الباحثان:

- استثمار استراتيجيات بسيطة وعملية لاستثارة التخيل لدى التلاميذ، وتدريبهم على التفكير الحر فيما يرتبط ببعض المواضيع الفنية والأدبية.
- توعية الأساتذة بضرورة العناية بقدرة التخيل في الدرس الأدبي.
- توجيه الأساتذة للعناية المتكاملة بالأداءات اللغوية والمعرفية والعاطفية والتفاعلية معا.
- إجراء مزيد من الدراسات حول قدرة التخيل في مجالات تدريس العلوم والرياضيات والرسم وغيرها.
- توفير المزيد من الفرص التدريبية عبر الكتابة الحرة والإبداعية لاستثارة القدرة التخيلية.
- تشجيع التلاميذ على التعبير عن أفكارهم المطورة عبر التخيل وتثمين ذلك.

المراجع العربية:

- أبو سيف، حسام أحمد محمد. (2004). **الخيال عبر العمر من الطفولة إلى الشيخوخة**. ط 1، القاهرة: ايتراك للنشر والتوزيع.
- تازروتي، حفيظة. (2003). **اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري**. الجزائر: دار القصبة للنشر.
- حنورة، مصري عبد الحميد. (1997). **الإبداع من منظور تكاملي**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- عبد الباري، ماهر شعبان. (2009). **فاعلية استراتيجية التصور الذهني في تنمية مهارات الفهم القرائي لتلاميذ المرحلة الإعدادية**، مجلة دراسات في مناهج وطرق التدريس، (145)، 73-114.

- عبد الحميد، شاكر. (1995). **الخيال وحب الاستطلاع والإبداع في المرحلة الابتدائية**، مجلة علم النفس، جامعة القاهرة، 116-132.
- عبد الحميد، شاكر. (2009) **الخيال من الكهف إلى الواقع الافتراضي**، الكويت: عالم المعرفة ع (360).
- عبد الحميد، شاكر وخليفة، عبد اللطيف. (2000). دراسات في حب الاستطلاع والخيال. القاهرة دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- عليان، عليان أيمن يوسف. (2008). **أثر استراتيجية التخيل الموجه لتدريس التعبير في تكوين الصور الفنية الكتابية وتنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى طلبة المرحلة الأساسية في الأردن**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، الأردن.
- عوض، هناء محمد. (2001). **الخيال في الرسوم وعلاقته بالإبداع لدى الجنسين من سن 6 إلى 16 سنة**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، مصر.
- العيسوي، جمال مصطفى وموسى، محمد محمود والشيزاوي، عبد الغفار. (2005). **طرق تدريس اللغة العربية في مرحلة التعليم الأساسي بين النظرية والتطبيق**. عمان: دار الكتاب الجامعي.
- قطامي، يوسف واللوزي، مريم. (2008). **الكتابة الإبداعية للموهوبين**.ط1، الأردن: دار وائل.
- كرافث، آنا. (2006). الإبداع في مرحلة الطفولة المبكرة. ترجمة لجنة التأليف والترجمة. غزة فلسطين: دار الكتاب الجامعي.
- اللجنة الوطنية للمناهج. (2004). **مناهج اللغة العربية**. الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.
- اللجنة الوطنية للمناهج. (2004). **الوثيقة المرفقة لمناهج اللغة العربية**. الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.
- لحسن، عمر محمد. (2007). **اللغة العربية وتحديات العصر**، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر اللغة العربي والتحديات المعاصرة، جامعة الملك عبد العزيز من 02/13/ إلى 2007/02/16. جدة المملكة العربية السعودية.
- المرسومي، عهود سامي هاشم. (2014). **أثر استراتيجيتي ليد (lead) والاتصال المتكرر في الفهم القرائي والأداء التعبيري لدى طالبات الصف الثاني متوسط**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، العراق.
- نصر، حمدان علي. (2009). **أثر النشاطات التعليمية المصاحبة للاستماع والتحصيل السابق في اللغة العربية في تنمية القدرة على التخيل لدى عينة طلاب الصف السادس الأساسي المجلة الأردنية في العلوم التربوية**، 5 (4)، 385-398.
- هباشي، لطيفة. (2008). **استثمار النصوص الأصلية في تنمية القراءة الناقدة**. إربد: عالم الكتب الحديث.
- وزارة التربية الوطنية. (2014). **اللغة العربية للسنة الثالثة من التعليم المتوسط**. الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.

المراجع الأجنبية:

- Archambault, A. & Venet, M. (2007). **Le développement de l'imagination selon Piaget et Vygotsky** : d'un acte spontané à une activité consciente. Revue des sciences de l'éducation .33 (01), P 05-24.
- Baldwin, P. & Fleming, K. (2003). **Teaching Literacy Through drama creative approaches** (first Ed). London and New York : Routledge Flamer.
- Dart, L. (2001).**Literacy and the lost world of the imagination** .Educational Research .43(01), 63-77.
- Gallas, K. (2003). **Imagination and Literacy** (p).New York and London: Teaching College Press.
- Heal, J. (2003). **Mind Reason and Imagination** (first Ed). New York: Cambridge University Press.
- Hoachs, J.,Nielsen, TH., Hansen,M., & Jakobsen, S.(2014).**Explaining student performance evidence from the international PISA, TIMSS, and PIRLS surveys**, Danish technological institute, final report. November.
- Leonard,T. & Willis, P.(2008). **Pedagogies of the Imagination** (p). London : Springer.

- Mellui, Daniel. (2007).Harris Paul. **L'imagination chez l'enfant : son rôle crucial dans le développement cognitive et affectif.** Revue Française de pédagogie. Octobre- décembre.p 2-3.
- Meusburger, P. & Funke, J. & Wunder, E. (2009). **Milieu of creativity** (p). London: Springer.
- Nichols,S. (2006). **The Architecture of the Imagination** (1st ed). U.S.A : Oxford University Press.
- Robert,M.(2009). **The children creative curiosity**. Psychological Report.
- Popp, Marcia. (2005). **Teaching Language and Literature in elementary classrooms** A resource book for professional development. (2ed.). New Jersey : Lawrence Erlbaun Associates Publishers.
- Wright, Tong. (2005). **Classroom management** in language education. (First Ed.). New York: Palgrave Macmillan.

ملحق الدراسة

أستاذتي الكريمة/ أستاذي الكريم...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد.

في إطار دراسة أكاديمية بعنوان " أهمية التخيل في تحسين أداء التلاميذ في مادّة اللغة العربية من وجهة نظر أساتذتها في المرحلة المتوسطة بالجزائر"، واستفادة من الخبرة الكبيرة التي اكتسبتموها طيلة مشواركم التعليمي الحافل، نتشرف بوضع هذا الاستبيان بين أيديكم من أجل الإجابة عن بنوده بوضع علامة (×) على الاختيار المناسب.

ولا شك أن ما تبدونه من استجابات صادقة سوف تكون هادية للباحثَين في تحقيق أحسن النتائج وأدقها خدمة للعلم ولميدان التعليم، وتعليم اللغة العربية على وجه التحديد.

لكم منا أخلص الشكر على تعاونكم

أولا: البيانات الشخصية:

1- الجنس: ذكر أنثى

2- الخبرة من 15 إلى 24 سنة 25 سنة فأكثر

ثانيا: الاستبيان في محاوره

رقم	الأداء	العبـــارة	درجة الموافقة				
			قليلة جدا	قليلة	متوسطة	كبيرة	كبيرة جدا
01	التفاعلي	يتيح تخيل للتلميذ مشاركة جيدة في جميع مراحل الدرس					
02		التخيل عامل مهم ليسأل التلميذ نفسه باستمرار					
03		يشارك التلميذ زملاءه في النقاش حول الموضوع حينما يتخيل أحداثه					
04		يبدي التلميذ اهتماما بالدرس حينما يتصور تفاصيله					
05		يدافع التلميذ عن رأيه بقوة حينما يتخيل الموضوع من منظوره					
06		يركز التلميذ حول آراء زملائه ليتأكد هل وافق تصوره تصوراتهم					
07		يتواصل نقاش التلميذ وحواره حينما يتخيل النص إلى آخر الحصة					
08		حينما يسأل المعلم يكون التلميذ الذي تخيل الدرس أول المجيبين					
09		يسود نشاط في القسم حينما يتخيل التلاميذ المجريات والوقائع في النص					
10		يبدي التلاميذ فضولا لمعرفة الصورة الذهنية التي يشكلها الزملاء					
11		يتيح ا لتخيل فرصة تركيب جمل جديدة لا تُتداول في العادة					
12		يجتهد التلميذ في استخدام كلمات توافق تصوره تماما					
13		يستخدم التلميذ لغة فصيحة حينما يريد نقل تصوره بأمانة					

14	اللغوي	كثيرا ما تسهل مهمة الكتابة على التلاميذ حينما يعبرون عن تخيلاتهم					
15		تظهر معان جديدة في النصوص التي يكتبها التلاميذ من تصوراتهم					
16		يستعين التلاميذ بالتشبيهات لنقل التصورات التي أنتجوها في أذهانهم					
17		يحب التلاميذ متابعة قراءة زملائهم متى تخيلوا مجريات النص بدقة					
18		يقرأ التلاميذ نصوصهم التي طوروها قراءة صحيحة وجادة					
19		يستمر التلميذ في الحديث بلغة عربية فصيحة رغم صعوبة المهمة					
20		يحرص التلميذ على تنظيم المكتوب حينما يريد نقل تصوراته بأمانة					
21		يستمع التلميذ لكل كلمة يقولها الأستاذ حينما يتخيل أحداث النص					
22		يستفسر التلميذ عن الكلمات والعبارات الغامضة					
23	المعرفي	يحاول التلميذ فهم المعاني الكلمات حتى يشكل تصوره الخاص					
24		يقارن التلميذ بين موقف الكاتب وموقفه الذي بناه من تخيله المطور					
25		يستنتج التلميذ بعض الأحداث حينما يتخيل مجرياته بدقة					
26		يحلل التلميذ الفقرة بتوسع حينما تصير مفتاحا لبناء صورة ذهنية خاصة					
27		يبحث التلميذ حلول للمشكلات التي تعترضه وهو يتخيل الأحداث					
28		يركب التلميذ في مخيلته بين صورتين أو أكثر قلما تنسجم مع بعضها					
29		ينقد التلميذ تصورات الآخرين حينما يشعر بنوع من التناقض المنطقي					
30		يتأمل التلميذ تصوراته الذهنية بمجرد ما ينتهي من كتابتها أو قراءتها					
31		يتوقع التلميذ نهايات الأحداث بمجرد تخيل الواقعة بالتفصيل					
32		يحاول التلميذ إقناع الآخرين برجاحة تصوراته الذهنية وقوتها					
33	العاطفي	يبدي التلميذ تأثرا واضحا حينما يتخيل النهايات المحزنة أو السعيدة					
34		يوظف التلميذ عبارات رقيقة أو غاضبة تبعا للصورة التي شكلها					
35		يتدخل التلميذ في أحداث النص للتصريح بحالته الشعورية الشخصية					
36		يوظف التلميذ كلمات دالة على المشاعر في كتابته أو تحدثه					
37		يطأطئ التلاميذ رؤوسهم حينما يكون المشهد الذي يتصورونه مؤلما جدا					
38		تظهر الابتسامة في وجوه التلاميذ لمجرد سماع النهايات المفرحة					
39		يسود صمت كبير في القسم حينما يتفاعل التلاميذ بقوة لموقف حزين					
40		يسود نشاط وتبادل للكلام حينما يسمع التلاميذ خبرا جميلا غير متوقع					
41		يعترف التلاميذ أنهم استمتعوا بقراءة النص لأنهم تفاعلوا مع أحداثه					
42		يسأل التلاميذ عن مصدر النص لقراءته مرة ثانية والاستمتاع به					
43		يبدي التلاميذ تعلقا بالنص إلى آخر لحظة من الحصة					

الكفايات الشخصية والتعليمية اللازمة لمعلمات رياض الأطفال من وجهة نظرهن
دراسة ميدانية في مديريات تربية محافظة الكرك -الأردن -

د. خالد عودة العمايدة
كلية المجتمع العربي الجامعية-عمّان - الأردن

الملخص: هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على مدى توافر الكفايات الشخصية والتعليمية لدى معلمات رياض الأطفال في مدارس مديريات التربية والتعليم في كل من الكرك والقصر والمزار والأغوار الجنوبية من وجهة نظرهن من خلال استبانة أعدت لتحقيق الهدف من الدراسة تضمنت (17) كفاية شخصية، و(30) كفاية تعليمية، وطبقت على عينة اختيرت بالطريقة العشوائية الطبقية قوامها (75) معلمة، وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي. وبعد تحليل النتائج توصل الباحث إلى أن الكفايات الشخصية والتعليمية المتضمنة في الاستبانة تعتبر مهمة وأساسية لمعلمات رياض الأطفال، وتتمتع معلمة رياض الأطفال بقدر كاف من الكفايات الشخصية اللازمة للتعامل مع أطفال الروضة، وتعاني ضعفا في بعض الكفايات التعليمية ؛ مثل توظيف التكنولوجيا في تعليم الأطفال، وعدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات درجة تمكن معلمات رياض الأطفال من الكفايات الشخصية والتعليمية يعزى لمتغير سنوات الخبرة.

الكلمات المفتاحية: معلمات رياض الأطفال، الكفايات التعليمية، الكفايات الشخصية.

Abstract: This study aimed to identify the availability of personal Competencies and education to the kindergarten teachers in the schools of the departments of Education for the regions of Karak and Al-Qaser and Almazar and Southern Ghor from their perspective through a questionnaire prepared for the achievement of the objective of the study included (17) personal adequacy and (30) educational adequacy and applied to the selected sample chosen randomly (75) teachers, and the researcher has been adopted Researcher descriptive analytical method and has been adopted after the analysis of the results, the researcher suggested that the Competencies of personal and educational contained in the questionnaire are important and essential for kindergarten teachers. The kindergarten teacher with adequate personal Competencies is necessary for dealing with kindergarten children, and suffered weakness in some educational Competencies such as the use of technology in the education of children and lack of statistically significant differences between the mean score enables the kindergarten of personal Competencies and educational parameters due to the variable years of experience.

المقدمة : تعد مرحلة رياض الأطفال المرحلة المهمة في حياة الإنسان، إذ يتكون خلالها الجزء الأكبر من خصائص الطفل الشخصية، وتتمثل الرؤية المستقبلية لمرحلة رياض الأطفال من خلال إيجاد بيئة آمنة تنمي قدرات الأطفال وفقا لسياسات وبرامج تعني بالنواحي العقلية، والجسمية، والاجتماعية، والانفعالية للطفل.

وتسعى رياض الأطفال إلى تحقيق أهداف ومبادئ التربية الحديثة في المناهج الدراسية؛ فبدلا من التركيز على تزويد الأطفال بالمعلومات فقط، أصبح المنهج مؤسسا على تنمية شخصية الطفل، وجعله محورا للعملية التعليمية والتربوية، والاهتمام بميوله، وحاجاته، وقدراته، واستعداداته، وإتاحة الفرصة له للقيام بالأنشطة التي تتفق مع هذه الميول، وتعمل على إشباع تلك الحاجات.

وأكد كل من (المومني،1993 م) و(المرسي،1997 م) على أنه لا يمكن أن تحقق أهداف التربية إلا بوجود معلم متمكن من مادته العلمية ولديه كفايات تدريسية، ودوافع إيجابيه للعمل التعليمي التربوي، وأشار (قريطم، 1992 م) إلى أن نجاح أي برنامج تعليمي من ناحية التدريب والتنفيذ والمتابعة يعتمد بالدرجة الأولى على الدقة في تحديد الاحتياجات التدريبية اللازمة للمعلمين، كما وأثبتت البحوث التربوية أن التدريس الفعال يعتمد بالدرجة الأول على شخصية المعلم وذكائه ومهاراته التدريسية التي يتمتع بها؛ لأن المعلم لا يتوقف دوره عند حدود التعليم فقط وإنما يتخطاها إلى مجالات التربية.(ابو الفتوح ،1975، 17).

ولما لهذه المرحلة من أهمية بالغة في بناء شخصية الطفل لابد من توافر المعلمة المتخصصة ذات الكفايات الشخصية، والمعرفية، والوجدانية، والاجتماعية، والمهنية التي تؤهلها للعمل مع هذه الفئة الهامة؛ فمعلمة رياض الأطفال هي التي تقوم بتربية الطفل في مرحلة الروضة وتسعى إلى تحقيق الأهداف التربوية التي يتطلبها المنهج مراعية الخصائص العمرية لتلك المرحلة، وهي التي تقوم بإدارة النشاط وتنظيمه في غرفة النشاط وخارجها، اضافة إلى تمتعها بمجموعة من الكفايات الشخصية والاجتماعية والتربوية التي تميزها عن غيرها من معلمات المراحل العمرية الأخرى. حيث إن مهنة معلمة رياض الأطفال هي مهنة غاية في الحساسية وتحتاج إلى الخصائص الشخصية والتدريب والتأهيل الدقيق.

وظهرت محاولات عديدة لتطوير برامج إعداد المعلمين وتدريبهم، من أجل تحسين أدائهم ورفع كفاياتهم، والنهوض والارتقاء بمستواهم نظرا لأن الأساليب التقليدية في إعداد المعلمين لم تعد قادرة على مواكبة التغيرات التي طرأت على دور المعلم في العملية التعليمية، ونتيجة لذلك ظهر العديد من الاتجاهات العالمية المعاصرة في إعداد المعلمين وتدريبهم؛ فاستطاعت مواكبة معظم التغيرات، والتحديات التي تواجه العملية التعليمية، وكان من أبرزها أسلوب تربية المعلمين القائم على الكفايات، الذي ينطلق من الاعتقاد أن الأداء التربوي السليم للمعلم داخل الفصل وخارجه يتضمن مجموعة من الكفايات العامة والخاصة، "ولا يستطيع المعلم أن يمارس أدواره المختلفة إلا إذا توافرت لديه مجموعة كفايات أساسية ترتبط وتؤثر على أدائه في المواقف التعليمية" (النادي، 1987،67).

فتدريب المعلمات أثناء الخدمة يسهم في رفع مستوى كفاءتهن وتحسين أدائهن، ولا ينظر إلى التدريب على أنه محاولة لمعالجة أوجه الضعف أو القصور في الإعداد قبل الخدمة فحسب بل ينظر إليه على أنه جزء من التربية المستمرة للمعلمة طيلة ممارستها للمهنة، إذ يتم من خلاله تجديد معارف المعلمات وصقل خبراتهم، ومهاراتهم المهنية بهدف تحسين فعالية العملية التعليمية، وقد برزت العديد من المحاولات في مجال تطوير برامج تدريب المعلمين نظراً لأن الأساليب التقليدية لم تعد قادرة على مواكبة التغيرات التي طرأت في العملية التعليمية، وكان من أبرزها أسلوب تدريب المعلمين القائم على الكفايات، الذي ينطلق من الاعتقاد أن الأداء التربوي السليم للمعلم داخل الفصل وخارجه يتضمن مجموعة من الكفايات العامة والخاصة، ولا تستطيع المعلمة أن تمارس أدوارها المختلفة إلا إذا توافرت لديها مجموعة من الكفايات الأساسية التي ترتبط وتؤثر على أدائها في المواقف التعليمية" (أبو الهيجا،2001 م، 3)

وانطلاق من ذلك، ولكي تتمكن رياض الأطفال من تأدية دورها في تهيئة الطفل وإعداده للتعلم المدرسي وتحقيق توافقه الاجتماعي، وتكوين السلوك الاجتماعي لهذا التوافق، لا بد من الإعداد الجيد لمعلمات رياض الأطفال وتدريبهن على مختلف مستوياتهن بما يسهم في تطوير كفاياتهن الشخصية والتعليمية تحقيقا لمبدأ تجويد التعليم، ومن هنا سوف تتوجه الدراسة الحالية إلى دراسة الكفايات الشخصية والتعليمية الواجب توافرها لدى معلمات رياض الأطفال شعورا من الباحث بأهمية هذا الموضوع.

مشكلة الدراسة وأسئلتها: تنبثق مشكلة البحث من أهمية فترة مرحلة الطفولة؛ حيث تعد مهمة وأساسية في حياة الفرد، إذ يتشكل فيها الجزء الأكبر من شخصيته، ويكتسب فيها الطفل أنماط سلوكه وقيمه، وتتشكل فيها عاداته واتجاهاته، فالطفل يولد ولديه طاقات كامنة وهائلة للنمو والتطور، ولذلك تعد مرحلة الطفولة مرحلة زاخرة بالإمكانات التي لا حدود لها، والتي يجب استغلالها وتوظيفها، بما يتناسب والخصائص النمائية لهذه المرحلة. ولاحظ الباحث من خلال معايشته للإشراف التربوي مدة عشرة سنوات افتقار بعض معلمات رياض الأطفال إلى بعض المهارات المهمة وضعفاً شديداً في بعض جوانب الأداء التعليمي. كما وأشارت بعض الدراسات والتقارير – كدراسة (المومني، 2008 م)، وتقرير وزارة التربية والتعليم لعام(2008م) إلى القصور في تنمية كفايات معلمات رياض الأطفال التعليمية، وعدم إيلاء معلمات رياض الأطفال الأهمية. كما وأشارت نتيجة دراسة (الضميري، 2008 م) إلى تدني مستوى امتلاك معلمات رياض الأطفال في عمان إلى مهارات استخدام التكنولوجيا داخل الغرفة الصفية، وخلصت نتيجة دراسة (خابور، 2007 م) إلى تدني مستوى امتلاك معلمات

رياض الأطفال في تربية الرمثا للمهارات الاجتماعية، لتبرز من ذلك مشكلة الدراسة الحالية في الوقوف على مدى امتلاك معلمات رياض الأطفال للكفايات الشخصية والتعليمية. وتحددت مشكلة البحث بالأسئلة التالية:

1 - ما الكفايات الشخصية اللازمة لمعلمات رياض الأطفال في مديريات التربية والتعليم في مديريات الكرك والقصر والمزار والأغوار الجنوبية من وجهة نظرهن؟

2 - ما الكفايات التعليمية اللازمة لمعلمات رياض الأطفال في مديريات التربية والتعليم في مديريات الكرك والقصر والمزار والأغوار الجنوبية من وجهة نظرهن؟

3- ما مدى توافر الكفايات الشخصية لدى معلمات رياض الأطفال في مديريات التربية والتعليم في مديريات الكرك والقصر والمزار والأغوار الجنوبية من وجهة نظرهن؟

4- ما مدى توافر الكفايات التعليمية لدى معلمات رياض الأطفال في مديريات التربية والتعليم في الكرك والقصر والمزار والأغوار الجنوبية من وجهة نظرهن ؟

5 – هل توجد فروق دالة بين متوسطات استجابات عينة الدراسة لمدى تمكنهن من الكفايات الشخصية والتعليمية تبعا لاختلاف سنوات الخبرة ؟

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى:

1 – تحديد الكفايات الشخصية والتعليمية لمعلمات رياض الأطفال.

2 - تعرف مدى تمكن معلمات رياض الأطفال من الكفايات الشخصية والتعليمية.

3 – معرفة إذا كان هناك فروقا في درجة توافر الكفايات التعليمية لدى معلمات رياض الأطفال تعزى للخبرة.

4 – تقديم التوصيات المناسبة لموضوع الدراسة في ضوء ما تسفر عنه نتائجها.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في:

- تحديد مواطن القوة والضعف في مستوى الأداء التعليمي لمعلمات رياض الأطفال.
- تحسين وتطوير كفايات معلمات رياض الأطفال التعليمية من خلال وضع البرامج وتحديد الدورات التدريبية المناسبة.
- تحديد المعايير المناسبة من قبل المسؤولين وتطبيقها عند اختيار معلمات رياض الأطفال.

حدود الدراسة: الحدود الزمانية: تم تحديد الفصل الأول للعام الدراسي 2016 م / 2017 م لتطبيق أداة الدراسة.

الحدود المكانية: تم اختيار عينة عشوائية من معلمات رياض الأطفال في مديريات التربية والتعليم في الكرك والقصر والمزار والأغوار الجنوبية.

الحدود الموضوعية، وهي:

- الكفايات التعليمية لمعلمات رياض الأطفال.
- معلمات رياض الأطفال في مديريات التربية والتعليم في الكرك والقصر والمزار والأغوار الجنوبية.
- استثنت الدراسة المعلمات اللاتي يدرسّن على حساب التعليم الإضافي.

مصطلحات الدراسة والإطار النظري:

معلمة رياض الأطفال: هي المعلمة المؤهلة علمياً وتربوياً، والتي تكلف رسمياً من وزارة التربية والتعليم بالعمل في رياض الأطفال لتقديم المعرفة وتعليم الأطفال الصغار الذين تراوح أعمارهم ما بين أربع سنوات إلى ست سنوات.

الكفاية: عرف(Good، 1973، 121) الكفاية بأنها: كل المهارات والمفاهيم والسلوكات التي يحتاجها المعلمون.

وعرفها (الخطيب، 1997، 469) بأنها: عملية سلوكية يقصد بها تغيير الفرد بهدف رفع وتنمية كفايته الإنتاجية.

رياض الأطفال: عرفها (شحاتة،22،1995) بأنها: المؤسسات التربوية الاجتماعية، التي تقبل الأطفال من سن (4-6) سنوات، وتعمل على تحقيق النمو المتكامل، ويبدأ الأطفال فيها تعلم المفاهيم والخبرات التربوية، وذلك لإعدادهم للمرحلة التعليمية الابتدائية.

وعرفتها (بدر، 2002، 32) بأنها مؤسسات تربوية، ترعى الأطفال في المرحلة السنية من (3-4) سنوات حتى السنة السابعة، وتسبق المرحلة الابتدائية أو التعليم الأساسي، وتقدم رعاية منظمة هادفة محددة المعالم، لها فلسفتها وأسسها وأساليبها وطرقها التي تستند على مبادئ ونظريات علمية ينبغي السير على هداها.

الدراسات السابقة:

دراسة **(أبو حرب، 2005)**: وهدفت إلى تحديد الكفايات التدريسية اللازمة لمعلمات مرحلة رياض الأطفال في ضوء تطوير نماذج المنهج للقرن الحادي والعشرين، وهو" المنهج المطور لرياض الأطفال في دول الخليج العربي، منهج ريجيو إميليا لتعليم الطفولة، ومنهج خطوة فخطوة، والمنهج الإبداعي، ومنهج هاي/ سكوب، ومنهج من طفل إلى آخر، ومنهج منتسوري"، وتكونت عينة الدراسة من (48) مديرة ومعلمة من مديرات ومعلمات رياض الأطفال في منطقة مسقط العاصمة العمانية، وقد تم تحليل هذه المناهج واستخراج الكفايات التدريسية التي اتفق عليها واعتبرت ضرورية لمعلمة الأطفال في القرن الحادي والعشرين، باستخدام المنهج الوصفي للوقوف على الكفايات التدريسية اللازمة لمعلمات مرحلة ما قبل المدرسة في ضوء تطورات مناهج الأطفال واختلاف استراتيجيات التدريس، ووضعت في إطار استبانة اشتملت على (85) كفاية موزعة على خمس كفايات رئيسة هي: كفاية التخطيط وتنظيم الأنشطة وتضمنت (18) كفاية فرعية، وكفاية ربط الأفكار والمعلومات واستخدامها في التعليم واشتملت على (16) كفاية فرعية، وكفاية حل المشكلات والعمل مع الآخرين واحتوت (20) كفاية فرعية، وكفاية جمع وتنظيم البيانات وتحليلها وتضمنت (16)كفاية فرعية، وكفاية استخدامها وتضمنت (15)كفاية فرعية، وقد أظهرت نتائج الدراسة: حاجة المعلمات الماسة لجميع الكفايات التدريسية المقترحة، وبينت الدراسة أن تقديرات الكفايات لمعلمات ما قبل المدرسة لا تتأثر بالوظيفة سواء مديرة أم معلمة، وهذا يدل على اتفاق بين العاملين في تعليم ما قبل المدرسة على ضرورة امتلاك معلمات مرحلة ما قبل المدرسة كفايات تدريسية تمكنهن من القيام بأعمالهن على الوجه الأكمل داخل غرفة النشاط، بينما أظهرت النتائج وجود فروق في تقدير الكفايات وفق متغير المؤهل العلمي وفسر الباحث مثل هذه الفروق إلى كون الكفايات التي تحتاجها المعلمات اللواتي يحملن شهادة الدبلوم أو البكالوريوس تختلف عن معلمات الشهادة الثانوية، نظراً لأن المعلمات اللواتي يحملن شهادة الثانوية العامة يعتبرن أن التدريس في مرحلة ما قبل المدرسة لا يتطلب معلمة مؤهلة تأهيلاً عالياً.

وركزت دراسة **(Yalin،1993)** على تحديد أهم الكفايات التقنية التعليمية التي يبنى عليها برامج إعداد المعلمين في كلية التربية في جامعة بنسلفانيا في أمريكيا، حيث طبقت الاستبانة على (220) معلما ومعلمة، وقد تكونت الاستبانة من (49) كفاية كتابية، و(44) كفاية تعليمية، وقد وزعت هذه الكفايات على أربعة مجالات، هي: مبادئ تصميم التعليم، والمواد التعليمية وتقنيات التعليم وإنتاج الوسائل التعليمية، والاتصال مع الجمهور، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن كفايات مبادئ تصميم التعليم وتقنيات الوسائل التعليمية والاتصال مع الجمهور يجب أن يتضمنها برنامج إعداد المعلمين.

أما دراسة **(Selvn،2003)**: فقد هدفت إلى تحديد الكفايات الأدائية الأساسية والتعرف على مدى توافرها لدى معلمات رياض الأطفال في ولاية بنسلفانيا برعاية مؤسسات تأهيل ورعاية الطفولة المبكرة في الولايات المتحدة الأمريكية، تكونت الدراسة من مجموعة من المتخصصين في مجال إعداد وتدريب المعلمين، وتم تطبيق بطاقة الملاحظة على عينة مكونة من (150) معلمة من معلمات رياض الأطفال في الولاية وقياس ما لديهن من كفايات باستخدام المنهج التجريبي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها: تحديد قائمة بالكفايات الأدائية الأساسية اللازمة لمعلمة رياض الأطفال، الضعف في مستوى

توافر الكفايات الأدائية الأساسية لدى معلمات رياض الطفال بالقدر الذي يرضى عنه المتخصصون، لا توجد علاقة بين عدد سنوات الخبرة في العمل برياض الأطفال، وتوافر الكفايات الأدائية الأساسية لدى المعلمات.

في حين هدفت دراسة (**عيسى**، 2006) إلى: تقويم برنامج معلمات الأطفال في وزارة التربية والتعليم في الأردن من وجهة نظر المديرات والمعلمات وذلك من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة، والكشف عما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة(0.05) بين المتوسطات الحسابية في تقويم البرنامج التدريبي لمعلمات الرياض تعزى إلى كل من متغيرات الوظيفة والمؤهل العلمي والخبرة والمحافظة. وتكونت عينة الدراسة من مئتي مديرة ومعلمة؛ تسعون مديرة ومئة وعشر معلمات. وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: جاءت تقديرات المديرات والمعلمات على تقويم البرنامج التدريبي لمعلمات رياض الأطفال في وزارة التربية والتعليم في الأردن بدرجة كبيرة باستثناء بيئة التدريب فإنها جاءت بدرجة متوسطة من وجهة نظر المديرات وبدرجة قليلة من وجهة نظر المعلمات، وهناك فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المؤهل العلمي لصالح حملة البكالوريوس، كما أظهرت الدراسة فروقاً ذات دلالة إحصائية تعزى إلى أثر الوظيفة لصالح المديرات في مجال محتوى البرنامج التدريبي ومجال بيئة التدريب وكما أظهرت فروقاً ذات دلالة إحصائية تعزى إلى أثر الخبرة في مجال اختيار أداء المدرسين وتقويمه لصالح الأكثر خبرة.

وهدفت دراسة (**الضميري،2008**) إلى التعرف لدرجة امتلاك وممارسة معلمات رياض الأطفال لمهارات تكنولوجيا المعلومات والاتصال في رياض الأطفال في عمان واتجاههم نحوها، حيث قامت الباحثة بتطوير وإعداد استبانة كأداة للدراسة، وتكونت عينة الدراسة من(189) معلمة من (50) روضة من رياض الأطفال في مدينة عمان، تم اختيارها عشوائيا، وأشارت النتائج إلى نقص كبير في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (المعدات والبرمجيات) في رياض الأطفال في عمان، وضعف معلمات رياض الأطفال بشكل عام في مجالي امتلاك واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، كما أظهرت تفوق المعلمات اللواتي يحملن درجة البكالوريوس على المعلمات اللواتي يحملن درجة دبلوم كليات المجتمع، وتفوق المعلمات اللواتي لديهن مؤهل في تخصص تربية الطفل على المعلمات اللواتي لديهن تخصصات أخرى في درجة امتلاك مهارات استخدام تكنولوجيا المعلومات.

كما هدفت دراسة (**Austin. 2007**) إلى: رصد التحديات الاجتماعية والثقافية المعاصرة التي تواجه المعلم في مؤسسات ومعاهد إعداد المعلمين في كلية المعلمين بتايبييه (تايوان)، وأوجه القصور في إعداد المعلم في ضوء التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والصناعية باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، وقام الباحث بدراسة مسحية لاستطلاع آراء الموجهين والاختصاصيين في المجال التربوي في كليات ومعاهد المعلمين بلغ عددها (290) موجه واختصاصي تربوي توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها: تحديد أهم الاحتياجات التدريبية على اعتبار أن الاحتياجات التدريبية ما هي إلا مجموعة من الكفايات والمهارات المكونة لها التي تتعلق بتدريب المعلم على الجوانب المهنية المتعلقة بأدائه المهني ضمن غرفة الصف، واقترح برنامجاً ناتجاً عن دراسته لاحتياجاته في ضوء الواقع والتحديات، وقد قسم الباحث الاحتياجات اللازمة للمعلم إلى احتياجات أكاديمية كالحاجة إلى التدرب على اكتساب المعارف المتعلقة بالمواد التعليمية، وحاجات مهنية مثل الحاجة إلى تنفيذ طرائق التعليم المختلفة لاسيما المعتمدة على الاكتشاف والتعلم الذاتي، وحاجات ثقافية كالحاجة إلى الاطلاع على المعارف الثقافية العامة.

وكشفت دراسة(**Afaga.2007**) عن الجوانب السلبية والإيجابية في نظام تقويم كفاءة المعلم في معهد إعداد المعلم التابع لمؤسسة رعاية وتنمية الطفولة السويدية، وقد قام الباحثون بتصميم استبانة لاستطلاع آراء العاملين في الحقل التربوي من معلمين وإداريين وموجهين حول هذا النظام وفق المنهج لوصفي التحليلي، بهدف تعرّف واقع تنفيذه، وقد احتوت الاستبانة على أربعة محاور:(الأهداف، الكفايات التدريسية، سلبيات النظام، الجانب الإداري)، وتكونت عينة الدراسة من (525) من المعلمين والموجهين والإداريين(322) معلماً، و(68)موجهاً، و(133) إدارياً، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج،

أهمها: أن أهم الكفايات الضرورية: إعداد الدرس، والقدرة على إدارة الفصل، وأوصى الباحثون بضرورة مراعاة خصائص المرحلة التدريسية في بناء بطاقة التقويم.

وقدمت دراسة (James & Other2009) تصورا حول كيفية إعداد معلم مرحلة ما قبل المدرسة وفق منحى الكفايات في كندا، وبينت الدراسة أ ن مجالات إعداد معلم ما قبل المدرسة ينبغي أن تنطلق مما يفعله الأطفال في قاعة النشاط، علاوةً على المعايير الفنية الأخرى التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار، وقد حدد المجلس الوطني لمعايير التعليم بالولايات المتحدة الأمريكية الكفايات الرئيسية والفرعية لإعداد معلم ما قبل المدرسة من خلال مساقات عامة وتفصيلية وتطبيقات عملية يدرسها المعلمون خلال مرحلة إعدادهم، وحدد المجلس المعايير التي تبين إعداد معلم الطفولة المبكرة وفق منحى الكفايات الرئيسية والفرعية التالية:

التخطيط وتبني التعليم من أجل الفهم: وهذا يتطلب من المعلمين ما يلي:

- عرض للمحتوى وما يرتبط به من مواد دراسية مثل: اللغة، الرياضيات، العلوم، الدراسات الاجتماعية، الفنون، الصحة والتربية البدنية.
- عرض لخصائص المرحلة العمرية للأطفال، وثقافتهم، وخصائصهم الاجتماعية.
- عرض لربط المحتوى بحاجات الأطفال، القيم التي ينبغي مراعاتها.
- العمل على تحقيق الترابط في التعليم .
- حسن التخطيط لإعداد بيئة تعّلم مناسبة .

تنفيذ التعليم: وهذا يتطلب من المعلمين تسهيل تعليم الأطفال من خلال الفهم لما يلي :

- تنفيذ مشاغل تعليمية تراعي تنوع المتعلمين، واختلاف الأداء فيما بينهم مع اختيار أسلوب.
- تعليم المهام، واستخدام التقانة لتحسين ارتباطات الطفل بالتعّلم، وتنفيذ الدرس في خطوات تسهل التعّلم.
- تقييم فهم الطفل من حيث: كيفية حدوث التعّلم، مراحل الفهم لدى الطفل، ملاحظة الحقائق التي تم تعلمها عن طريق اختبارات مستوى الأداء، تزويد الطفل بالتغذية الراجعة.
- إدارة الدرس وفق تسلسل إجراءاته.
- ملاحظة ما يصدر عن الطفل من سلوك.
- استخدام أساليب ووسائل اتصال متنوعة.

التعليمات: وتهتم بمعرفة معظم الأطفال بانعكاسات التعليم على فهم الطفل وتشتمل على:

- مراقبة ردود فعل الأطفال في أثناء التعّلم.
- مراقبة ردود فعل الأطفال على التعّلم .
- الإجابة عن استفسارات الأطفال بشكل مقنع ومدروس.

تحمل المسؤوليات عن قناعة وجدارة، وتتضمن ما يلي:

- تكوين علاقات عالية المستوى مع الأطفال.
- حسن التعامل مع المعتقدات المختلفة لعائلات الأطفال.
- تقييم نمو الطفل بصورة جيدة.

وهدفت دراسة **(الهولي وجوهر والقلاف، 2009)** إلى تحديد الكفايات الشخصية الأدائية الأساسية اللازمة لمعلمة رياض الأطفال، والتعرف على مدى توافر هذه الكفايات لدى مجموعة من معلمات رياض الأطفال ومعرفة العلاقة بين عدد سنوات خبرتها والمنطقة التعليمية ومتغيرات أخرى على العمل برياض الأطفال وتوافر الكفايات الأدائية الأساسية لديها وقد اعتمد الباحثون على المنهج الوصفي للإجابة عن تساؤلات الدراسة، وتم بناء بطاقة ملاحظة في ضوء مجموعة من الكفايات التي تم التوصل إليها من عدة مصادر وطبقت على معلمات رياض الأطفال لمعرفة مستوى أدائهن في ضوء الكفايات التي احتوتها هذه البطاقة، حيث قام الباحثون بتطبيق أداة الملاحظة على عينة بلغت (66) معلمة، مرتين على كل معلمة وذلك للتأكد من ثبات الكفاية وتحقيقها. وقد تم اختيار العينة عشوائيا، وكان من أهم نتائج الدراسة:

تأكيد أهمية الكفايات الشخصية للعمل مع الأطفال وما يترتب عليه من آثار في تنمية وجدان الطفل الكويتي في رياض الأطفال، وتحديد أهم الكفايات الأدائية اللازمة لمعلمات رياض الأطفال، وهي: كفايات التخطيط، تنفيذ الحلقة التعليمية، كفايات تقويم الأركان التعليمية، كفايات إدارة الفصل والتعامل مع الأطفال، وكفايات القصة، وكفايات الإعداد للأنشطة، كما وأشارت النتائج إلى فروق ذات دلالة احصائية لصالح المعلمات اللواتي يحملن درجة البكالوريوس في ممارسة الكفايات التعليمية.

وبينت دراسة**(خابو، 2009)**مدى امتلاك معلمات رياض الأطفال في مديرية تربية لواء الرمثا للمهارات الاجتماعية من وجهة نظرهن، حيث أعدت الباحثة بطاقة ملاحظة تكونت من (42) فقرة غطت المجالات التالية: المهارات الاجتماعية الأساسية، ومهارات التعبير عن المشاعر وإدارة العواطف، ومهارات إدارة الصراع وحل المشكلات، ومهارات السلوك القيادي وصنع القرار، وطبقت الأداة على جميع أفراد الدراسة البالغ عددهن (99) معلمة من معلمات رياض الأطفال، موزعات على (25) روضة خاصة، و(6) مؤسسات رياض حكومية، و(6) مؤسسات رياض قطاع تطوعي، وكشفت نتائج الدراسة عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة($\alpha \leq 05.0$) في مدى امتلاك معلمات رياض الأطفال للمهارات الاجتماعية، كما أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 05.0$) في مدى امتلاك معلمات رياض الأطفال للمهارات الاجتماعية تعزى للمؤهل العلمي، والخبرة التدريسية، والتفاعل بينهما، وفي ضوء نتائج الدراسة أوصت الباحثة بضرورة التركيز على تقديم دورات تأهيلية وبرامج تدريبية في مجال مهارات التعبير عن المشاعر وإدارة العواطف لمعلمات رياض الأطفال لإكسابهن المهارات الاجتماعية بدرجة عالية، وضرورة اهتمام برامج إعداد معلمات رياض الأطفال بمهارات السلوك القيادي وصنع القرار.

كما وهدفت دراسة **(مراد و شريف،2011م)** إلى تعرف مدى توافر الكفايات التعليمية لمعلمات رياض الأطفال في ضوء إدارة مبادئ الجودة الشاملة، ولتحقيق أهداف البحث صمم الباحثان بطاقة ملاحظة وتم تطبيقها على عينة من معلمات رياض الأطفال في مدينة دمشق بلغت (124) معلمة، تم اختيارها من المجتمع بنسبة 20% باستخدام العينة العشوائية البسيطة، واعتمد الباحثان على المنهج الوصفي التحليلي وتم توزيع البحث إلى قسمين، تضمن القسم الأول مراجعة المراجع العلمية المختلفة ذات الصلة بموضوع البحث، وتضمن القسم الثاني جمع البيانات من خلال تطبيق بطاقة ملاحظة تضمنت الجوانب الرئيسية لمحتوى البحث، وتكونت البطاقة من (49) بندا تقيس محورين أساسيين: الكفايات الشخصية والكفايات التعليمية وبعد الدراسة والتحليل تم التوصل إلى النتائج التالية:

- تتمتع معلمة الروضة بقدر واف من الكفايات الشخصية التي تجعلها قادرة على التعامل مع الأطفال بشكل يرقى بهم إلى المستوى المطلوب وبما يحقق مبادئ إدارة الجودة الشاملة.
- تعاني معلمات الروضة من ضعف في بعض الكفايات التعليمية الخاصة تلك المتعلقة بعملية تقويم الطفل واستخدام الأجهزة والتقنيات التعليمية الحديثة والإلمام بخصائص نمو الأطفال الوجدانية.

- وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين معلمات الروضة في مدى توافر الكفايات التعليمية تبعا لمتغيرات المؤهل العلمي وسنوات الخبرة والدورات التدريبية.

التعليق على الدراسات السابقة: تبين من خلال استعراض الدراسات السابقة(المحلية، والعربية، والأجنبية) ذات الصلة بموضوع الدراسة، أن الكفايات الشخصية والتعليمية لدى معلمات رياض الأطفال قد حظيت باهتمام الباحثين، ورغم الاختلاف في نتائج هذه الدراسات إلا أنها أجمعت على أهمية الكفايات الشخصية والتعليمية في تطوير العملية التعليمية في رياض الأطفال، ورفع كفاءة المعلمة، وتلبية حاجاتها المهنية.

كما وتبين أن أغلب هذه الدراسات قد اتفقت مع هذه الدراسة في المنهج والأداة المستخدمين؛ فقد استخدمت أغلب هذه الدراسات المنهج الوصفي وبطاقة الملاحظة، واتفقت بعض الدراسات السابقة مع هذه الدراسة في سعيها لتحديد الكفايات الشخصية والتعليمية لمعلمات رياض الأطفال، ومدى امتلاكهن لهذه الكفايات؛ مثل دراسة(Selvn. 2003) ودراسة (الهولي، 2009 م) ودراسة (مراد و شريف،2011م) ودراسة (خابور، 2009 م). فدراسة (مراد و شريف،2011م) ودراسة (الهولي، 2009 م) اتفقتا مع هذه الدراسة في تحديد مدى امتلاك معلمات رياض الأطفال للكفايات الشخصية والتعليمية، إلا أن دراسة (مراد و شريف،2011م) قد طبقت في مدينة دمشق، ودراسة (الهولي، 2009 م) طبقت في مدينة الكويت، أما دراسة (الضميري، 2008 م) فقد اقتصر هدفها على تحديد مدى امتلاك معلمات رياض الأطفال في عمان لكفايات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وهدفت دراسة (خابور، 2009 م) إلى تحديد مدى امتلاك معلمات رياض الأطفال في مديرية تربية لواء الرمثا للمهارات الاجتماعية، كما ونلاحظ أن بعض الدراسات السابقة قد سعت إلى تقويم برامج إعداد معلمات رياض الأطفال من خلال تقويم مدى امتلاك معلمات رياض الأطفال للكفايات التعليمية؛ مثل دراسة (Yalin.2003)التي هدفت إلى تحديد أهم الكفايات التقنية التعليمية التي يبنى عليها برامج إعداد المعلمين في كلية التربية، ودراسة (أبو حرب، 2005 م) التي هدفت لتقويم برامج تدريب معلمات رياض الأطفال التي يشرف على تنفيذها وزارة التربية والتعليم في سلطنة عمان.

وأشارت نتائج معظم هذه الدراسات إلى تدني مستوى امتلاك معلمات رياض الأطفال لبعض الكفايات التعليمية، مثل دراسة (خابور،2009 م) ودراسة (مراد و شريف،2011م)، ودراسة (الهولي، 2009 م)، ودراسة (Afaga2007.)، ودراسة (الضميري، 2007 م)، كما وأشارت إلى أهمية البرامج التدريبية لمعلمات رياض الطفال، مثل دراسة (عيسى، 2006 م) ، ودراسة (خابور،2009 م)، ودراسة(James & Other.2009) .

وانفردت الدراسة الحالية بالتركيز على تحديد الكفايات الشخصية والتعليمية لمعلمات رياض الأطفال في مديريات التربية والتعليم في الكرك والقصر والمزار والأغوار الجنوبية، ومعرفة مدى امتلاكهن لهذه الكفايات.

أستفاد الباحث من أغلب الدراسات السابقة في تحديد بعض الكفايات الشخصية والكفايات التعليمية، وبناء أداة الدراسة، وتحديد الأساليب الإحصائية المناسبة.

إجراءات الدراسة:

1- **منهجية البحث:** من أجل تحقيق أهداف الدراسة قام الباحث باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، والذي يعرف بأنه طريقة في البحث " يتناول دراسة أحداث وظواهر وممارسات كائنة، وموجودة ومتاحة للدراسة والقياس كما هي، دون تدخل الباحث في مجرياتها، ويستطيع الباحث أن يتفاعل معها فيصفها ويحللها " (عبيدات وآخرون، ٢٠١١، ص ١٧)

2- **مجتمع الدراسة:**تكون مجتمع الدراسة من جميع معلمات رياض الأطفال في مديريات التربية والتعليم في كل من الكرك والقصر والمزار والأغوار الجنوبية للعام الدراسي 2016م/2017م والبالغ عددهن (166) معلمة، وذلك بعد جمع المعلومات الخاصة بهن من أقسام شؤون الموظفين في مديريات التربية والتعليم.

3- **عينة الدراسة:** أختار الباحث لدراسته عينة بالطريقة العشوائية الطبقية من مجتمع الدراسة، فقد بلغ عدد معلمات رياض الأطفال في مديرية تربية الكرك (58) معلمة، وفي مديرية تربية القصر(40) معلمة، ومديرية تربية المزار(46) معلمة، وتربية الأغوار الجنوبية (22) معلمة، حيث أختار ما نسبته 50% من كل مديرية ؛ أي تكونت عينة الدراسة من (83) معلمة، والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم (1): يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة وفقا لسنوات الخبرة

م	سنوات الخبرة	عدد المعلمات	النسبة المئوية
1	أقل من 5 سنوات	21	%28
2	من 6 – 10 سنوات	29	%39
3	أكثر من 10 سنوات	25	%33
	المجموع	75	%100

4- **أداة الدراسة:**لتحقيق غرض الدراسة والإجابة عن أسئلتها، قام الباحث بتصميم استبانة لقياس الكفايات الشخصية والتعليمية التي تمتلكها عينة الدراسة، بعد أن اطلع الباحث على أدبيات البحث في هذا المجال، وقد تكونت أداة الدراسة بصورتها الأولية من (52) كفاية، وزعت على مجالين للكفايات، هما: الكفايات الشخصية، وخصص لها (20) كفاية، والكفايات التعليمية، وخصص لها (32) كفاية، وقد استخدم مقياس متدرج ثلاثي لتصحيح الاستجابة على الفقرات، حيث أعطيت كل فقرة الاستجابات: (متمكنة بدرجة عالية، متمكنة بدرجة متوسطة، غير متمكنة، الدرجات 3، 2،1 على الترتيب).

4-1 - تحديد الهدف من الأداة: يتمثل الهدف من الأداة في تحديد الكفايات الشخصية والتعليمية لدى عينة الدراسة.

4-2- تحديد مصادر بناء الأداة: أعتمد الباحث في بناء الأداة على عدة مصادر، هي:

- البحوث والدراسات التي أجريت في مجال الكفايات الشخصية والتعليمية لمعلمات رياض الأطفال.
- الأدبيات العربية والأجنبية في مجال الكفايات الشخصية والتعليمية.
- المنهاج الوطني التفاعلي لرياض الأطفال.
- الخطوط العريضة لمنهج رياض الأطفال.

4-3- تحديد الكفايات الشخصية والتعليمية لمعلمات رياض الأطفال: في ضوء ما تقدم تمكن الباحث من جمع عدد من الكفايات الشخصية والتعليمية لمعلمات رياض الأطفال بلغ عددها (52)، وتم تضمينها في بطاقة مبدئية، وصنفت في مجالين: الكفايات الشخصية، وعددها (20) كفاية، والكفايات التعليمية وعددها: (32) كفاية.

4-4- وصف محتوى الأداة: اشتملت الأداة على مقدمة؛ تبين للمحكمين الهدف من الدراسة الحالية، والهدف من تطبيق هذه البطاقة، وطلب إبداء الرأي في الكفايات الشخصية والتعليمية المتضمنة، من حيث مناسبتها للمجال الذي تندرج تحته، ووضوح صياغتها اللغوية، وإضافة خانة إضافية لكل كفاية شخصية أو تعليمية لتدوين ما يرونه مناسبا من ملحوظات أو اقتراحات بالتعديل أو الحذف أو إضافة كفايات لم تذكر.

4-5- صدق الأداة: للاطمئنان إلى صدق الأداة التي تكونت في صورتها الأولية من (20) فقرة للكفايات الشخصية، و(32) فقرة للكفايات التعليمية، تم عرضها على (15) محكماً من أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في تربية الطفولة المبكرة، والإشراف التربوي، وذلك للتأكد من مدى مناسبة اتصال هذه الفقرات بالمجالات من جهة، وسلامة الاستبانة صياغة ولفظاً من جهة أخرى، فقد أبدى المحكمون بعض الملاحظات على أداة الدراسة، وتم الأخذ بملاحظاتهم لتصبح الأداة مكونة في صورتها النهائية من(17) فقرة للكفايات الشخصية، و(30) فقرة للكفايات التعليمية.

4-6- ثبات الأداة: لحساب ثبات الأداة والتحقق من إمكانية تطبيقها وشمولها للمهارات الشخصية والتعليمية، قام الباحث بأخذ عينة استطلاعية بلغ عددها (15) معلمة من خارج عينة الدراسة، تم اختيارها بالطريقة العشوائية من معلمات رياض الأطفال في مديرية تربية الطفيلة المجاورة لمجتمع الدراسة، وملاحظة الكفايات الشخصية والتعليمية لهن وفق مقياس ثلاثي (متمكنة بدرجة عالية، متمكنة بدرجة متوسطة، غير متمكنة)، وعن طريقة أسلوب اتفاق الملاحظين، حيث قام الباحث بمشاركة أحدى المشرفات برصد مستوى تمكن المعلمات من الكفايات الشخصية والتعليمية، وتم تفريغ بيانات الملاحظة، وأخذ المتوسط الحسابي لمجموع الملاحظتين بتطبيق معادلة (كوبر)، لإيجاد معامل الثبات، وقد وجد أن معامل الثبات الكلي للأداة يساوي (97%) للكفايات الشخصية، و(95%) للكفايات التعليمية، وهو معامل ثبات مرتفع ويمكن الوثوق به لأغراض الدراسة.

4 -7 - التقدير الكمي للأداء:تم تحديد طريقة أداء المعلمة، وذلك بتقسيم كل مكون سلوكي إلى ثلاثة مستويات تحدد درجة توافر الكفاية لدى المعلمة ووضع إشارة أمام أحد الدرجات كما يلي: متمكنة بدرجة عالية (3) درجات، متمكنة بدرجة متوسطة (درجتان)، غير متمكنة (درجة واحدة).

5- **إجراءات تطبيق الدراسة:** تم تطبيق هذه الدراسة خلال الفصل الأول من العام الدراسي 2016م / 2017 م، واستغرق التطبيق شهرين؛ (شهر تشرين أول وتشرين ثاني2017 م)، فبعد أن تم الحصول على الموافقات الرسمية من مديريات التربية التعليم، زار الباحث المدارس عينة الدراسة، وتم شرح هدف الدراسة لمديرات المدارس. وقد سمحت للباحث بالاجتماع مع المعلمات عينة الدراسة وتوضيح هدف الدراسة لهن، وكيفية الإجابة عن فقرات الاستبانة مؤكدين لهن سرية المعلومات التي سيتم الحصول عليها منهن. وقد تم اختيار معلمة واحدة وبشكل عشوائي من كل مدرسة في حالة وجود أكثر من معلمة فيها للاستجابة إلى الاستبانة أداة الدراسة، ثم تم توزيع (83) استبانة على المعلمات، وبعد أسبوع من تاريخ توزيع الاستبانة جمعت الاستبانات، إذ تم إدخال (75) استبانة لغايات التحليل، حيث بلغت نسبة استرجاع الاستبانات (90%).

6- الأسلوب الإحصائي المستخدم: تم استخدام التكرارات والنسب المئوية للإجابة عن السؤالين الأول والثاني، واستخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للإجابة عن السؤالين الثالث والرابع ،واستخدام تحليل التباين الأحادي لاختبار ما إذا كان هناك فروقا بين أفراد العينة حسب متغير(سنوات الخبرة) وذلك بهدف الإجابة عن السؤال الخامس.

7- عرض النتائج وتفسيرها:

أولا: نتائج الإجابة عن السؤال الأول:للإجابة عن السؤال الأول ونصه: ما الكفايات الشخصية اللازمة لمعلمة رياض الأطفال في مديريات التربية والتعليم في كل من الكرك والقصر والمزار والأغوار الجنوبية من وجهة نظرهن؟ قام الباحث بحساب النسب المئوية لآراء محكمي أداة الدراسة، حيث أجمعت آراؤهم على: (17) كفاية شخصية، والجدول رقم (2) يوضح التكرارات والنسب المئوية لآراء المحكمين حول الكفايات الشخصية.

جدول رقم (2)

التكرارات والنسب المئوية لآراء المحكمين حول الكفايات الشخصية لمعلمات رياض الأطفال

الرقم	الكفاية	التكرارات	النسبة المئوية	الترتيب
1	تتمتع بصحة جيدة.	14	%93	1
2	تتمتع بنبرة صوت واضحة ونطق سليم للحروف.	14	%93	1
4	تتواصل بفاعلية مع الاطفال.	14	%93	1
5	تبعث جو من الطمأنينة والمرح والمتعة في بيئة التعلم.	14	%93	1
8	تتصف بخلق يؤهلها لأن تكون مثلا يحتذى به.	14	%93	1
11	تتعامل مع مشكلات الأطفال بشكل جيد	14	%93	1
13	تحترم اخلاقيات المهنة.	14	%93	1
15	تحافظ على الهدوء أثناء انعقاد الحلقة.	14	%93	1

17	تتصف بالروح المرحة مع الأطفال.	14	%93	1
3	تتميز ببشاشة الوجه.	13	%87	10
6	تعبر بالقول والفعل عن مشاعر الود تجاه الاطفال.	13	%87	10
7	تتمتع بالاتزان الانفعالي.	13	%87	10
9	تتقبل النقد الهادف لتطوير أدائها.	13	%87	10
10	تحترم مبادرات الأطفال ومشاركتهم.	13	%87	10
14	تبدي حماستها في أدائها للحلقة.	13	%87	10
12	تتقبل الدور المنوط لها برضا واجتهاد ودافعية للإنجاز.	12	%80	16
16	تدرك الأسس الاجتماعية والنفسية لمنهج الروضة.	12	%80	16
18	على دراية بحاجات الأطفال في مرحلة الرياض.	11	%73	18
19	القدرة على التشخيص والعلاج للمشكلات التربوية لدى الأطفال.	10	%67	19
20	تمتاز بصوت واضح ومرن يستطيع تمثيل المواقف المختلفة.	10	%67	19

من خلال الجدول رقم (2) يتضح أن الكفايات الشخصية لمعلمات رياض الأطفال قد حققت نسب متفاوتة ،إلا أن معظمها بقي أعلى من المحك الذي وضعه الباحث، وهو (80%)، وجاءت ثلاث كفايات تحت هذا المحك وتم استبعادها من الأداة، وهذه الكفايات هي: على دراية بحاجات الأطفال في مرحلة رياض الأطفال، القدرة على التشخيص والعلاج للمشكلات التربوية لدى الأطفال، تمتاز بصوت واضح ومرن يستطيع تمثيل المواقف المختلفة، كما وتمت التعديلات التي أقترحها المحكمون، وبذلك توصلت الدراسة إلى تحديد الكفايات الشخصية اللازمة لمعلمات رياض الأطفال، والتي بلغ عددها (17) كفاية، وتم رصدها في الأداة التي استخدمها الباحث، وتم ترتيبها على النحو الآتي: تتمتع المعلمة بصحة جيدة، وتتمتع بنبرة صوت واضحة ونطق سليم للحروف، تتواصل بفاعلية مع الاطفال، تبعث جو من الطمأنينة والمرح والمتعة في بيئة التعلم، تتصف بخلق يؤهلها لأن تكون مثلا يحتذى به، تتعامل مع مشكلات الأطفال بشكل جيد، تحترم اخلاقيات المهنة، تحافظ على الهدوء أثناء انعقاد الحلقة، تتصف بالروح المرحة مع الأطفال، تتميز ببشاشة الوجه، تعبر بالقول والفعل عن مشاعر الود تجاه الاطفال، تتمتع بالاتزان الانفعالي، تتقبل النقد الهادف لتطوير أدائها، تحترم مبادرات الأطفال ومشاركتهم، تتقبل الدور المنوط لها برضا واجتهاد ودافعية للإنجاز، تبدي حماستها في أدائها للحلقة، تتقبل الدور المنوط لها برضا واجتهاد ودافعية للإنجاز، تدرك الأسس الاجتماعية والنفسية لمنهج الروضة.

ثانيا: نتائج الإجابة عن السؤال الثاني:للإجابة عن السؤال الثاني ونصه: ما الكفايات التعليمية اللازمة لمعلمة رياض الأطفال في مديريات التربية والتعليم في كل من الكرك والقصر والمزار والأغوار الجنوبية من وجهة نظرهن؟ قام الباحث بحساب النسب المئوية لآراء محكمي أداة الدراسة، حيث أجمعت آراؤهم على:(30) كفاية، والجدول رقم (3) يوضح التكرارات والنسب المئوية لآراء المحكمين حول الكفايات التعليمية.

جدول رقم3))التكرارات والنسب المئوية لآراء المحكمين حول الكفايات التعليمية لمعلمات رياض الأطفال

الرقم	الكفاية	التكرارات	النسب المئوية	الترتيب
1	تستخدم نشاطاً استهلالياً يثير دافعية الأطفال للتعلم.	14	93%	1
5	تشجع الأطفال على المناقشة والحوار.	14	%93	1
6	تراعي الفروق الفردية بين الأطفال.	14	%93	1
12	تتيح الفرصة لمشاركة جميع الأطفال في الحلقة.	14	%93	1
20	تجهز الأركان التعليمية بصورة شائقة تثير الأطفال للعمل والتعلم.	14	%93	1
21	تتمكن من توظيف التكنولوجيا في تعليم طفل الروضة.	14	%93	1
23	تحدد أهداف النشاط.	14	%93	1
25	تواكب ما يستجد من معلومات في مجال تخصصها.	14	%93	1
28	تتمكن من تنفيذ استراتيجيات التعليم الحديثة.	14	%93	1
30	تعد سجل التحضير اليومي.	14	%93	1
2	تربط الأنشطة والمعينات بالأهداف السلوكية.	13	87%	11

4	تنوع في أساليب التعزيز (معنوي ومادي).	13	87%	11
7	تربط موضوع الحلقة بحياة الأطفال في البيئة الخارجية.	13	%87	11
10	تستخدم مسابقات تتناسب وموضوع النشاط.	13	%87	11
11	تستخدم لغة عربية مبسطة وسليمة.	13	%87	11
13	تقدم النشاط بخطوات متسلسلة ومنظمة منطقياً.	13	%87	11
19	تحدد عدد الأطفال في كل ركن.	13	%87	11
22	تختبر صلاحية المعينات والوسائل قبل الاستخدام.	13	%87	11
24	الالتزام بتنمية الاتجاهات الإيجابية نحو الوطن.	13	%87	11
26	تعلم قاموس الطفل اللغوي واللغة التي يفهمها لتستخدمها في الانشطة	13	%87	11
15	تصمم وسائل تعليمية متنوعة مثل الألعاب والمسابقات التي تتناسب وموضوع النشاط	13	%87	11
17	القدرة على سرد القصة وربطها بالعملية التعليمية.	13	%87	11
16	تحدد المعينات التعليمية الملائمة لموضوع النشاط.	13	%87	11
8	تستفيد من نتائج التقويم في توجيه عمليتي التعلم والتعليم	12	%80	24
14	تستخدم أساليب تقويم متنوعة تتناسب وطبيعة النشاط.	12	%80	24
3	تربط الهدف الخاص بالهدف العام.	12	80%	24
31	تشجع الأطفال على ممارسة التفكير العلمي في حل المشكلة.	12	%80	24
18	تستخدم معينات وأنشطة تسمح باكتشاف مواهب الأطفال وإبداعاتهم.	12	80%	24
29	تتبع أساليب التقويم المستمرة.	12	%80	24
27	تستخدم أدوات مناسبة (ملاحظة/ مقابلة/مقاييس) في تحديد السمات الشخصية للأطفال.	12	%80	24
9	تشرك الأطفال في تقويم تعلمهم	11	%73	31
32	تسمح للأطفال بقراءة القصص والمجلات	11	%73	31

من خلال استعراض الجدول رقم (3) نلاحظ أن النسب المئوية لآراء المحكمين حول الكفايات التعليمية لمعلمات رياض الأطفال قد تراوحت ما بين (73% - 93%)؛ حيث جاءت النسب المئوية لكفايتي: تشرك الأطفال في تقويم تعلمهم، و تسمح للأطفال بقراءة القصص والمجلات تحت المحك الذي وضعه الباحث وهو (80%)، فقد بلغت النسبة المئوية لكل منهما (73%) ؛ لذلك تم استبعادهما من بطاقة الملاحظة، بالإضافة لإجراء بعض التعديلات التي أوصى بتعديلها المحكمون في صياغة بعض الفقرات، وبذلك توصلت الدراسة لتحديد الكفايات اللازمة لمعلمات رياض الأطفال والتي بلغ عددها (30) كفاية تعليمية، وتم رصدها في بطاقة الملاحظة التي استخدمها الباحث، وجاء ترتيبها كالتالي: تستخدم نشاطاً استهلالياً يثير دافعية الأطفال للتعلم، تشجع الأطفال على المناقشة والحوار، تراعي الفروق الفردية بين الأطفال، تتيح الفرصة لمشاركة جميع الأطفال في الحلقة، تجهز الأركان التعليمية بصورة شائقة تثير الأطفال للعمل والتعلم، تتمكن من توظيف التكنولوجيا في تعليم طفل الروضة، تحدد أهداف النشاط، تواكب ما يستجد من معلومات في مجال تخصصها، تتمكن من تنفيذ استراتيجيات التعليم الحديثة، تعد سجل التحضير اليومي، تربط الأنشطة والمعينات بالأهداف السلوكية، تنوع في أساليب التعزيز (معنوي ومادي)، تربط موضوع الحلقة بحياة الأطفال في البيئة الخارجية، تستخدم مسابقات تتناسب وموضوع النشاط، تستخدم لغة عربية مبسطة وسليمة، تقدم النشاط بخطوات متسلسلة ومنظمة منطقياً، تحدد عدد الأطفال في كل ركن، تختبر صلاحية المعينات والوسائل قبل الاستخدام، الالتزام بتنمية الاتجاهات الإيجابية نحو الوطن، تعلم قاموس الطفل اللغوي واللغة التي يفهمها لتستخدمها في انشطة الطفل، تصمم وسائل تعليمية متنوعة مثل الألعاب والمسابقات التي تتناسب وموضوع النشاط، القدرة على سرد القصة وربطها بالعملية التعليمية، تحدد المعينات التعليمية الملائمة لموضوع النشاط، تستفيد من نتائج التقويم في توجيه عمليتي التعلم والتعليم، تستخدم أساليب تقويم متنوعة تتناسب وطبيعة النشاط، تربط الهدف الخاص بالهدف العام، تشجع الأطفال على ممارسة التفكير العلمي في حل المشكلة، تستخدم معينات وأنشطة تسمح باكتشاف مواهب الأطفال وإبداعاتهم، تتبع أساليب التقويم المستمرة، تستخدم أدوات مناسبة (ملاحظة/ مقابلة/مقاييس) في تحديد السمات الشخصية للأطفال.

ثالثا: نتائج الإجابة عن السؤال الثالث: للإجابة عن السؤال الثالث ونصه: ما مدى توافر الكفايات الشخصية لدى عينة من معلمات رياض الأطفال في مديريات التربية والتعليم في كل من الكرك والقصر والمزار والأغوار الجنوبية من وجهة نظرهن؟ طبق الباحث أداة الدراسة على عينة عشوائية من معلمات رياض الأطفال وعددهن (75) معلمة، وتم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات لكل كفاية، ثم رتبت من الأعلى تمكنا إلى الأقل تمكنا وفقا لقيمة المتوسط الحسابي لها، والجدول (4) يوضح ذلك.

جدول رقم 4))المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمدى تمكن معلمات رياض الأطفال من الكفايات الشخصية

رقم المفردة	الكفاية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى التمكن	الرتبة
5	تبعث جو من الطمأنينة والمرح والمتعة في بيئة التعلم.	2.76	0.566	عالي	1
14	تبدي حماستها في أدائها للحلقة.	2.76	0.564	عالي	2
1	تتمتع بصحة جيدة.	2.71	0.587	عالي	3
10	تحترم مبادرات الأطفال ومشاركاتهم.	2.66	0.602	عالي	4
15	تحافظ على الهدوء أثناء انعقاد حلقة النشاط.	2.46	0.533	عالي	5
17	تتصف بالروح المرحة مع الأطفال.	2.60	0.618	عالي	6
4	تتواصل بفاعلية مع الاطفال.	2.58	0.621	عالي	7
6	تعبر بالقول والفعل عن مشاعر الود تجاه الاطفال.	2.53	0.588	عالي	8
7	تتمتع بالاتزان الانفعالي	2.51	0.626	عالي	9
11	تحترم اخلاقيات المهنة.	2.48	0.661	عالي	10
13	تتميز ببشاشة الوجه.	2.47	0.694	عالي	11
3	تتصف بخلق يؤهلها لأن تكون مثلا يحتذى به.	2.45	0.815	عالي	12
8	تتقبل النقد الهادف لتطوير أدائها.	2.44	0.810	عالي	13
9	تتمتع بنبرة صوت واضحة ونطق سليم للحروف	2.40	0.636	عالي	14
2	تتقبل الدور المنوط لها برضا واجتهاد ودافعية للإنجاز.	2.38	0.518	عالي	15
12	تدرك الأسس الاجتماعية والنفسية لمنهج الروضة.	2.35	0.503	عالي	16
16	تتعامل مع مشكلات الأطفال بشكل جيد .	2.33	0.539	متوسطة	17

من خلال الجدول رقم (4) يتبين أن معلمات رياض الأطفال يمتلكن كفايات شخصية عالية، حيث إن قيم معظم متوسطات الكفايات السابقة مرتفعة بفارق معنوي، وجاء ترتيبها تنازليا كالتالي: تبعث جو من الطمأنينة والمرح والمتعة في بيئة التعلم، تبدي حماستها في أدائها للحلقة، تتمتع بصحة جيدة، تحترم مبادرات الأطفال ومشاركاتهم، تحافظ على الهدوء أثناء انعقاد الحلقة، تتصف بالروح المرحة مع الأطفال، تتواصل بفاعلية مع الاطفال، تعبر بالقول والفعل عن مشاعر الود تجاه الاطفال، تتمتع بالاتزان الانفعالي، تحترم اخلاقيات المهنة، تتميز ببشاشة الوجه، تتصف بخلق يؤهلها لأن تكون مثلاً يحتذى به، تتقبل النقد الهادف لتطوير أدائها، تتمتع بنبرة صوت واضحة ونطق سليم للحروف، تتقبل الدور المنوط لها برضا واجتهاد ودافعية للإنجاز، تدرك الأسس الاجتماعية والنفسية لمنهج الروضة، تتعامل مع مشكلات الأطفال بشكل جيد، وجاءت كفاية:(تبعث جو من الطمأنينة والمرح والمتعة في بيئة التعلم) في الترتيب الأول، وهذ يدل على إدراك معلمة رياض الأطفال لأهمية هذه المرحلة في حياة الطفل؛ فقد يحتاج الطفل لجو من الطمأنينة والمرح حتى لا يشعر بالانتقال المفاجئ من البيت إلى المدرسة، و تترك له الحرية التامة في ممارسة نشاطاته، واكتشاف قدراته وميوله وإمكاناته، وكفاية: (تتعامل مع مشكلات الأطفال بشكل جيد) جاءت في أدنى مستوى ؛ مما يدل على جهل المعلمة ببعض مشكلات الطفال وكيفية التعامل معها، فقد تحيل المعلمة أغلب المشكلات لإدارة المدرسة للتعامل معها وحلها، وبشكل عام تشير النتيجة إلى أن معلمات الروضة يمتلكن كفايات شخصية تمكنهن من التعامل مع الأطفال بشكل جيد.

رابعا: نتائج الإجابة عن السؤال الرابع:للإجابة عن السؤال الرابع ونصه: ما مدى توافر الكفايات التعليمية لدى عينة من معلمات رياض الأطفال في مديريات التربية والتعليم في كل من الكرك والقصر والمزار والأغوار الجنوبية من وجهة نظرهن؟ طبق الباحث أداة الدراسة على عينة عشوائية من معلمات رياض الأطفال وعددهن (75) معلمة، وتم حساب المتوسطات

الحسابية والانحرافات لكل كفاية، ثم رتبت من الأعلى تمكنا إلى الأقل تمكنا وفقا لقيمة المتوسط الحسابي لها، والجدول (5) يوضح ذلك.

جدول رقم 5)): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمدى تمكن معلمات رياض الأطفال من الكفايات التعليمية

رقم المفردة	الكفاية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى التمكن	الرتبة
30	تعد سجل التحضير اليومي.	2.74	0.589	عالية	1
7	تربط موضوع الحلقة بحياة الأطفال في البيئة الخارجية.	2.33	0.674	عالية	2
4	تنوع في أساليب التعزيز (معنوي ومادي).	2.68	0.607	عالية	3
11	تستخدم لغة عربية مبسطة وسليمة.	2.65	0.611	عالية	4
10	تستخدم مسابقات تتناسب وموضوع الحلقة.	2.63	0.580	عالية	5
19	تحدد عدد الأطفال في كل ركن.	2.59	0.571	عالية	6
6	تراعي الفروق الفردية بين الأطفال.	2.57	0.680	عالية	7
1	تستخدم نشاطاً استهلالياً يثير دافعية الأطفال للتعلم.	2.51	0.645	عالية	8
12	تتيح الفرصة لمشاركة جميع الأطفال في الحلقة.	2.48	0.630	عالية	9
5	تشجع الأطفال على المناقشة والحوار.	2.44	0.681	عالية	10
20	تجهز الأركان التعليمية بصورة شائقة تثير الأطفال للعمل والتعلم.	2.41	0.688	عالية	11
17	القدرة على سرد القصة وربطها بالعملية التعليمية.	2.38	0.680	عالية	12
23	تحدد أهداف النشاط.	2.36	0.684	عالية	13
24	الالتزام بتنمية الاتجاهات الإيجابية نحو الوطن.	2.33	0.679	متوسطة	14
13	تقدم الحلقة بخطوات متسلسلة ومنظمة منطقياً.	2.31	0.848	متوسطة	15
26	تعلم قاموس الطفل اللغوي واللغة التي يفهمها لتستخدمها في انشطة الطفل	2.29	0.757	متوسطة	16
14	تستخدم أساليب تقويم متنوعة تتناسب وطبيعة الحلقة.	2.29	0.787	متوسطة	17
29	تتبع أساليب التقويم المستمرة.	2.18	0.576	متوسطة	18
15	تصمم وسائل تعليمية متنوعة مثل الألعاب والمسابقات التي تتناسب وموضوع الحلقة.	2.18	0.747	متوسطة	19
16	تحدد المعينات التعليمية الملائمة لموضوع الحلقة.	2.18	0.860	متوسطة	20
28	تتمكن من تنفيذ استراتيجيات التعليم الحديثة.	2.13	0.661	متوسطة	21
27	تستخدم أدوات مناسبة (ملاحظة/ مقابلة/مقاييس) في تحديد السمات الشخصية للأطفال.	2.09	0.668	متوسطة	22
22	تختبر صلاحية المعينات والوسائل قبل الاستخدام.	2.07	0.618	متوسطة	23
18	تستخدم معينات وأنشطة تسمح باكتشاف مواهب الأطفال وإبداعاتهم	1.96	0.720	متوسطة	24
3	تربط الهدف الخاص بالهدف العام .	1.89	0.412	متوسطة	25
25	تواكب ما يستجد من معلومات في مجال تخصصها.	1.72	0.811	متوسطة	26
2	تربط الأنشطة والمعينات بالأهداف السلوكية.	1.57	0.782	منخفضة	27
8	تستفيد من نتائج التقويم في توجيه عمليتي التعلم والتعليم.	1.51	0.751	منخفضة	28
9	تشجع الأطفال على ممارسة التفكير العلمي في حل المشكلة.	1.42	0.723	منخفضة	29
21	تتمكن من توظيف تكنولوجيا في تعليم طفل الروضة.	1.22	0.477	منخفضة	30

نلاحظ من خلال الجدول رقم (5) أن متوسطات امتلاك أفراد العينة للكفايات التعليمية قد تراوحت ما بين (2.74 – 1.22) وفق مقياس التدرج الذي وضعه الباحث، حيث تبين أن هناك (12) كفاية قد حصلت على متوسطات تدل على تمكن أفـراد العينة منها بدرجة عالية، إذ تراوحت متوسطاتها ما بين (2.74 – 2.36)، وأن (14) كفاية قد حصلت على متوسطات تدل على أن أفراد العينة يمتلكن هذه الكفايات بدرجة متوسطة، و(4) متوسطات تدل على تمكن أفراد العينة من كفاياتها بدرجة منخفضة؛ حيث جاءت الكفاية رقم (30) وهي تعد سجل التحضير اليومي بأعلى ترتيب من بين هذه الكفايات بمتوسط حسابي (2.74) وانحراف معياري (0.589)؛ وهذا يدل على أن درجة تمكن أفراد العينة من هذه الكفاية بدرجة عالية؛ ويعزي الباحث مدى تمكن أفراد العينة من هذه الكفاية بهذه الدرجة لمتابعة إدارات المدارس والمشرفين التربويين لمجتمع الدراسة، واللقاءات الفردية والجماعية التي يعقدها المشرفون التربويون المختصون بهذه المرحلة مع

معلمات رياض الأطفال، ومساعدتهن في كيفية التحضير اليومي للفعاليات التعليمية، وهذا ما أتفق مع دراسة (Afaga.2007)؛ حيث أثبتت نتائجها أن أهم الكفايات الضرورية لمعلمات رياض الأطفال هي: الإعداد والتحضير للدرس، ودراسة(James & Other. 2009) والتي ركزت نتائجها على أهمية التخطيط الجيد للدروس، بينما الكفاية رقم (21) وهي الإلمام بمهارات توظيف تكنولوجيا في تعليم طفل الروضة جاءت بأدنى ترتيب، وبمتوسط حسابي (1.22) وانحراف معياري (0.477) ؛ أي دون مستوى التمكن من هذه الكفاية من قبل أفراد العينة، ويرجع الباحث هذا التدني في هذه الكفاية لدى أفراد العينة لضعف معلمات رياض الأطفال في استخدام التكنولوجيا داخل الغرق الصفية، وقلة التدريب على استخدامها، قبل الخدمة، وأثناء الخدمة، وهذا ما أتفق مع دراسة (الضميري، 2007 م)؛ حيث أشارت نتائجها إلى نقص كبير في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (المعدات والبرمجيات) في رياض الأطفال في مدينة عمان، وضعف معلمات رياض الأطفال بشكل عام في مجالي امتلاك واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ودراسة (مراد والشريف،2011 م)، حيث أشارت نتائجها إلى ضعف معلمات الروضة في بعض الكفايات التعليمية الخاصة تلك المتعلقة بعملية تقويم الطفل واستخدام الأجهزة والتقنيات التعليمية الحديثة.

خامسا: الإجابة عن السؤال الخامس: للإجابة عن السؤال الخامس ونصه: ما مدى توافر الكفايات الشخصية والتعليمية لدى عينة من معلمات رياض الأطفال في مديريات التربية والتعليم في كل من الكرك والقصر والمزار والأغوار الجنوبية تبعا لاختلاف سنوات الخبرة؟ تم استخدام تحلي التباين الأحادي (On-Way ANOVA) لمعرفة أثر سنوات الخبرة في درجة تمكن المعلمات من الكفايات الشخصية والتعليمية، والجدول رقم (6) يوضح ذلك.

جدول رقم (6)

تحليل التباين الأحادي لاختبار الفروق بين متوسطات درجات أفراد العينة في التمكن من الكفايات الشخصية والتعليمية تبعا لمتغير سنوات الخبرة (أقل من 5، من 6 – 10، أكثر من 10 سنوات) حيث (ن = 75)

المتغيرات	مصادر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
الكفايات الشخصية	بين المجموعات	236.121	2	120.124	0.878	0.417 غير دال
	داخل المجموعات	10281.012	72	136.412		
	المجموع	10517.142	74			
الكفايات التعليمية	بين المجموعات	1968.023	2	1000.989	2.88	0.071 غير دال
	داخل المجموعات	25815.985	72	343.896		
	المجموع	27784.008	74			
مجموع الكفايات	بين المجموعات	3521.101	2	1792.858	2.13	0.133 غير دال
	داخل المجموعات	63087.214	72	840.996		
	المجموع	666608.315	74			

من خلال استعراض الجدول رقم (6) نجد أن قيمة (ف) لجميع الكفايات بلغ (2.13)، ومستوى الدلالة(0.133)، وهذا يشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجة تمكن أفراد العينة من الكفايات الشخصية والتعليمية يعزى لسنوات الخبرة، ونلاحظ أن توافر الكفايات الشخصية لدى أفراد العينة لا تختلف باختلاف عدد سنوات الخبرة؛ حيث قيمة (ف) بلغت (0.878) وبمستوى دلالة(0.417)، وهذا غير دال إحصائيا مما يعني أن الكفايات الشخصية لدى معلمة رياض الأطفال لا تتغير باختلاف سنوات الخبرة، ونلاحظ أيضا أن قيمة (ف) لمدى امتلاك أفراد العينة للكفايات التعليمية قد بلغ (2.88) وبمستوى دلالة (0.071) وهذ أيضا غير دال إحصائيا؛ أي أن أداء أفراد العينة لا يختلف باختلاف سنوات الخبرة، ويعزي الباحث سبب ذلك إلى ان المعلمات اللواتي خبرتهن قليلة قد خضعن لدورات تدريبية مكثفة عند دخولها إلى مهنة التعليم مما يساعد على اكتسابها للكفايات اللازمة وزوال الفروق بينها وبين ممن

خبراتهن طويلة، وهو ما يسمى بالتنمية المهنية للمعلمين الجدد، ومدة هذه الدورة اسبوعان، أما اكتساب المعلمة للكفايات التعليمية خلال خبرتها التعليمية لا يحصل إلا بدرجة قليلة، حيث تكرر المعلمة نفس الممارسات التعليمية على مدار الأعوام التدريسية، إضافة إلى أن الجامعات الأردنية قد أعدت الطلبة إعداد مسلكيا واكاديميا جيدا, واتفقت نتيجة هذه الدراسة مع نتائج دراسة (Selvn ،2003) التي أشارت نتيجتها إلى عدم وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى تمكن معلمة الروضة من الكفايات التعليمية يعزى لمتغير الخبرة.

نتائج الدراسة: وبذلك تكون الدراسة قد توصلت إلى النتائج التالية:

1- تحديد الكفايات الشخصية اللازمة لمعلمات رياض الأطفال في مجتمع الدراسة.

2- تحديد الكفايات التعليمية اللازمة لمعلمات رياض الأطفال في مجتمع الدراسة.

3- تتمتع معلمة رياض الأطفال في مجتمع الدراسة بكفايات شخصية عالية.

4- تعاني معلمة رياض الطفال في مجتمع الدراسة ضعفا في بعض الكفايات التعليمية.

5- لا يوجد فروق دالة احصائيا لمدى تمكن معلمة رياض الأطفال في مجتمع الدراسة يعزى لمستوى الخبرة.

التوصيات: في ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة الحالية يوصي الباحث يما يلي:

1- عقد الدورات التدريبية لمعلمات رياض الأطفال في كيفية استخدام التكنولوجيا وتوظيفها داخل الغرفة الصفية.

2- عقد دورات تدريبية لمعلمات رياض الطفال في أساليب معاملة الأطفال وتوجيه سلوكاتهم من خلال الأمثلة والتدريبات التطبيقية التربوية.

3- ضرورة تكثيف عمليات الإشراف على معلمات رياض الأطفال وتزويدهن بكل جديد في مجال التخصص.

4- استخدام أسلوب تبادل الزيارات وحضور الدروس النموذجية باستمرار لأهمية ذلك في طبيعة التعلم المكتسب.

5- الإفادة من قائمة الكفايات التي تضمنتها البطاقة كمعايير للأداء المطلوب من قبل معلمات رياض الأطفال.

المراجع:

أبو حرب، يحي (2005). ***الكفايات التدريسية اللازمة لمعلمات مرحلة ما قبل المدرسة في ضوء تطوير نماذج المنهج للقرن الحادي والعشرين***، في مؤتمر الأطفال والشباب في مدن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، دبي، الإمارات العربية المتحدة.

ابو الفتوح، رضوان،(1975). ***المعلم قيادة فكرية***، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة.

أبو الهيجاء، فؤاد (2001),***أساسيات التدريس ومهاراته وطرقه العامة***، ط 1، دار المناهج، الأردن.

احميدة، فتحي، جميعان، إبراهيم، الخوالدة، مصطفى،(2011). ***دور المشرف التربوي في تحسين أداء معلمات رياض الأطفال في تنمية مهارات الأطفال اللغوية من وجهة نظر معلمات رياض الأطفال في الأردن***، مجلة جامعة دمشق، المجلد (27)، العدد 1+2.

بدر، سهام محمد ،(2002)، ***اتجاهات الفكر التربوي في مجال الطفولة***، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية.

خابو، رشا سامي اسماعيل(2009). ***مدى امتلاك معلمات رياض الأطفال في مديرية تربية لواء الرمثا للمهارات الاجتماعية من وجهة نظرهن***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، كلية العلوم التربوية.

الخطيب، أحمد، الخطيب، رواح،(1997)، ***الحقائب التدريسية***، ط1، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان.

الخطيب، رناد يوسف(1985)، ***تقويم فاعلية مديرات ومعلمات رياض الأطفال في الأردن***، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية التربية، عمان.

شحاتة، حسن **(1995)**. **أساسيات التدريس الفعال في العالم العربي**، القاهرة، الدار القومية اللبنانية.

الضميري، ميساء محمود(2008). ***درجة امتلاك و ممارسة معلمي تربية الطفل لمهارات تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات في رياض الأطفال في عمان و اتجاهاتهم نحوها***، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم التربوية، الجامعة الأردنية،2008.

عبيدات، ذوقان وآخرون (2011). ***البحث العلمي مفهومة وأدواته وأساليبه***. ط ١٣،عمان، دار الفكر.

عيسى، محمد مقبل(2006)، ***تقويم برنامج تدريب معلمات رياض الأطفال في وزارة التربية والتعليم في الأردن من وجهة نظر المديرات والمعلمات***، مجلة كلية التربية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، السنة العشرون، العدد22.

قريطم، أحمد (1992)، ***الأسس العامة للتدريب***، القاهرة، دار المعرفة.

الكرش، محمد (1990)، ***بعض الكفايات التعليمية المتطلبة لمعلمات رياض الأطفال***، المؤتمر العلمي الثاني للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، "إعداد المعلم التراكمات والتحديات".

ماهر، محمد داوود(1996)، ***بناء برنامج لأعضاء هيئة التدريس الجامعي في ضوء أدائهم***، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، جامعة بغداد.

مراد، سمير، شريف، مها يوسف(2011)، ***مدى توافر الكفايات التعليمية لمعلمات رياض الأطفال في ضوء مبادئ إدارة الجودة الشاملة***، دراسة ميدانية في مدينة دمشق، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد(33)، العدد(4)، 2011 م.

مرتضى، سلوى، ابو النور، حسناء،(2005)، ***مدخل إلى رياض الأطفال***، منشورات جامعة دمشق، دمشق.

مرعي، توفيق(2007)، ***الكفايات التعليمية في ضوء نظرية النظم***، ط 1، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

مرسي، فؤاد (1997 م)، ***فاعلية برنامج مقترح لتنمية مهارات الأسئلة الشفوية وتوجيهها والتصرف بشأن إجابات التلاميذ عنها لدى الطلاب المعلمين***، مجلة رسالة الخليج العربي.

المومني، عبداللطيف(2008)، ***مشكلات رياض الأطفال في محافظة إربد من وجهة نظر المعلمات العاملات فيها***، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد (9)، العدد(4).

المومني، ماجد أحمد (1993 م)، ***دور المعلم في العملية التربوية***، مجلة التربية القطرية، العدد (106).

النادي، جاد(1987)، ***الكفايات الأدائية الأساسية ومدى توافرها في معلمات رياض الأطفال***، دراسات الطفولة، القاهرة.

الهولي، عبير عبدالله، جوهر، سلوى باقر، القلاف، نبيل (2009)، ***الكفايات الشخصية والأدائية لمعلمات رياض الأطفال في ضوء الأسلوب المطور***، كلية التربية الأساسية، جامعة الكويت.

وزارة التربية والتعليم(2008)، ***أساليب التنمية المهنية***، قسم الإشراف والتدريب والتأهيل التربوي، التقرير السنوي

المراجع الأجنبية:

Afaga (2007); ***An Evaluation to guide Implementation of Beginning Teacher Technology Competency.***

Austin, (2007); ***Standards for teacher competence in Light of Recently Challengers.***

Good ,C.V. Editor , (1973) ***Dictionary of Education ,***MC Grow – Hill Book Company ,Third diction ,P.121

James & Other(2009), ***Developing Teacher Skills In Light Of Educational Competency.***

Selvn, 2003, ***Basic Performance competency and Measure if Teachers Doing it in Kindergarten.***

Yalin ، S (1993) ***The Competency of teaching program at Penn school of educational teacher studies Journal.*** **No 8 pp79-86.**

(ملحق)

استبانة رصد مدى تمكن معلمات رياض الأطفال من الكفايات الشخصية والتعليمية.

الزميلة الفاضلة معلمة رياض الأطفال المحترمة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

يقوم الباحث بإجراء دراسة تجريبية بعنوان: مدى تمكن معلمات رياض الأطفال في مديريات التربية والتعليم في كل من الكرك والقصر والمزار الجنوبي والأغوار الجنوبية من الكفايات الشخصية والتعليمية من وجهة نظرهن، ولأن المعلمة هي حجر الأساس في العملية التعليمية، وهي الموجهة للأطفال، والمرشدة لهم، والمخططة لتعليمهم، ولأن أي خطة تدريبية لا تلبي حاجات المعلمة ومتطلباتها الشخصية والتعليمية الميدانية مصيرها الفشل، أتوجه إليكم باستبانة الكفايات الشخصية والتعليمية لمعلمة رياض الأطفال، والتي تتضمن مجموعة من الكفايات الشخصية والتعليمية اللازمة لمعلمة رياض الأطفال أثناء ممارسة أدوارها التربوية، أملا أن تبدى الرأي بقدرتك على القيام في كل كفاية منها ؛ هل هي عالية أم متوسطة أم غير متمكنة، من خلال وضع إشارة (x) في المكان الموافق لرأيك.

الخبرة التدريسية:

أقل من 5 سنوات	من 5-10سنوات	أكثر من 10 سنوات

وشكرا لتعاونكم

الباحث: د. خالد عودة العمايدة

مجال الكفاية	الرقم	الكفاية	متمكنة بدرجة عالية	متمكنة بدرجة متوسطة	غير متمكنة
الكفايات الشخصية	1	تتمتع بصحة جيدة.			
	2	تتمتع بنبرة صوت واضحة ونطق سليم للحروف			
	3	تتميز ببشاشة الوجه.			
	4	تتواصل بفاعلية مع الاطفال.			
	5	تبعث جو من الطمأنينة والمرح والمتعة في بيئة التعلم.			
	6	تعبر بالقول والفعل عن مشاعر الود تجاه الاطفال.			
	7	تتمتع بالاتزان الانفعالي.			
	8	تتصف بخلق يؤهلها لأن تكون مثلا يحتذى به.			
	9	تتقبل النقد الهادف لتطوير أدائها.			
	10	تحترم مبادرات الأطفال ومشاركتهم.			
	11	تتعامل مع مشكلات الأطفال بشكل جيد			
	12	تتقبل الدور المنوط لها برضا واجتهاد ودافعية للإنجاز.			
	13	تحترم اخلاقيات المهنة.			
	14	تبدي حماستها في أدائها للحلقة.			
	15	تحافظ على الهدوء أثناء انعقاد الحلقة.			
	16	تدرك الأسس الاجتماعية والنفسية لمنهج الروضة			
	17	تتصف بالروح المرحة مع الأطفال.			
الكفايات التعليمية	18	تستخدم نشاطاً استهلالياً يثير دافعية الأطفال للتعلم.			
	19	تربط الأنشطة والمعينات بالأهداف السلوكية.			
	20	تربط الهدف الخاص بالهدف العام.			
	21	تنوع في أساليب التعزيز (معنوي ومادي).			
	22	تشجع الأطفال على المناقشة والحوار.			
	23	تراعي الفروق الفردية بين الأطفال.			
	24	تربط موضوع الحلقة بحياة الأطفال في البيئة الخارجية.			

	25	تستفيد من نتائج التقويم في توجيه عمليتي التعلم والتعليم			
	26	تشرك الأطفال في تقويم تعلمهم			
	27	تستخدم مسابقات تتناسب وموضوع النشاط.			
	28	تستخدم لغة عربية مبسطة وسليمة.			
	29	تتيح الفرصة لمشاركة جميع الأطفال في الحلقة.			
	30	تقدم النشاط بخطوات متسلسلة ومنظمة منطقياً.			
	31	تستخدم أساليب تقويم متنوعة تتناسب وطبيعة النشاط.			
	32	تصمم وسائل تعليمية متنوعة مثل الألعاب والمسابقات التي تتناسب وموضوع النشاط .			
	33	تحدد المعينات التعليمية الملائمة لموضوع النشاط.			
	34	القدرة على سرد القصة وربطها بالعملية التعليمية.			
	35	تستخدم معينات وأنشطة تسمح باكتشاف مواهب الأطفال وإبداعاتهم.			
	36	تحدد عدد الأطفال في كل ركن.			
	37	تجهز الأركان التعليمية بصورة شائقة تثير الأطفال للعمل.			
	38	تتمكن من توظيف التكنولوجيا في تعليم طفل الروضة.			
	39	تختبر صلاحية المعينات والوسائل قبل الاستخدام.			
	40	تحدد أهداف النشاط.			
	41	الالتزام بتنمية الاتجاهات الإيجابية نحو الوطن.			
	42	تواكب ما يستجد من معلومات في مجال تخصصها.			
	43	تعلم قاموس الطفل اللغوي واللغة التي يفهمها لتستخدمها في انشطة الطفل.			
	44	تستخدم أدوات مناسبة (ملاحظة/ مقابلة/مقاييس) في تحديد السمات الشخصية للأطفال.			
	45	تتمكن من تنفيذ استراتيجيات التعليم الحديثة.			
	46	تتبع أساليب التقويم المستمرة.			
	47	تعد سجل التحضير اليومي.			

الأداء التفاضلي لفقرات اختبار الذكاء غير اللفظي (TONI-4) وفقا لجنس الطالب و دخل الأسرة والمستوى التعليمي للأم

د. جهاد محمد العناتي
-الجامعة الأردنية

الملخص: هدفت الدراسة إلى الكشف عن الأداء التفاضلي لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لمتغيرات جنس الطالب ودخل الأسرة والمستوى التعليمي للأم، ولتحقيق هدف الدراسة تم تطبيق اختبار (TONI-4) على عينة حجمها(414) طالبا وطالبة من طلبة الصف السابع الأساسي في العام الدراسي 2015/ 2016م، وتم تصحيح استجابات الطلبة واستقصاء الأداء التفاضلي للفقرات بطريق مانتل هانزل. وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود أداء تفاضلي لصالح الذكور في فقرتين هما(40 ، 44)، ووجود أداء تفاضلي لصالح الأسر ذات الدخل (450 دينار فما فوق) في الفقرتين (44 ، 47)، ووجود أداء تفاضلي في الفقرات (17، 37، 47، 56، 58) وفقا لمتغير المستوى التعليمي للأم، وكان الأداء التفاضلي في أربعة منها لصالح المستوى التعليمي بكالوريوس فأكثر.

الكلمات الدالة: الأداء التفاضلي للفقرة(DIF) ، اختبار توني (TONI-4) ، طريقة مانتل هانزل(MH)، الذكاء غير اللفظي

Abstract:This study aimed to reveal the differential Item functioning for (TONI-4) Test in Accordance to: Gender, Family income, and Mother Educational. To achieve the objectives of the study (TONI-4) Test was applied on Random sample (414) students from the seventh grade classes in the academic year 2015/2016. The responses were corrected and Differential Item Functioning was investigated by Mantel-Haenszel method (MH) in SPSS. The results showed: Gender Related DIF In favor of males in items (40,44), Family income Related DIF In favor of high-income in items (44,47),and Mother Educational Related DIF in items (17,37,47,56,58) four of them In favor of high level education.

Key words: Differential Item Functioning (DIF), (TONI-4) Test, Mantel-Haenszel method (MH), Non-verbal IQ

المقدمة: يعد تحقيق العدالة بين المفحوصين في الاختبارات والمقاييس من القضايا المحورية في القياس والتقييم، وهي أساس لشعور أفراد المجتمع بالإنصاف، لأنها تساهم في وضع الفرد المناسب في المكان المناسب لقدراته. ولقد انصب اهتمام مطوري الاختبارات حتى منصف القرن العشرين على التحقق من خاصيتي الصدق والثبات للاختبارات والمقاييس، إلا أن هناك خاصية إضافية لقيت اهتماماً واسعاً من قبل المختصين في القياس بعد ذلك وهي الأداء التفاضلي للفقرات.

ويذكر روفر (Roever, 2005) أن بدايات الاهتمام بالأداء التفاضلي لفقرات اختبارات الذكاء كان في مطلع القرن العشرين، عندما وجد بينيه (Binet) صدفة أن متوسط درجات أبناء الطبقة الاقتصادية العليا على بعض فقرات اختبار الذكاء أعلى من متوسط درجات أبناء الطبقة الاقتصادية الدنيا، فقام بمراجعة محتوى تلك الفقرات وتوصل إلى أن بعضها تأثر بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي للطلبة المفحوصين(متحيز للطبقة العليا)، فحذف الفقرات المتحيزة من الاختبار، وأصدر نسخة جديدة معدلة.

وتضع الجمعية الأمريكية للبحث التربوي معيار خلو فقرات الاختبارات من الأداء التفاضلي ضمن قواعد النشر للاختبارات، وتؤكد على أنه إذا استخدمت الاختبارات في اتخاذ القرارات، فلابد من الحصول على أدلة تجريبية واضحة وملزمة تدعم الفرضية بأن فقرات الاختبار لا تعكس أداء تفاضلياً عبر المجموعات الهامة من المختبرين(البرصان،2013).

ويعد موضوع الأداء التفاضلي للفقرة قضية من قضايا البحث الرئيسة في القياس والتقويم، وتركزت جهود الباحثين فيه على تطوير طرق للكشف عن الأداء التفاضلي للفقرات، وضبط إجراءات إعداد الاختبارات الجديدة بحيث تكشف عن الفقرات ذات الأداء التفاضلي، ومراجعة الاختبارات التي سبق بناءها والكشف عن الأداء التفاضلي لفقراتها. وتأتي هذه

الدراسة ضمن جهود الكشف عن الأداء لاختبار يستخدم بشكل كبير من قبل العاملين في علم النفس والتربية الخاصة وهو اختبار توني(TONI) للذكاء غير اللفظي، وتهدف الى الكشف عن الأداء التفاضلي لفقرات الصورة الرابعة منه (TONI-4).

الإطار النظري

الأداء التفاضلي (Differential Item Function): يشير مصطلح الأداء التفاضلي للفقرة الى وجود احتمالات مختلفة للإجابة عن الفقرة إجابة صحيحة بين المجموعات المختلفة عندما يكون المفحوصين من نفس مستوى القدرة، كما يمكن الاستدلال على أداء الفقرة التفاضلي عندما لا تكون للفقرة نفس العلاقة مع القدرة في اثنتين أو أكثر من المجموعات الفرعية (2012 ،نتكو ، و بروكهارت).

ويعرف هامبلتون وسوامنثان(Hambleton& Swaminthan, 1991) أداء الفقرة التفاضلي(DIF) ووفقا لنظرية استجابة الفقرة (IRT) بأنه الفرق في احتمالات الاستجابة الصحيحة للفقرة في المجموعات الفرعية المتساوية في القدرة. وأشار جبسون (Gibson , 1998)إلى أن أداء الفقرة التفاضلي يوجد عندما تكون الفقرة أكثر صعوبة أو تمييزا أو يمكن تخمينها بسهولة أكثر في أحد المجموعات الفرعية. وبشكل عام هناك أسباب عديدة لظهور أداء تفاضلي في الفقرة أو الاختبار منها الاختلاف في فهم معاني الفقرات لدى مجموعات المفحوصين المختلفة أو اختلاف العمليات العقلية المستخدمة في الاستجابة عن الفقرة أو الاختلاف في سلم الاستجابات، وقد تكون هنالك مشاكل في ترجمة أو تفسير النتائج أو بالإجراءات المتبعة في جمع البيانات، لذا من الضروري اللجوء إلى طرائق البحث النوعي كالمجموعات المركزة أو المقابلات من أجل تقييم أسباب وجود أداء الفقرة التفاضلي(Morales, 2004).

تحيز الفقرة (Item Bias): يشير تحيز الفقرة إلى وجود خطأ منتظم في القياس، فتحيز الفقرة يعنى أن احتمال الإجابة الصحيحة على الفقرة لدى مفحوصين من مجموعة معينة أقل من مجموعة أخرى بسبب خصائص معينة في هذه الفقرة أو الموقف الاختباري. وتؤكد قواعد نشر الاختبارات على أنه يجب على مطوري الاختبارات أن يعرضوا الأدلة المتعلقة بملاءمة الاختبار للمجموعات ذات الخلفيات العرقية أو اللغوية المختلفة. (ظاظا، 2006).

تأثير الفقرة (Item Impact): ويقصد به اختلاف احتمال الإجابة عن الفقرة إجابة صحيحة من أفراد من مجموعات مختلفة بسبب وجود فروق حقيقية في القدرة المقاسة بهذه الفقرة، فقد تظهر الفقرة أداء تفاضلي ولكنها لا تعد متحيزة إذا كانت هذه الفروق ناتجة عن فروق حقيقية في القدرة بين المجموعتين، لذا فإن دراسة أداء الفقرة التفاضلي تتطلب التحقق من تساوي توزيع القدرة لدى المفحوصين، قبل أن يحدد احتمال المجموعتين في الإجابة عن الفقرة إجابة صحيحة.(Roever, 2005)

وخلاصة القول فأن وجود أداء تفاضلي للفقرة (DIF) يعد شرطا ضروريا ولكنه غير كاف للحكم على تحيز الفقرة، فعدم وجود أداء تفاضلي يعني أن الفقرة لن تكون متحيزة، أما في حالة وجوده فإن ذلك يتطلب تحليل إضافي للتحقق من تحيز الفقرة، ويأخذ تحيز الفقرات عدة أشكال أبرزها: التحيز الجنسي و الثقافي و العرقي و الديني وقد يكون مصدره المحتوى أو اللغة التي قد تكون قد لا تكون مألوفة لدى بعض المجموعات الفرعية. (Conoley, 2003)

طرق الكشف عن الأداء التفاضلي:هناك عدة تصنيفات لطرائق الكشف عن الأداء التفاضلي للفقرات منها التصنيف وفق نظرية القياس التي تستند إليها (طرائق النظرية الكلاسيكية(CTT)، وطرائق نظرية القياس الحديثة(IRT) ، ولأغراض هذه الدراسة تم الاقتصار على استخدام طريقة مانتل- هانزل(MH) لوجود مزايا عديدة لها، فهي من أكثر طرائق الكشف عن أداء الفقرة التفاضلي (DIF) استخداما نظرا لدقتها في الكشف عن الاداء التفاضلي، ولصغر حجم عينة المفحوصين التي تحتاجها مقارنة بالطرائق الأخرى، ولسهولة إجراءاتها، كما أنها توفر اختبارا إحصائيا لمستوى الدلالة وتقديرا لحجم الأثر(Effect Size) (اللبدي، 2008).

لقد طورت طريقة مانتل- هانزل من قبل هولند وثاير (Holland & Thayer,1988)، ويتم فيها مقارنة أداء المفحوصين على الفقرة بين مجموعتين فرعيتين هما: المجموعة المرجعية والمجموعة المستهدفة. ويستخدم الاحصائي مربع كاي($MH\chi^2$) في فحص فرضية استقلالية الإجابة الصحيحة عن نوع المجموعة (مرجعية، مستهدفة). كما يمكن تقدير حجم الأثر اعتمادا على (αMH) Constant Odds Ratio .

واقترح هولاند وتاير (Holland & Thayer, 1988) تحويلا لوجريتميا لـ (αMH) بهدف الحصول على مقياس متماثل، حيث تدل القيمة صفر على عدم وجود أداء تفاضلي، وتدل القيم السالبة على أفضلية للمجموعة المرجعية، وتشير القيمة الموجبة إلى أفضلية للمجموعة المستهدفة. ويتم التعبير عن هذا التحويل من خلال الصيغة التالية :

$$\Delta\alpha(HM) = -2.35\ln(\alpha(HM))$$

وبناء على هذا التحويل وضع زوك وإركان (Zwick & Ercikan, 1988) التفسير التالي من اجل تقييم حجم الأثر لـ (DIF) :

النوع A من الفقرات – الفقرات ذات DIF المهمل : $|1| > \Delta\alpha(HM)$.

النوع B من الفقرات – الفقرات ذات DIF المتوسط : $|1.5| \geq \Delta\alpha(HM) \geq |1|$.

النوع c من الفقرات – الفقرات ذات DIF الكبير : $|1.5| < \Delta\alpha(HM)$.

ولقد أشارا إلى أن الفقرات من النوع B يمكن استخدامها إذا كانت لا توجد فقرات أخرى يمكن استبدالها بها، وأن الفقرات من النوع C يمكن اختيارها في الحالة التي تكون فيها ضرورية من اجل تحقيق خصائص معينة للاختبار (Hidalgo & López-Pina, 2004; Bert & Stoneberg, 2004)

اختبار توني (TONI) للذكاء: هو اختبار ذكاء غير لفظي (متحرر من عامل اللغة) من إعداد براون وشربينو وجونسون(Brown, Sherbenou, & Johnsen,1982)، ويقيس القدرة العقلية العامة للأشخاص ضمن الفئة العمرية من (6-89) سنة، ويطبق فرديا أو في مجموعات (5-10) أفراد وصدر له (4) إصدارات في الأعوام 1982، 1990، 1996، 2010م، ويبين الجدول (1) مقارنة بين الإصدارات الأربعة في أوجه متعددة ومنها الكشف عن الأداء التفاضلي للفقرات في البيئة العربية(السنيني،2015).

جدول1. مقارنة بين الإصدارات الأربعة من اختبار توني للذكاء غير اللفظي(TONI)

الإصدار	وجه المقارنة				
	الفئة العمرية	عدد الفقرات	عينة التقنين	الأداء التفاضلي	نوع التعليمات
TONI-1	5-85	50	1929	لم يبحث	إيماءات
TONI-2	5-85	55	2764	لم يبحث	إيماءات
TONI-3	6-89	45	3451	لم يبحث	إيماءات
TONI-4	6- 90	60	2272	لم يبحث	إيماءات + لفظي

وتحظى الاصدارات الأربعة من اختبار (TONI) بأهمية كبيرة لدى الباحثين في العلوم التربوية والطبية، نظرا لتعدد استعمالاتها مع العاديين وغير العاديين ممن لديهم اضطرابات في النطق والصم، والأميين والمهاجرين الجدد الذين لا يتقنون اللغة الأم، ويغطي الاختبار مدى واسع من الفئات العمرية للأطفال والشباب والمسنين ويمتد من ست سنوات إلى أقل من تسعين عاما.

الدراسات السابقة: أجريت دراسات عديدة على اختبار توني بإصداراته الأربعة منذ أن طور للبيئة الأمريكية عام 1982، وحسب اطلاع الباحث فان معظم هذه الدراسات هدفت إلى التحقق من خصائصها السيكومترية أوتقنينها لبيئات متعددة ومنها البيئة العربية(الأردن، السعودية، سوريا، الكويت، وسلطنة عمان)، ونظرا لندرة الدراسات التي اهتمت بالأداء التفاضلي لاختبار(TONI-4) فسيتم التطرق الى مجموعة من الدراسات الأقرب الى موضوع الدراسة.

قامت أبو هلال (1995) بدراسة هدفت إلى التحقق من فعالية مقياس توني للذكاء غير اللفظي (TONI-1) في تقدير القدرات العقلية لفئات خاصة من الصم والمتخلفين عقليا وذوي صعوبات النطق في الأردن، وتكونت عينة الدراسة من (600) طفل وطفلة ضمن الفئة العمرية (6-14) سنة يمثلون أربع فئات هي: الصم، والمتخلفين عقليا، وذوي صعوبات النطق، والعاديين، وبينت نتائج تحليل التباين أدلة على صدق المقياس في قياس القدرات العقلية للفئات المستهدفة ، فقد تحسن الأداء مع العمر، وكان متوسط أداء العاديين أفضل من متوسط أداء الفئات الثلاث الأخرى، ولم تكن الفروق دالة لمتغير جنس الطالب مما يشير الى عدم وجود أداء تفاضلي للاختبار ككل تبعا لمتغير الجنس. وأظهرت النتائج أن ثبات الاختبار بطريقة كنباخ ألفا (0.90)، وبطريقة التجزئة النصفية بعد تعديلها بطريقة سبيرمان براون(0.92).

وقام باستنجيولو، كسجلو، كاتسرو، ألفريدو((Bostanjopoulou, Kiosseoglou, Katsarou & Alevriadou,2001 بدراسة هدفت إلى التحقق من الصدق التلازمي لاختبار (TONI-2) مع اختبار المصفوفات المتتابعة الملون لرافن(RCPM) لدى مرضى اضطرابات النظام الحركي(متلازمة باركنسون) أو الشلل الرعاشي(Parkinson) في اليونان، وتكونت عينة الدراسة من مجموعتين الأولى شملت(47) فردا عاديا، والثانية شملت(75) فردا من مرضى الشلل الرعاشي، وأظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة(0.05) بين متوسطي درجات العاديين على الاختبارين، وكذلك عدم وجود فروق دالة إحصائيا عند نفس مستوى الدلالة بين متوسطي درجات مرضى الشلل الرعاشي على الاختبارين، وتبعا للمتغيرات: العمر ، سنوات التعلم، والجنس، مما يشير إلى صدق اختبار (TONI-2) وعدم وجود أداء تفاضلي للاختبار ككل تبعا لمتغير الجنس. وكشفت نتائج الدراسة عن وجود ارتباط دال إحصائيا عند مستوى الدلالة(0.05) بين درجات العاديين على الاختبارين، وكذلك وجود ارتباط دال إحصائيا عند نفس مستوى الدلالة بين درجات مرضى الشلل الرعاشي على الاختبارين مما يؤكد الصدق التلازمي لاختبار (TONI-2) مع مرضى الشلل الرعاشي. وأوصت الدراسة باستخدامه لمرضى الشلل الرعاشي الذين لا تلائمهم اختبارات الذكاء التي تتطلب منهم التقيد بحدود الوقت لكل مهمة أو تلك التي تتطلب مهارة في الأداء.

وأجرى كونتر وياردبكان (Konter&Yurdabakan,2010) دراسة هدفت إلى التحقق من صدق وثبات مقياس (TONI-2) في تقدير القدرات العقلية للاعبي كرة القدم في تركيا، وتكونت عينة الدراسة من (618) لاعبا ولاعبة لكرة القدم ضمن الفئة العمرية (10-30) سنة يمثلون أربع فئات هي: 10-12، 13-17، 18-20، فوق 20، وأظهرت النتائج أن متوسط صعوبة الفقرات تراوح بين 0.30 و 0.32، وتراوحت قيم معاملات التمييز بين 0.17 و 0.74، و تراوحت قيم ثبات الاتساق الداخلي باستخدام معادلة كودرريتشاردسون20 (KR_{20}) بين 0.72 و0.75، وبينت نتائج تحليل التباين أدلة على صدق المقياس في قياس القدرات العقلية للفئات العمرية المستهدفة فقد تحسن الأداء مع العمر، ولم تكن الفروق دالة لمتغيرات جنس اللاعب، والمستوى الدراسي له، وموقعه في الملعب، وصفته أساسي أم احتياط مما يشير الى عدم وجود أداء تفاضلي للاختبار ككل تبعا للمتغيرات السابقة.

وقام البستنجي (2005) بدراسة هدفت إلى التعرف على الخصائص السيكومترية لاختبار (TONI-3) في البيئة الأردنية وللفئة العمرية (11-17) سنة، فاختار عينة تكونت من (1114) طالب وطالبة موزعين على مدارس الأقاليم الثلاثة(الشمال، الوسط ، الجنوب)، وأظهرت النتائج أن قيمة الثبات باستخدام معادلة كرنباخ ألفا(0.93)، وقيمة الثبات بطريقة الصور المتكافئة (0.96)، وتم استخراج مؤشرات الصدق المحكي مستخدما اختبار المصفوفات المتتابعة الملون لرافن(RCPM)، والتحصيل، فكانت معاملات الارتباط على التوالي(0.68)،(0.72)، وكشفت نتائج تحليل التباين عن وجود فروق ذات دلالة عند مستوى الدلالة (0.05) مع تقدم العمر ، وهذا من الأدلة على صدق المقياس في قياس القدرات العقلية للفئات العمرية المستهدفة.

وقام إدريس (2009) بدراسة هدفت إلى تقنين صورة سعودية من اختبار (TONI-3) وللذكور فقط من الفئة العمرية(9-16)سنة، وتكونت عينة التقنين من (525) طالب من محافظة صبيا في السعودية تم اختيارهم بطريقة عشوائية متعددة المراحل، وأظهرت النتائج تمتع الاختبار بمؤشرات ثبات عالية حيث كانت قيمة كرنباخ ألفا (0.94)، وأظهرت النتائج دلالات جيدة عن الصدق المحكي التلازمي مع كل من اختبار وكسلر لذكاء الأطفال (WISC III) ، واختبار المصفوفات المتتابعة الملون لرافن(RCPM)، حيث كانت قيمة الارتباط (0.59)، (0.78) ودالة إحصائيا عند مستوى الدلالة(0.05)، وأظهرت النتائج صدق البناء ممثلا بمحك تمايز الأداء مع العمر حيث تحسن الأداء على الاختبار مع تقدم العمر.

وفي دراسة هدفت إلى التحقق من الصدق المحكي وصدق البناء لاختبار (TONI-3) في تقدير القدرات العقلية لطلاب المرحلة الابتدائية في تايلند، قام بها سرويثونج، تشولكدبا، وكواسنت (Sroythong,Chulakdabba,Kowasint,2009)، وتكونت عينتها من(380) طالبا، أظهرت النتائج أن قيمة معامل الارتباط بين درجات الطلاب على اختبار (TONI-3) واختبار رافن (0.49)، وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة(0.05)، وكشفت النتائج أيضا تحسن الأداء مع تقدم العمر وبفارق ذو دلالة احصائية مما يؤكد صدق البناء للمقياس في قياس القدرات العقلية للفئات العمرية المستهدفة. وكشفت نتائج تحليل التباين أيضا عن عدم وجود فروق ذات دلالة عند مستوى الدلالة (0.05) تبعا لمتغير الجنس مما يشير إلى عدم وجود أداء تفاضلي لفقرات اختبار (TONI-3) تبعا لمتغير جنس الطالب.

وقام عبدي (2013) بدراسة هدفت إلى التعرف على الخصائص السيكومترية لاختبار (TONI-3) لدى العاديين والصم في الجمهورية العربية السورية، وتكونت عينة الدراسة من (1361) طفل وطفلة ضمن الفئة العمرية (7-12) سنة في محافظ دمشق، وبينت نتائج تحليل التباين أدلة على صدق البناء للمقياس في قياس القدرات العقلية للفئات المستهدفة، حيث تحسن الأداء على المقياس مع العمر، وكان متوسط أداء العاديين أفضل من متوسط أداء الصم، وأظهرت النتائج دلالات الصدق التلازمي مع المحكات الآتية: اختبار مصفوفة رافن، اختبار القدرات المعرفية غير اللفظي(CogAT)، التحصيل الأكاديمي، وكانت قيمها على الترتيب للعاديين (0.89)،(0.66)،(0.78)،(0.79)، وكانت قيمها للصم(0.85)، (0.53)، (0.78)، (0.64) وهي جميعها قيم جيدة، وأظهرت النتائج أن المقياس يتميز بثبات اتساق داخلي مقبولة وفق طريقة كودر ريتشاردسون، وكانت قيمة معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية للعاديين بعد تعديلها بطريقة سبيرمان براون(0.76)وللصم (0.66). وكانت قيمة الثبات بطريقة الصور المتكافئة (0.96).

وقامت السنيني (2015) بدراسة هدفت إلى تقنين صورة أردنية من اختبار (TONI-4) وللفئة العمرية(6-17) سنة، وتكونت عينة التقنين من (672) طالبا وطالبة تم اختيارهم من المدارس الأردنية بالطريقة العشوائية العنقودية، وأظهرت النتائج أن معاملات التمييز للفقرات كانت ضمن الفئة(0.40، 0.79)، ومعاملات الصعوبة في الفئة(0.38 ، 0.61)، وأظهرت النتائج تمتع الاختبار بمؤشرات ثبات عالية حيث كانت قيم كرنباخ ألفا ضمن الفئة(0.81 ، 0.93)، وتراوحت قيم الخطأ المعياري في القياس بين (1.5-2.1)، وأما ثبات الصور المتكافئة فكانت قيمته(0.87)، وأظهرت النتائج دلالات جيدة للصدق المحكي التلازمي للاختبار ومصفوفة رافن (0.83)، بين اختبار (TONI-4) واختبار الذكاء غير اللفظي الشامل(CTONI) (0.67)، وأظهرت النتائج صدق البناء ممثلا بمحك تمايز الأداء مع العمر حيث تحسن الأداء على الاختبار مع تقدم العمر. وأظهرت نتائج التحليل العاملي عاملا واحد فسر ما نسبته(0.33) من التباين الكلي، وقدمت الدراسة قوائم معايير لتفسير أداء المفحوصين على الاختبار ضمن الفئات العمرية المستهدفة.

وقامت الشمري، والجاسم، والنبهان (،2015) بدراسة هدفت إلى التحقق من الخصائص السيكومترية لاختبار(TONI-4) لدى طالبات المرحلة المتوسطة من الفئة العمرية(12-15) في السعودية، واشتقاق معايير لتفسير أداء المفحوصات ضمن الفئة العمرية المستهدفة، وتكونت عينة التقنين من (659) طالبة من الإناث تم اختيارهم من مدارس منطقتي الدمام والخبر بالطريقة العشوائية، وأظهرت النتائج أن الفقرات تتمتع بخصائص جيدة من حيث معاملات الصعوبة والتمييز،

وتمتع الاختبار بمؤشرات ثبات جيدة، وأظهرت النتائج صدق البناء ممثلا بمحك تمايز الأداء مع العمر حيث تحسن الأداء على الاختبار مع تقدم العمر. وممثلا بمحك التحليل العاملي الذي أفرز عاملا واحد، وقدمت الدراسة قوائم معايير لتفسير أداء المفحوصين على الاختبار وضمن الفئات العمرية المستهدفة.

وقامت عبد الله (2015) بدراسة هدفت إلى تقنين صورة سورية من اختبار (TONI-4)، وتكونت عينة التقنين من (916) طالبا وطالبة من طلبة الحلقة الأولى في التعليم الأساسي من مدارس محافظة اللاذقية، وأظهرت النتائج اقتراب توزيع درجات العينة من التوزيع الطبيعي مما يعطي دليلا على أن العينة تعطي تمثيلا صادقا للمجتمع الأمر الذي يؤدي إلى إمكانية تعميم نتائجها عليه، وأشارت قيم معالم الفقرات(الصعوبة ،التمييز ، فاعلية البدائل) إلى أن الفقرات مناسبة للغرض الذي صمم الاختبار من أجله، وأظهرت النتائج تمتع الاختبار بمؤشرات ثبات جيدة حيث كان ثبات الإعادة (0.82)، و ثبات الصور المتكافئة (0.76)، وثبات الاتساق الداخلي (0.94)، أظهرت النتائج دلالات جيدة للصدق التلازمي مع اختبار CogAT (0.94)، ومع اختبار ذكاء الأطفال(0.79)، وأظهرت النتائج صدق البناء ممثلا بمحك تمايز الأداء مع العمر حيث تحسن الأداء على الاختبار مع تقدم العمر، وأظهرت نتائج تحليل اليباين وجود فروق دالة إحصائيا تبعا لمتغيري العمر والجنس عند مستوى الدلالة (0.05)، وقدمت الدراسة قوائم معايير لتفسير أداء المفحوصين على الاختبار وضمن الفئات العمرية المستهدفة والجنس.

التعقيب على الدراسات السابقة

نلاحظ أن الدراسات السابقة أولت اهتماما كبيرا لاختبار توني (TONI) بإصداراته الأربعة نظرا لتعدد استخداماته، إلا أنها ركزت على تقنين الاختبار في بيئات مختلفة ولم تستهدف أي منها دراسة الأداء التفاضلي لفقرات الاختبار حسب اطلاع الباحث، لكن بعض الدراسات التي اهتمت بدراسة علاقة الذكاء مع الجنس أظهرت نتائجها عدم وجود فروق معنوية في الذكاء تعزى لجنس الطالب (على مستوى الاختبار ككل وليس للفقرات)، وشاع فيها استخدام طريقة تحليل التباين رغم أنها ليست من الطرق الأكثر ملاءمة للكشف عن الأداء التفاضلي. كما يلاحظ من مراجعة الدراسات السابقة عدم وجود أي دراسة تناولت الأداء التفاضلي لفقرات اختبار توني للذكاء وفقا لمتغيري الدخل والمستوى التعليمي رغم أن هذه المتغيرات مثلت بدايات البحث في الأداء التفاضلي لاختبارات الذكاء، ولسد الفجوة في الدراسات السابقة، واستجابة لقواعد نشر الاختبارات(معيار إثبات خلو فقرات الاختبارات من الأداء التفاضلي) والتي أقرتها الجمعية الأمريكية للبحث التربوي ظهرت الحاجة الى اجراء دراسة تستهدف دراسة الأداء التفاضلي لفقرات اختبار (TONI-4) في البيئة الأردنية تبعا لجنس الطالب، ودخل الأسرة، والمستوى التعليمي للأم وباستخدام طريقة مناسبة للكشف عن الأداء التفاضلي للفقرات.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:أضحى الأداء التفاضلي للاختبارات المقننة مثل: اختبارات الذكاء، واختبارات القدرات المعرفية، ومقاييس التفكير الإبتكاري محل اهتمام المؤسسات المنتجة والمستخدمين لها على حد سواء، فهو من المؤشرات الهامة على صدق الاختبار، وأصبحت نتائج دراسات الأداء التفاضلي دليلا على مستوى جودة الاختبار وعدالته، وتتمثل مشكلة الدراسة في الكشف عن الأداء التفاضلي لفقرات الإصدار الرابع من اختبار توني للذكاء (TONI-4) وفقا لمتغيرات جنس الطالب ودخل الأسرة والمستوى التعليم للأم باستخدام طريقة مانتل- هانزل. ويمكن تحديد مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

1- ما الأداء التفاضلي لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لمتغير جنس الطالب؟

2- ما الأداء التفاضلي لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لمتغير دخل الأسرة؟

3- ما الأداء التفاضلي لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لمتغير المستوى التعليمي للأم؟

أهمية الدراسة: تظهر الأهمية النظرية للدراسة في كونها الدراسة العربية الأولى التي تستقصي الأداء التفاضلي لفقرات اختبار (TONI-4) حسب اطلاع الباحث، فهي تسعى لتوفر أدلة على خلو فقراته من الأداء التفاضلي عبر مجموعات

المختبرين وباستخدام طريقة إحصائية مناسبة للكشف عن الأداء التفاضلي(طريقة مانتل هانزل). وتكمن الأهمية العملية للدراسة في كونها توفر دليل على ملائمة اختبار (TONI-4) وصدق نتائجه للاستعمال في الوظائف التي أعد لها ومنها على سبيل المثال لا الحصر تحقيقه للعدالة في فرز الطلبة وقبولهم في برامج التميز على اختلاف جنس الطالب ودخل أسرته والمستوى التعليمي للأم.

حدود الدراسة ومحدداتها : تتحدد نتائج الدراسة بالحدود والمحددات الآتية:

1- استخدام طريقة مانتل -هانزل للكشف عن الأداء التفاضلي للفقرات.

2- استخدام اختبار (TONI-4) والذي قامت بتقنينه للبيئة الأردنية (السنيني،2015).

3- استخدام عينة من طلبة الصف السابع في مديرية تربية لواء عين الباشا للعام الدراسي 2016/2015م

التعريف بالمصطلحات

الأداء التفاضلي للفقرة(Differential Item functioning): هو دالة مشتقة إحصائياً للتعبير عن الفروق في الاجابة عن الفقرة بين مجموعتين أو أكثر من المفحوصين ممن هم في المستوى نفسه من القدرة. وفي هذه الدراسة استخدمت طريقة مانتل- هانزل(MH) للكشف عن أداء الفقرة التفاضلي.

دخل الأسرة: هو مجموع الإيرادات المتحصلة للأسرة شهريا من مصادر دخلها المختلفة، وفي هذه الدراسة استخدمت القيم المدونة من قبل مربي الصف في المنظومة الإلكترونية لوزارة التربية والتعليم (Eduwave).

المستوى التعليمي للأم: هو آخر مؤهل أو شهادة مدرسية حصلت عليها الأم، وفي هذه الدراسة استخدمت البيانات المدونة من قبل مربي الصف في المنظومة الالكترونية لوزارة التربية والتعليم.

الذكاء غير اللفظي: هو قدرة عقلية عامة للشخص تقاس من خلال اختبار متحرر من عامل اللغة(غير لفظي)، وفي هذه الدراسة تم قياس الذكاء غير اللفظي لطلبة الصف السابع الأساسي باستخدام اختبار (TONI-4) الذي قام بتقنينه للبيئة الأردنية(السنيني،2015).

الطريقة وإجراءات الدراسة

منهجية الدراسة: انطلاقا من مشكلة الدراسة وأهدافها وأسئلتها يمكن تصنيف الدراسة بأنها دراسة تستخدم المنهج الوصفي.

مجتمع الدارسة وعينتها:تكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة الصف السابع في المدارس الحكومية والخاصة ووكالات غوث اللاجئين في مديرية تربية لواء عين الباشا في العام الدراسي 2016/2015م، والبالغ عددهم (2231) منهم (1126) طالبا و(1105) طالبة، وتكونت عينة الدراسة من (414) طالبا وطالبة تم اختيارهم بطريقة عشوائية عنقودية، وقد مثلت العينة ما نسبته (18.5%) تقريبا من مجتمع الدراسة. والجدول التالي يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفقا لمتغيرات الدراسة: جنس الطالب ودخل الأسرة والمستوى التعليمي للأم .

جدول 2. توزيع عينة الدراسة وفقا لمتغيرات الجنس ودخل الأسرة والمستوى التعليمي للأم

	المتغيرات					
	جنس الطالب		دخل الأسرة		مستوى تعليم الأم	
	ذكر	أنثى	أقل من 450	450 فأكثر	أقل من بكالوريوس	بكالوريوس فأكثر
عدد الطلبة	209	205	238	176	214	200
النسبة المئوية	50.5	49.5	57.5	42.5	51.7	48.3

متغيرات الدراسة: تضمنت الدراسة المتغيرات المستقلة الآتية: جنس الطالب (ذكر، أنثى)، ودخل الأسرة(أقل من 450 دينار، 450 دينار فما فوق)، والمستوى التعليمي للأم (دون البكالوريوس، بكالوريوس فأكثر)، بينما كان المتغير التابع الذكاء غير اللفظي للطالب مقاسا بعلامة الطالب على اختبار (TONI-4).

أداة الدراسة: استخدام الباحث اختبار (TONI-4) والذي قامت بتقنينه للبيئة الأردنية السنيني في العام (2015). ويتصف الاختبار بدرجة ثبات عالية، حيث أن ثبات الاتساق الداخلي بطريقة ألفا للفئات العمرية (6-17) سنة تراوح بين (0.81-0.93)، وأظهرت النتائج دلالات جيدة للصدق المحكي التلازمي للاختبار (0.83)مع مصفوفة رافن ، و (0.67) مع اختبار الذكاء غير اللفظي الشامل(CTONI) ، وكان صدق البناء ممثلا بمحك تحسن الأداء على الاختبار مع تقدم العمر جيدا. وأظهرت نتائج التحليل العاملي عاملا عاما واحدا يفسر تباين الأداء على الاختبار، وبذلك تحقق للمقياس مؤشرات الصدق والثبات التي تؤهله للاستخدام كأداة لقياس الذكاء غير اللفظي في المجتمع الأردني وللفئة العمرية التي تم تقنين المقياس عليها.

تصحيح اختبار (TONI-4)تعطي درجة لكل إجابة صحيحة وصفر لكل إجابة خاطئة وفقاً لمفتاح التصحيح في الصورتين أ أو ب، ويستحق المفحوص درجة عن كل فقرة من الفقرات قبل الفقرة القاعدية (للفئة العمرية (6- 9) سنوات تعتبر الفقرة (1) هي الفقرة القاعدية، وللفئة العمرية 10 سنوات أو أكثر تعتبر الفقرة (20) هي الفقرة القاعدية) .

وبما أن عينة الدراسة استهدفت طلبة الصف السابع الأساسي " الفئة العمرية 12-14سنة" فان الفقرة القاعدية أو بداية التصحيح تكون من الفقرة(20) ، أما الفقرات السابقة (1-19) فيأخذ الطالب علامة على كل فقرة منها (19) علامة اذا أجاب اجابة صحيحة عن الفقرات (20-24)، أي (5) اجابات صحيحة متتالية.

أما إذا أخطأ في الفقرات (20-24) فيستمر الطالب في حل الفقرات اللاحقة حتي يصل فقرة السقف " وجود ثلاث أخطاء في اجابة خمس فقرات متتالية" فنتوقف عندها، وفي هذه الحالة لا نعتبر الفقرة (20) هي الفقرة القاعدية، بل نقوم بتطبيق الفقرات قبلها(19، ثم 18، ...) ولا نتوقف حتى يجيب خمس فقرات صحيحة متتالية، وتكون الفقرة الأخيرة التي أجاب عليها هي الفقرة القاعدية له.

وبما أن هدف الدراسة الحالية الكشف عن الأداء التفاضلي لجميع فقرات اختبار (TONI-4)وليس تقييم الذكاء غير اللفظي للطلبة، فقد طبق الباحث جميع الفقرات، وتبين له أن الفقرات (1-10) أجاب عليها جميع أفراد العينة بشكل صحيح، لذا لم يتم دراسة الأداء التفاضلي لها، وتم دراسة الأداء التفاضلي للفقرات(11-60).

إجراءات الدراسة

- مخاطبة وزارة التربية والتعليم للحصول على موافقة لإجراء الدراسة.
- الحصول على بيانات مجتمع الدراسة من قاعدة بيانات وزارة التربية واختيار عينة الدراسة.
- تطبيق اختبار الذكاء غير اللفظي (TONI-4) على عينة الدراسة خلال شهر أيار من عام 2016م وبطريقة جماعية في مجموعات تراوح عدد أفرادها من (15-25).
- ادخال استجابات الطلبة إلى الحاسوب، وتصحيحها والكشف عن الأداء التفاضلي للفقرات بطريقة مانتل هانزل باستخدام الرزمة الاحصائية للعلوم الانسانية (SPSS).

نتائج الدراسة: فيما يأتي نتائج الدراسة مبوبة حسب أسئلتها.

السؤال الأول: ما الأداء التفاضلي لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لمتغير جنس الطالب؟

للإجابة عن السؤال الأول تم حساب الإحصائي مانتل هانزل(MH) الذي يتبع توزيع كاي تربيع (χ^2) بدرجة حرية(1)، والجدول رقم (3) الآتي يعرض النتائج:

جدول 3. نتائج مانتل هانزل(MH) ومستوى الدلالة لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لجنس الطالب

الفقرة	مانتل هانزل			الفقرة	مانتل هانزل			الفقرة	مانتل هانزل		
	MH	df	sig		MH	df	sig		MH	df	sig
11	.021	1	0.884	28	0.15	1	0.699	45	0.772	1	0.38

الفقرة	مانتل هانزل			الفقرة	مانتل هانزل			الفقرة	مانتل هانزل		
	MH	df	sig		MH	df	sig		MH	df	sig
12	0.651	1	0.42	29	.001	1	0.970	46	.515	1	0.473
13	1.052	1	0.305	30	3.378	1	0.066	47	2.680	1	0.101
14	.059	1	0.807	31	2.569	1	0.109	48	0.039	1	0.844
15	.132	1	0.716	32	.108	1	0.742	49	.015	1	0.904
16	2.315	1	0.128	33	.004	1	0.949	50	0.218	1	0.641
17	.132	1	0.716	34	0.079	1	0.779	51	.000	1	0.996
18	0.123	1	0.726	35	0.062	1	0.804	52	0.465	1	0.495
19	.021	1	0.886	36	.004	1	0.949	53	.000	1	0.983
20	0	1	0.99	37	.001	1	0.982	54	.123	1	0.726
21	0.651	1	0.42	38	.001	1	0.982	55	0.049	1	0.824
22	1.387	1	0.239	39	0.016	1	0.9	56	.097	1	0.756
23	0.123	1	0.726	40	8.676	1	*0.004	57	0.015	1	0.902
24	.001	1	0.970	41	.416	1	0.519	58	.004	1	0.947
25	0.035	1	0.853	42	0	1	0.999	59	.278	1	0.598
26	1.127	1	0.288	43	0.009	1	0.925	60	0.298	1	0.585
27	0.651	1	0.42	44	8.314	1	*0.004				

* يتضح من الجدول (3)أن القيمة الاحتمالية لمستوى الدلالة (sig) قلت عن القيمة الحرجة (0.05) في فقرتين فقط هما (40 ، 44)، وبذلك كشفت طريقة مانتل هانزل عن وجود أداء تفاضلي لفقرتين فقط من اختبار (TONI-4) وفقا لمتغير جنس الطالب. ولتحديد مقدار الأداء التفاضلي واتجاهه تم حساب Common Odd Ratio (αMH) و ($\Delta\alpha$MH)، وفيما يلي عرض لهذه النتائج:

جدول 4. مقدار الاداء التفاضلي واتجاهه لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لجنس الطالب

الفقرة	αMH	$\Delta\alpha MH$	اتجاه الاداء الفاضلي
40	3.063	-2.63058	الذكور
44	4.332	-3.44517	الذكور

يتضح من الجدول رقم 4 أن الأداء التفاضلي كان مرتفعا في الفقرتين حيث كانت قيمة $|\Delta\alpha MH|>1.5$ ، وقد كان الأداء التفاضلي لصالح الذكور فيهما.

السؤال الثاني: ما الأداء التفاضلي لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لمتغير دخل الأسرة؟

يعرض الجدول رقم 5 الآتي نتائج طريقة مانتل هانزل للكشف عن الأداء التفاضلي لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لدخل الأسرة:

جدول 5. نتائج مانتل هانزل(MH) ومستوى الدلالة لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لدخل الأسرة

الفقرة	مانتل هانزل			الفقرة	مانتل هانزل			الفقرة	مانتل هانزل		
	MH	df	sig		MH	df	sig		MH	df	sig
11	1.351	1	.245	28	1.315	1	0.252	45	0.366	1	0.545
12	0.017	1	0.897	29	.518	1	.472	46	.675	1	.411
13	1.485	1	0.223	30	2.471	1	0.116	47	7.978	1	*0.005
14	3.154	1	0.076	31	0.017	1	0.896	48	0.047	1	0.828
15	.010	1	0.919	32	1.671	1	.196	49	0.394	1	0.53
16	0.66	1	0.417	33	2.921	1	0.087	50	3.029	1	0.082
17	3.109	1	0.078	34	0.832	1	0.362	51	3.005	1	.083
18	0.002	1	0.965	35	3.548	1	0.06	52	3.242	1	0.072
19	.000	1	0.986	36	3..621	1	.057	53	1.914	1	.167
20	1.529	1	0.216	37	3.229	1	.072	54	.002	1	.965
21	1.351	1	0.245	38	1.285	1	0.257	55	0.055	1	0.815

الفقرة	مانتل هانزل			الفقرة	مانتل هانزل			الفقرة	مانتل هانزل		
	MH	df	sig		MH	df	sig		MH	df	sig
22	0.601	1	0.438	39	0.295	1	0.587	56	.402	1	.526
23	0.013	1	0.911	40	.825	1	.364	57	1.223	1	0.269
24	.518	1	.472	41	.032	1	.857	58	.189	1	.663
25	0.596	1	0.44	42	0.568	1	0.451	59	.329	1	.566
26	.023	1	.879	43	1.9	1	0.168	60	0.014	1	0.907
27	0.199	1	0.656	44	9.948	1	*0.002				

يتضح من الجدول 5 أن القيمة الاحتمالية لمستوى الدلالة (sig) قلت عن القيمة الحرجة (0.05) في فقرتين فقط هما (44 ، 47)، وبذلك كشفت طريقة مانتل هانزل عن وجود أداء تفاضلي لفقرتين فقط من اختبار توني للذكاء غير اللفظي(TONI-4) وفقا لمتغير دخل الأسرة .ولتحديد مقدار الأداء التفاضلي واتجاهه تم حساب(αMH) و (ΔαMH)، وفيما يلي عرضا لها :

جدول 6. مقدار الاداء التفاضلي واتجاهه لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لدخل الأسرة

الفقرة	αMH	$\Delta\alpha MH$	اتجاه الاداء الفاضلي
44	3.04	-2.61287	450 دينار فما فوق
47	2.443	-2.09908	450 دينار فما فوق

يتضح من الجدول 6 أن الأداء التفاضلي كان مرتفعا في الفقرتين (44 ، 47)، حيث كانت قيمة $|\Delta\alpha MH|>1.5$ ، وكان الأداء التفاضلي لصالح طلبة الأسر ذات الدخل الجيد .

السؤال الثالث: ما الأداء التفاضلي لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لمتغير تعليم الام؟

يعرض الجدول رقم (7) الآتي نتائج طريقة مانتل هانزل للكشف عن الأداء التفاضلي لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لتعليم الأم.

جدول 7. نتائج مانتل هانزل(MH) ومستوى الدلالة لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لتعليم الام

الفقرة	مانتل هانزل			الفقرة	مانتل هانزل			الفقرة	مانتل هانزل		
	MH	df	sig		MH	df	sig		MH	df	sig
11	.183	1	0.669	28	0.068	1	0.795	45	0	1	0.991
12	0.045	1	0.832	29	.008	1	.929	46	.279	1	0.597
13	2.069	1	0.150	30	0.577	1	0.448	47	13.925	1	0.000
14	1.465	1	0.226	31	2.49	1	0.114	48	1.471	1	0.225
15	3.47	1	0.062	32	6.108	1	0.013	49	3.07	1	0.08
16	0.16	1	0.689	33	.001	1	0.979	50	2.856	1	0.91
17	6.957	1	0.008	34	1.214	1	0.271	51	.215	1	0.643
18	0.068	1	0.795	35	0.016	1	0.9	52	0.025	1	0.873
19	.146	1	0.703	36	.001	1	0.979	53	.030	1	0.862
20	2.069	1	0.15	37	5.526	1	0.019	54	1.362	1	0.243
21	0.045	1	0.832	38	.106	1	0.744	55	0.178	1	0.673
22	0.183	1	0.669	39	0.29	1	0.59	56	12.558	1	0.000
23	1.362	1	0.243	40	.050	1	0.823	57	3.71	1	0.054
24	.008	1	0.929	41	2.336	1	0.126	58	5.982	1	0.014
25	1.692	1	0.193	42	0.776	1	0.378	59	2.304	1	0.129
26	.067	1	0.796	43	1.637	1	0.201	60	1.811	1	0.178
27	0.003	1	0.955	44	.001	1	0.980				

يتضح من الجدول 7 أن القيمة الاحتمالية لمستوى الدلالة (sig) قلت عن القيمة الحرجة (0.05) في خمس فقرات فقط هي (17، 37، 47، 56، 58)، وبذلك كشفت طريقة مانتل هانزل عن وجود أداء تفاضلي لخمس فقرات من اختبار توني للذكاء غير اللفظي(TONI-4) وفقا لمتغير تعليم الام. ولتحديد مقدار الأداء التفاضلي واتجاهه تم حساب(αMH) و (ΔαMH)، وفيما يلي عرض لهذه النتائج:

جدول 8. مقدار الاداء التفاضلي واتجاهه لفقرات اختبار (TONI-4) وفقا لتعليم الام

الفقرة	αMH	$\Delta\alpha MH$	اتجاه الاداء الفاضلي
17	1.96	-1.58142	بكالوريوس فأكثر
37	0.299	2.837183	دون البكالوريوس
47	3.103	-2.66107	بكالوريوس فأكثر
56	2.538	-2.18873	بكالوريوس فأكثر
58	3.052	-2.62212	بكالوريوس فأكثر

يتضح من الجدول 8 أن الأداء التفاضلي مرتفعا في جميع الفقرات الخمسة لأن قيمة $|\Delta\alpha MH|>1.5$، وأن الأداء التفاضلي لصالح الطلبة من أسر تعليم الأم فيها جيد عدا فقرة واحدة هي الفقرة 37.

مناقشة النتائج والتوصيات: أظهرت نتائج طريقة ماتل هانزل عن وجود أداء تفاضلي في فقرتين فقط من فقرات اختبار (TONI-4) وفقا لمتغير جنس الطالب وتمثل ما نسبته 4% من فقرات المقياس وهي نسبة قليلة، ومؤشر على ان الاختبار يتمتع بدرجة جيدة من العدالة. ويمكن تفسير ذلك من خلال النظر في بنية اختبار توني(TONI-4) حيث أنه غير لفظي ، أي أنه لا يقيس الاستدلال اللفظي أو الكمي حتى يتفوق فيها الاناث أو الذكور. وهذه النتيجة تتسق مع نتائج دراسات سابقة بحثت العلاقة بين الذكاء غير اللفظي لاختبار توني وجنس الطالب وأثبتت نتائج تحليل التباين فيها عدم وجود فروق دالة احصائيا تبعا لمتغير جنس الطالب مثل: دراسة (أبوهلال،1995)، ودراسة (عبد الله،2015) ، و دراسة (& Konter Yurdabakan,2010)، و دراسة (Sroythong & others,2009) و دراسة(Bostanjopoulou & others,2001).

وفيما يتعلق بمستوى دخل الأسرة فقد أظهرت نتائج ماتل هانزل أيضا وجود أداء تفاضلي في فقرتين فقط، وهي نسبة قليلة ومؤشر على ان الاختبار يتمتع بدرجة جيدة من العدالة ، ويعزى اتجاه الأداء التفاضلي لصالح الأسر ذات الدخل المرتفع إلى أنها أقدر على توفير بيئة أكثر تحفيزا سواء من حيث نوعية المدارس التي يمكن ان يلتحق بها أو في البيئة داخل البيت.

وكشفت طريقة مانتل هانزل وفقا لمتغير تعليم الأم عن أداء تفاضلي في خمس فقرات أي ما نسبتة 10% من فقرات المقياس، ويعزى ذلك إلى ان الذكاء يتأثر بعوامل وراثية وعوامل بيئية ومن المعروف أن دور العوامل البيئية يتمثل في أن يصل الفرد إلى أقصى أداء ممكن وفرته العوامل الوراثية((Berk L. E , 2014)، والمرأة المتعلمة لا شك انها أقدر على توفير بيئة ثرية بالعوامل والمثيرات التي تحفز النمو العقلي عند الأطفال.

وتجدر الاشارة هنا الى وجود الأداء التفاضلي في الفقرات لا يعني بالضرورة تحيزها، فهناك عدة عوامل تتحكم في كون الفقرات تظهر أداءً تفاضلياً أم لا، ومنها الاختلاف في توزيع القدرة بين المجموعتين، لذا توصي الدراسة الباحثين بإجراء دراسات توظف طرائق البحث النوعي كالمجموعات المركزة أو المقابلات من أجل تقييم أسباب وجود أداء تفاضلي وللفقرات للتحقق من مصادر التباين المختلفة التي تؤثر في درجات الاختبار لمعرفة ما إذا كانت المجموعات الفرعية تتأثر بنفس مصادر التباين، وتحديد إذا كان أي من مصادر التباين يعطي أفضلية غير عادلة لمجموعة من المجموعات الفرعية قبل اصدار أحكام حول تحيز الفقرات.

المراجع

أبو هلال، هند .(1995). **فعالية مقياس توني للذكاء غير اللفظي في تقدير القدرة لفئات خاصة من الصم والمتخلفين عقليا وذوي صعوبات النطق** ، (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

إدريس، محمد. (2009). **تقنين اختبار (TONI-3) للذكاء غير اللفظي على طلاب مدارس صبيا للفئة العمرية بين (9-16)سنة**، (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

البرصان، اسماعيل. (2013). الأداء التفاضلي لمتغير الجنس لفقرات الاختبار الوطني الأردني لضبط نوعية التعليم لمادة الرياضيات للصف العاشر، **دراسات تربوية ونفسية**: مجلة كلية التربية بجامعة الزقازيق، 28 (79).

البستنجي، مالك محمد .(2005). **الخصائص السيكومترية لاختبار الذكاء غير اللفظي (TONI-3) في البيئة الأردنية**، (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

البستنجي، محمود (2004)، **مقارنة أربع طرائق للكشف عن الأداء التفاضلي لمتغير الجنس في فقرات اختبار قدرات عقلية خاصة للفئة العمرية من 15-16 سنة في الأردن**، (رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة عمان العربية للدراسات العليا، عمان، الأردن.

السنيني،هدى (2015). **تقنين اختبار الذكاء غير اللفظي (TONI-4)**، (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

الشمري، لولوه والجاسم، فاطمة والنبهان، موسى (2015). **تقييم الخصائص السيكومترية لاختبار الذكاء غير اللفظي(TONI-4) لدى طالبات المرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية**، (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الخليج العربي، المنامة، البحرين.

ظاظا، حيدر (2006)، **فاعلية طريقة الكشف عن التحيز في الفقرة المبنية على الإجراءات التحكيمية مقارنة بالطرائق التجريبية المبنية على إجراءات النظرية الكلاسيكية في القياس ونظرية استجابة الفقرة**، (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الأردنية، عمان، الأردن .

عبد الله، مريم(2015). تقنين اختبار**(TONI-4) للذكاء غير اللفظي على عينة من تلاميذ الحلقة الأولى في مدارس محافظة اللاذقية**، (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة تشرين، اللاذقية، الجمهورية العربية السورية.

عبدي، عبد الله (2013). اختبار **(TONI-3)** للذكاء **غير اللفظي** دراسة **الخصائص السيكومترية للاختبار** على عينة من العاديين والصم في محافظة دمشق للفئة العمرية (7-12)، (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة دمشق، دمشق، سوريا.

اللبدي، نزار(2008)، **مقارنة أربع طرق للكشف عن دالة الفقرة التفاضلي (دراسة محاكاة)**، (أطروحة دكتوراه غير منشورة). الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

نتكو، انتوني و بروكهارت، سوزان.(2012).**التقييم التربوي للطلبة**، ترجمة علي القرني، وإبراهيم الدوسري، وراشد المحرزي، وحسين الخروصي .الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.

Berk L. E. (2014). **Development Through The Lifespan**, 6 Edition, New Jersey: Pearson Education, Inc.

Bert, D.& Stoneberg, J. (2004), **Study Of Gender-Based And Ethnic-Based Differential Item Functioning (DIF) In The Spring 2003 Idaho Standard Achievement Tests Applying The Simultaneous Bias Test (SIBTEST) And The Mantel-Hanszel Chi Square Test**. University Of Maryland , Statistics and evaluation department and national center for education statistics, (Nces), Assessment Division.

Bostanjopoulou, S.,Kiossoglou, G., Katsarou, Z, & Alevriadou ,A (2001), Concurrent Validity of the Test of Nonverbal Intelligence in Parkinson s disease Patients, **The Journal of Psychology**, 135(2), 205 – 212.

Conoley, A. C. (2003). **Differential Item Function In The Peabody Picture Vocabulary Test-Third Editions: Partial Correlation Versus Expert Judgment**. (Unpublished Doctoral Dissertation). University of Texas A&M University, Texas.

Gibson, S.G. (1998). Gender And Ethnicity-based differential item functioning on armed services vocational aptitude battery, (Unpublished Master’s Thesis). Polytechnic Institute and State University, Virginia , USA.

Hambleton K. & Swaminthan, R. (1991). **Fundamental Item Response Theory**. London: Sage Publications.

Hidalgo, M. D. & López-Pina, J. A. (2004). Differential Item Functioning Detection And Effect Size: A Comparison Between Logistic Regression And Mantel-Haenszel Procedures, **Educational And Psychological Measurement**, 64(6), 903-915.

Konter, E. & Yurdabkan, I. (2010). Validity and reliability of the test of nonverbal intelligence-2 for soccer players in turkey, **International Journal of Sports Science and Engineering,** 4(1), 003-014.

Morales L. S. (2004), Assessing Item And Scale Differential Functioning Using The DFIT Methodology, Retrieved from, Https://www.researchgate.net/profile/Leo_Morales2/publication/255574957_Assessing_Item_and_Scale_Differential_Functioning_using_the_DFIT_Methodology/links/53f242900cf2bc0c40e731f8/Assessing-Item-and-Scale-Differential-Functioning-using-the-DFIT-Methodology.pdf , 1-2-2017.

Sroythong W., Chulakdabba, S & Kowasint, C. (2009), The Validity Study of the Test of Nonverbal Intelligence, Third Edition (TONI-3), **J Psychiatr Assoc Thailand,** 45,115-124.

درجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات وعلاقتها بجنس المعاق ونوع إعاقته

د. نايف علي نايف وحشه

جامعة عجلون الوطنية –الأردن-

ملخّص: تهدف هذه الدراسة إلى تحديد درجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات وعلاقتها بجنس المعاق ونوع إعاقته. وقد اقتصرت الدراسة على عيّنة من (60) أسرة لديها طفل معاق في مدينة عجلون. وتمّ اتباع المنهج الوصفي التحليلي, وطُبّق مقياس بعد أن تمّ بناءه من (29) فقرة مُقسّمة إلى ثلاثة أبعاد: بُعد الحاجات المعرفية، وبُعد الحاجات النفسية والاجتماعية، وبُعد الحاجات المادية. وأظهرت الدراسة النتائج التالية:

- إنَّ درجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات جاءت عالية جداً. - وجود فروق ذات دلالة إحصائية (0.05=) تُعزى لأثر جنس المعاق في جميع الأبعاد وفي الدرجة الكلية، وجاءت الفروق لصالح الذكور. - عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05=) تُعزى لنوع الإعاقة في جميع الأبعاد وفي الأداة ككل.

الكلمات المفتاحية: أسر الأطفال ذوي الإعاقات, حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات, إرشاد أسر الأطفال ذوي الإعاقات.

Abstract: This study aims at determining the extent of disabled children families' needs and its relation to the disabled child gender and disability type. The research is restricted to a sample of (60) families that have a disabled child in Ajlun city. The methodology used in this research is analytical and descriptive in which a scale was applied after composing it of (29) rows divided into three dimension columns: knowledge needs dimension, the psychosocial dimension and materialistic dimension. The study shows the following results: the extent of disabled children families' needs score very high. There are differences of statistical significance (α=0.05) which refer to the impact of the disabled gender in all dimensions and in the total sum, the results are in favor of males. There aren't any differences related of statistical significance in the level (α=0.05) caused by the disability type in all dimensions and in the instrument as a whole.

Keywords: the disabled children's families, the disabled children families' needs, the disabled children families' guidance.

مقدمة: نال موضوع الإعاقات باهتمام عدد كبير من الدراسات من حيث نوع الإعاقة ودرجتها, ولكن كان هناك تقصير في دراسة حاجات أسر الأطفال المعاقين, وظهرت في الآونة الأخيرة اتجاهات حديثة تركز على أسرة المعاق وما تتعرض من آثار نفسية, واجتماعية, ومادية. تؤثّر الإعاقة على الشخص المعاق وعلى الأسرة بأكملها؛ فالإعاقة تؤثّر على الأسرة بنفس الشكل والشدة التي تؤثّر بها على الشخص المعاق إن لم تكن بدرجة أكبر, وبالتالي فإنّ التكيّف مع الإعاقة من المهمات الصعبة التي تواجه الأسرة لمواجهة التحديات المتمثّلة في التغيرات الجسمية والانفعالية والسلوكية لدى الشخص المعاق, وقلّة المعلومات والخدمات المناسبة, إضافة إلى العبء المادي الجديد الناتج عن المتطلبات المادية الطبية, والتأهيلية, والتعليمية, بالإضافة إلى الاعتماد على الأهل والضغوطات الانفعالية الناتجة عن فترات العناية الطويلة التي تُقدّم للشخص المعاق. فالآباء غير قادرين على مواجهة واقعية هذه المشكلة أو حتى النظر إليها باهتمام أكثر, كما أنّ التوتر النفسي الذي يُعاني منه الآباء والناتج عن شعورهم بأنّ ابنهم المعاق لا يملك الخصائص والمقوّمات المتوافرة في الأطفال العاديين يجعلهم بحاجة إلى المساعدة للتعامل مع النتاجات الوظيفية لهذه التحديات والتي تتضمّن الكآبة النفسية, والعزلة الاجتماعية, واستنزاف الموارد المالية (الريحاني, والزريقات, وطنوس، 2010).

لعلّ أحد أهمّ المعايير للحكم على فاعلية خدمات التربية الخاصة هو ذلك المتعلّق بالعمل مع أسر الأطفال ذوي الحاجات الخاصة. والعمل مع الأسر يتضمّن إجراءات معقّدة ومتنوعة. وتُستخدم مراجع التربية الخاصة مصطلح الأسر ذات الحاجات الخاصة عند الحديث عن أسر الأفراد المعوّقين. ويُقصد بذلك أنّ هذه الأسر تواجه صعوبات تختلف عن تلك

التي تواجهها الأسر الأخرى. ولذلك كثيراً ما يُقال أنّ وراء كل طفل ذي حاجات خاصة أسرة ذات حاجات خاصة؛ فتربية الأطفال المعوّقين أكثر صعوبة ومشقّة من تربية الأطفال العاديين (الخطيب وآخرون، 2009).

إنّ معرفة الآباء بأنّ طفلهم لديه إعاقة يضع الأسرة تحت ضغوطات نفسية واجتماعية واقتصادية متعددة. فالإعاقة لم تكن ضمن تفكير الآباء وبالتالي فهم لا يعرفون كيف يتعاملوا مع الموقف أو لم يخططوا بالأصل إلى التعامل مع هذه الانفعالات نظراً لاستبعاد ذلك من أفكارهم, فبغض النظر عن الانفعالات القائمة فإنّ استمرارها وإنكارها يؤدي إلى إطالة فترة المعاناة وعدم الوصول إلى التكيّف (يحيى، 2009).

إنّ تقييم حاجات أسر الأطفال المعوّقين يُشكّل إحدى المبادئ التي ينبغي توافرها عند تصميم وتنفيذ البرامج التربوية الخاصة الفاعلة؛ فالأسرة هي المعلّم الأول والأهم لكل طفل, والمدرسة ليست بديلاً عن الأسرة, فلكل من الطرفين دور يلعبه في نمو الطفل, وبذلك لا بدّ من التعرّف إلى حاجات أسر الأطفال المعاقين والذي يُساعد في تطوير الخطة التربوية الفردية للمعاق (خصاونة والخوالدة، 2009).

وقد توالت الدراسات والأبحاث حول موضوع حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات, وبمتغيّرات مختلفة, ومن بينها دراسة سيين ويارتسييفر (Sen & Yurtsever, 2007) والتي استطلعت آراء مجموعة من الأسر لديها طفل أو أطفال معاقون, للوقوف على الدعم الذي تحتاجه الأسر, حيث قام الباحثان بعمل استقصاء من خلال استبانه صُممت خصيصاً لتلك الحالات, ومن خلال التحليلات الإحصائية للبيانات, أوضحت الدراسة النتائج الآتية: 1- إنّ معظم تلك الأسر تفتقد إلى المعلومات الكافية عن طبيعة الحالة التي يُعاني منها أبناؤهم, إضافة إلى الحالة النفسية السيئة التي تعاني منها الأمهات بعد معرفتهن بحالة أبنائهن. 2- في أغلب الأحوال تتأثّر الحياة العائلية وعلاقات العمل الخاصة بالأبوين, ومعظم العلاقات الاجتماعية عند قدوم ابن معاق جديد بالعائلة. 3- تتأثّر الحالة الاقتصادية تأثّراً ملحوظاً طبقاً للنفقات التي تنفق لمواكبة متطلبات ذلك الطفل المعاق, ووضعه في أمثل صورة تحافظ عليه من التفرقة الظاهرية على الأقل. 4- يجب دعم الأسرة بجميع أنواع الدعم مثل توعيتها تثقيفياً بما تعانيه تلك الإعاقة, ودعمها اجتماعياً من خلال شبكات الأمان الاجتماعي التي تعمل على عدم انعزالها اجتماعياً بعد معرفتها بحالة ابنها, وتعميق ثقافة تقبل الإعاقة كحالة طبيعية يجب تقبلها والتعامل معها طبيعياً. 5- دعم الأسرة مادياً من خلال جمعيات ومراكز رعاية الطفل المعاق. 6- التثقيف العام للأسرة الذي يجعل الأم والأب في طليعة مقدمي الخدمة والرعاية للطفل المعاق قبل الطبيب والممرضة.

وأكدت دراسة سوريسي وآخرين (Soresi & et al, 2007) على دور التثقيف المعلوماتي كأحد الحاجات والمتطلبات الهامة لمجابهة حالات الإعاقة الفكرية, للأسر التي من بين أبنائها أطفال معاقين فكرياً, وأثّر ذلك على جودة حياة تلك الأسر, وبالتالي انعكاس ذلك على الرعاية المقدمة لابنها المعاق. حيث قام الباحثون بتتبع وتسجيل ومتابعة تلك الأسر من خلال برنامج بحثي وإحصائي مُعدّ لذلك الغرض بدايةً من قدوم طفلهم إلى الحياة, وحتى التحاقهم بالعديد من الدورات التثقيفية والنقاشية, ورصد حالتهم الأسرية العامة تباعاً. وقد أشارت الدراسة إلى النتائج الآتية: 1- التحاق أي أسرة بالدورات والمقابلات الاستشارية والتثقيفية كان له أثر إيجابي على تلك الأسر. 2- زيادة وعي الأسرة تجاه حالة الإعاقة لابنها, نتيجة التحاقها بالدورات التثقيفية. 3- تحسن جودة الحياة العامة التي تحياها الأسرة, ورضاها عن وضعها العام, نتيجة التحاقها بالدورات التثقيفية.

وأكدت دراسة كاشف (2000) على أهميّة المساندة الاجتماعية, للتخفيف من الضغوط النفسية التي تعاني منها أمهات الأطفال المعاقين (سمعياً, وبصرياً, وفكرياً), من خلال التعرف على أنواع تلك الضغوط, وكذلك التعرف على أهم الحاجات الأسرية في أسرة الطفل المعاق وتحديد أكثرها أهمية, وأهم مصادر المساندة الاجتماعية التي تتلقاها الأم, وقد اشتملت عينة الدراسة على (100) أم, تتراوح أعمارهن ما بين (20-45) سنة, وقد بيّنت نتائج الدراسة كالآتي: 1- أنّ أهمّ الضغوط التي تواجهها الأم هي ضغوط رعاية الطفل المعاق, وهموم مستقبل الطفل, والضغوط المادية. 2- ترتبط احتياجات الأسرة

بمصادر الضغط ارتباطاً واضحاً, ثمّ الحاجات الخاصة بتأمين مستقبل الطفل, ثمّ الحاجات المعرفية, واحتياجات رعاية الطفل. 3- أهميّة المساندة الاجتماعية, التي تتلقاها الأم للتخفيف من حدة الضغوط. 4- لم يؤثّر جنس الطفل المعاق على تقليل حدة الضغوط أو احتياجات الأسرة.

وهدفت دراسة الشخص والسرطاوي (1998) إلى التعرف على حاجات أولياء أمور الأطفال المعاقين (سمعياً, وبصرياً, وفكرياً, وحركياً), التي تُعتبر ضرورية لمواجهة الضغوط النفسية الناتجة عن إعاقة أبنائهم, وذلك في عينة من (661) من أولياء الأمور تتراوح أعمارهم ما بين (20-65) سنة, وقد أشارت نتائج الدراسة إلى الآتي: 1- أنّ حاجات أولياء أمور الأطفال المعاقين كانت وفق الترتيب التالي: الدعم المادي, الحاجات المعرفية, الدعم المجتمعي, الدعم الاجتماعي. 2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الآباء والأمهات في الحاجات المختلفة. 3- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الحاجات تبعاً لمتغير العمر على كل من الحاجة إلى المعرفة والدعم المجتمعي لصالح الفئة العمرية من (31-40) سنة. 4- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الحاجات تبعاً لمتغير العمر عل كل من الحاجة إلى المعرفة, والدعم المجتمعي, لصالح مستوى التعليم الجامعي. 5- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الحاجات تبعاً لمتغير مستوى الدخل الشهري. 6- تزداد الحاجات المعرفية, والمادية, والدعم الاجتماعي, عند أولياء أمور الأطفال الصغار عن أولياء أمور الأطفال الكبار.

وأجرى الحسن (1992) دراسة تهدف إلى التعرف على حاجات والدي الأطفال ذوي الحاجات الخاصة وتحديد العلاقة بينهما وبين كلّ من عمر الطفل, وجنسه, وفئة إعاقته, وذلك من خلال تطوير صورة أردنية من مقياس حاجات أسر ذوي الحاجات الخاصة بيلي وسمنسون (Bailey & Simeonsson). وتكونت عينة الدراسة من (313) من آباء الأطفال ذوي الحاجات الخاصة في مدينة عمان, وأظهرت نتائج الدراسة كالآتي: 1- وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الحاجات تبعاً لمتغير العمر الزمني للطفل على الحاجة للمعلومات لصالح أسر الأطفال الأصغر سنّاً. 2- وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الحاجات تبعاً لمتغير العمر الزمني للطفل على الحاجة للخدمات المجتمعية لصالح أسر الأطفال الأكبر سنّاً. 3- وجود فروق ذات دلالة إحصائية تبعاً لمتغير جنس الطفل على الحاجة إلى المعلومات لصالح أسر الأطفال الذكور. 4- وجود فروق ذات دلالة إحصائية تبعاً لمتغير فئة الإعاقة بالنسبة للحاجة إلى التفسير للآخرين لصالح أسر الأطفال المعاقين فكرياً. 5- وجود فروق ذات دلالة إحصائية تبعاً لمتغير فئة الإعاقة بالنسبة للحاجة إلى الخدمات المجتمعية لصالح أسر الأطفال المعاقين فكرياً وأسر الأطفال المعاقين حركياً.

وفي دراسة ليسر ودكل (Leyser & Dekel, 1991) حول حاجات أسر الأطفال المعاقين, والتي بلغت عينة الدراسة (82) أسرة, حيثُ أشارت نتائج الدراسة إلى حاجة الأسر إلى المعلومات حول نمو وتطور الطفل المعاق, والحاجة إلى الخدمات المجتمعية, وكذلك أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق تُعزى لمتغير العمر الزمني, ووجود فروق دالة إحصائياً تُعزى لمتغير الجنس ولصالح المعاقين الذكور, وكذلك المستوى الاقتصادي للأسرة ولصالح الأسرة الفقيرة.

واستهدفت دراسة سيمنسون وبيللي (Simeonsson & Bailley, 1988) تصميم أداة لتقدير الحاجات الأسرية التي يُعاني من نقصها العديد من الأسر التي يُوجد بها أطفال مُعاقين، وفي الوقت ذاته استهدفت هذه الدراسة أيضاً التعرف على الحاجات الأسرية التي يُعاني منها بعض الأسر التي يوجد بها مُعاقين. وتمّ تطبيق أداة الدراسة على عينة الأسر والتي تكونت من (34) أسرة مكونة من الزوجين الأب والأم، ممن لديه أبناء معاقين سواء بإعاقة عقلية أم بدنية أم حسية (سمعية وبصرية)، وتمّ تطبيق أداة الدراسة عليهم، والتي تكونت من (35) مفردة اهتمت بتقدير الحاجات الأسرية الآتية: الحاجة للمعلومات حول إعاقة الطفل، الحاجة للدعم والمساندة من المجتمع، الحاجة إلى توضيح الإعاقة للمحيطين، الحاجة إلى تلقي الخدمات من المجتمع، الحاجة المادية، الحاجة لتوحيد وتحديد وظائف الأسرة وأدوارها. وقد كشفت نتائج تطبيق أداة الدراسة عن فاعليتها في تقدير الحاجات الأساسية التي يُعاني منها أسر الأطفال المعاقين، كما أكدت النتائج على أنّ أسر المعاقون ذهنياً يُعانون من الكثير من الحاجات النفسية، فقد عبّر كل من الآباء والأمهات على أنّ أكثر الحاجات إلحاحاً

بالنسبة لهم هي الحاجة إلى المعلومات حول كيفية تدريب وتعليم أطفالهم المعاقين، كما أنّ من أكثر الحاجات إلحاحاً لدى الأمهات هي التعرف على معلومات حول طبيعة ونوعية العجز الذي يُعاني منه طفلهن المعاق، كما عبّرت الأمهات أيضاً عن حاجتهن الماسة لإيجاد الفرصة لمقابلة غيرهن مثيلاتهن من أولياء الأمور من الآباء والأمهات من أجل التدارس وتبادل الآراء والرؤى حول كيفية التعامل مع طفلهن المُعاق، وأظهرت النتائج أنّه توجد العديد من الحاجات المُلحة التي تتطلب الإشباع لدى آباء وأمهات المعاقين، وقد تمثلت هذه الحاجات في الحاجة إلى الدعم والمساندة من المحيطين، وكذلك الحاجات المادية لتلبية نفقات تدريب وتعليم الطفل وأيضاً الحاجات الاجتماعية المُتمثلة في الدعم والمساندة وتقديم يد العون والنصح والإرشاد من كافة هيئات المجتمع ومؤسساته وفئاته، كما كشفت نتائج الدراسة عن معاناة أسر المعاقين من العديد من الحاجات الأساسية والتي تمثلت في الحاجة إلى جلسات الإرشاد الأسري من أجل التوعية والتبصير بدور كل فرد من أفراد الأسرة وما يمكنه تقديمه للطفل.

مشكلة الدراسة وأسئلتها: يؤدي وجود طفل معاق في الأسرة إلى إرباك نظام الأسرة والخطط المستقبلية لأعضائها, ويضعها تحت ضغوطات نفسية واجتماعية ومادية ومعرفية حول أسباب وخصائص الإعاقة (الريحاني, والزريقات, وطنوس، 2010). ويُشير "ترايجوناكي" (Trigonaki) في دراسته على أطفال توحديين أنّ أسر الأطفال المعاقين ربطت حاجاتهم بحاجات أطفالهم حيثُ أنّ توفير حاجات الأطفال المعاقين يؤدي إلى إشباع حاجات أسرهم (Trigonaki, 2002). وكذلك فإنّ تحديد حاجات أسر المعاقين لها دور مهم عند تصميم برامج تدريب أسر المعاقين، حيث أنّ الخدمات التي ستوجّه لأسر المعاقين يجب أن تُقدّم بصورة علميّة منظّمة تستند إلى نظام للتقييم لضمان تلبية احتياجات أسر المعاقين الأساسية والفعلية التي هم بحاجة ماسة لها, ولذلك يجب تحديد الاحتياجات للأسر بعناية, لأن ذلك يؤدي إلى إشباعها, وتحسين مستوى الخدمات المقدمة لأسر الأطفال المعاقين, وبالتالي تحسين تكيّفها مع الإعاقة (الخطيب، 2008).

إنّ أسر الأطفال المعاقين تحتاج إلى نظام من الدعم الذي يُسهم على اكتساب المعرفة والمهارات اللازمة لتربية وتعليم أطفاله بفعاليّة. ويتمثل ذلك الدعم بتوفير المعلومات عن الإعاقة والمساندة النفسية والاجتماعية والمادية, والتي تجعلهم يشعرون بأنّهم يحظون بعناية واهتمام الآخرين (Turnbull & Turnbull, 2005).

وبذلك سعت الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

1- ما درجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات؟

2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات تُعزى إلى جنس المعاق؟

3- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات تُعزى إلى نوع الإعاقة؟

أهمية الدراسة:تكمن أهمية الدراسة في ما يلي:

- تسليط الضوء على حاجات أسر الأطفال المعاقين, وأهميتها لما لها دور مهم في نجاح تصميم وتنفيذ البرامج التربوية الخاصة الفاعلة.
- لفت النظر إلى الفروق في درجة حاجات أسر الأطفال المعاقين بناءً على جنس المعاق.
- قد يحثّ المسؤولين والمعنيين بشؤون ذوي الإعاقات, إلى تخصيص ميزانية لدعم حاجات أسر الأطفال المعاقين.
- إعداد مقياس لتقييم حاجات أسر الأطفال المعاقين.
- يمكن أن يُساهم هذا البحث في الكشف عن بعض حاجات أسر الأطفال المعاقين الأساسية الواجب توافرها لهم, وكيفية التعامل معها.
- قد يُشكّل انطلاقة لدراسة حاجات أسر الأطفال المعاقين من جوانب متعدّدة, وسيكون لها أثر في ميلاد بحوث أخرى.

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق ما يلي:

الهدف الرئيسي: تحديد درجة حاجات أسر الأطفال المعاقين.

الأهداف الفرعية:

- البحث في أثر متغير جنس المعاق على درجة حاجات أسر الأطفال المعاقين.
- السعيّ إلى الوصول إلى ربط حاجات أسر الأطفال المعاقين بحاجات الأطفال المعاقين.
- السعيّ من خلال اكتشاف درجة حاجات أسر الأطفال المعاقين إلى الوصول إلى برامج متطوّرة تُراعي حاجاتهم.

محددات الدراسة:

- اقتصرت هذه الدراسة على أسر الأطفال المعاقين (عقلياً, وسمعياً, وبصرياً, وحركياً) من مدينة عجلون في الأردن للفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (2016-2017).
- اقتصرت حاجات أسر الأطفال المعاقين على ثلاثة أبعاد من الحاجات وهي: بُعد الحاجات المعرفية، وبُعد الحاجات النفسية والاجتماعية، وبُعد الحاجات المادية.
- يتحدد تعميم نتائج الدراسة بمدى صدق وثبات أداة الدراسة.

التعريفات الإجرائية:

- **حاجات:** هي مجموع الدرجات التي تحصل عليها الأسر على فقرات أبعاد مقياس أعدّه الباحث لقياس حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات، والتي تتمحور حول: بُعد الحاجات المعرفية، وبُعد الحاجات النفسية والاجتماعية، وبُعد الحاجات المادية.
- **أسر الأطفال ذوي الإعاقات:** هي الأسر الذين تمّ تصنيفهم على أنّ لديهم إحدى الإعاقات التالية: الإعاقة العقلية, الإعاقة السمعية, الإعاقة البصرية, الإعاقة الحركية. والمتواجدون في مدينة عجلون في الأردن للفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (2016-2017).

الطريقة والإجراءات:

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي بهدف وصف وتحليل درجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات وعلاقتها بالجنس ونوع الإعاقة للمعاقين بناءً على ما تمّ جمعه من بيانات ومعلومات وتحليلها إحصائياً. ويعتمد المنهج الوصفي التحليلي على دراسة موضوع في الواقع ووصفه بدقة والتعبير عنه كمّاً وكيفاً وتصنيف المعلومات وتنظيمها والسعيّ لفهم علاقة هذا الموضوع مع غيره من الموضوعات والوصول لاستنتاجات يتمّ تعميمها, قد تُسهم في تطوير الواقع المدروس , كل ذلك دون أن يكون للباحث أي تدخّل مقصود في مجريات الموضوع, والاكتفاء بالتفاعل معها بالوصف والتحليل. وتتحدّد متغيرات الدراسة الحالية كما يلي:

1- المتغيرات المستقلة:

- جنس المعاق (ذكر, أنثى).
- نوع الإعاقة (الإعاقة العقلية, الإعاقة السمعية, الإعاقة البصرية, الإعاقة الحركية).

2- المتغيرات التابعة:

- حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات.

مجتمع الدراسة وعيّنتها:

تكوّن مجتمع الدراسة من (197) أسرة لديها طفل معاق في مدينة عجلون, وتمّ اختيار عينة الدراسة بطريقة عشوائية والتي تكوّنت من (60) أسرة لديها طفل معاق للفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (2016-2017)، موزّعين كما في الجدول التالي حسب متغير جنس المعاق ونوع إعاقته.

جدول (1): النسب المئوية لتوزيع عيّنة الدراسة حسب متغير جنس المعاق ونوع إعاقته

الرقم			العدد	النسبة
-1	الجنس	ذكر	34	56.7%
		أنثى	26	43.3%
-2	نوع الإعاقة	الإعاقة العقلية	12	20.0%
		الإعاقة السمعية	20	33.3%
		الإعاقة البصرية	13	21.7%
		الإعاقة الحركية	15	25.0%
	المجموع		60	100%

أداة الدراسة وصدقها وثباتها:

أداة الدراسة: استخدم الباحث استبانة قام ببنائها من خلال مراجعة الإطار النظري المتعلّق بحاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات ومن المقاييس التي وضعها الباحثان سيمنسون وبيللي (Simeonsson & Bailley, 1988) لجمع المعلومات والإجابة عن أسئلة الدراسة، وتمّ اختيار فقرات الاستبانة بناءً على ذلك والمرتبطة بحاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات التي استخدمت في الدراسة والبالغ عددها (29) فقرة لأبعاد حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات الثلاثة التالية: بُعد الحاجات المعرفية (11)، وبُعد الحاجات النفسية والاجتماعية (10)، وبُعد الحاجات المادية (8)، ويجاب عنها باستخدام سُلّم ليكرت الخماسي (عالية جداً = 5، عالية = 4، متوسطة = 3، منخفضة = 2، منخفضة جداً = 1).

حيثُ يشير التقدير (5) إلى درجة حاجة الأسرة في أعلى مستوياتها، بينما يشير التقدير (1) إلى درجة حاجة الأسرة في أدنى مستوياتها. وبذلك يمكن استخراج درجة كل فقرة من الفقرات وأيضاً استخراج الدرجة الكلية لمجموع فقرات كل بُعد من أبعاد حاجات أسر الأطفال المعاقين وذلك بعد معرفة المتوسط الحسابي للاستجابات عن فقراتها. أمّا تفسير نتائج الاستجابات فقد اعتمد التقديرات التالية:

جدول (2) متوسطات تقديرات استجابات الأسر ودرجاتها

متوسط التقديرات	درجاتها
1 – 1.80	منخفضة جداً
1.81 – 2.60	منخفضة
2.61 – 3.40	متوسطة
3.41 – 4.20	عالية
4.21 – 5	عالية جداً

صدق أداة الدراسة وثباتها: تمّ التحقق من صدق محتوى أداة الدراسة بعرضها على محكّمين ومجموعة من الأساتذة الجامعيين المختصين والبالغ عددهم اثنا عشر محكّماً ومحكّمة, وذلك بهدف معرفة درجة وضوح الفقرات, وسلامة الصياغة اللغوية, وتمثيل الفقرة لمجالها, وإضافة أو حذف فقرات. حيثُ أوصى المحكّمون بإجراء بعض التعديلات على فقرات الأداة من ناحية وضوحها, وسلامة الصياغة اللغوية, وتمثيل الفقرة لمجالها, ليستقرّ عدد فقرات الاختبار على (29) فقرة. وللتأكّد من ثبات الأداة، تمّ حساب معامل الاتساق الداخلي حسب معادلة كرونباخ ألفا, إذ تراوحت قيمه ما بين (0.73 – 0.88), وأُعتبرت هذه النسب مناسبة لغايات هذه الدراسة كما في الجدول اللاحق.

جدول (3) معامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا لأداة الدراسة ومكوناتها

	الاتساق الداخلي
بُعد الحاجات المعرفية	0.73
بُعد الحاجات النفسية والاجتماعية	0.84
بُعد الحاجات المادية	0.85

الأداة ككل	0.88

المعالجة الإحصائية:

استخدمت الدراسة الحالية في المعالجة الإحصائية الأساليب التالية:

- المتوسطات والانحرافات المعيارية.
- اختبار– ت t.test .
- تحليل التباين الأحادي (ANOVA).

نتائج الدراسة وتفسيرها:

1- السؤال الأول: ما درجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات؟

للإجابة عن هذا السؤال، تمّ استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات كما يظهر في الجدول (4), وجاءت الحاجات بدرجة عالية جداً، ويبيّن الجدول أنّ المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (4.10 - 4.38)، حيثُ جاء بُعد الحاجات المعرفية في المرتبة الأولى بأعلى متوسط حسابي بلغ (4.48)، ثُمّ بُعد الحاجات النفسية والاجتماعية وبمتوسط حسابي (4.15), بينما جاء بُعد الحاجات المادية في المرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (4.10)، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (4.23).

جدول (4): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرقم	الأبعاد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	بُعد الحاجات المعرفية	4.38	0.485	عالية جداً
2	بُعد الحاجات النفسية والاجتماعية	4.15	0.681	عالية
3	بُعد الحاجات المادية	4.10	0.697	عالية
	الدرجة الكلية	4.23	0.496	عالية جداً

وقد تمّ حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على فقرات كل بُعد على حده، حيث كانت على النحو التالي:

1. بُعد الحاجات المعرفية

يبيّن الجدول اللاحق أنّ المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (3.78 - 4.60)، حيث جاءت الفقرة رقم (11) والتي تنصّ على "معلومات عن حاجات ومشكلات ابني التي سيواجهها" في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (4.60)، بينما جاءت الفقرة رقم (7) ونصّها "معرفة مواقع الانترنت العلمية المتخصصة لطرق وأساليب التعامل مع ابني" بالمرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (3.78). وبلغ المتوسط الحسابي لبُعد الحاجات المعرفية ككل (4.38).

جدول (5): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة ببُعد الحاجات المعرفية مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
11	معلومات عن حاجات ومشكلات ابني التي سيواجهها.	4.60	0.669	عالية جداً
3	معلومات عن خصائص ابني.	4.55	0.723	عالية جداً
8	معرفة كيفية تعامل أبنائي العاديين مع أخيهم المعاق.	4.53	0.911	عالية جداً

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
2	معلومات عن طرق التدخل الطبي مع ابني المعاق.	4.50	0.930	عالية جداً
10	معلومات حول المهن المناسبة لابني في المستقبل.	4.48	0.854	عالية جداً
1	برامج تعليمية تتمثّل بمعلومات عن طبيعة الإعاقة.	4.47	0.873	عالية جداً
5	معلومات حول الخدمات المستقبلية المُقدّمة لابني المعاق.	4.45	1.141	عالية جداً
6	برامج تدريبية تتمثّل بكيفية التعامل مع ابني.	4.37	1.149	عالية جداً
9	برامج تدريبية لتعديل وضبط سلوكيات ابني المعاق.	4.35	1.117	عالية جداً
4	معرفة الفرص المستقبلية لتعليم ابني المعاق.	4.15	1.055	عالية
7	معرفة مواقع الانترنت العلمية المتخصصة لطرق وأساليب التعامل مع ابني.	3.78	1.277	عالية
	بُعد الحاجات المعرفية	4.38	0.485	عالية جداً

2. بُعد الحاجات النفسية والاجتماعية

جدول (6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة ببُعد الحاجات النفسية والاجتماعية مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
16	تقبّل وتفّهم المجتمع لإعاقة ابني.	4.38	0.885	عالية جداً
12	برامج العلاج النفسي لكيفية التعامل مع المشاكل الانفعالية والنفسية التي نتعرض لها بسبب وجود طفل معاق.	4.28	1.223	عالية جداً
19	دعم وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لتغيير نظرة المجتمع السلبية حول الأطفال المعاقين.	4.20	0.840	عالية
18	وجود أندية مخصصة لأسر الأطفال المعاقين.	4.20	0.917	عالية
17	الحاجة لأخصائيين لمواجهة الموقف معنا, والتعاطف معنا.	4.28	0.846	عالية
21	عقد جلسات مع فريق عمل متخصص لمتابعة أداء ابني.	4.07	0.936	عالية
15	الحاجة للتعبير عن مشاعرنا.	4.13	0.911	عالية
14	الدعم المعنوي من الأقارب والأصدقاء.	3.98	1.269	عالية
13	الحاجة إلى أسر لديهم أطفال معاقين للتحدث إليهم.	4.02	1.066	عالية
20	تعريف الآباء بالمصادر والمؤسسات المجتمعية ذات الصلة بالإعاقة.	4.00	1.426	عالية
	بُعد الحاجات النفسية والاجتماعية	4.15	0.681	عالية

يبين الجدول السابق أنّ المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (4.00 - 4.38)، حيث جاءت الفقرة رقم (16) والتي تنصّ على "تقبّل وتفّهم المجتمع لإعاقة ابني" في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (4.38)، بينما جاءت الفقرة رقم (20) ونصّها "تعريف الآباء بالمصادر والمؤسسات المجتمعية ذات الصلة بالإعاقة" بالمرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (4.00). وبلغ المتوسط الحسابي لبُعد الحاجات النفسية والاجتماعية ككل (4.15).

3. بُعد الحاجات المادية

جدول (6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة ببُعد الحاجات المادية مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
24	التوفير المجاني لتعليم وتدريب ابني في مراكز تربية	4.33	1.100	عالية جداً

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
	خاصة متخصصة.			
22	تأمين التكلفة العلاجية والرعاية الطبية لابني المعاق.	4.18	0.911	عالية
27	توفير عمل مناسب لابني بعد تعليمه أو تدريبه.	4.17	1.092	عالية
23	دعم مادي من الدولة لتلبية احتياجات ابني المعاق.	4.15	0.971	عالية
28	توفير تسهيلات من خفض الضرائب وإعفاءات جمركية.	4.15	0.840	عالية
29	دعم البرامج الرياضية للمعاقين.	4.10	0.933	عالية
25	تأمين وسيلة مواصلات لنقل ابني إلى المركز.	4.08	0.944	عالية
26	توفير الألعاب والوسائل الترفيهية لابني.	3.67	1.145	عالية
	بُعد الحاجات المادية	4.10	0.697	عالية

يبيّن الجدول السابق أنّ المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (3.67 - 4.33)، حيث جاءت الفقرة رقم (24) والتي تنصّ على "التوفير المجاني لتعليم وتدريب ابني في مراكز تربية خاصة متخصصة" في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (4.33)، بينما جاءت الفقرة رقم (26) ونصّها "توفير الألعاب والوسائل الترفيهية لابني" بالمرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (3.67). وبلغ المتوسط الحسابي لبُعد الحاجات المادية ككل (4.10). وأشارت النتائج المتعلقة بهذا السؤال إلى أنَّ حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات جاءت بدرجة عالية جداً. وتراوحت المتوسطات الحسابية ما بين (4.10 - 4.38)، حيثُ جاء بُعد الحاجات المعرفية بمتوسط حسابي بلغ (4.38)، وبُعد الحاجات النفسية والاجتماعية بمتوسط حسابي (4.15), بينما جاء بُعد الحاجات المادية بمتوسط حسابي بلغ (4.10)، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (4.23).

جاءت نتائج الدراسة حصول حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات ككل بدرجة عالية جداً. ويفسّر الباحث هذه النتيجة إلى أنّ الأسر ذوي الإعاقات تبقى بشكل مستمر تحت ضغوطات للحاجات المعرفية, وللحاجات النفسية والاجتماعية, وللحاجات المادية, وخاصةً الحاجات المعرفية, كما جاء هذا البُعد في هذه الدراسة على المرتبة الأولى بدرجة عالية جداً, ممّا يجعلهم يشعرون بالحاجة إلى المعرفة والمعلومات الضرورية حول ابنهم المعاق (كحاجاته, ومشكلاته, وخصائصه, ومستقبله التعليمي والمهني, وسلوكياته), وذلك لمواجهة المسؤولية في تربيته, وتعليمه, وتدريبه المهني, وكيفية التعامل مع المشكلات التي سيواجهها في مراحل نموّه المختلفة, حيث أنّ الأسرة بحاجة لها مع الابن العادي (غير معاق), فما بالك مع الابن الغير عادي (معاق).

وجاء بُعد الحاجات النفسية والاجتماعية في المرتبة الثانية وبدرجة عالية. ويفسّر الباحث إلى أنّ وجود طفل معاق في الأسرة يؤدي إلى الاضطرابات النفسية والاجتماعية والانفعالية, وإرباك نظام الأسرة, والخطط المستقبلية لأعضائها, ممّا يجعلهم يشعرون بالحاجة إلى التعامل مع مشاعرهم وانفعالاتهم المختلفة والموجّهة لأنفسهم ولإبنهم المعاق ولمجتمعهم بطريقة إيجابية؛ وذلك من خلال تغيير الاتجاهات السلبية بين أفراد المجتمع نحو المعاق وأسرته باستخدام كل الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة, وتنفيذ برامج العلاج النفسي لمساعدة الأسرة على التعامل مع مشاكلهم وفهمها, والالتقاء مع آباء آخرين لديهم أبناء معاقين, ودعم وتعاطف الأخصائيين والأقارب معهم.

وجاء بُعد الحاجات المادية في المرتبة الثالثة وبدرجة عالية. ويفسّر الباحث إلى أنّ وجود طفل معاق في الأسرة يؤدي إلى تزايد الأعباء الاقتصادية والمشكلات المالية الملقاة على عاتق الأسرة؛ وذلك بسبب ما تفرضه طبيعة الاحتياجات الخاصة بالطفل المعاق وأسرته, فهؤلاء الأطفال قد يحتاجون إلى رعاية صحية دائمة أو قد يتطلبون أدوات ومواد فرضتها طبيعة الإعاقة, كما أنّ تعليمهم قد يفرض على الأسر تحديات مادية خصوصاً إذا كانت مدفوعة الأجر وغير مدعومة.

اتفقت نتيجة البحث مع نتائج بعض الدراسات كدراسة سيين ويارتسييفر (Sen & Yurtsever, 2007) والتي أوضحت أنّ معظم الأسر بحاجة إلى دعم معرفي تثقيفي, ودعم نفسي اجتماعي, ودعم مادي. واتفقت مع دراسة سوريسي وآخرين (Soresi & et al, 2007) ودراسة ليسر ودكل (Leyser & Dekel, 1991) ودراسة سيمنسون وبيللي (Simeonsson & Bailley, 1988), والتي أكدت على دور التثقيف المعلوماتي كأحد الحاجات الهامة والملّحة للأسر. ولم تتفق مع دراسة الشخص والسرطاوي (1998) التي أشارت إلى أنّ حاجات أولياء أمور الأطفال المعاقين كانت وفق الترتيب التالي: الدعم المادي, الحاجات المعرفية, الدعم الاجتماعي.

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات تُعزى إلى جنس المعاق؟ وللإجابة عن هذا السؤال تمّ استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات حسب متغير جنس المعاق، ولبيان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تمّ استخدام اختبار "ت"، والجدول (7) يوضّح ذلك.

ويتبيّن من الجدول (7) وجود فروق ذات دلالة إحصائية (0.05=α) تعزى لأثر جنس المعاق في جميع الأبعاد وفي الدرجة الكلية، وجاءت الفروق لصالح الذكور. اتفقت نتيجة البحث مع نتائج بعض الدراسات كدراسة الحسن (1992), و دراسة ليسر ودكل (Leyser & Dekel, 1991), ولم تتفق مع دراسة دراسة كاشف (2000). ويفسّر الباحث هذه النتيجة بالنظر إلى طبيعة المجتمعات العربية ومنها الأردنية, حيث أنّها مجتمعات ذكورية تهتم فيها الأسر بالأبناء الذكور أكثر من الإناث, فوجود ذكر معاق في الأسرة يزيد من مشاعر الحزن والأسى لديها, ويزيد من اهتمام الأسرة به بشكل عام, وبالتالي تزداد حاجات الأسرة المعرفية والنفسية والاجتماعية والمادية, لفهم طبيعة إعاقته, ولعلاجه, والحدّ من إعاقته, وتربيته بما يتناسب مع إعاقته, وتحسين تعليمه, وإيجاد المهنة المناسبة له مستقبلاً, ليصبح فرداً فعّالاً في المجتمع, ومستقلاً يعتمد على ذاته في مجالات الحياة المختلفة, وخاصةً الاقتصادية منها.

جدول (7): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" لأثر جنس المعاق على درجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات

		العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
بُعد الحاجات المعرفية	ذكر	34	4.54	0.322	3.028	58	0.004
	أنثى	26	4.18	0.585			
بُعد الحاجات النفسية والاجتماعية	ذكر	34	4.33	0.541	2.398	58	0.020
	أنثى	26	3.92	0.781			
بُعد الحاجات المادية	ذكر	34	4.38	0.500	3.885	58	0.000
	أنثى	26	3.75	0.761			
الدرجة الكلية	ذكر	34	4.42	0.341	3.895	58	0.000
	أنثى	26	3.97	0.554			

السؤال الثالث: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات تُعزى إلى نوع الإعاقة؟ وللإجابة عن هذا السؤال تمّ استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات حسب متغير نوع الإعاقة، والجدول (8) يوضّح ذلك.

حيث يبيّن الجدول (8) تبايناً ظاهرياً في المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات بسبب اختلاف فئات متغير نوع الإعاقة.

جدول (8): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات حسب متغير نوع الإعاقة

	الفئات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
بُعد الحاجات المعرفية	الإعاقة العقلية	4.43	0.345
	الإعاقة السمعية	4.52	0.414
	الإعاقة البصرية	4.31	0.682
	الإعاقة الحركية	4.27	0.528
	المجموع	4.38	0.485
بُعد الحاجات النفسية والاجتماعية	الإعاقة العقلية	4.19	0.637
	الإعاقة السمعية	4.28	0.714
	الإعاقة البصرية	3.99	0.787
	الإعاقة الحركية	4.13	0.664
	المجموع	4.16	0.681
بُعد الحاجات المادية	الإعاقة العقلية	4.07	0.641
	الإعاقة السمعية	4.30	0.680
	الإعاقة البصرية	3.76	0.842
	الإعاقة الحركية	4.26	0.610
	المجموع	4.10	0.697
الدرجة الكلية	الإعاقة العقلية	4.24	0.388
	الإعاقة السمعية	4.38	0.506
	الإعاقة البصرية	4.05	0.616
	الإعاقة الحركية	4.22	0.514
	المجموع	4.23	0.496

ولبيان دلالة الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تمّ استخدام تحليل التباين الأحادي حسب الجدول (9).

جدول (9): تحليل التباين الأحادي لأثر نوع الإعاقة على درجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات

	المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
بُعد الحاجات المعرفية	بين المجموعات	0.519	3	0.173	0.727	0.540
	داخل المجوعات	13.338	56	0.238		
	الكلي	13.857	59			
بُعد الحاجات النفسية والاجتماعية	بين المجموعات	0.564	3	0.188	0.392	0.759
	داخل المجوعات	26.805	56	0.479		
	الكلي	27.369	59			
بُعد الحاجات المادية	بين المجموعات	2.288	3	0.763	1.622	0.195
	داخل المجوعات	26.342	56	0.470		
	الكلي	28.630	59			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	0.679	3	0.226	0.917	0.439
	داخل المجوعات	13.823	56	0.247		
	الكلي	14.502	59			

يتبيّن من الجدول السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05=α) تُعزى لنوع الإعاقة في جميع الأبعاد وفي الأداة ككل. ويفسّر الباحث هذه النتيجة بأنّ أفراد الإعاقة العقلية والإعاقة السمعية والإعاقة البصرية والإعاقة الحركية يعتبرون أفراداً غير عاديين (ذوو الحاجات الخاصة)، وهم يختلفون في أدائهم الجسمي أو العقلي أو السلوكي عن أداء الأفراد العاديين اختلافاً ملحوظاً وبشكل مستمر، الأمر الذي يحدّ من قدرتهم في تأدية النشاطات

الأساسية الشخصية والاجتماعية والتربوية والتكيف البيئي, وفي هذا السياق, تؤثّر تلك الإعاقات بشكل عام على حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات للتكيّف مع الإعاقة, وذلك لمواجهة التحديات المعرفية المستمرة عن طبيعة تلك الإعاقة والتعامل معها, ولمواجهة التحديات النفسية والاجتماعية لانفعالاتهم المتكررة, والتحديات المادية الجديدة الناتجة عن المتطلبات العلاجية والتأهيلية والتعليمية.

الاقتراحات: في ضوء نتائج الدراسة الحالية يقترح الباحث ما يلي:

- ضرورة الاهتمام بالحاجات المعرفية, والنفسية والاجتماعية, والمادية, لأسر الأطفال ذوي الإعاقات, ودعمها من قبل مؤسسات حكومية وغير حكومية.
- عقد جلسات إرشادية جماعية وفردية لأسر الأطفال ذوي الإعاقات.
- إسهام وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لتقبّل وتفّهم المجتمع للإعاقة, وتغيير نظرتهم السلبية حول الأطفال المعاقين.
- إجراء دراسات حول حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات بمتغيرات مختلفة.

المراجع العربية:

- الحسن، محمد (1992). حاجات والدي الأطفال المعاقين وعلاقتها بعمر الطفل المعاق وجنسه ونوع إعاقته, **رسالة ماجستير غير منشورة**، الجامعة الأردنية, عمان.
- خصاونة، محمد والخوالدة, محمد (2009). **المدخل في التربية الخاصة**، حائل: دار الأندلس.
- الخطيب، جمال (2008). **التربية الخاصة المعاصرة قضايا وتوجهات**، عمان: دار وائل.
- الخطيب، جمال وآخرون (2009). **مقدمة في تعليم الطلبة ذوي الحاجات الخاصة**، عمان: دار الفكر.
- الريحاني، سليمان والزريقات، إبراهيم وطنوس, عادل (2010). **إرشاد ذوي الحاجات الخاصة وأسرهم**، عمان: دار الفكر.
- الشخص، عبد العزيز والسرطاوي، زيدان (1998). دراسة احتياجات أولياء أمور الأطفال المعوقين لمواجهة الضغوط النفسية, **المؤتمر القومي السابع لإتحاد هيئات رعاية الفئات الخاصة والمعوقين**، القاهرة.
- كاشف، إيمان (2000). دراسة لبعض أنواع الضغوط لدى أمهات الأطفال المعاقين وعلاقتها بالاحتياجات الأسرية ومصادر المساندة الاجتماعية, **مجلة كلية التربية**، جامعة الزقازيق, العدد 36, ص 199 – 253.
- يحيى، خولة (2009). **إرشاد أسر ذوي الاحتياجات الخاصة**، ط2, عمان: دار الفكر.

المراجع الأجنبية:

- Leyser, Y & Dekel, G. (1991). Perceived Stress and Adjustment in Families with A child Who is Disabled. **The Journal of Psychology**, 125,4,427-438.
- Sen, E & Yurtsever, S. (2007). Difficulties Experienced by Families with Disabled Children. **Journal for Specialists in Pediatric** Vol. 12, N. 4, (pp: 238-252).
- Simeonsson, R. J & Baily, D. B. (1988). Assessing Needs of Families with Handicapped Infants. **Journal of Special Education**, Vol. 22, No. 1, (pp. 117-127).
- Soresi, S; Nota, L & Ferrari, L. (2007). Considerations on Supports That Can Increase the Quality of Life of Parents of Children With Intellectual Disabilities. **Journal of Policy and Practice in Intellectual Disabilities**, V4N4;248-251.
- Trigonaki, N. (2002). Parents of children with autism and the five basic needs. **International Journal of Reality Therapy,** 2,13-27.
- Turnbull, A & Turnbull, R. (2005). **Families professionals, and Exceptionality: Collaborating for Empowerment** (5th Edition). New Jersey: Perntice – Hall.

استبانة الدراسة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يقوم الباحث بدراسة بعنوان "**درجة حاجات أسر الأطفال ذوي الإعاقات وعلاقتها بجنس المعاق ونوع إعاقته**".

لذا، أرجو قراءة فقرات هذه الاستبانة بتمعّن والإجابة عليها بكل أمانة علماً بأنَ هذه الإجابات التي ستتكرمون بها ستستعمل لأغراض البحث العلمي فقط.

شاكرين لكم حسن تعاونكم

د. نايف علي وحشه

1- جنس الطفل: ذكر أنثى

2- نوع الإعاقة: الإعاقة العقلية

الإعاقة السمعية

الإعاقة البصرية

الإعاقة الحركية

الأداة بصورتها النهائية

أولاً : بُعد الحاجات المعرفية

	الفقــرة	درجة الاحتياج				
		عالية جداً	عالية	متوسطة	منخفضة	منخفضة جداً
1.	برامج تعليمية تتمثّل بمعلومات عن طبيعة الإعاقة.					
2.	معلومات عن طرق التدخل الطبي مع ابني المعاق.					
3.	معلومات عن خصائص ابني.					
4.	معرفة الفرص المستقبلية لتعليم ابني المعاق.					
5.	معلومات حول الخدمات المستقبلية المُقدّمة لابني المعاق.					
6.	برامج تدريبية تتمثّل بكيفية التعامل مع ابني.					
7.	معرفة مواقع الانترنت العلمية المتخصصة لطرق وأساليب التعامل مع ابني.					
8.	معرفة كيفية تعامل أبنائي العاديين مع أخيهم المعاق.					
9.	برامج تدريبية لتعديل وضبط سلوكيات ابني المعاق.					
10.	معلومات حول المهن المناسبة لابني في المستقبل.					
11.	معلومات عن حاجات ومشكلات ابني التي سيواجهها.					

ثانياً: بُعد الحاجات النفسية والاجتماعية

	الفقــرة	درجة الاحتياج				
		عالية جداً	عالية	متوسطة	منخفضة	منخفضة جداً
1.	برامج العلاج النفسي لكيفية التعامل مع المشاكل الانفعالية والنفسية التي نتعرض لها بسبب وجود طفل معاق.					
2.	الحاجة إلى أسر لديهم أطفال معاقين للتحدث إليهم.					
3.	الدعم المعنوي من الأقارب والأصدقاء.					
4.	الحاجة للتعبير عن مشاعرنا.					

.5	تقبّل وتفّهم المجتمع لإعاقة ابني.					
.6	الحاجة لأخصائيين لمواجهة الموقف معنا, والتعاطف معنا.					
.7	وجود أندية مخصصة لأسر الأطفال المعاقين.					
.8	دعم وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لتغيير نظرة المجتمع السلبية حول الأطفال المعاقين.					
.9	تعريف الآباء بالمصادر والمؤسسات المجتمعية ذات الصلة بالإعاقة.					
.10	عقد جلسات مع فريق عمل متخصص لمتابعة أداء ابني.					

ثالثاً: بُعد الحاجات المادية

التسلسل	الفقــرة	درجة الاحتياج				
		عالية جداً	عالية	متوسطة	منخفضة	منخفضة جداً
.1	تأمين التكلفة العلاجية والرعاية الطبية لابني المعاق.					
.2	دعم مادي من الدولة لتلبية احتياجات ابني المعاق.					
.3	التوفير المجاني لتعليم وتدريب ابني في مراكز تربية خاصة متخصصة.					
.4	تأمين وسيلة مواصلات لنقل ابني إلى المركز.					
.5	توفير الألعاب والوسائل الترفيهية لابني.					
.6	توفير عمل مناسب لابني بعد تعليمه أو تدريبه.					
.7	توفير تسهيلات من خفض الضرائب وإعفاءات جمركية.					
.8	دعم البرامج الرياضية للمعاقين.					

قيم العمل ومستوى الكفاءة الذاتية المدركة لدى خريجي الجامعة
(تخصصات العلوم الاجتماعية نموذجا)

د. عمومن رمضان

جامعة عمار ثليجي الأغواط

الملخص: هدفت الدراسة إلى التعرف على نسق قيم العمل" لدى خريجي الجامعة بولاية الأغواط وذلك من خلال دراسة ميدانية على عينة مكونة من 40 طالبا، تم الاستعانة فيها باستبيان قيم العمل المكوّن من قيم الأمن الوظيفي والقيم المادية والاقتصادية والقيم الاجتماعية وقيم الترقي والتنمية الذاتية، ومستوى الكفاءة الذاتية المدرك لدى خريج الجامعة، أين توصلت الدراسة إلى أن الطالب الجامعي المتخرج أو الذي هو بصدد التخرج لا يدرك مدى قدرته على التعامل مع مواقف الحياة الضاغطة في ظل الوقت الراهن من البطالة وبعض الوظائف الغير مطابقة لتخصصاته الدراسية، وعدم قدرته على اختيار ما يناسب قدراته ومؤهلاته كما لاحظنا فيه عدم الثقة بالنفس وعدم القدرة على تحمل المسؤولية الاجتماعية لذا يظهر لدي الطالب الجامعي مستوى مرتفع من قلق المستقبل وكفاءة ذاتية منخفضة.

Abstract: The study aimed to know the work values system of the graduated of the students at the university of Laghouat, through a field study on a sample of 40 students, we used a questionnaire to determine the values of work, it was composed of job security values, material and economic values, social values, and self-developing and upgrading values. It is also aimed to know the vizualization and realisation of the university students of the work vales, and the self-competency level obtained by the university graduated. Through our study, we found that the university graduated student or the one who is about to graduate is not aware of his ability to deal with stressful life situations in the current period of unemployment and some jobs that do not conform to his academic specialities, and also his inability to choose what suits his abilities and qualifications. We also noticed that he has a lack of self-confidence and he is not able to take in charge the social responsability. Therefor, the university student shows a high level of concern of the future and low self-competency.

مقدمة: تشهد قيم العمل اختلافاً بين المجتمعات بشكل عام، والأشخاص بشكل خاص، ولكن يتفق الجميع على مدى أهميّتها وضرورتها لأيّ منشأة إداريّة؛ وتحديداً في الدول التي تهتمّ ببناء وتطوير نفسها ومؤسّساتها، وشركاتها، وبيئاتها الاقتصاديّة والاجتماعيّة؛ لأنّ قيم العمل تعتبر الضمان للوصول إلى أعلى مُعدّلات الإنتاج، وتساهم في وجود جيل مخلص للعمل ومحب لوطنه. فقيم العمل عبارة عن الضوابط المهنيّة، والأخلاقيّة، والتعاليم، والمبادئ التي تُساهم في تحديد سلوك المُوظّفين، وتساعد على تأسيس الطريق الصحيح الذي يُشجّع كلّ موظفٍ على تطبيق أدائه الوظيفي ودوره في بيئة العمل الإنتاجيّ التي يتبع لها، كما تُعدّ قيم العمل الجدار الذي يمنع الموظّفين من الوقوع في الأخطاء، وتفصل بينهم وبين ارتكابهم أيّ مخالفاتٍ لا تتوافق مع ضمائرهم ومبادئهم.

كما يمثل مفهوم الكفاءة الذاتية المدركة أهمية كبيرة للمربين والمرشدين على اعتبار أن العمل على جعل الطلاب يرون أنفسهم بصورة إيجابية وكفاءة مدركة عالية يساهم في رفع قدراتهم واستعداداتهم الدراسية والمهنية، وهذا ما دفع علماء النفس إلى الاهتمام بهذا المفهوم لمساهمته في تعديل السلوك والمعرفة الذاتية حول قدرات الأفراد للتغلب على المهام والتعامل مع مواقف الحياة المختلفة.

1 - الإشكالية: تعتبر" قيم العمل " من القضايا المرتبطة بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي تمر بها كثير من المجتمعات فالتحولات الاجتماعية والاقتصادية الداخلية التي شهدها المجتمع اليوم ومازال يشهدها منذ فترة طويلة كان لها أثر واضح وكبير على المجتمع من حيث تغير أنماط الحياة والسلوكيات ومستويات المعيشة والتطلعات والطموحات بالإضافة إلى تأثيراتها على أوضاع العمل والقيم المرتبطة به.

كما أن بروز"قيم الفردية" في العمل وتراجع قيم العمل الجماعي، كذلك "قيمة الاستسهال" في العمل لدى أفراد المجتمع. وظهور الاتجاه السلبي "نحو العمل" وأهميته ومعناه وتدهور القيم الإيجابية المرتبطة بالعمل بين جيل الشباب بوجه خاص خلال السنوات الأخيرة نتيجة التغيرات التي طرأت على النسق القيمي الاجتماعي. حيث يوصف "جيل الشباب". كما تشير بعض الدراسات بأنه "جيل راكد وبطيء" قليل النشاط، وليس لديه دافعية للعمل.

كما أنه قد لا يدرك مدى قدرته على التعامل مع مواقف الحياة الضاغطة في ظل الوقت الراهن من البطالة وبعض الوظائف الغير مطابقة لتخصصات مهنية وعدم قدرته على اختيار ما يناسب قدراته ومؤهلاته كما قد نلمس فيه عدم الثقة بالنفس والآخرين وعدم قدرته على تحمل المسؤولية الاجتماعية أو يظهر لديه مستوى مرتفع من قلق المستقبل ، وعليه يمكن صياغة الإشكالية في التساؤلات التالية:

- هل خريجي الجامعات على معرفة وتصور واضح بقيم العمل ؟
- هل خريجي الجامعات على إدراك واسع لكفاءتهم الذاتية ؟
- ما مستوى الكفاءة الذاتية المدركة للعمل لدى خريجي الجامعة ؟
- هل هناك فروق في مستوى الكفاءة الذاتية المدركة لدى الطلبة حسب الجنس والتخصص الأكاديمي ؟

2- أهداف الدراسة: يتحدد الهدف الرئيسي للدراسة في التعرف على نسق قيم العمل" لدى خريجي الجامعة بولاية الأغواط وذلك من خلال دراسة ميدانية لعينة من طلاب الجامعة. وفي ضوء الهدف الرئيسي تسعى الدراسة إلى تحقيق أهداف فرعية هي:

- التعرف على تصورات وإدراك طلبة الجامعة لقيم العمل والكفاءة الذاتية .
- التعرف على مستوى الكفاءة الذاتية المدركة لدى خريج الجامعة.
- التعرف على دلالة الفرق في مستويات الكفاءة الذاتية المدركة لدى الطلبة حسب الجنس والتخصص الأكاديمي للطالب.

3 - أهمية الدراسة:

- إن الدراسة الحالية جاءت لفهم "قيم العمل" بين فئات عمرية ومهنية وشرائح اجتماعية داخل المجتمع خاصة الشباب خريجو الجامعات الوطنية.
- من الناحية العلمية إضافة للدراسات التي أجريت حول موضوع "قيم العمل" لإعطاء صورة واضحة عن التوجهات القيمية الموجبة والسالبة المرتبطة بالعمل لدى الطلبة خريجو الجامعة.
- أما على المستوى العملي، فإن نتائج الدراسة يمكن أن تكون مرشداً ودليل عمل للقائمين على أمر الشباب والعمل والتوظيف لوضع الخطط اللازمة لذلك، بالإضافة إلى أنها تضع لنا صورة واضحة عن القيم الإيجابية التي يجب تنميتها وتعزيزها. وأيضاً المساعدة في بناء منظومة قيم مرتبطة بالمفهوم الحديث للعمل.

4 - المفاهيم الإجرائية للدراسة:

قيم العمل: يمكن تعريف قيم العمل إجرائياً بأنها مجموعة من القيم الصريحة والضمنية والاجتماعية تعبر عن المرغوب فيه والمفضل من العمل لدى عينة من خريجي الجامعة عند اختيارهم لنوع العمل. وذلك من خلال ما تبرزه نتائج مقياس قيم العمل

الكفاءة الذاتية المدركة: يشير إلى إدراك الطلبة لقدراتهم الأكاديمية والاعتقاد بأنهم قادرون على فهم وأداء أعمالهم المدرسية وهي ردود أفعال انفعالية تبرز اتجاهات عاطفية نحو الذات والعمل المرغوب فيه، وذلك من خلال ما تبرزه نتائج مقياس الكفاءة الذاتية المدركة.

5 - الإطار النظري للدراسة:

5-1- قيم العمل: يستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى "مجموعة من التفضيلات بين بدائل واهتمامات مختلفة تمثل موجهات عامة للسلوك في مجال العمل سواء في اختياره أو أدائه أو مخرجاته" **(محمود عطا حسين، 2006: 372)**.

وتعرف قيم العمل أيضاً بأنها "مفاهيم نوعية تعبر عن المرغوب فيه، ومن خلالها يحكم مجتمع معين أو جماعة معينة على خصائص العمل باعتبارها حسنة أو رديئة وذلك في ضوء عائدات العمل والثقافة السائدة في مجتمع معين"**(باركر وآخرون، 1989: 25)**.

وتعرف أيضاً بأنها "نوع من القيم يتضمن الاتجاهات والمعتقدات والتفضيلات التي تحدد المرغوب فيه من بين البدائل المتاحة المرتبطة بالعمل يتبناها فرد أو جماعة معينة" أو أنها مجموعة القيم المرتبطة بتفضيلات العائد من العمل **Samuel yitzhak.1976:626)**)

أما "شوارتز" S.H. Schwartz فيعرف قيم العمل "بأنها الأهداف أو العائدات التي يبحث عنها الأفراد داخل عملهم. فهي تعبيرات عن قيم إنسانية عامة في إطار أوضاع العمل" . **(S.H.Shwartz.19991)**

أما "سوبر" D. Supper فيعرف قيم العمل بأنها "أهداف، نتائج أو خصائص يجب أن تتوافر أو توجد في العمل"**(D.supper.1995:54-61)** .

كما يمكن تصنيف قيم العمل من الناحية الوظيفية إلى ثلاثة أنواع هي **(D.Elizur.1984:379)**

قيم العمل الصريحة: وتشمل مجموعة القيم المرتبطة بعائدات العمل والظروف التي تتيح الرضا الذاتي مثل الدخل المرتفع والأمن والاستقرار الوظيفي. وينظر إلى هذا النوع من القيم على أنها قيمة وسائلية.

قيم العمل الضمنية: وتعبر عن مجموعة القيم المرتبطة بأنشطة العمل ذاته أو الفوائد التي يتيحها العمل للأفراد بداخله وتشمل الاستقلالية والمرونة في العمل والمشاركة في اتخاذ القرار والنمو الذاتي والإبداع.

قيم العمل الاجتماعية: وتعبر عن القيم المرتبطة بتحقيق الذات والاتصال بالآخرين (بالعلاقات الاجتماعية) وقيم المكانة الاجتماعية والنفوذ وأيضاً مساعدة أو خدمة المجتمع.

من الدراسات السابقة لموضوع قيم العمل: **(حمدي علي ومحمد عبدالله الشايع ,2011):**

- ✓ دراسة أجراها "محمد جميل منصور" (1977) بعنوان "دراسة تحليلية للقيم المرتبطة بالعمل لدى المراهقين المصريين". أجريت الدراسة على عينة قوامها (1058) طالباً وطالبة من طلبة المرحلة الثانوية بالمجتمع المصري بهدف الكشف عن القيم المرتبطة بالعمل لدى العينة. ومن خلال استخدام مقياس قائمة، قيم العمل work values Inventory الذي أعده سوبر Super عام 1970. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أظهرت وجود فروق في بعض قيم العمل بين الذكور والإناث. فقد أكد الذكور على قيمتي الاستقلالية والقيادة في العمل باعتبارهما من أهم القيم التي يتبنوها. بينما أكدت الإناث على قيمتي الجمال وقيمة العلاقة بالآخرين، وقد فسر الباحث تلك النتائج في ضوء خصائص مرحلة المراهقة وأيضاً الثقافة الفرعية بكل جنس والدور المتوقع منهم.
- ✓ دراسة أخرى أجراها "موريناجا ياسوكو" Morinaga yasuko بعنوان "الاختلافات النوعية في قيم العمل بين طلاب الكلية اليابانية. هدفت الدراسة من خلال "التحليل العاملي Factor Analysis" التعرف على الاختلاف بين الذكور والإناث من الطلاب الجامعيين في قيم العمل المدركة Perceived work values. ومن خلال الدراسة الميدانية التي أجريت، توصلت الدراسة إلى تأكيد الطلاب الذكور على قيمة الإنجاز Acheivement باعتبارها من قيم العمل. كذلك أوضحت الدراسة علاقات ذات دلالة بين اتجاهات النوع وبعض جوانب قيم العمل. فالاتجاهات التقليدية للذكور ارتبطت بأهمية كبرى بقيمة الإنجاز والعمل المريح. وهذه النتائج تم مناقشتها في علاقتها بالطموحات المهنية والسلوك المهني.

✓ دراسة أخرى أجراها "ليبوهار ينحتون وتلمان"Lebo Harrington & Tillman (1997) هدفت الدراسة إلى تحديد مدى التشابه في قيم العمل بين طلاب المدارس العليا في ست بلدان هي الولايات المتحدة الأمريكية - النرويج- فنلندا - كندا - أستراليا - فرنسا. ومن خلال دراسة ميدانية أجريت على (1480) طالباً من المستويات الدراسة (7 - 12)، توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها، أن قيم العمل بين الطلاب كانت متشابهة إلى حد كبير في تلك البلدان والثقافات التي أجريت فيها الدراسة. كذلك توصلت الدراسة إلى أن القيم المرتبطة "بالراتب الجيد" و"الأمان في العمل" و"التنوع في العمل". تصدرت المراتب الثلاث الأولى بين جميع الطلاب تقريباً عدا الطلاب الأمريكان المتحدثين بالأسبانية حيث أكدوا على أن قيمة المكانة الاجتماعية للعمل لتحتل المرتبة الثالثة بدلاً من قيمة "التنوع في العمل".

5 – 2 - الكفاءة الذاتية المدركة: ظهر هذا المفهوم على يد ألبرت بندورا (1977) بعد نشره لمقالة بعنوان كفاءة أو فاعلية الذات نحو نظرية أحادية لتعديل السلوك وطوره سنة (1986) حيث ربطه بمفهوم الضبط الذاتي للسلوك في نظريته الاجتماعية المعرفية.

وتعرف الكفاءة الذاتية بانها ثقة الفرد في قدراته خلال المواقف الجديدة او المواقف ذات المطالب الكثيرة وغير المألوفة، أو هي اعتقادات الفرد في قوة الشخصية مع التركيز على الكفاءة في تفسير السلوك دون المصادر او الأسباب الأخرى للتفاؤل.**(فيصل، 2011: 18).**

وقد عرف إبراهيم (2010) الكفاءة الذاتية المدركة بانها تقدير الفرد لما يمتلكه من قدرات وإمكانات يرى أنها تساعده في حل ما يواجهه من مشكلات دون الاعتماد على الأخرين. **(إبراهيم،2010: 105)**

أما الصقر (2005) فقد عرف الكفاءة الذاتية المدركة بانها ثقة الفرد في ذاته، وامتلاكه لمقومات معرفية وانفعالية تمكنه من بلوغ المستوى المرغوب **(الصقر، 2005: 44)**

مصادر الكفاءة الذاتية المدركة:

اوضح الصقر(2005) ان هناك أربع مصادر للكفاءة الذاتية المدركة وعلاقتها بأحكام فاعلية الذات او السلوك عند باندورا، وهي:

- إنجازات الأداء: ترجع إلى النجاحات الماضية التي تخلق توقعات إيجابية وترفع مستوى الشعور بالكفاءة.
- الخبرات الملاحظة: أي ملاحظة الشخص لنجاح الأخرين وإنجازاتهم ترفع من الكفاءة لديه.
- الإقناع اللفظي: هو عبارة عن إقناع خارجي للشخص بالقدرة على الإنجاز والقيام بسلوك ما كتشجيع الوالدين أو الأصدقاء والأخرين.
- الاستثارة الانفعالية: وهي عبارة عن مستويات الشعور بالخوف والقلق والانفعال الشديد التي يؤدي إلى خفض أداء الشخص، في حين الاستثارة الانفعالية المنخفضة ترفع مستوى الدقة والإتقان وبالتالي كفاءة ذاتية مرتفعة.

أبعاد الكفاءة الذاتية المدركة:

يرى **أبو رياش والصافي (2005)** أن للكفاءة الذاتية ثلاث أبعاد:

- كفاءة ذاتية سلوكية
- كفاءة ذاتية انفعالية
- كفاءة ذاتية معرفية

إن قناعة الفرد بإمكانية التأثير على نفسه والبيئة المحيطة تجعل مواجهته للمتطلبات الحياتية أكثر سهولة، فكلما ازداد اعتقاد الفرد بامتلاكه إمكانيات سلوك توافقية من أجل التمكن من حل مشكلة ما بصورة عملية، كان أكثر اندفاعا لتحويل هذه القناعات أيضا سلوك فاعل".**(Schwarzer 114:1992)**

وتؤثر توقعات الكفاءة الذاتية على ثلاثة مستويات من السلوك هي:

1- اختيار الموقف.

2- الجهد الذي يبذله الفرد.

3- المثابرة في السعي للتغلب على الموقف.

في المستوى الأول يمكن للمواقف التي يمر بها الفرد أن تكون مواقف اختيارية أولا تكون كذلك، فإذا ما كان الموقف واقعاً ضمن إمكانيات حرية الفرد في الاختيار فإن اختياره للموقف يتعلق بدرجة كفاءته الذاتية، أي أنه سيختار المواقف التي يستطيع فيها السيطرة على مشكلاتها ومتطلباتها ويتجنب المواقف التي تحمل له الصعوبات في طياتها،أما في المستويين الثاني والثالث فتحدد درجة الكفاءة الذاتية شدة المساعي والمثابرة المبذولة أثناء حل مشكلة ما، فالفرد الذي يشعر بدرجة عالية من الكفاءة الذاتية سوف يبذل من الجهد والمثابرة أكثر من ذلك الذي يشعر بدرجة أقل من الكفاءة الذاتية، فالتقدير المسبق المرتفع للكفاءة الذاتية سيعطيه الثقة بأن مساعيه سوف تقوده أيضا النجاح بغض النظر عن صعوبتها،في حين أن التقدير المنخفض للكفاءة الذاتية سيدفعه أيضا إلى بذل القليل من الجهد والمثابرة،وهذا ما يطلق عليه تسمية الإرادة التي تقوم على تحويل نية سلوك ما إلى سلوك فعلي، وكذلك المحافظة على استمرارية هذا السلوك أمام العقبات التي تواجهه، ويمكن قياس توقعات الكفاءة المدركة ذاتياً على وفق ثلاث سمات هي مستواها وعموميتها و ثباتها.(**جابر عبد الحميد، 1986:449)**

من الدراسات السابقة لموضوع الكفاءة الذاتية المدركة:(**بنت درويش الكليبية،2013)**

- ✓ دراسة نوتا (2003) التي هدفت إلى تطبيق برنامج في تأكيد الذات لطلبة المرحلة الثانوية المترددين في اختيار التخصصات الجامعية، ثم استخدام مقياس القرار المهني ونمط اتخاذ القرار، ومقياس الفاعلية الذاتية المدركة، حيث تكونت عينة الدراسة من 18 طالبا(4 ذكور و14 إناث من بين 995 طالبا وطالبة، وأهم محاور البرنامج تركزت على التكيف مع المواقف باستخدام أسلوب تأكيد الذات وحل المشكلات واتخاذ القرارات، توصلت نتائجها غلى ان البرنامج أدى إلى تقليل التوتر وذلك بعد ممارسة سلوك توكيد الذات في المواقف الاجتماعية، كما بينت النتائج لأن البرنامج يعمل على تحسين قدرة الطالب على اتخاذ القرار المهني المناسب.
- ✓ أما الدراسة التي أجراها بني خالد (2010) فقد سعت إلى تحديد علاقة التكيف الأكاديمي بالكفاءة الذاتية العامة لدى طلبة كلية العلوم التربوية في جامعة آل البيت، حيث تكونت عينة الدراسة من 200 طالبا وطالبة .وقد استخدم الباحث مقياس الكفاءة الذاتية العامة لجيروزلمو تشيفرز ومقياس هنري بورو للتكيف الأكاديمي، حيث أشارت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية لدى أفراد عينة الدراسة في التكيف الأكاديمي تعزى لجنس الطالب أو المستوى الدراسي أو التفاعل بينهما، كما أظهرت النتائج وجود ارتباط موجب دال إحصائيا بين التكيف الأكاديمي والكفاءة الذاتية العامة لدى أفراد عينة الدراسة.
- ✓ وأجرى المساعيد (2011) دراسة هدفت إلى معرفة مستوى التفكير العلمي عند طلبة جامعة آل البيت وعلاقته بكل من الكفاءة الذاتية العامة والسنة الدراسية والجنس، حيث تألفت عينة الدراسة من (255) طالبا وطالبة من طلبة تخصص معلم صف .وقد أشارت نتائج الدراسة إلى وجود معامل ارتباط إيجابي بين التفكير العلمي والكفاءة الذاتية، و أظهرت النتائج وجود فروق في التفكير العلمي يعزى إلى السنة الدراسية لصالح طلبة السنة الدراسية الأعلى . في حين لم تظهر النتائج فروقًا ذات دلالة بين الذكور والإناث.

وتعتبر الكفاءة الذاتية المدركة أحد محددات التعلم المهمة والتي تعبر عن مجموعة من الأحكام لا تتصل بما ينجزه الفرد فقط، ولكن بالحكم على ما يستطيع إنجازه .فالكفاءة الذاتية ليست مجرد مشاعر عامة ولكنها تقويم من جانب الفرد لذاته عما يستطيع القيام به، ومدى مثابرته، ومقدار الجهد الذي يبذله، ومدى مرونته في التعامل مع المواقف الصعبة والمعقدة ومقدار مقاومته للفشل.

الإطار الميداني للدراسة:

1 - منهج الدراسة: يعتبر المنهج بصفة عامة الطريقة الأساسية التي يعتمد عليها الباحث في دراسته بغية الوصول إلى نتائج علمية إذ يتوقف المنهج المتبع على طبيعة الموضوع الذي يختاره الباحث أثناء قيامه بالبحث، وبذلك لاحظنا أن المنهج المناسب لدراستنا هو المنهج الوصفي الاستكشافي، حيث يعتمد على دراسة الوقائع واستكشافها كما يهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبر عنها تعبيرا كافيا أو تعبيرا كميا، فالتعبير الكمي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطينا وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى المختلفة. **(عبيدات ذوقان وآخرون،191: 2003).**

2 - حدود الدراسة: تم إجراء الدراسة على الطلبة خريجي الجامعة للموسم الماضي 2016/2015 والذين يشغلون مناصب عمل في إطار الإدماج بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة عمار ثليجي الأغواط من شهر سبتمبر إلى يومنا هذا، بالإضافة إلى طلبة سنة ثانية ماستر والذين يتخرجون في نهاية السنة 2017/2016.

3 - عينة الدراسة: تمثلت عينة الدراسة في 40 طالب بين متخرج يزاول عمله في إطار عقود الإدماج وطالب مُقبل على التخرج من مختلف أقسام كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. تم اختيارهم بطريقة عشوائية وتوزيع الإستبيان اداة الدراسة بطريقة عرضية. من خصائص عينة الدراسة:

جدول رقم (1) يبين خصائص عينة الدراسة حسب الجنس والتخصص الدراسي

الجنس	ذكور	16
	إناث	24
التخصص	علم النفس	14
	علوم التربية	14
	علم اجتماع	12

4 – أداة الدراسة: تم الاستعانة بالاستبيان كأداة لمعرفة قيم العمل والكفاءة الذاتية المدركة لدى خريجي الجامعة، حيث تكون استبيان قيم العمل من 18 عبارة مقسمة إلى 4 أبعاد وهي

- قيم الأمن الوظيفي: وشملت 4 عبارات
- قيم مادية واقتصادية وشمل 4 عبارات.
- قيم اجتماعية وشملت العبارات وشمل 5 عبارات
- قيم الترقي والتنمية الذاتية: وشمل 5 عبارات

أما استبيان الكفاءة الذاتية المدركة فمكون من 30 عبارة موزعة على ثلاث أبعاد وهي 10 فقرات لبعد الثقة بالنفس و10 فقرات للبعد الانفعالي و10 فقرات للبعد المعرفي.

تكون الإجابة عليها بالبدائل التالية موافق بشدة – موافق – غير متأكد – معارض – معارض بشدة حيث تراوحت درجاته ما بين 1 - 5 درجات.

5 – نتائج الدراسة:

5 -1 - الإجابة على التساؤل الأول: هل خريجو الجامعة على معرفة وتصور واضح بقيم العمل ؟ تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل بعد من أبعاد قيم العمل ثم إعطاء الترتيب وأهمية كل قيمة من قيم العمل لخريجي الجامعة:

جدول رقم (2) يبين مدى إدراك أفراد العينة لقيم العمل حسب الأبعاد والترتيب لكل بعد

أبعاد قيم العمل	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب

قيم الترقي والتنمية الذاتية	3.28	1.66	4
القيم الاجتماعية واحترام المجتمع.	3.40	1.90	3
قيمة مادية اقتصادية.	3.75	1.55	1
قيم الأمن الوظيفي.	3.65	1.80	2

يتضح من خلال الجدول اعلاه ان الطلبة خريجي الجامعة اومن هم بصدد التخرج للموسم الحالي على اهتمام كبير بتحقيق العائد المادي والاقتصادي من خلال الحصول على فرص العمل أولا، ثم التفكير في منصب عمل يضمن الاستقرار والأمن الوظيفي ثانيا، تليها قيمة اجتماعية لمن يتحصل على وظيفة او شغل ولا يبقى الطالب بدون عمل مهما كان، خاصة بالنسبة لمن تخرج من الجامعة، وأخيرا السعي وراء تحقيق التنمية الذاتية وقيم الترقي وتحقيق الطموحات المستقبلية .

كما نلاحظ أن إدراك وتصور خريجي الجامعة للعمل وقيم العمل هو إدراك خاطئ وغير سليم لاعتقاد خريج الجامعة بضرورة الحصول على منصب عمل لتفادي نظرة المجتمع دون التفكير في منصب يتناسب مع مؤهلاته وقدراته، فأغلب أفراد عينة الدراسة من خريجي مستوى الماستر يزاولون أعمال إدارية أو العمل بالمكتبة الجامعية وهي وظائف لا تتناسب مع تخصصات الطلبة منها تخصص الإرشاد والتوجيه، تخصص ع ن العمل والتنظيم تخصص علم اجتماع ،........ إلخ

5 – 2 - الإجابة على التساؤل الثاني: هل خريجي الجامعة على إدراك واسع لكفاءتهم الذاتية ؟

قبل تحديد مستوى الكفاءة الذاتية لدى خريجي الجامعة والمقبلين على التخرج اردنا معرفة مستويات وأبعاد الكفاءة لدى عينة البحث من خلال المتوسطات الحسابية لكل بعد ثم حساب مستوى بعد استخراج المتوسط الفرضي لدرجات الإجابة على استبيان الكفاءة الذاتية المدركة:

جدول رقم (3) يبين مدى إدراك أفراد العينة للكفاءة الذاتية حسب الأبعاد والترتيب لكل بعد

أبعاد الكفاءة الذاتية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
بعد الثقة بالنفس	28.5	5.44	3
البعد الانفعالي	37.6	4.23	1
البعد المعرفي	30.1	4.11	2

من خلال الجدول يتبين لنا أن فئة الطلبة خريجي الجامعة لديهم مستويات مرتفعة من الشعور بالخوف والقلق من المستقبل والانفعال الشديد التي أدى إلى انخفاض مستوى الأداء، كما أن الاستثارة الانفعالية المرتفعة تخفض مستوى الكفاءة الذاتية المدركة .

من جهة ثانية نلاحظ ان خريج الجامعة او من هو مقبل على التخرج له مستويات مقبولة من التفكير ولبتخيل والدافعية وخبرة بسيطة بمجالات العمل المتاحة سمحت له بمزاولة بعض الأعمال الإدارية، وهذا ما رفع مستويات القناعة لديه والقبول بأي نوع من الأعمال له صلة ولو قليلة بتكوينه أو قريبة منه.

أما عن مستوى الثقة بالنفس فنجده متدني جدا لدى من هو مقبل على التخرج حسب رأي الباحث لأنه ليس على دراية كافية بما هو متوقع منه إنجازه، او قد يساهم في إنجازه، كما ان تصور الطالب لنوع العمل المرغوب وضغط المجتمع وقلة فرص العمل يخفض مستوى الثقة لديه.

5 -3 – الإجابة على التساؤل الثالث: ما مستوى الكفاءة الذاتية المدركة لدى خريجي الجامعة ؟

لمعرفة مستوى الكفاءة الذاتية لدى خريجي الجامعة تم حساب اختبار ت لعينة واحدة وحساب المتوسط الفرضي والمقارنة بينهما . حيث توصلنا إلى النتائج التالية :

جدول رقم (4) يبين مستوى الكفاءة الذاتية المدركة لدى أفراد عينة الدراسة

المتغير	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	قيمة ت	درجة الحرية	الدلالة	مستوى الدلالة

الكفاءة الذاتية	40	64,87	8,36	90	18.99	39	0.000	0.05 دالة

من الجدول يتبين أن المتوسط الحسابي لدرجات افراد العينة على استبيان الكفاءة الذاتية المدركة 64.87 لأقل من المتوسط الفرضي 90، أي ان مستوى الكفاءة الذاتية المدركة أدى خريجي الجامعة منخفض، وهذا ما تؤكده الدلالة الإحصائية لعينة طلبة خريجي الجامعة الغير مدركين لمستوى كفاءتهم الذاتية مقارنة بالطلبة الذين لديهم مستوى إدراك مرتفع.

مما سبق يمكن القول ان الطالب يفتقد للثقة بالنفس في قدراته وعدم احترام الذات وقدرتها على إثبات نفسها خاصة مع كثرة المشكلات ووجود العراقيل التي تمنع الفرد من بلوغ أهدافه وتحقيق طموحاته، كما نجد ان المجتمع ساهم بنسبة كبيرة في تجهيل الطالب وعدم إعطائه الفرصة الكافية للتعرف على ذاته من خلال المشاركات الفعالة في المناسبات الاجتماعية، ولما لا الإقناع اللفظي للشخص وإبراز قدرته على الإنجاز والقيام بسلوك ما خاصة الوالدين أو الأصدقاء .

إضافة على ذلك يمكن القول أن خريجي الجامعات يسعون على الربح المادي مما شكل لديهم إشكالية في الحصول على المال من أي منصب عمل دون المبالاة بفرص التنمية الذاتية والترقي او القدرة على إنجاز الأصعب أو اختيار العمل المناسب لطموحاتي الشخصية والذاتية. فهو بحاجة على إرشاد اكاديمي ومهني ودعم نفسي لتخطى عقبات الحياة الشخصية والمهنية.

5 -3 - **الإجابة على التساؤل الرابع:** هل توجد فروق في مستوى الكفاءة الذاتية المدركة لدى الطلبة حسب الجنس والتخصص الأكاديمي للطالب ؟

للإجابة على التساؤل الرابع تم حساب اختبار" ت " لقياس الفرق في إدراك الكفاءة الذاتية لدى الطالب الجامعي حسب الجنس، وتطبيق اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفرق حسب التخصص الدراسي

جدول رقم (5) يبين الفرق في إدراك الكفاءة الذاتية لدى الطالب الجامعي حسب الجنس

المتغير	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجة الحرية	الدلالة	مستوى الدلالة
الكفاءة الذاتية	ذكور	16	108.50	9.59	0.32	38	0.74	0.05 غير دالة
	إناث	24	107.41	10.86				

يتضح من خلال الجدول أن المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات الذكور والإناث على استبيان الكفاءة الذاتية المدركة متقاربة، وهذا ما أدى إلى عدم وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى إدراك الكفاءة الذاتية، إضافة إلى تأكيد المستوى المنخفض لخريجي الجامعات من جهة وعدم معرفتهم لقدراتهم واستعداداتهم المهنية من جهة ثانية. حيث اتفقت نتائج الدراسة مع دراسة المساعيد (2011) التي هدفت إلى معرفة مستوى التفكير العلمي عند طلبة جامعة آل البيت وعلاقته بكل من الكفاءة الذاتية العامة والسنة الدراسية والجنس وقد أشارت نتائج الدراسة إلى وجود معامل ارتباط إيجابي بين التفكير العلمي والكفاءة الذاتية. في حين لم تظهر النتائج فروقًا ذات دلالة بين الذكور والإناث.

جدول رقم (6) يبين الفرق في إدراك الكفاءة الذاتية لدى الطالب الجامعي حسب التخصص

	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	الدلالة	مستوى الدلالة
الكفاءة الذاتية المدركة	بين المجموعات	198.29	2	99.14	0.93	0.40	غير دال
	داخل المجموعات	3908.81	37	105.64			
	المجموع	4107.10	39				

يتبين لنا من خلال الجدول أن إدراك الطالب الجامعي لكفاءته الذاتية لا يتأثر بمتغير التخصص الدراسي ولا يؤثر فيه، حيث توصلت الدراسة ان التخصصات المدروسة كعلم النفس او علوم التربية أو علم الاجتماع لا تحدد مستوى الكفاءة الذاتية للطالب، فهي تساعده فقط على اكتساب المعارف والتعرف على المهن المناسبة لكل تخصص، كما أن هناك عوامل أخرى قد تؤثر على إدراك الطالب الجامعي للأبعاد المهنية لتخصصه الدراسي كالتوجيه والرغبة في التخصص من جهة، وعدم امتلاكه القدرة الكافية لكشف التخصص ومميزاته، أو اختيار العمل المناسب لطموحاته الشخصية والذاتية .

خاتمة: للقيم وظائف عديدة في حياة الفرد والمجتمع، فهي تهئ للفرد خيارات معينة، فتكون لديه إمكانية الاختيار والاستجابة لموقف معين، فتلعب دوراً هاماً في بناء شخصيته، كما أن القيم تعطي الفرد إمكانية أداء ما هو مطلوب منه، لذلك فهي تجعله أقدر وأصبر على التكيف كذلك فإنها تحقق للفرد الإحساس بالأمان لأنها تقويه على مواجهة ضعف النفس، والقيم تدفع الفرد لتحسين أفكاره ومعتقداته، وتساعده على فهم الآخرين من حوله، وتوسع إطاره المرجعي في فهم علاقاته مع الآخرين، كما أنها تعمل على إصلاح الفرد اجتماعياً وأخلاقياً ونفسياً وفكرياً وثقافياً..الخ،

الطالب الجامعي المتخرج إذا لم يدرك مدى قدرته على التعامل مع مواقف الحياة الضاغطة في ظل الوقت الراهن من البطالة وبعض الوظائف الغير مطابقة لتخصصاته المهنية وعدم قدرته على اختيار ما يناسب قدراته ومؤهلاته قد نلمس فيه عدم الثقة بالنفس والآخرين وعدم قدرته على تحمل المسؤولية الاجتماعية لذا يظهر لديه مستوى مرتفع من قلق المستقبل أي كفاءة ذاتية منخفضة وعدم إدراك قيم العمل وإعطاءها حقها خاصة في تفضيلاته المهنية .

قائمة المراجع:

1- ابراهيم الشافعي (2010)، فاعلية برنامج إرشادي جمعي لتنمية الكفاءة الذاتية في الحوار وعلاقتها ببعض السمات الشخصية لدى طلبة الجامعة السعودية، مجلة الإرشاد النفسي العدد 24، ص 95-137.

2- أبو رياش حسين محمد والصافي عبد الحميد محمود(2005)، أثر برنامج تدريبي قائم على التخيل الموجه في تنمية الكفاءة الذاتية المدركة لدى طلبة الصف الرابع الأساسي في الأردن، مجلة العلوم النفسية والتربوية، جامعة المنوفية العدد 20-2، ص 2- 35.

3- باركر وآخرون، علم الاجتماع الصناعي(1989)، ترجمة محمد علي محمد وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

4- جابر عبد الحميد (1986)، الشخصية، البناء، الديناميات، النمو، طرق البحث، التقويم. القاهرة: دار النهضة العربية

5- حمدي علي أحمد علي ومحمد عبدالله الشايع (2011)السعودة وقيم العمل لدى طلاب جامعة القصيم قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية مقال غير منشور .

6- الصقر تيسير محمد علي (2005)، مستوى النمو الخلقي والكفاءة الذاتية المدركة لدى عينة من طلبة جامعة اليرموك في ضوء بعض المتغيرات، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك.

7- فيصل قريشي (2011)، التدين وعلاقته بالكفاءة الذاتية لدى مرضى الاضطرابات الوعائية القلبية، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الحاج الأخضر باتنة.

8- محمود عطا حسين عقل (2006)، القيم المهنية، دراسة نظرية وميدانية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض .

9- منى بنت درويش الكليبية، (2013)، فاعلية برنامج إرشادي جمعي في تنمية المسؤولية الاجتماعية والكفاءة الذاتية المدركة لدى نزيلات السجن المركزي بسمائل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نزوى.

10-Elizur, D. (1984) facets of work values, Astructural Analysis of work values outcomes, Journal of Applied sychology, (69L pp. 379 - 387.

11-Samuel Yitzhak , (1976) the occupational situs as a predictor of work values, A.J.S., vol. 85, No.3 November, PP. 626.

12-Schwartz, S.H. , (1999) Atheory of cultural values and some implicatious for work, J. of Applied Psychology, vol. 48, Issue 1. January, P.1.

13- Schwarzer, R. & Leppin, ASozialerrueckhalt, (1990) Krankheit und Gesundheitsverhalten. In Gesundheitspsychologie, Goettingen: Hogrefe,

14-supper, D. (1995) values: their nature assessment and practical use, in D.E.Supper (eds.) Life Roles, values and careers, Jossey press sanfrancisco, PP. 54 - 61.

انحراف الشباب: قراءة في واقع وأسباب الظاهرة وسبل علاجها والحد منها

أ.خديجة مقاتلي -
جامعة عمار ثليجي بالأغواط

الملخص: في هذا المقال سنحاول التعرف على العوامل الكامنة وراء ارتكاب الشباب لبعض المخالفات التي تضعهم في خانة الخارجين عن القانون والمجتمع، لنلمس مواطن هذا الداء واقتراح الحلول المناسبة والكفيلة بالقضاء على تلك الظاهرة أو الحد منها، وبالتالي تقديم أهم استراتيجيات التكفل بالشباب وسبل وقايتهم وعلاجهم إزاء ظاهرة الانحراف.

الكلمات المفتاحية: الانحراف، الشباب

Summary:
In This article we Will try to identify the factors behind the youth committing some irregularities that put them in the category of outlaws of the Law and society, to touch the citizen of This disease and propose appropriate solutions to eliminate or reduce this phenomenon, and thus provide the most important strategies to ensure young people and ways to protect them and treatment of the phenomenon of deviation.

مقدمة: إذا كان الشباب نصف الحاضر، فهم كل المستقبل، وهم القوة والثروة الحقيقيتين لأي مجتمع، والشباب هم أكثر الفئات العمرية حيوية ونشاطا وقدرة على العمل والإنتاج، ولذلك فهم طاقة كبرى يجب المحافظة عليها واستثمارها بطريقة سليمة تكفل لهذه الشريحة الهامة المساهمة الايجابية في كافة مجالات التنمية وحتى يتحقق ذلك فيجب اولا وقايته من المشكلات بكافة أنواعها حتى نوفر جهده ووقته وصحته، ونؤمن له النمو والدراسة والعمل والقيادة دون معوقات تعوق مسيرة الشباب بل أيضا مسيرة المجتمع ككل، وذلك بدلا من انتظار حدوث المشكلات للشباب وتركهم فريسة لها ثم التحرك لمساعدتهم في علاجها.

أضحت ظاهرة الانحراف من الظواهر الهامة التي تواجه المجتمع البشري قديما وحديثا، وتهدد كيانه وأمنه وسلامته، ففي كل مجتمع أحداث يخرجون عن المعايير والقيم المتفق عليها خاصة في ظل تطور المجتمعات الإنسانية وما اتسمت به من تعقيد في نسيج العلاقات الاجتماعية بين أفرادها فتعددت العوامل المرتبطة بانحراف الشباب وتباينت معها ألوان السلوك الجانح، واختلفت بذلك اتجاهات العلماء وأرائهم في تحديدهم للمعنى الواضح والدقيق لهذه الظاهرة من خلال دراسة بعض مشكلات الشباب السلوكية لوضع الأسس المناسبة للتعامل معهم، والابتعاد بهم عن الانحراف ومسبباته، ولكي نتمكن من تجنيب الشباب سبل الانحراف لابد من التعرف على الأسباب التي تؤدي بهم إلى سلوك السبيل غير السوي وبالتالي إغلاق باب ذلك السبيل دونهم، وتوجيههم نحو السبل الآمنة التي تصل بهم بر الأمان.

كما وتعد ظاهرة انحراف الشباب من الظواهر الاجتماعية التي تهدد استقرار المجتمع، نظرا للاختلالات التي تحدثها على مستوى جميع الأنظمة الاجتماعية، ويحدث الانحراف عندما يتبنى الأفراد مجموعة من الأساليب غير المشروعة اجتماعيا لتحقيق أهدافهم وإشباع حاجاتهم، بمعنى أنهم لا يتقيدون بمنظومة المعايير والقيم المتعارف عليها داخل المجتمع، وظاهرة الانحراف ظاهرة قديمة وحديثة في نفس الوقت، فهي قديمة لأنها ارتبطت بوجود الإنسان على وجه الأرض، وما قصة قتل هابيل لأخيه قابيل إلا نموذج حقيقي عن أزلية الظاهرة، وهي جديدة نظرا لتنوع أساليب الانحراف وأنواعه ومسبباته وذلك تبعا لطبيعة الحضارة والزمن.

لقد كان التفكير الإنساني في القديم يتميز بالتفسيرات الخرافية والميتافيزيقية والدينية لكل الظواهر الاجتماعية والطبيعية، وفي كل المجالات حتى السلوك الانحرافي، حيث كان يغلب على تفسيراته الطابع الفردي أو الشخصي القائم على أساس ديني، فكان يفسر السلوك الانحرافي على أساس انه انتهاك لقانون الآلهة ومقدساتها، وبعد أن أصبحت الأخلاق هي محور

الاهتمام في تفسير السلوك الانحرافي في القرنيين 18و19، أصبحت مفاهيم مثل الحرية واللذة ومبدأ التعاقد الاجتماعي هي التي توجه السلوك الإنساني، ومنه تعددت الاتجاهات والمذاهب في تفسير السلوك الانحرافي.

وفي الوقت الحالي يثير موضوع الانحراف اهتماما كبيرا لدى الباحثين في مختلف التخصصات، وذلك عندما بدأت الأسرة والمدرسة والنظم الاجتماعية المختلفة تعاني من وجود بعض الاضطرابات في بنيتها الداخلية، وظهرت الحاجة إلى الاهتمام بهذه الظاهرة ومحاولة التخفيف منها أو القضاء عليها قبل أن تتفاقم وتزداد انتشارا.

تحديد المفاهيم

الانحراف: أصل كلمة انحراف في اللغة " حرف " ويقال " حرف الجبل " أي أعلاه المحدب، ويقال فلان على حرف من أمره أي على ناحية منه، وتحريف الكلم عن مواضعه يعني تغييره (جمال الدين عبد الخالق وآخرون، 2001، ص21).

وهو انتهاك القواعد التي تتميز بدرجة كافية من الخروج على حدود التسامح العام في المجتمع(خيري خليل الجمبري، 1948، ص 12). ويعرف كذلك بأنه السلوك الإنساني غير السوي لأنه لا يتماشى مع القيم والعادات والتقاليد التي يعتمدها المجتمع في تحديد سلوك الأفراد، فهو إذا عدم مسايرة المعايير الاجتماعية أو بمعنى أخر عدم التوافق أو الصراع (سامية محمد جابر،1998، ص129).

ونخلص من كل ما سبق أن الانحراف هو انتهاك للمعايير والقواعد المجتمعية والخروج عن محددات وضوابطها، بحيث يترتب عن ذلك الانتهاك معاقبة مرتكبيها سواء من طرف الجماعة أو المجتمع عقابا يتدرج في شدته ونوعيته وفقا لدرجة الانتهاك.

الشباب: تعددت الآراء واختلفت بدرجات متقاربة حول تحديد مرحلة الشباب كإحدى مراحل النمو عند الإنسان، وبرغم هذه الاختلافات فان معظم الآراء اتفقت على تحديد مرحلة الشباب كمرحلة عمرية مداها 10 سنوات تقع بين 15 سنة و25 سنة وفي حدود عامين اقل أو أكثر حول نقطة البدء والانتهاء (احمد محمد السنهوري، 1994، ص 45).

ويعرفه " الجعب "بأنه: مرحلة قوة بين ضعفين، قوة بين ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة وهي مرحلة عمرية بين 15-25 سنة (الجعب نافذ، 2011، ص 03).

ويعرف" الصوفي " الشباب بأنه: مرحلة القوة والعطاء في حياة الإنسان، وتنحصر بين العام الخامس عشر والعام الثلاثين من عمر الإنسان(الصوفي حمدان، 2004، ص 951).

فمرحلة الشباب إذن تعتبر من أهم المراحل التي يمر بها الفرد، حيث فيها تبدأ شخصية الإنسان بالتبلور (البناء) وفيها تنضج معالم هذه الشخصية من خلال ما يكتسبه الفرد من مهارات ومعارف وقدرات متنوعة ومن خلال النضج الجسمي والعقلي والاجتماعي التي تنمو عن طريق العلاقات الاجتماعية التي يصيغها الفرد ضمن اختياره الحر والواعي وهم من بين سن 16 إلى 35 سنة.

وكأي مرحلة من مراحل النمو عند الإنسان، تتميز مرحلة الشباب بمجوعة من الخصائص، ولما كانت مرحلة الشباب تشمل كل أو معظم فترة مراهقة وجزءا من فترة الرشد فإنها تتداخل مع هاتين المرحلتين وبالتالي تأخذ من خصائصها.

أولا: مشكلة الانحراف : إن ظاهرة الانحراف من المشكلات الجوهرية التي حضيت باهتمام كبير من قبل الكثير من العلماء والباحثين في مختلف التخصصات، وعلى الرغم من التقدم الهائل الذي حققته البشرية في المجالات العلمية ورغم الازدهار الصناعي والاقتصادي إلا انه مازال متأخرا في كفاحه ضد الانحراف، بل إن حجم هذه الظاهرة يتضخم كلما أحرزت البشرية تقدما وتطورا... ولعل مرد ذلك ان ما نجهله عن هذه المشكلة أكثر مما نعلمه.لذلك جاء هذا المقال لتوضيح وتبين مفهوم هذه الظاهرة من جهة وعرض أهم العوامل المسببة لها وكذا سبل علاجها من جهة أخرى.

لقد أشار " جونسون " إلى الانحراف بقوله: إن فكرة الانحراف والامتثال يكون لها معنى من حيث اتصالهما بالحقيقة القائلة أن أعضاء المجتمع يوجهون إلى معايير اجتماعية تكون داخليا جزء من شخصياتها ولهذا فان الامتثال عبارة عن

فعل يتحرى معيار أو معايير اجتماعية معينة ويقع في نفس الوقت ضمن مجموعة السلوك التي يسمح بها المعيار(محمد عاطف غيث، د ت، ص 96) .

فلذلك هناك عدة معايير انحرافية قد تأخذ صورا وأشكالا مختلفة للانحراف وقد لا تصنف ضمن هذه المعايير ومثال ذلك: التهرب من تسديد الضرائب، الغش في الامتحان....، وهذا ما أشارت إليه الباحثة " سامية جبار " في دراستها حول " صور الانحراف من داخل مجال العمل وخارجه " بقولها: إن عدم الانحراف عن معايير معينة لا يشير بالضرورة إلى الامتثال، أو انه لا يشكل امتثالا في حد ذاته، وإنما قد ينجم من انحراف عن معايير أخرى أكثر أهمية (سامية جابر،1998، ص 416) .

لقد أوضح الكثير من الأخصائيين بان الانحراف بشكل عام والجريمة بشكل خاص من الموضوعات التي احتلت موقعا هاما في دراسة الشخصية الإنسانية، وفي هذا يقول " فينك ": " إن ميدان الجريمة والانحراف يعتبر أهم الميادين التي تتعامل معها الخدمة الاجتماعية، غير انه ينبغي توفر التصورات التي تزيد من وضوح الظاهرة حتى يسهل عمل الاختصاصي أيا كان مجاله (الاجتماعي، النفسي، التربوي، الصحي، المهني،).(جلال الدين عبد الخالق، 1999، ص 46). والانحراف مثله مثل الجريمة قد يكون اجتماعيا، وقد يكون خلقيا ودينيا، وقد يكون قانونيا، فإذا كان الانحراف عن قيم المجتمع ونظمه وتقاليده الأصلية سمي انحرافا اجتماعيا وإذا كان عن القيم والمبادئ الخلقية والتعاليم الدينية سمي انحرافا خلقيا أو دينيا، وإذا كان عن القواعد التي رسمتها القوانين الوضعية سمي انحرافا قانونيا، ويمكن أن يضاف إلى ذلك الانحراف النفسي الذي يعني الخروج عن العمليات النفسية السوية وعن معايير السلوك السوي، ويرتبط بالجريمة والانحراف السلوك الإجرامي أو المنحرف الذي هو جزء من السلوك الإنساني العام الذي يشمل جميع أفعال ومناشط وتصرفات الإنسان البدنية والعقلية والانفعالية أو الوجدانية (عمر التومي الشيباني، 1993، ص 20،21).

ثانيا: العوامل المولدة للانحراف

إن الانحراف ظاهرة اجتماعية مرتبطة اشد الارتباط بمختلف الجوانب المتعلقة بالحياة الاجتماعية، لذلك تعددت الأسباب والمحركات التي تقف وراء حدوثه، وبالتالي مشكلة الانحراف كظاهرة تعود بمسبباتها الاجتماعية إلى مختلف الظروف الاجتماعية والبيئية التي ترتبط بالفرد وتحيط به، وإذن إن الانحراف والخروج عن قيم ومعايير المجتمع ليست اختيارا للفرد ليكون كذلك، فلا يوجد كائن بشري في العالم كله يتمنى أو يختار لنفسه أن يكون منبوذا أو مهمشا أو منحرفا، بل ينتج ذلك تحت تأثير وتراكم ظروف وعوامل متعددة بعضها ذاتي وداخلي وبعضها الأخر موضوعي وخارجي، ولا يمكن في حال من الأحوال أن نرجعها إلى عامل واحد أو اثنين، لان الإنسان جهاز معقد تتداخل فيه الكثير من الأمور البيولوجية والنفسية والعقلية والاجتماعية والبيئية والثقافية وحتى المناخية ولذلك يمكن لنا إرجاع عوامل انحراف الشباب إلى العوامل التالية:

1- **الأسرة:** تعتبر الأسرة البيئة الأولى التي ينشا فيها الفرد ويكتسب قيمها وعاداتها، بل ويكتسب أيضا الخصائص الأولى لشخصيته التي تؤثر على تطورها اللائق، ومن هنا تأتي أهمية الارتباط بين الأسرة والجريمة، فالأسرة لها تأثير فعال ومؤثر في الجريمة لما لها من أهمية حيوية في عملية التنشئة الاجتماعية.... هذه التنشئة التي قد تكون خاطئة فتجعل من السرقة عمليات راضية عنها ومن تعاطي المخدرات مظهرا للرجولة ومن أعمال البلطجة بشكل عام فتوة. (عوض السيد، 2001، ص 201، 202).

فالأسرة مسئولة إلى حد كبير عن ارتفاع مستوى الاضطرابات السلوكية بين أفرادها والميل إلى الانحراف، وقد ينشا ذلك عن عدم استقامة العائلة في الخطوط الأساسية للتربية التي تنتهجها، فقد تبالغ في تعاملها بأسلوب العطف والرعاية والحماية، وقد تستخدم الأسلوب الأخر المتناقض تماما، فالإفراط والتفريط في تربية الأبناء يؤدي إلى مالا تحمد عقباه من نتائج مضادة لمطالب الأبوين والمربين، ورغبتهما في إصلاح الأبناء وسلامتهم، فالتذليل فوق الحد الطبيعي والتحقير للسلوك والتصرفات أمام الأقران والضيوف بالذات أو جعل الأبناء يختلطون بأفراد مشبوهين، أو عزلهم وإبعادهم لفترات طويلة

عن الاجتماع المألوف لديهم لسنوات، يجعلهم عرضة للانحراف والخمول والكسل أو بالامتثال لسلوك الخاطئ والنشاط المحرم.(صباح عباس، 1993، ص 70).

ويضيف "عثمان احمد سلطان " أن هناك عوامل أخرى في انحراف الحدث في محيط الأسرة مثل الجو العائلي المحيط بالحدث، ضعف الأبوين المتناهي، القسوة البالغة، الفقر والبخل، وسوء السيرة أو حسن الخلق، فقد الأبوين أو احدهما، إدمان الأب المخدرات أو الخمور.... والبيئة الأسرية بما تضمنته من كافة مظاهر التفكك والتصدع تلعب دورا هائلا في انهيار بناء شخصية الحدث وتربيته وتنشئته وتؤدي إلى انزلاق الحدث في هوية الجريمة والانحراف، وبالتالي إذا كانت الأسرة هي عامل للتنشئة الأول، فهي كذلك عامل مولد للانحراف.(عثمان احمد سلطان، 2002، ص 90).

2- **المدرسة:** تلعب المدرسة بعد الأسرة دورا في تعلم الطفل بعض القواعد وتقترح عليه بعض النماذج التي تساعده على تحقيق انسجام في حياته الاجتماعية، لكن رغم كل هذا الأثر الإيجابي للمدرسة في حياة الطفل إلا أنها قد تتسبب في انحرافه، إذ يواجه التلميذ في المدرسة مجتمعا جديدا هو مجتمع المدرسة، وهو دون شك يختلف عن مجتمع الأسرة، حيث التناقض بين قيم الآباء وقيم الجيل الذي ينتمي إليه، وهنا يجد الفرد نفسه حائرا ضائعا في متاهات المعايير لا يعرف أيهما يختار، موزع الضمير، مضطرب الوجدان مما قد يعرضه لان يسلك سلوكا إجراميا قد يؤدي بهم إلى الفشل والاندماج في جماعات تتخذ من السلوك الإجرامي وسيلة للتعبير عن مدى معارضتهم.(عوض السيد، 2001، ص 208).

ويشير كل من "الترتوي وعوض" انه إذا كان المنخرطون في الإرهاب يكونون عادة متعصبين لإيديولوجية معينة دينية أو علمانية، فان المنظمات الإرهابية تبحث عادة عن أنصارها ومؤيديها من صفوف الشباب المثقف والمتعلم، وذلك في المدارس والجامعات حيث أنها مكان مفتوح لتبادل الرأي والحوار وصقل الفكر بعد تكوينه، الأمر الذي يفرض مزيدا من المسؤولية على المؤسسة التعليمية في الوقوف ضد حركات الاستقطاب لطلابها.(الترتوري محمد عوض وآخرون، 2006، ص 275، 276).

ولعل من سلبيات المؤسسات التعليمية في معظم الأقطار العربية والتي قد تكون سببا رئيسيا في ظهور السلك الإجرامي هي اعتمادها على نظم التعليم المرتكز على التلقين والتكرار والحفظ، وعلى حشو ذهن الطالب طوال العام مختلف المراحل الدراسية بمعلومات، دون إعمال للعقل ودون تحليل أو نقد، ومثل هذه النظم تفرز طالبا يتقبل بسهولة كل ما تمليه عليه سلطة المعلم دون نقاش، وبذلك يصبح من السهل جدا على مثل هذا الطالب أن يتقبل كل ما تمليه عليه سلطة أمير الجماعة دون تحليل أو نقد أو معارضة، ويكون عرضة للانخراط في أية جماعة أيا كان توجهها، حيث يتم تلقين الفكر وتقبله دون تحليل ويسهل الانقياد بفعل إبطال عمل العقل.(الهواري محمد، 2004، ص 24،25). وفي الأخير المدرسة وحدها لا تتمكن من البناء الفعال لشخصية الحدث إلا بتضافر بيئة عائلية صالحة تساعدها وتشد من أزرها وللتخفيف من الأثار السلبية التي تفرزها المدرسة ولذا نقترح وضع مؤطرين نفسانيين وتربويين يعملون على حل المشاكل اليومية للأحداث في المدرسة ليكون هناك توازن في شخصية الحدث من ذلك التناقض الصارخ بين مجتمع المدرسة ومجتمع الأسرة.

3- **الشغل:** قد ينحرف الحدث رغم تواجده بمؤسسات تربوية تعمل على تلقين القواعد والقوانين الواجب طاعتها كما وسبق ذكره الأسرة والمدرسة فما حال هذا الحدث في مجتمع العمل الذي يختلف تماما عن مجتمعه الحقيقي أين يلتقي بأفراد عديدين، لهم نماذج سلوكية متنوعة ورب عمل لا يعني إلا بالناحية النظامية ولا يعنيه سلوك الحدث ما لم يؤثر في سير العمل، والأحداث ميالون إلى التقليد والمحاكاة، وقد يستغل الحدث ممن هم اكبر منه في أعمال غير مشروعة مما ينتج عنها اثار ضارة على سلوك الحدث مستقبلا.(جلال الدين عبد الخالق وآخرون، 2001، ص 142-144).

4- **أصدقاء السوء:** يعد الاتصال مع الآخرين والاجتماع معهم حاجة لدى الإنسان يجني من ورائها فوائد كثيرة، في تبث في نفسه الشعور بالأمن والانتماء، وتتيح له فرصة إظهار شخصيته وتوكيدها . وتزوده بمهارات وخبرات جديدة... إلى ما هناك من فوائد .(الترتوري محمد عوض وآخرون، 2006، ص 302). ولكن أحيانا يجد بعض الأشخاص أنفسهم خاصة الشباب

منهم أحضان ثلة من الرفاق يتحكمون فيهم دون أن يفيدوهم أو ينصحوهم، وسرعان ما يكتسبون منهم أنماطا سلوكية كثيرة تحول دون تكيفهم السليم في المجتمع، فمما لاشك فيه أن للرفقاء أو الشلة دورا لا يستهان به في النزوع نحو العنف والتطرف ولا سيما عندما يكون تأثير هذه الشلة قويا في وجود شخصية ضعيفة أو إيحائية أو غير مستقرة اسريا، كما أنها تسمح للفرد بالتعبير عن رأيه بحرية حتى ولو كانت آراؤه خاطئة بل ربما وجد فيها الفرد متنفسا للكبت الداخلي لديه أو محرضا على سلوك لا يقره المجتمع أو المنطق.(الحسين أسماء عبد العزيز، دت، ص 27).

5- العوامل الإعلامية وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات:

تلعب وسائل الإعلام دورا لا يستهان به في تغذية أو دعم أو ظهور العنف والانحراف والتطرف فهي بما تقدمه من برامج وأفلام وأخبار وأساليب للإخبار عن الحدث أو تركيها وعن الأشخاص وسيط مشارك لدى عديد من الدول، ومن وسائل الإعلام التلفاز أو القنوات الفضائية التي اغلبها تنتهج منهج التطرف فأما الاستهتار بالعقول والشعائر الدينية والأخلاقية، أو زرع الفتن وإثارتها، من خلال بعض البرامج أو الأفكار والتهويل والتضخيم، ولو كان التناول في القضايا والموضوعات وحتى التحليلات تناولا إيمانيا يقوم على التعامل مع الحقائق والاستناد إليها في التفسير والتحليل، والتعليق وغيره . والمعايشة الحية للأحداث والتحري والتثبت من الأخبار ورواياتها.... ومراعاة الحالة النفسية المهيأة لدى المستقبل وظروف الزمان والمكان.(الشنقيطي محمد ساداتي، 2007، ص 159،160)، كما وبينت الكثير من الدراسات أن محتويات الأفلام والبرامج الموجهة للأطفال مشبعة بمشاهد العنف والإجرام، مثل ماذكره " ناثان سيبا " Nathan Seppa ، عضو هيئة تحرير نشرة مونيتور التي تصدرها الرابطة الأمريكية النفسانية، في مقالة بعنوان " يبقى تلفزيون الأطفال غاطسا بالعنف" ملخصا فيها النتائج التي ظهرت في الدراسة القومية التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1996 للعنف التلفيزيوني وغطت الدراسة برامج 23 قناة فكانت النتائج كما يأتي وهي نفس البرامج المترجمة والموجهة إلى العالم العربي والإسلامي: 58 % من البرامج احتوت على العنف.73 % من البرامج احتوت على العنف دون تأنيب او نقد او جزاء. 58 % من البرامج ذات سلوك عنيف مكرر.(صالح خليل أبو أصبع، 2006، ص 128).

كما وتعد شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) اليوم من الوسائل القوية الأثر في خدمة عمليات العنف والإرهاب الدولية، فهذه الأطراف المشتركين فيها على امتداد العالم كله وهي مفتوحة على مصراعيها للانضمام المطرد إليها يوما بعد يوم، وهي تظم – علاوة على ذلك – كل شيء بدءا من الكتب التراثية وانتهاء بالأفلام المحظورة، فمثلا يمكن للمستخدم استعراض محتويات مكتبة الكونغرس الأمريكية الضخمة من خلال الانترنيت، وهو جالس في بيته أو محله كما يمكنه التعرف على أحوال المجالات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ويزيد عدد مستخدمي شبكة الانترنيت أو المشتركين فيها على تسعين مليون مستخدم أو مشترك في شتى أنحاء العالم، حيث ينظم إليها ما يقارب سبعة ملايين مشترك سنويا.(الحسين أسماء عبد العزيز، د ت، ص 26).

كما يذهب علماء النفس أيضا في تفسيرهم لظاهرة الانحراف مشكلة القلق التي تعتري الإنسان، ونتيجة الشعور بالعجز والقصور في كثير من المواقف، والى الإحساس بالاغتراب النفسي والشعور بالحرمان العاطفي، وقد يكون حسبهم الحاجة إلى الإشباع والارتواء بدفء الحب والحنان عامل من عوامل الاندفاع نحو التصرفات والسلوكات المنحرفة، كما يرتبط هؤلاء بين الأمراض النفسية والانحراف، ففي حالة وجود خلل ما في الجهاز النفسي أو العصبي كالهستيريا أو عصاب القلق والقهر، واليقظة النومية والأنانية قد يؤدي إلى الانحراف.(فرانك ويليامز وآخرون، ترجمة عدلي السمري، 1999، ص 79).

ويضيف " مصطفى شريك" في مدونته علم اجتماع الجريمة والانحراف عوامل نفسية أخرى متعددة من أهمها الشعور بالعجز والعداوة والشعور بالاغتراب النفسي والحرمان من مشاعر الدفء العاطفي، وكذا عدم إشباع حاجاتهم إلى الشعور

بالحب والحنان والقبول على مستوى الأسرة ثم على مستوى المؤسسات الأخرى التي تحتضن الشباب وهي تمثل أهم الدوافع النفسية التي تجعل الأفراد ينحرفون ويدخلون عالم الجريمة.(مصطفى شريك، 2008).

بالإضافة إلى ذلك تلعب البيئة الثقافية واحدة من المؤثرات الكبرى التي تسود الجماعة ومستوى التعليم فيها ينبثق عنها جميعا عادات الجماعة وتقاليدها وأسلوبها في الحياة، فإذا كانت هذه الضوابط مستثمرة في غير محلها ولا تستطيع أن تستوعب الفرد وتعداها دفعت بصاحبها كما قال " كوهن " إلى العدوان واكتساب تصرفات إجرامية وذلك في دراسة له حول ارتباط العوامل الثقافية بالسلوك الانحرافي.(محمد صبحي نجم، 1988، ص 40).

كما تبرز أهمية العامل الاقتصادي في مجال الجريمة، باعتباره دافعا قويا لارتكاب الأفعال المنافية للقانون، وذلك بهدف إشباع الحاجات الضرورية، ولقد كشفت عدة دراسات مدى تأثير المستوى الاقتصادي للأسرة على ظاهرة جنوح الأحداث منها دراسة عدلي السمري التي توصلت إلى أن الحالة الاجتماعية والاقتصادية للأسرة هي السبب الرئيسي في السلوك العدواني للأبناء.(عدلي السمري، 2001، ص 222).

كما ينعكس الوضع الاقتصادي للأسرة على نوعية شخصية أفرادها في قدرتهم على تحمل الفقر والعوز ومقاومته، أو عدم التمكن من ذلك مما يؤدي بهم إلى ارتكاب المخالفات والجنح، وهذا ما ذهب إليه " كارل ماركس " بقوله " إن القضاء على المشكلات الاجتماعية ومنها ظاهرة الجريمة، وإنما يتم بإصلاح النظام الاقتصادي.(يسرى أنور علي وآخرون، 1970، ص 19).

وهكذا بالإضافة إلى العامل الاجتماعي والاقتصادي والنفسي والثقافي فان هناك من يقول بوجود عوامل أخرى كثيرة هي بمثابة محركات للسلوك الانحرافي ودافعية للفعل الإجرامي، كضعف الوازع الديني لدى بعض الأفراد، أو تدني المستوى التعليمي وغيرها من الظروف المحيطة به والمؤثرة فيه وفي تنميط مختلف سلوكياته.

وبذلك شكلت ظاهرة الانحراف واحدة من المشكلات الاجتماعية التي تضافرت جملة من العلوم والفنون المعرفية إلى فهمها، والوقوف على مسبباتها بهدف تفسيرها وضبطها والتحكم فيها، وصولا إلى التنبؤ بها ومكافحتها وكذا تحسين مستوى السلوك الإنساني، وجعله أكثر توافقا مع المعايير والضوابط الاجتماعية باعتبارها ظاهرة تهدد الأمن الاجتماعي وتؤثر في الاستقرار داخل المجتمع.

ثالثا: الاستراتيجية الوقائية لمعالجة الشباب من الانحراف

قضايا الشباب والأمن والوقاية من الجريمة والانحراف تعتبر من القضايا الشائكة والمترابطة الأطراف، تحتاج إلى تضافر جهود الباحثين والعلماء والمتخصصين والمهتمين بهذه الموضوعات من قريب أو بعيد، إذ يوضح "عمر التومي الشيباني" في هذا الصدد أن من متطلبات ومقتضيات الوقاية الناجحة من الجريمة والانحراف مايلي:

1- أن يتم التصدي مبكرا للنوازع الرافضة لقيم المجتمع ونظمه وقوانينه وللانحراف في بدايته من قبل أن يتمكن من الشخص ويصبح عادة متأصلة في نفسه، لأنه بعد حدوث الانحراف وتكرر مظاهره تدخل مواجهته في مرحلة العلاج التي هي أصعب من الوقاية وتحتاج إلى جهود أكثر وتكاليف اكبر.

2- أن يتم التخطيط للوقاية من الجريمة والانحراف في ضوء العوامل والأسباب، بحيث يستهدف التخطيط لها القضاء على العوامل والأسباب أو على الأقل التقليل منها والتخفيف من تأثيرها السلبي الضار وإيجاد ما يوازن تأثيرها السلبي بمؤثرات إيجابية.

3- كذلك من متطلبات نجاح السياسة الوقائية أن تتعاون كافة مؤسسات المجتمع ومنظماته وأجهزته وكافة الأطراف المعنية فيه التي لها علاقة بمواجهة مشكلة الجريمة والانحراف والتي لها إمكانية الإسهام في تطبيق وإنجاح السياسة الوقائية المرسومة لمواجهة مشكلة الجريمة والانحراف.

4- من المؤسسات المجتمعية التي يمكنها بل التي عليها أن تسهم في الوقاية من الجريمة والانحراف: البيت والأسرة، المدرسة والمؤسسات الاصطلاحية، ومؤسسات الرعاية والخدمة الاجتماعية، والنوادي الرياضية والثقافية والاجتماعية ومراكز الشباب والمؤسسات العدلية والقضائية والإدارية وأجهزة الشرطة، والمراكز الثقافية، والمسارح ودور الخيالة، والإذاعة المسموعة والمرئية، ودور النشر والمكتبات العامة والصحافة والمساجد والمؤسسات الدينية الأخرى، وما إلى ذلك من المؤسسات والأجهزة المجتمعية التي عليها أن تسهم في الوقاية من الجريمة والانحراف بأشكالها القديمة والمستحدثة وفي تطهير المجتمع من مختلف مظاهر الانحراف وحماية ممتلكاته وتحقيق اكبر قدر من الاستقرار له. (عمر التومي الشيباني، 1993، ص 26،27).

اثر وسائل الاتصال في الحد من الجريمة والانحراف:

تتعدد وسائل الإعلام في إيصال ونشر وبث وتقديم المعلومات والوقائع عن طريق الإعلام الصحفي، والإذاعي، والتلفزيوني والسينمائي الدعائي (عن طريق الإعلانات والمعارض)، القيادي (عن طريق القادة والمسئولين والمربين)، وأيضا عن طريق الاتصال الشخصي، وهذه المصادر على الرغم من تعددها إلا انه لابد من وجود تنسيق وارتباط بين البرامج المتقدمة عن طريق أي منها من اجل هدف واحد ومصلحة موحدة في جميع كلمة الأمة والأفراد حول هدف أساسي، وهو التنظيم والبناء الاجتماعي المتكامل من اجل مصلحة الفرد و مصلحة المجتمع ككل، حيث يعرف المجتمع واجبه ومسؤولياته تجاه أفراده ويبث من خلال وسائله البرامج الوقائية ضد الانحرافات والاضطرابات ويجمع كلمة الأمة بدلا من تفرقتها، وليس معقولا أن تحارب إحدى الوسائل الإعلامية ظاهرة من الظواهر الاجتماعية السلبية كالجريمة مثلا من خلال برامج إعلامية بينما تعمل برامج أخرى على نشر الرذائل دون قصد في غالب الأحيان....(عبد المجيد سيد احمد منصور، 1998، ص 74،75).

فقد يكون من واجب الصحافة في مجتمعاتنا إبراز دورها ومسؤولياتها في التعريف وأسس الرعاية الاجتماعية، وإظهار سبل ووسائل الوقاية من الجريمة والانحراف، وتوجيه إرشاد الشباب نحو جادة الصواب واستقامة السبل وقد يكون من واجب الإذاعة والتلفزيون توجيه البرامج المكثفة في إعداد الرسائل السمعية البصرية والتي تنقل عبر الأثير أو عبر الشاشة الصغيرة صورا ووقائع ومسرحيات إسلامية وأخلاقية هادفة للجهود الموجهة لمكافحة الجريمة وتطوير أساليب ووسائل مكافحتها، وإبراز الجوانب الإيجابية في الوقائع المحلية وعدم تكرارها من الوقائع المحلية والعالمية من الأحداث أو الكبار وإبراز قيم المجتمع الإسلامي وتجنب التفرقة والعمل على تماسك بنيان المجتمع.(عبد المجيد سيد احمد منصور، 1998، ص76).

5- الوسائل الحديثة للوقاية من الجريمة والانحراف:

تهدف الوسائل الحديثة المتبعة للوقاية من الجريمة والانحراف إلى وضع سياسة وقائية قائمة على التخطيط والبرمجة من خلال الاستفادة من المعلومات التي توفرها الوسائل العلمية الحديثة في جميع مجالات العلوم الإنسانية المختلفة، إذ أصبح التوجه في الوقت الحاضر قائما على أساس مواجهة الجريمة والوقاية منها من خلال استخدام استراتيجيات أكثر واقعية ونظرة علمية تقوم على أساس التخطيط الدقيق مستفيدة من معطيات التقدم العلمي في جميع مجالات الحياة الإنسانية لمكافحة شبح الجريمة والانحراف، ويمكن إبراز عناصر التحول في مجال الوقاية من الجريمة والانحراف في النقاط التالية:

أ- التحول نحو التخطيط والبرمجة: لاشك أن العصر الحديث هو عصر العلم والمعرفة وفي سبل مكافحة الجريمة قامت جميع المجتمعات بالاهتمام بإقامة الأجهزة القادرة على رسم السياسات الجنائية الهادفة للوقاية من الجريمة والانحراف، وتوعية المواطنين بالسبل الكفيلة للوقاية من الجريمة والانحراف بحيث توضع السياسة العامة الإنمائية والوقائية ويعهد بتنفيذها إلى أجهزة متخصصة تضع الخطط اللازمة لذلك، والتخطيط يعني تصورا لمستقبل مرغوب فيه للوسائل الرامية إلى تحقيق الأهداف المرسومة، والتخطيط يحول التصور العام الذي تضعه السياسة للأهداف إلى مستوى التنفيذ بتحديد

دقيق لكل هدف من أهداف السياسة العامة المرغوب بتنفيذها في إطار الخطة المرسومة لها.(عبد الله عبد العزيز اليوسف، 2003، ص17،16)

ب- السياسة الإنمائية والوقائية: تعني السياسة الإنمائية تصورا عاما للأهداف التي ترمي الدولة إلى تحقيقها بغية إحداث تطور جذري في البيئة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الذي تسود فيه يرفع من مستوى الإنسان ويوفر له الأمن الحياتي والازدهار والتطور الثقافي والعلمي الكفيل بمواجهة تحديات العصر بما زود به من تأهيل وتهيئة نفسية، أما السياسة الوقائية فتعني تصورا عاما للأهداف الأمنية التي يجب تحقيقها في سبيل توفير الأمن للمواطن، ولا شك أن هذه السياسة الوقائية التي ترسم الإطار العام لتحرك أجهزة الدولة لمكافحة الجريمة والانحراف والوقاية منها، لا يمكن أن تعمل بكفاءة دون أن يتوفر لها الأجهزة اللازمة والقادرة على وضع مثل هذه التصورات والخطط الرامية للوقاية من الجريمة والانحراف موضع التنفيذ الفعلي، وهذا هو الدور المناط بالمؤسسات الحكومية والأهلية في مكافحة الجريمة والانحراف، وتنفيذ الخطط المرسومة من قبل السلطات العليا في المجتمع.(عبد الله عبد العزيز اليوسف، 2003، ص 18،17).

خاتمة:

يمكن القول إذن القول أن الانحراف ظاهرة اجتماعية شانها شان بقية الظواهر البشرية، تنتج عن تفاعل مجموعة من العوامل المتشابكة المتبادلة الاعتماد، تلك العوامل البيولوجية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية التي تنصهر معها على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع في آن واحد، وعليه فالمنحرف هو وحدة بيولوجية نفسية تعيش في وسط اقتصادي وسياسي وثقافي واجتماعي يحدد السلوك السوي والسلوك غير الاجتماعي، وهذا ما يقتضي منا النظر إلى هذه العوامل المسببة للانحراف بمعنى التحديد الدقيق لمدى تأثير كل عامل على السلوك المنحرف، وبالتالي فان تشخيص المشكلة ينبغي أن يضع في اعتباره مختلف العوامل المسببة لها، وهذا ما يعطي تأكيدا على وضع خطوط عامة وبرامج للرعاية المؤسسية والرعاية اللاحقة التي تساير واقع المشكلة من ناحية وواقع المجتمع من ناحية أخرى. ولعل الفلسفة الواقعية التي يرتكز عليها نظام فعال في مكافحة الانحراف تأخذ بأسباب الوقاية كأولوية مطلقة أما منع الانحراف والجريمة وضبط المجرمين فيأتي في المرتبة التالية للجهد الوقائي، ومن المنطق القول بان الوقاية الناجحة لن تدع المجال المناسب لارتكاب الجريمة والانحراف والحد منها.

وعليه فأيا كانت العوامل والأسباب والمتغيرات التي تكمن وراء ظاهرة الجريمة والانحراف في المجتمع فانه لابد لهذا المجتمع بكافة أفراده وقواه وجماعاته ومؤسساته ومنظماته وأجهزته أن يواجه هذه الظاهرة الاجتماعية المرضية مواجهة شاملة متكاملة، تأخذ في اعتبارها كافة جوانب الظاهرة أو المشكلة وكافة العوامل والأسباب والمتغيرات والظروف ذات العلاقة بها، حيث انه يمكن لهذا المجتمع أن يحقق تنمية حقيقية وشاملة ويحقق رضاء بين أفراده وجماعاته إلا بالمواجهة الفاعلة والشاملة لظاهرة الجريمة والانحراف بكافة مظاهرها وأشكالها.

قائمة المراجع:

1- الترتوري محمد عوض وجويحان، أغادير عرفات 2006،، الأسس الفنية والاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن.

2- الجعب نافذ،2011، دور الشباب في عصر العولمة، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الشباب، ثقافة الأمس وفكر المستقبل، رفح، فلسطين.

3- الحسين أسماء عبد العزيز، د ت، أسباب الإرهاب والعنف والتطرف،(دراسة تحليلية)، دار عالم الكتاب، الرياض.

4- السنهوري احمد محمد،1994، المفاهيم الأساسية في ميدان رعاية الشباب –الخدمة الاجتماعية مع الشباب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

5- الشنقيطي، محمد ساداتي،2007، الإعلام الإسلامي –المنهج، دار عالم الكتب، الرياض.

6- الصوفي حمدان، 23-2004/11/24، تصور تربوي مقترح لمواجهة أخطار استخدام شبكة الانترنيت لدى فئة الشباب، المؤتمر التربوي الأول، التربية في فلسطين وتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين.

7- الهواري محمد،2004، المفهوم والأسباب وسبل العلاج ، اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

8- جلال الدين عبد الخالق، السيد رمضان،2001، الجريمة والانحراف، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

9- جلال الدين عبد الخالق،1999، الجريمة والانحراف: الحدود والمعالجة، دار المعرفة الجامعية، الازاريطة.

10- جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، 2001، الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

11- خيري خليل الجمبري،1984، الخدمة الاجتماعية للأحداث المنحرفين، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

12- سامية محمد جابر، 1998، الانحراف الاجتماعي بين نظرية علم الاجتماع والواقع الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، مصر.

13- صباح عباس،1993، الانحرافات السلوكية، الأسباب والعلاج، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، بيروت.

14- صالح خليل أصبع،2006، قضايا الطفل من منظور إسلامي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، اسيسكو، الرباط.

15- عبد الله عبد العزيز اليوسف،2003، المفهوم الحديث للوقاية من الجريمة والانحراف، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية.

16- عبد المجيد سيد احمد منصور،1998، الندوة العلمية السادسة والثلاثون، الشباب والدور الإعلامي الوقائي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض.

17- عثمان احمد سلطان، 2002، المسؤولية الجنائية للأطفال المنحرفين، المؤسسة الفنية للطباعة والنشر، القاهرة.

18- عدلي السمري، 2001، سلوك العنف بين الشباب، الشباب ومستقبل مصر، أعمال الندوة السنوية السابعة لقسم علم الاجتماع، كلية الآداب جامعة القاهرة.

19- عمر التومي الشيباني،1993 دور المربي ورجل الإعلام والمرشد الديني في الوقاية من الجريمة والانحراف، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية.

20- عوض السيد،2001، الجريمة في مجتمع متغير، المكتبة المصرية، الإسكندرية.

21- فرانك ويليامز وماريلين، د، ميشال، 1999، السلوك الإجرامي، ترجمة عدلي السمري، دار المعرفة الجامعية، الازاريطة.

22- محمد صبحي نجم،1988، المدخل إلى علم الإجرام والعقاب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

23- محمد عاطف غيث،د ت، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

24- مصطفى شريك، علم اجتماع الجريمة والانحراف، منشور على الموقع: .http: Mostapha charik,maktoobblog.com

25- يسرى أنور علي وأمال عبد الرحيم عثمان، 1970، علم الإجرام وعلم العقاب، دار النهضة، القاهرة.

واقع التكوين في الدكتوراه "ل م د" من وجهه نظر الطلبة
دراسة ميدانية على عينة من طلبة الدكتوراه العلوم الإنسانية والاجتماعية "بجامعة المدية"

د. واكد رابح- د.ياليشاني وهيبة
جامعة يحي فارس – المدية -

الملخص: تهدف الدراسة إلى التعرف على واقع التكوين بمدرسة الدكتوراه من وجهة نظر الطلاب و فيما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد العينة على محاور الدراسة والتي تعزى إلى عدد من المتغيرات، ولتحقيق هدف الدراسة تم تطبيق الاستبيان على عينة عشوائية، حيث بلغ العدد الإجمالي "50" طالباً وطالبة، توصلت النتائج إلى أن المقاييس الدراسية تسهم في تحسين التكوين في مدرسة الدكتوراه، وتتوفر هيئة التدريس على المواصفات المطلوبة في التكوين، ويلبي محتوى البرامج الاحتياجات التكوينية لطلبة مدرسة الدكتوراه من وجهة نظر الطلبة، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة الدراسة على محاور الاستبانة تعزى إلى متغير الكلية ومتغير الجنس. بينما توجد فروق بين تخصص اللغات والآداب وتخصص الحقوق لصالح تخصص اللغات والآداب.

الكلمات المفتاحية: واقع التكوين، مدرسة الدكتوراه " ل م د "، وجهة نظر الطلبة.

Abstract: The study aims to identify the reality of formation in the doctoral school from the point of view of the students and whether there are statistically significant differences between the responses of the sample members on the study axes, which are attributed to a number of variables. To achieve the goal of the study, the questionnaire was applied to a random sample, The results show that the study standards contribute to the improvement of the composition in the doctoral school. The faculty is available on the required specifications in the training. The content of the programs meets the formative requirements of the students of the doctoral school from the point of view of the students and there are no significant differences. But There is differences between the specialization of languages and literature and the specialization of rights in favor of the specialization of languages and literature.

مقدمة: تحرص الجامعة الجزائرية على تجويد التكوين الجامعي وتطوير منظومة البحث العلمي في مختلف التخصصات العلمية، والبحث عن تصنيف دولي ينافس الجامعات العالمية المتطورة، لذا دأبت في السنوات الأخيرة في إصلاح المنظومة الجامعية ومراجعة المناهج والبرامج التكوينية ونظم التقويم انسجاما مع الإصلاح التربوي العام الذي بدأته وزارة التربية الوطنية، واستجابت له وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في مسار التعليم الجامعي (التدرج وما بعد التدرج) وقد استحدثت في نظام ما بعد التدرج "مدرسة الدكتوراه" بديلا عن النظام الكلاسيكي الذي كان يعتمد على البحث وإنجاز الأطروحة فقط، تبحث الدراسة في واقع التكوين بمدرسة الدكتوراه "العلوم الاجتماعية والإنسانية" من وجهة نظر الطلبة والذي يعتمد بالإضافة إلى إنجاز الأطروحة التكوين النظري وإجبار الطلبة على تلقي مقاييس منهجية ومعرفية تعمق معارفهم النظرية والميدانية.

الإشكالية: تراهن الدول المتقدمة كثيراً على تطوير التكوين الجامعي وتنمية الكفاءات التي تشرف على العملية التنموية وتسهم في تطوير الاقتصاد الوطني، وتعتمده خيارًا استراتيجياً في مواكبة التطور التكنولوجي والمعرفي ومنافسة النظم التكوينية المصنفة عالمياً على مقاييس الجودة وتسعى لبذل جهودكبيرة للتكيف مع متطلبات القرن الحادي والعشرين وتحدياته واللحاق السريع بركب الحضارة العالمية عن طريق تعزيز استثماراتها في التعليم[1]، وقد أصبح مستقرا حتى في نظر

---

[1]- ابراهيم يوسف العبد لله، الإصلاحات التربوية لمواجهة متطلبات العصر وتحديات المستقبل،(لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1، 2004) ص 89.

المؤسسات المالية الدولية كالبنك الدولي أن العامل الحاكم في التقدم هو الاستثمار الكثيف في البشر، ويقع من خلال التعليم مولدًا رأس مال جوهري للأفراد وللأسر والمجتمعات على حد سواء، في صورة توجهات اجتماعية ومعارف وقدرات.[1]

وتبلور مفهوم " تنمية الموارد البشرية[2] Human Resources Development الذي قام على أن البشر مورد كأي مورد آخر وعنصر من عناصر الإنتاج يتعين أن ينمى ويصان لكي يحقق أقصى إنتاجية ممكنة[3] ويقترح باحثو التنمية اليوم استخدام مصطلح التنمية الإنسانية " كحالة راقية من الوجود النوعي للإنسان " بدل التنمية البشرية[4] والتجارب الدولية المعاصرة أثبتت أن بداية التقدم الحقيقية هي التعليم، فالتربية تتحمل مسؤولية كبيرة في تحقيق التنمية التي تشمل كل نواحي الحياة[5] لذا تسارع جامعات الشمال القائدة في مجالي التعليم والبحث العلمي، والمميزة بقدر معتبر من الاستقلالية والتجهز الذاتي للمبادرة البرجماتية لتقديم العطاءين الحضاري والتنموي على حد سواء، وتسمي جامعاتها " بالجامعة التنموية Devlopmental University التي تهدف إلى ابتكار صيغ اعتماد متبادلة أكاديمية بين البحث العلمي وتطبيقاته على مسائل بقاء المجتمع ونمائه[6]. وفي جامعات الجنوب وتحديدا في المنطقة العربية توجد مؤسسات للتعليم العالي، أحيانا ضخمة الحجم ولكن متدنية الكفاءة قليلة الإنتاجية المعرفية وضعيفة العائد الاجتماعي[7]، فيها ما يقرب من مائة جامعة كاملة تمامًا، إضافة إلى عدد غير قليل من مراكز البحوث، وما يقرب من خمسين ألف عربي يعملون كأساتذة أو كأعضاء في معاهد أبحاث عربية أو أجنبية، لكن من ناحية النوعية يمكن القول أن المجلات العلمية في الدول النامية عمومًا وفي البلدان العربية تحديداً غير متخصصة عموماً، إذ تنشر المجلة نفسها مقالات في حقول مختلفة، وتصدر تلك المجلات إما بدون تحكيم أو أنها توزع بدون انتظام وبكميات محدودة ونادرًا ما تقرأ بشكل واسع[8].

نوعية البحث ترتبط بإشكالية التكوين التي تقدم في الجامعة، وفي دراسة (محمد مقداد، لحسن بوعبد الله) عن تقويم العملية التكوينية بجامعات الشرق الجزائري (قسنطينة، عنابة، سطيف، باتنة) كشفت عن قصور وضعف في مختلف جوانب العملية التكوينية بالجامعة الجزائرية [9]، وفي دراسة أخرى قام بها (محمد مقداد، وبوزيد نبيل عن " تقويم برامج التكوين الجامعي " كشفت عن أن التكوين الجامعي لا يمكّن من اكتساب الخبرات والمهارات المهنية اللازمة لمناصب عملهم بسبب ضعف البرامج المعتمدة في تكوينهم وعدم تغطيتها لكل الجوانب المهنية المطلوبة من جهة، وغياب التوافق بين خصائص خريجين ومتطلبات سوق العمل من جهة أخرى، وقد شخصت الدراسة عدة عوامل لجوانب الضعف والقصو في برامج التكوين العالي نذكر منها:

---

[1]- نادر فرجاني، **التعليم العالي والتنمية في البلدان العربية**، ضمن ملف التعليم العالي في الوطن العربي (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، المستقبل العربي،س 21، ع 237، 11 – 1998) ص 88

[2]-نادر فرجاني، **التعليم العالي والتنمية في البلدان العربية**، ضمن ملف التعليم العالي في الوطن العربي (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، المستقبل العربي،س 21، ع 237، 11 – 1998) ص 88.

[3]- نادر فرجاني، المرجع ذاته، ص 88.

[4]- سالم ساري، ثقافة التنمية، **الفاعل والمعطل في الثقافة العربية اليوم** (الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع،2013) ص 91.

[5]- إبراهيم يوسف العبد الله، **الإصلاحات التربوية لمواجهة متطلبات العصر وتحديات المستقبل**، ص 21.

[6]- عدنان مصطفى، **مسائل وسياسات العلم والبحث العلمي العربي الراهنة**، (لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، المستقبل العربي، السنة 19، العدد 212، - 10 – 1996) ص 94.

[7]- نادر فرجاني، مرجع سابق، ص 96

[8]- موسى النبهان، زيدون ممدوح أبو حسان، **البحث العلمي بين الضرورة الإنسانية والحصانة القومية**، ضمن ملف حول البحث العلمي في الوطن العربي،(لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، المستقبل العربي، السنة 19، العدد 212، - 10 – 1996) ص 101.

[9]- فريد بلهواري، **مدى تماشي التكوين الجامعي في نظام LMD مع متطلبات سوق العمل حسب رأي الأساتذة** – دراسة ميدانية بجامعة المسيلة (الجزائر، جامعة سطيف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الاجتماعية) 2012 – 2013.

1-افتقار مؤسسات التعليم العالي إلى إطار نظري للتكوين يؤطر لممارستها ونشاطاتها. 2-غياب أو عدم وضوح أهداف برنامج التكوين في مؤسسات التعليم العالي.3-عدم التركيز على الجوانب الأدائية التطبيقية في التكوين[1].

تشير نتائج التكوين الجامعي وتقويمه في نظام التعليم الكلاسيكي، قبل تطبيق نظام LMD في الجامعة الجزائرية الذي بدأ بإصلاح 2004 ويهدف إلى تحسين نوعية التعليم وضمان جودة التكوين وتأمين مرافقة بيداغوجية للطالب من خلال مده بالمعارف الضرورية والأدوات المنهجية التي تمكنه من اختيار مسلك التكوين الذي يرغب فيه، بما يتناسب وقدراته ومن ثم بناء مشروعه المهني من موقع الكفاءة والمهارة والاقتدار من جهة، ومن جهة أخرى إلى انفتاح الجامعة على المحيط الاقتصادي والاجتماعي وتفعيل علاقاتها من خلال الشراكة والتدابير مع الوسط، ركز القل في التعليم الكلاسيكي السابق يرتكز "على ماذا تعرف؟"، أصبح يتجه بموجب الإصلاحات إلى ربطه بمبدأ "كيف تستثمر ما تعرفه"[2].

وبعد تطبيق نظام Lmd كشفت بعض الدراسات الميدانية التي أجريت مثلا في جامعة الشرق الجزائري عن أن التكوين الجامعي الجديد لا يمكن من اكتساب الخبرات والمهارات المهنية اللازمة لمناصب عملهم بسبب ضعف البرامج المعتمدة في تكوينهم وعدم تغطيتها لكل الجوانب المهنية المطلوبة من جهة، وغياب التوافق بين خصائص خريجين ومتطلبات سوق العمل من جهة أخرى" [3] وبعضها كشف عن اهتمام نظام (ل م د) المطبق بالجودة والنوعية في جامعة المسيلة [4]، مما يعني يعني تباين النتائج الميدانية عن تقييم برامج " النظام الجديد " بنظر الأساتذة وكذا الطلبة.

وتعد "دكتوراه ل م د" آخر شهادة موجهة لحاملي شهادة الماستر الراغبين في تعميق دراستهم، تحضر في مخبر أو مركز للبحوث بعد ثلاثة سنوات على الأقل [5]، في فترة ستة سداسيات على الأقل[6] يتلقى الطلبة فيها برامج تكوينية تؤهلهم لإنجاز لإنجاز الأطروحة ونيل الشهادة حسب التخصص، خلاف نظام الدكتوراه الكلاسيكي الذي كان يتطلب " إنجاز الرسالة " فقط دون إلزام الطلبة بمتابعة تكوين نظري يتضمن برامج تكوينية في مقاييس محددة، ويمكن أن تتغير " المقاييس" في السداسيات المختلفة.

تهتم الدراسة بتقييم برامج "دكتوراه ل م د" في تخصص العلوم الإنسانية والاجتماعية من وجهة نظر الطلبة في "الجامعة الجزائرية"، وتستقرئ المنظورات المختلفة لمحتوياتها ومستوى الانتفاع فيها، وفيما إذا كانت البرامج تواكب تطورات التخصص وتستجيب للحاجيات المعرفية والاجتماعية والاقتصادية، وتطرح التساؤل الرئيسي ما واقع التكوين في مدرسة الدكتوراه" في نظر الطلبة ؟

التساؤلات:

1-لا يلبي محتوى البرامج الاحتياجات التكوينية لطلبة " مدرسة الدكتوراه " من وجهة نظر الطلبة.

2-لا تسهم المقاييس الدراسية في تحسين التكوين في مدرسة الدكتوراه من وجهة نظر الطلبة.

3- لا يستجيب التقييم للمواصفات الموضوعية في تكوين طلبة " مدرسة الدكتوراه "من وجهة نظر الطلبة.

---

[1]- فريد بلواهري، المرجع ذاته، بدون تصفيح (دراسة إلكترونية).

[2]- أحمد زرزور، **تقييم مساهمة الجامعة الجزائرية في تحضير الطلبة إلى عالم الشغل**، دراسة ميدانية، مجلة العلوم الإنسانية الاجتماعية، ع 10، مارس 2013.

[3]- فريد بلواهري، المرجع ذاته، بدون تصفيح (دراسة إلكترونية).

[4]- فريد بلواهري، المرجع ذاته.

[5]- حسام الدين غضبان، نجلاء نوبلي، **الدكتوراه ل م د، في الجزائر بين الواقع والمأمول، من وجهة نظر طلبة الدكتوراه ل م د الدفعة الأولى لجامعة " محمد خيضر " بسكرة "** (الجزائر، الملتقى الوطني، آفاق الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة الجزائرية، أيام 23 – 24 – 25 – 26 أفريل 2012) ص 86.

[6]- **نظام ل م د، ليسانس – ماستر – دكتوراه**، ترجمة عبدالكريم حرزالله، وكمال بداري (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 6- 2008) ص ص 27.

4-لا تتوفر هيئة التدريس على المواصفات المطلوبة في تكوين طلبة " مدرسة الدكتوراه "من وجهة نظر الطلبة.
5- لا تتفاعل إدارة التكوين مع الاحتياجات التكوينية لطلبة مدرسة الدكتوراه " من وجهة نظر الطلبة "
6- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسة على محاور الاستبانة تعزى إلى متغير الكلية، ومتغير الخبرة التدريسية، ومتغير الجنس، ومتغير نوعية النظام التعليمي (كلاسيك – ل م د) ؟

-**أهداف الدراسة**: سعت الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:
1- التعرف إلى واقع التكوين بمدرسة الدكتوراه من وجهة نظر الطلاب الذين تدرجوا في نظام ل م د منذ دخولهم إلى الجامعة، وإلى غاية نجاحهم في مسابقة الدكتوراه وتلقفهم للبرامج الجديدة.
2- تحديد فيما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد العينة على محاور الدراسة (محتوى البرامج، المقاييس المدرّسة، الأساتذة، التقييم، الإدارة) والتي تعزى إلى المتغيرات التالية (الكلية، الجنس، المنطقة الجغرافية، نوعية النظام التعليمي، الخبرة التدريسية).

- **أهمية الدراسة**: تنبع أهمية الدراسة من أهمية الموضوع الذي تتناوله، حيث تركّز على إبراز وجهة نظر طلبة مدرسة الدكتوراه للبرامج الأكاديمية المقدمة لهم خلال السنة الأولى من إعدادهم لنيل شهادة الدكتوراه، ويمكن إيراد الأهمية في النقاط التالية لكلا جانبيها (النظرية والتطبيقية).

-**الأهمية النظرية**:
1 - إثراء المكتبة الجزائرية ومن ثم العربية بما تقدمه هذه الدراسة من نتائج وتوصيات حول واقع البرامج التكوينية لطلبة الدكتوراه، وضرروة المراجعة النظرية والفلسفية للبرامج المخصصة لهذه المرحلة المتقدة من البحث العلمي تفيد العملية التقويمية التي تجريها الهيئات المسؤولة عن خرجات التعليم العالي.
2- تعميق المفاهيم النظرية للبرنامج المتخصص المقدم لطلبة الدكتوراه ومراعاة الأهداف التكوينية بدقة واستدعاء النماذج العالمية المصنفة في ذلك، إلى جانب اختيار المقاييس الذي تفيد في مرحلة الدكتوراه في توسيع المعارف المتخصصة وإنجاز البحث.
3- تعد الدراسة نواة لباحثين آخرين لتناول تقويم البرامج من زوايا مختلفة ومن وجهات نظر مختلفة أو تطبيقها على عينات أخرى، قصد استبصار أكثر بمشكلات التكوين في مستويات التكوين الجامعي المختلفة.

-**الأهمية التطبيقية**:
1-تبرز أهمية الدراسة في كونها تسعى إلى الوقوف على وجهة نظر الطلبة المتعلقة ببرامج التكوين المقدمة لهم في مرحلة الدكتوراه، وأهم النقائص التي تشوب عملية التكوين ذاتها لمراجعتها في مشاريع الدكتوراه المستقبلية.
2- تفيد هذه الدراسة في صياغة رأي أكاديمي يخص الطلبة، يقيّم التكوين المقدم لهم، ويمكن أن يعتمد عليه في عملية المراجعة والتعديل، إلى جانب آراء الأساتذة والخبراء المهتمين ببناء البرامج التكوينية.
3- تفيد هذه الدراسة بما تقدمه للأساتذة من توصيات في مراجعة الفعل التدريسي بما يتوافق وحاجيات المرحلة ومتطلبات البحث العلمي الراهنة، في صلته بالظروف الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري ومواكبة التطور التكنولوجي.

مصطلحات الدراسة:

التكوين في اللغة العربية: "كوَّن يكوِّن، فهو مكوِّن، والمفعول مُكَوِّن، كَوَّن الله الكَوْن: أخْرجَهُ من العدم إلى الوجود، كوَّن فَريقاً من اللاعبين: أَوْجَدَه، أَحْدَثَهُ، كوَّنَ فِكْرَة عَنِ المَوْضُوعِ: شَكَّلَهَا، كَوَّنَ جُمْلَةً مفيدة: صاغها، كوَّنَ نفسه بنفسه: علَّم نَفْسَهُ بِنَفْسِه، كوّن أجْيَالا من الطلبة: دَرَّبهم على اكتساب المعرفة الثقافية علّمهم، ثقفهم، كوّن الشيء: ركبه بالتأليف بين

أجزائه"[1] وتعني التدريب وعمل شيء يتشكل شيئاً فشيئاً، مما يؤدي إلى ظهور شيء لم يكن موجوداً قبل العملية، وإجراء تطوير وتعديل يجعل الفرد قادراً على ممارسة الوظائف الإيجابية، ويشمل التدريب الجانب الفكري أو الأخلاقي، وكذا التدريب على الذوق، مما يعني " إعطاء شخص ما أو جماعة المعرفة اللازمة لممارسة النشاط [2].

التكوين: إصطلاحاً: Formation: ثمة أشكال للتكوين نذكر منها " التكوين المستمر وإعادة التكوين Recycling والتكوين الدائم ويعني التكوين " كل الأنشطة النظرية والتطبيقية المنظمة من قبل جهاز رسمي لفائدة فئات معينة من المدرسين، إما في أوقات عملهم أو خارجها انطلاقاً من أهداف واضحة ومحددة غايتها الرفع من مستوى قدراتهم الفكرية والمهنية بأساليب معينة، كاللقاءات والتدريبات على المستوى العام، إلى تحسين وزيادة مردودية التعليم، وجعله ملائماً للمتطلبات المتجددة من جهة، ومنسجماً مع العلوم التربوية من جهة أخرى" [3].

-الدكتوراه: تصنف ضمن الطور الثالث في التعليم الجامعي، مدتها ثماني سنوات بعد شهادة البكالوريا تتوج بشهادة الدكتوراه، وتهدف إلى تعميق المعارف في الاختصاص وتكوين مهارات البحث، ويكون التكوين فيها أساسي أكاديمي لا أكثر[4]، وللحصول عليها "الدكتوراه" يجب الحصول على 180 رصيداً خلال سنوات التكوين الماضية[5]، يكتب منها ثلاثون رصيدًا 30 30 في إطار أنشطة التكوين و150 عند إنجاز الأطروحة[6].

-الدراسات السابقة: هناك العديد من الدراسات التي بحثت واقع التكوين في الجامعات ومستوى التأهيل للتدريس والبحث العلمي كرهان استراتيجي لترقية المعرفة العلمية المتخصصة، وتطوير مخرجات التعليم الجامعي في مراحل التدرج وقبله وبعده في مستويات البحث المعمقة.

في دراسة قامت بها مكاتي كريمة (2011) بعنوان "**أخصائيو المكتبات بين التكوين الجامعي والمهنة المكتبية دراسة حالة أخصائيي مكتبات جامعة معسكر**" [7] بحثت من خلالها مدى توظيف المعارف والتقنيات المحصل عليها في التكوين الجامعي في القيام بمهام المهنة المكتبية، وتقييم مدى نجاعة برامج التدريس التي يقدمها قسم علم المكتبات ونسبة موازنتها بين النظري والتطبيقي، واكتشاف أهم الجهود المبذولة في تعديل مناهج التدريس الجامعية، وأظهرت نتائج الدراسة أن كل مجتمع الدراسة تلقوا تكوينهم باللغتين الفرنسية والعربية وشعروا بقصور كبير في التكوين سيما "في اللغة الفرنسية"، وبالرغم من أهمية الجانب العملي في علم المكتبات إلا أن الدروس يغلب عليها " الجانب النظري "، وتجمع بين النظري والتطبيقي في المواد الأساسية " كالفهرسة والأرشيف " دون استخدام الفهرسة الآلية.

وفي دراسة قامت بها زرقان ليلى (2013) بعنوان " **إقتراح بناء برنامج تدريبي لأعضاء هيئة التدريس الجامعي في ضوء معايير الجودة في التعليم العالي بجامعة سطيف 1 – 2 نموذجاً** " حاولت من خلالها صياغة برنامج تدريبي لأعضاء هيئة التدريس الجامعي في ضوء معايير الجودة الشاملة في التعليم العالي ولتحقيق هذا الهدف قامت بعدة خطوات تمثلت أولا في:إعداد قائمة بمعايير الجودة اللازمة لأداء أعضاء هيئة التدريس، ثم تحديد قائمة بالاحتياجات التدريبية اللازمة لأداء عضو هيئة التدريس،

---

[1]- معجم المعاني الجامع، كون " فعل "، انظر النسخة الإلكترونية.

[2]- Le Robert ,**Dictionnaire De Français** ,Paris , page 183.

[3]- فوزية عدنان، **التكوين والتكوين المستمر، رؤية جديدة**، (المغرب،مجلة علوم التربية، جلة مغربية فصلية تخصصية) العدد 60، أكتوبر 2014، ص97.

[4]- فريد بلوهري، مرجع سابق، دون تصفيح.

[55]- فريد يلواهري، مرجع سابق، دون تصفيح.

[6]- جامعة تونس الافتراضية، المعهد العالي للتربية والتكوين المستمر، **الشهادة الوطنية للدكتوراه**، بدون تصفيح، نسخة إلكترونية.

[7]- مكاتي كريمة، **أخصائيو المكتبات بين التكوين الجامعي والمهنة المكتبية، دراسة حالة أخصائيي مكتبات جامعة معسكر**، (الجزائر، جامعة وهران، المدرسة الدكتورالية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم المكتبات والعلوم الوثائقية، 2010 – 2011.

أسفرت نتائج الدراسة عن: هناك احتياجات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس الجامعي في كل المجالات وفقاً لمعايير الجودة مرتبة كالتالي: 1- مجال أنشطة البحث العلمي 2- مجال التدريس الفعال. 3- مجال الاتصال.4 – مجال استخدام TIQ 5- مجال الممارسات القيادية والإدارية 6- مجال التقويم. وفي دراسة قام بها أحمد زرزور(2013) بعنوان " **تقييم مساهمة الجامعة الجزائرية في تحضير الطلبة إلى عالم الشغل "دراسة ميدانية"** من خلال بعض المؤشرات في ظل ظاهرة التحجيم التي يعرفها قطاع التعليم العالي في الجزائر (ارتفاع عدد الملتحقين، ارتفاع عدد الخريجين) من جهة والتقلبات الكبيرة في سوق العمل من جهة أخرى الذي نتج عنه ظاهرة بطالة حاملي شهادة الجامعة، وأظهرت نتائج الدراسة أن محتوى برامج التكوين ونظام التقييم بالإضافة إلى نظام التكوين لا تحضر الطلبة لعالم الشغل، ولا يوجد اهتمام بتشجيع إحداث مصالح مساعدة وإرشاد الطلبة.

وفي دراسة قامت بها الويزة طشوعة بعنوان "**تحديد الاحتياجات التدريبية لأساتذة التعليم العالي في ضوء متغير التكوين " دراسة ميدانية بجامعة سطيف**" تهدف إلى رصد (تحديد) الكفايات والمعارف النظرية والتطبيقية اللازمة لممارسة تقويمية فعالة في الجامعة وذلك على شكل احتياجات تدريبية للأساتذة على اختلاف جنسهم وطبيعة تكوينهم، خبرتهم في التدريس والكلية التي ينتمون إليها، وقد أظهرت النتائج وجود اختلافات في نوعية الاحتياجات حسب متغيرات الجنس، الكلية، الخبرة وطبيعة التكوين، مما يدل على تأثر الاحتياجات بهذه المتغيرات.

وفي دراسة قام بها فريد بلواهري (2013) بعنوان " **مدى تماشي التكوين الجامعي في نظام ل.م.د مع متطلبات سوق العمل "حسب رأي الأساتذة "** بحثت العلاقة العلاقة بين التكوين الجامعي في نظام " ل م د " بمتطلبات سوق العمل وخاصة في تحضير الطلبة لعالم الشغل والمساهمة في تخفيض البطالة لخريجي التعليم العالي، وهدفت إلى معرفة إلى أي مدى يتجاوب التكوين الجامعي الحالي في نظام " ل م د " مع المتطلبات الجديدة الاجتماعية والاقتصادية للبلد، ويسهم في تحضير الطلبة لعالم الشغل، وأسفرت نتائجها عن أن الإمكانيات المادية للجامعة لا تلعب دوراً كبيراً في تحقيق أهداف نظام " ل م د "، من وجهة نظر الأساتذة في حين تحضر الطلبة إلى عالم الشغل وسوق العمل، والنوعية في التكوين تسهل عملية إندماج الطلبة في عالم الشغل، دائماً من وجهة نظر المشرفين على عملية التكوين " الأساتذة ".

وفي دراسة قامت بها أسماء هارون (2010)بعنوان " **دور التكوين الجامعي في ترقية المعرفة العلمية، تحليل نقدي لسياسة التعليم العالي في الجزائر نظام LMD**[1]: هدفت إلى تحديد معايير التكوين الجامعي في إطار تطبيق الجودة الشاملة في الجامعة وتقييم التجربة الجزائرية على ضوئها، وزيادة الاهتمام بقضايا الجامعة باعتبارها آلية لتلبية الاحتياجات الوطنية وسوق العمل، وتشخيص واقع تطبيق نظام " ل م د " في الجامعة الجزائرية والتعرف إلى أهم العراقيل التي تحول دون تطبيقه، توصلت النتائج إلى أن تطبيق نظام " ل م د " برأي الطلبة " لم يخضع لمقاييس محيط الجامعة الجزائرية، الأمر الذي يفسر المردود من الناحية العلمية كما يبرز بشكل واضح غياب الأسرة الجامعية عن تهيئة وتطبيق نظام " ل م د " وصعوبة التكوين في هذا النظام راجع لكثافة البرامج المقررة والحجم الساعي المحدد الذي كان على حساب نوعية التكوين، ولم يحقق أي تغيير يذكر على مستوى التكوين المعرفي أو المهني، بل لم يغط العجز الذي يعاني منه النظام الكلاسيكي ولم يمكن الطالب من الحصول على المعارف النظرية والتطبيقية التي تؤهله لسوق العمل، ولذا رفض النظام من قبل الطلبة.

وبرأي الأساتذة فإن نظام " ل م د " لم يستطع أن يحقق التغيير المطلوب، فقد كثف من البرامج وقلص من الحجم الساعي، وغير في طريقة الانتقال وحافظ على تخصصات النظام الكلاسيكي، وأكد الأساتذة المبحوثين أنهم غير راضين على المستوى التعليمي للطالب في النظام الجديد، ومدة التكوين والبرامج المقررة فيه تعتمد سياسة حشو معلومات نظرية لا تنتج معرفة عملية لدى الطالب، وانعدام التواصل بين الجامعة والمحيط الخارجي

---

[1]- أسماء هارون، **دور التكوين الجامعي في ترقية المعرفة العلمية، تحليل نقدي لسياسة التعليم العالي في الجزائر** نظام LMD (الجزائر، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

-تعقيب ومناقشة:

من خلال استعراض عدد من الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع البحث نستخلص الآتي:

1-تم التركيز على علاقة التكوين الجامعي " ل م د " بسوق العمل ومتطلبات التوظيف في المجتمع الجزائري في دراسة "بلواهري، وزرزور، وكريمة، لما لهذا المتغير " سوق العمل " من أهمية كبيرة للاقتصاد الوطني وتأثيره على اختيارات التخصصات المعرفية التي يريدها الطلبة، وقد خلص بعضاً منها إلى أن نظام التكوين الجامعي يتسم بالقصور المعرفي "النظري والعملي " ولا يعد الطلبة جيداً لسوق العمل، لكن دراسة بلواهري أثبتت العلاقة بين نظام تكوين " ل م د " وسوق العمل، ورأى الأساتذة أن النظام الجديد يسهم في إعداد الطلبة لسوق الشغل.

2- اهتمت الدراسات كذلك بالاحتياجات التدريبية لأساتذة الجامعة " طشوعة، زرقان " وقد دلت على وجودها " الاحتياجات " لدى الأساتذة في كل المجالات تبعاً لمعايير الجودة، كما دلت الدراسات أيضاً على أن الاحتياجات تختلف باختلاف جملة من المتغيرات.

3- خلصت نتائج الدراسات إلى وجود خلل في التكوين وغلبة التكوين النظري على العملي " كريمة، زرزور، أسماء " في المقاييس المقررة، وهذا يعني ضعف التكوين العلمي في المؤسسة الجامعية الجزائرية بوجه عام لدى الطلبة، والذي بدوره يؤدي إلى التأثير السلبي في سوق الشغل، وبقاء الاحتياجات المهنية الفنية المتخصصة قائمة في مجالات العمل المختلفة.

4- لم تهتم الدراسات السابقة بالتكوين في مدرسة الدكتوراه التي تعد مرحلة متقدمة في البحث، وهي بمثابة تتويج لمسار تكويني درج عليه الطالب " ليسانس، ماستر، دكتوراه "، ذو صلة بالتدريس والبحث العلمي، فعناية الجامعة بتطوير البرامج والبحث يعني

-الإجراءات الميدانية للدراسة:

-منهج الدراسة: تستخدم الدراسة المنهج الوصفي وذلك لأنه " يعتمد على الملاحظة بأنواعها بالإضافة إلى عمليات التصنيف والإحصاء مع بيان وتفسير تلك العمليات ويأتي على مرحلتين: **الأولى: مرحلة الاستكشاف والصياغة** التي تحتوي بدورها على ثلاث خطوات هي: أ – تلخيص تراث العلوم الاجتماعية فيما يتعلق بموضوع البحث ب- الاستناد إلى ذوي الخبرة العلمية والعملية موضوع الدراسة ج – تحليل بعض الحالات التي تزيد من استبصارنا بالمشكلة وتلقي الضوء عليها، الثانية: مرحلة التشخيص والوصف وذلك بتحليل البيانات والمعلومات التي تم جمعها تحليلا يؤدي إلى اكتشاف العلاقة بين المتغيرات وتقديم تفسير ملائم لها"[1]، فصنفت الدراسة عناصر التكوين في مدرسة الدكتوراه وأحصت إجابات الطلبة على محاور الاستبانة، وقامت بتحليلها وتفسيرها لتستكشف الواقع التكويني.

-مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من الطلبة والطالبات الناجحين في مسابقة الدكتوراه المنظمة من قبل جامعة المدية في كليات (العلوم الإنسانية والاجتماعية، اللغات والآداب، الحقوق والعلوم السياسية، العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير) خلال السنة الدراسة 2016 - 2017.

-عينة الدراسة: تم تطبيق الاستبيان على عينة عشوائية من الطلبة والطالبات الناجحين في مدرسة الدكتوراه "السنة الأولى" في الكليات المذكورة " جامعة المدية "، حيث بلغ العدد الإجمالي " 50 " طالباً وطالبة " بينهم 23 من الطلبة و 27 من الطالبات، تراوحت أعمارهم بين (25 – 40) سنة، بمتوسط حسابي قدره 1.54 وانحراف معياري قدره 0.25 ويبين الجدول رقم (01) توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغيراتها.

- المعالجة الإحصائية:تم استخدام الحاسب الآلي للمعالجة الإحصائية " برنامج الزم الإحصائية ال SPSS لإدخال البيانات وتحليلها وتضمنت المعالجة الأساليب التالية:

[1]- عبود عبد الله العسكري، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، (دمشق، دار النمير، ط2، 2004) ص 6.

- **الإحصاء الوصفي**:

-التكرارات

-المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.

- **الإحصاء الاستدلالي**:

-اختبار) t).

-تحليل التباين الأحادي (One – Way Anova)

- **حدود الدراسة**: يمكن تعميم نتائج هذه الدراسة في ضوء المحددات الأتية:

1 - عينة الدراسة تخص طلبة مدرسة الدكتوراه في العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب واللغات، العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، والحقوق والعلوم السياسية في جامعة المدية للعام الدراسي الجامعي 2016 – 2017.

2 -اقتصار الدراسة على معرفة وجهة نظر طلبة الدكتوراه على واقع " التكوين " المقدم لهم في السنة الاولى بعد اجتيازهم مسابقة الدخول إلى الدكتوراه، والذي يتعلق ب " محتوى البرامج، المقاييس، التقييم، هيئة التدريس إدارة التكوين ".

3-تم تطبيق استبيان الدراسة على العينة المختارة في الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي 2016 – 2017، ولمدة 15 يوم.

-**أداة الدراسة**: لتحقيق هدف الدراسة قام الباحثان ببناء استبيان صمم من أجل التعرف على واقع التكوين في مدرسة الدكتوراه " العلوم الإنسانية والاجتماعية، اللغات والآداب، الحقوق والعلوم السياسية، العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير" من وجهة نظر الطلبة، واستفادا من أدوات القياس التي تضمنتها الدراسات السابقة عن التكوين الجامعي في الجامعة الجزائرية، وتضمن التكوين في الاستبيان المحاور الخمس الآتية (محتوى البرامج ويضم (06) عبارات، المقاييس وتضم (06) عبارات، التقييم ويضم (05) عبارات، هيئة التدريس وتضم (06) عبارات، إدارة التكوين وتضم (05) عبارات ".

-**الدراسة الاستطلاعية**: طبقت الاستبانة بصورتها المبدئية على عينة استطلاعية ممثلة للمجتمع الأصلي مكونة من (28) طالبا وطالبة " دكتوراه " من جامعة المدية، ذلك لحساب ثبات الاستبيان والتعرف على سلامة العبارات من حيث الصيغة والبناء، واللغة والتعليمات المرفقة، وظهرت نتائج الدراسة الاستطلاعية سلامة الأداء، إذ برز ذلك من استجابة أفراد العينة الاستطلاعية على جميع المفردات دون الحاجة للسؤال أو الاستفسار.

-**صدق الاستبيان**: وللتأكد من صدق الأداة تم عرضها على (05) من المحكمين[1] المختصين في مجال إعداد الأدوات البحثية من " جامعة المدية، وجامعة الجزائر، والمركز الجامعي بتمنراست، جامعة خميس مليانة " للتعرف على فعالية الأداة وأخذت آراؤهم حول محاور، وعبارات الاستبيان، وأجريت التعديلات اللازمة بناء على مقترحاتهم وأصبحت الأداة جاهزة للتطبيق، واستخدم الاستبيان مقياس ليكرت الخماسي (غير موافق بشدة، غير موافق، محايد، موافق ، موافق بشدة) وذلك لقياس المتغيرات المتعلقة بالجنس، والحالة المهنية، والسن، ونظام التكوين، والكلية، وحُسِب صدق مفردات الاستبيان بطريقة الاتساق الداخلي، وهذه الطريقة تعتمد على إيجاد معاملات الارتباط لكل محور من محاور الاستبيان بالدرجة الكلية لها، وبتطبيق الاستبيان على (28) طالبا وطالبة، وبحساب معاملات الارتباط بين درجات محاور الاستبيان والدرجة الكلية لها أسفر التحليل عن بيانات الجدول التالي:

جدول رقم 01: **الاتساق الداخلي لمفردات الاستبيان**

المحور	الرقم	العبارات	معامل الارتباط	القيمة الاحتمالية	الدلالة الاحصائية

[1]- انظر الملحق رقم (01) في ملاحق الدراسة.

المحور	الرقم	العبارة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	القرار
محتوى البرامج	.1	محتوى البرنامج يؤهل الطالب للتدريس الجامعي	,707**	,000	دال
	.2	يعتبر التكوين النظري في مرحلة الدكتوراه ضروريا	**673,	,000	دال
	.3	البرامج في مدرسة الدكتوراه يغلب عليها الجانب التطبيقي	,472**	,000	دال
	.4	الطالب في مرحلة الدكتوراه بحاجة أكثر الى التكوين المتخصص.	,253	0.76	غير دال
	.5	البحث لا يغني عن التكوين في مدرسة الدكتوراه	,563**	,000	دال
	.6	محتوى البرنامج يساعد على تكوين مهارات البحث العلمي	,580**	,000	دال
	.7	المقاييس التي تدرسونها حاليا تحضركم تحضيراً جيدًا لإنجاز الأطروحة	,688**	000	دال
	.8	ليست هناك ضرورة لتعديل مقاييس التكوين الحالية	,551**	000	دال
	.9	مقاييس التكوين الحالية تمكنك من اكتساب منهجية وأدوات البحث العلمي	,645**	000	دال
	.10	المقاييس المدرّسة تعطيك القدرة على التحليل وتطبيق المعارف في حل المشكلات المتعلقة بمجال تخصصك	,782**	000	دال
	.11	يكفي الحجم الساعي لاستكمال برامج المقاييس المقررة	,496**	0.00	دال
	.12	المقاييس متكاملة فيما بينها و تخدم الأهداف التكوينية	,780**	,000	دال
	.13	تقييم الطالب مناسب بشكله الحالي	,728**	,000	دال
	.14	يتسم التقييم بالمعايير الموضوعية	,700**	,000	دال
	.15	يأخذ التقييم في الاعتبار جهود الطالب	,598**	,000	دال
	.16	التقييم يشجع على التميز	,642**	,000	دال
	.17	التقييم يبتعد عن المجاملة	-,090	,537	غير دال
	.18	الأساتذة المؤطرون مختصون	**659,	000	دال
	.19	لا يدرسنا نفس الأستاذ أكثر من مقياس في السداسي الواحد	**471,	000	دال
	.20	لا تقتصر الحصص على عرض البحوث فقط	**571,	000	دال
	.21	يوظف الأساتذة تكنولوجيا التعليم في تنشيط الحصة	**600,	000	دال
	.22	تواكب مواضيع البحوث التطور العلمي في مجال التخصص	**634,	000	دال
	.23	يقبل باقتراح البحوث من قبل الطلبة	**659,	000	دال
	.24	التواصل جيد بين الطلبة والإدارة %	,377**	,007	دال
	.25	برمجة القاعات والتوقيت مناسبة	,570**	000	دال
	.26	قاعات التدريس مناسبة ومجهزة	,600**	000	دال
	.27	تتوفر المكتبة على المراجع التي نحتاجها في إعداد بحوثنا	,749**	000	دال
	.28	نحظى بامتيازات في المكتبة (قاعة مطالعة خاصة، عدد الكتب المعارة، مدة الاعارة).	,629**	000	دال

يتضح من الجدول أعلاه أن كل عبارة من عبارات الاستبانة ترتبط ارتباطاً موجباً ودالا إحصائياً عند مستوى (0.01) مع الدرجة الكلية للمحور الذي تمثله، وهذا يدل على الاتساق الداخلي لفقرات الاستبيان ويشير إلى الصدق الداخلي للاستبانة، عدا العبارة 17 التي تم حذفها.

ثبات الأداة:

بعد تطبيق الاستبيان على عينة بلغ عددها (ن = 28) حسب معامل ثبات مفردات الاستبيان Reliability Coefficient باستخدام ألفا كرونباخ Alpha م من ثبات كرونباخ ألفا وكانت القيمة مرتفعة (0.80

وهي مصنفة من قيم الثبات المرتفعة جداً، وهذا يؤكد قلة الأخطاء المنتظمة أو العشوائية في عبارات الاستبيان مما انعكس على استجابات أفراد العينة،كما هو موضح في الجدول رقم (02) :

جدول رقم 02: **معامل ثبات ألفا كرونباخ مفردات الاستبان**

عدد العبارات	قيمة ألفا كرونباخ
28	0.803

-إجراءات الدراسة:

يمثل المجتمع الأصلي لهذه الدراسة جميع طلبة وطالبات مدرسة الدكتوراه الذين نجحوا في مسابقة الدكتوراه في الكليات الأربعة لجامعة المدية (العلوم الإنسانية والاجتماعية، اللغات والآداب، العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، الحقوق والعلوم السياسية) خلال العام الدراسي (2016 – 2017)، اقتصر تطبيق الاستبيان على 50 طالباً وطالبة، حيث بلغ عدد الطلبة (23) طالباً و (27) طالبة ووزع الاستبيان على الطلبة بصفة شخصية، واستمر التطبيق يومين، وبلغ عدد الاستبيانات المستردة (50) استبياناً وفيما يلي وصف لعينة الدراسة من خلال تحليل البيانات الأولية في الاستبانة.

جدول رقم (03) : وصف عينة الدراسة حسب متغير الجنس

المعلومات	الخصائص	التكرار	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	23	%46
	أنثى	27	%54
المجموع		50	%100

يبين الجدول توزيع العينة على الجنسين، فبلغت نسبة الذكور 46% ونسبة الإناث 54%، مما يعني تفوق نسبة الإناث على الذكور في هذه المرحلة وحتى في المراحل التعليمية الأخرى.

جدول رقم (04) : وصف عينة الدراسة حسب متغير الحالة المهنية

المعلومات	الخصائص	التكرار	النسبة المئوية
الحالة المهنية	موظف	20	%40
	غير موظف	30	%60
المجموع	50		%100

تشير النتائج إلى أن الحالة المهنية لطلبة الدكتوراه تتوزع بين نسبة 40% موظفين و60% غير موظفين، فالنسبة الأكبر حازها المتفرغون للتكوين والبحث العلمي في الجامعة الجزائرية، وحتى الموظفين لم يمنعهم أعباء العمل من مواصلة التكوين المتخصص، مما يثبت سمة " التكوين المستمر" في الجامعة الجزائرية.

جدول رقم (05) : وصف عينة الدارسة حسب متغير السن

المعلومات	الخصائص	التكرار	النسبة المئوية
السن	من 25 – 30	32	%64
	من 30 – 35	10	%20
	من 35 – 40	6	%12
	من 40 فما فوق	2	%4
المجموع	50		%100

يشير الجدول إلى أن الفئة (25 – 30) بلغت نسبتها 64%، وهي الفئة الأكبر في أفراد العينة، تليها فئة (30 – 35) بنسبة 20%، وفئة (35 – 40) بنسبة 12%، وأخيراً فئة (40 فما فوق)، الفئة الأكبر تفسر شبابية المجتمع الجزائري وإقباله على التكوين المستمر.

جدول رقم (06) : وصف عينة الدراسة حسب متغير نظام التكوين في مرحلة التدرج

المعلومات	الخصائص	التكرار	النسبة المئوية

نظام التكوين في مرحلة التدرج	كلاسيك	13	%26
	نظام " ل م د "	37	%74
المجموع		50	%100

يشير الجدول إلى أن نظام التكوين الجديد " ل م د " بلغ نسبته عند المستجوبين من أفراد العينة 74% في حين بلغ المنتمين إلى النظام القديم 13%، وهذا يعني مدى قابلية طلبة " ل م د " إلى استمرار التكوين وحرصهم على بلوغ مراحله الأكاديمية المتعمقة، كما يعني أيضاً استعداد طلبة النظام القديم على منافسة طلبة " ل م د " على النجاح في مسابقة الدكتوراه والتزود من مخرجات التكوين.

جدول رقم (07) : وصف عينة الدراسة حسب متغير الكلية

المعلومات	الخصائص	التكرار	النسبة المئوية
الكلية	العلوم الإنسانية والاجتماعية	8	%16
	العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير	24	%48
	اللغات وآداب	8	%16
	الحقوق والعلوم السياسية	10	%20
المجموع		50	%100

بالنظر إلى الجدول يتبين أن طلبة الدكتوراه " العلوم الإقتصادية " بلغت نسبة 48% تليها الحقوق والعلوم السياسية 20%، فطلبة اللغات والآداب 16%، وأخيراً طلبة العلوم الإنسانية والاجتماعية بنسبة 16 % وتفوق النسبة لدى العلوم الاقتصادية يعود إلى كثرة التخصصات بها وتوفر الكادر الأكاديمي خلاف الكليات الاخرى التي بدأت في مرحلة التكوين حديثاً.

-اختبار التوزيع الطبيعي (اختبار كولمجروف - سمرنوف (Sample K-S)1-

قبل عرض أسئلة الدراسة ومناقشة نتائجها واختبار فرضياتها يجب معرفة طبيعة توزيع البيانات المتحصل عليها بعد تبويبها في برنامج الحزم الإحصائية ولهذا استخدمنا اختبار كولمجروف-سمرنوف لمعرفة هل البيانات تتبع التوزيع الطبيعي أم لا ؟ وهو اختبار ضروري في حالة اختبار الفرضيات لأن معظم الاختبارات المعلمية تشترط أن يكون توزيع البيانات طبيعيا.

يقوم هذا الاختبار على فرضين:

الفرض العدمي :(H0) بيانات العينة المسحوبة من مجتمع الدراسة تتبع التوزيع الطبيعي.

الفرض البديل :(H1) العينة المسحوبة من مجتمع الدراسة لا تتبع بياناتها التوزيع الطبيعي.

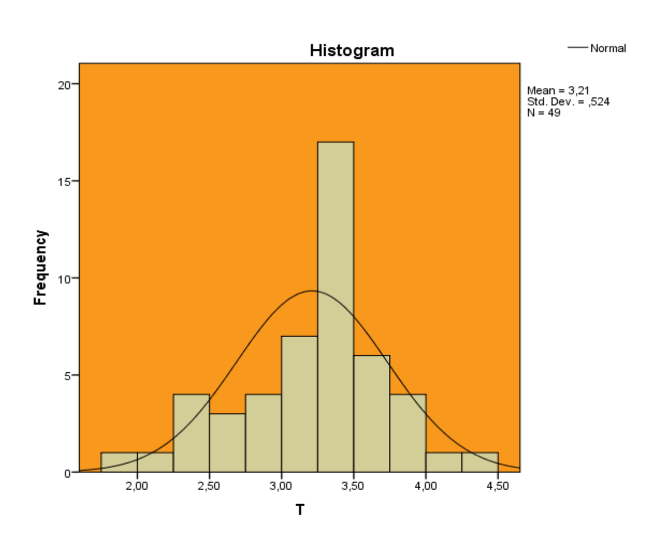
فإذا كانت قيمة الاحتمال (P.value- Sig) أكبر من مستوى المعنوية 1% فإننا نقبل الفرض العدمي وعليه البيانات تتوزع توزيعا طبيعيا، أما إن كانت قيمة الاحتمال (P.value-Sig) أقل من مستوى المعنوية 1% فإننا نقبل الفرض البديل وعليه البيانات لا تتوزع توزيعا طبيعيا.

والجدول التالي يبين اختبار التوزيع الطبيعي لبيانات أداة الدراسة.

جدول رقم (08):

اختبار التوزيع الطبيعي:

Shapiro-Wilk			Kolmogorov-Smirnov[a]		
القيمة الاحصائية	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية	القيمة الاحصائية	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية
,961	49	,107	,133	49	,031



*** نتائج الدراسة:الإجابة عن التساؤل الأول: لا يلبي محتوى البرامج الاحتياجات التكوينية لطلبة " مدرسة الدكتوراه " من وجهة نظر الطلبة.**

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات استجابات الطلبة على محور " محتوى البرنامج "

جدول رقم (09)

العبارات	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمةT	الدلالة الإحصائية	الاتجاه	الترتيب
محتوى البرنامج يؤهل الطالب للتدريس الجامعي	%6	10%	%14	66%	%4	3,5200	,95276	26,124	,000	موافق	2
يعتبر التكوين النظري في مرحلة الدكتوراه ضروريا	10%	%20	%6	%42	%22	3,4600	1,31258	18,640	,000	موافق	3
البرامج في مدرسة الدكتوراه يغلب عليها الجانب التطبيقي	%16	%50	%10	%20	%4	2,4600	1,11043	15,665	,000	غير موافق	5
البحث لا يغني عن التكوين في مدرسة الدكتوراه	%4	%10	%20	%48	18	3,6600	1,02240	25,313	,000	موافق	1
محتوى البرنامج يساعد على تكوين مهارات البحث العلمي	%4	%18	%22	%50	%6	3,3600	,98478	24,126	,000	موافق	4
المحور ككل	40%					3,4033	,58621	41,052	,000	موافق	

يشير الجدول إلى واقع التكوين في نظر الطلبة، حيث تظهر النتائج أن الطلبة المستجوبين يوافقون على أن المحتوى يؤهل الطالب للتدريس الجامعي، وعلى أن البحث وإعداد الأطروحة لا يغني عن التكوين النظري ويعتبرونه ضرورياً للبحث العلمي، ويساعد على تكوين مهارات البحث العلمي، تراوحت متوسطاتها بين (3.46- 3.66) في حين لا يوافق الطلبة المستجوبون على العبارة الثانية " البرامج في مرحلة الدكتوراه يغلب عليها الجانب التطبيقي " بمتوسط حسابي (2.46).

بمعنى أن البرامج يغلب عليها الطابع النظري، نفس النتيجة التي توصلت إليها دراسة مكاتي كريمة من أن الدروس في علم المكتبات يغلب عليها الجانب النظري وتتوافق مع دراسة أسماء هارون من أن النظام التعليمي الجديد لم يمكن الطلبة من الحصول على المعارف النظرية والتطبيقية التي تؤهله لسوق العمل.

***الإجابة عن التساؤل الثاني:**

-2- لا تسهم المقاييس الدراسية في تحسين التكوين في مدرسة الدكتوراه ل م د " من وجهة نظر الطلبة ؟

المحور الثاني: المتوسطات والانحرافات المعيارية لدرجات استجابة الطلبة على محور " المقاييس "

جدول رقم (10)

العبارات	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	T قيمة	الدلالة الاحصائية	الاتجاه	الترتيب
المقاييس التي تدرسونها حاليا تحضركم تحضيراً جيداً لإنجاز الأطروحة	%10	%34	%18	%30	%8	2,9200	1,17526	17,569	,000	غير موافق	5
ليست هناك ضرورة لتعديل مقاييس التكوين الحالية	%14	%44	%24	%12	%6	2,5200	1,07362	16,597	,000	غير موافق	6
مقاييس التكوين الحالية تمكنك من اكتساب منهجية وأدوات البحث العلمي	%12	%22	%22	%38	6%	3,0400	1,15987	18,533	,000	موافق	3
المقاييس المدرّسة تعطيك القدرة على التحليل وتطبيق المعارف في حل المشكلات المتعلقة بمجال تخصصك	%12	%12	%20	%54	%2	3,2200		20,824	,000	موافق	2
يكفي الحجم الساعي لاستكمال برامج المقاييس المقررة	%10	1	%8	%42	%26	3,6000	1,29363	19,678	,000	موافق	1
المقاييس متكاملة فيما بينها و تخدم الأهداف التكوينية	%14	%24	%18	%42	%26	2,9400	1,15016	18,075	,000	غير موافق	4
المحور ككل						3,0400	,75710	28,393	,000	موافق	

تشير نتائج الجدول أن الطلبة المستجوبين على بنود المقاييس وافقوا على البند (3) و (4) و(5) بمتوسط حسابي تراوح بين (3.60 – 3.4) ولم يوافقوا على بنود (1) و (2) و(6) بمتوسط حسابي تراوح بين (2.12 – 2.94).

3-الإجابة عن التساؤل الثالث:

3-لا يستجيب التقييم للمواصفات الموضوعية في تكوين طلبة " مدرسة الدكتوراه "من وجهة نظر الطلبة؟

المحور الثالث: المتوسطات والانحرافات المعيارية لدرجات استجابات أفراد العينة على محور " التقييم "

العبارات	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة T	الدلالة الاحصائية	الاتجاه	الترتيب
تقييم الطالب مناسب بشكله الحالي	%24	%20	%24	%22	%8	2,7000	1,28174	14,750	,000	غير موافق	4
يتسم التقييم بالمعايير الموضوعية	%16	%18	%36	%24	%6	2,8600	1,14304	17,693	,000	غير موافق	3
يأخذ التقييم في الاعتبار جهود الطالب	%6	%18	18%	%50	%8	3,3600	1,06445	22,320	,000	موافق	1
التقييم يشجع على التميز	%8	%22	%16	%38	%16	3,3200	1,21957	19,249	,000	موافق	2
المحور ككل	%24	%20	%24	%22	%8	2,9714	,61373	33,891	,000	غير موافق	5

جدول رقم (11)

يشير الجدول إلى أن الطلبة لا يوافقون على البند (1) " تقييم الطالب مناسب بشكله الحالي " والبند رقم (2) " يتسم المقاييس بالمعايير الموضوعية " بمتوسط حسابي يترواح بين (2.70 – 2.86) ويوافقوا على البند رقم (3) " يأخذ التقييم في الاعتبار جهود الطالب "، والبند رقم (4) " التقييم يشجع التميز" بمتوسط حسابي يتراوح بين (3.36 – 3.2)، وبالنظر إلى الدرجة الكلية للمحور ككل (2.97) نجد ان الطلبة لا يوفقون على محور التقييم، وقد اتفقت مع نتائج الدراسة " **لأحمد زرزور**" التي تفيد بأن محتوى برامج التكوين ونظام التقييم بالإضافة إلى نظام التكوين لا تحضر الطلبة لعالم الشغل، ولا يوجد اهتمام بتشجيع إحداث مصالح مساعدة وإرشاد الطلبة.

*** الإجابة على التساؤل الرابع:**

4-لا تتوفر هيئة التدريس على المواصفات المطلوبة في تكوين طلبة " مدرسة الدكتوراه "من وجهة نظر الطلبة ؟

المحور الرابع: المتوسطات والانحرافات المعيارية لدرجات استجابات أفراد العينة على محور " هيئة التدريس "

جدول رقم (12)

العبارات	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة T	الدلالة الاحصائية	الاتجاه	الترتيب
الأساتذة المؤطرون مختصون	%8	%10	%6	%60	%16	3,6600	1,11776	23,154	000	موافق	
لا يدرسنا نفس الأستاذ أكثر من مقياس في السداسي الواحد	%12	%10	%4	%28	%46	3,8600	1,41436	19,298	000	موافق	1
لا تقتصر الحصص على عرض البحوث فقط	%8	%8	%14	%42	28%	3,7400	1,19198	22,186	000	موافق	2
يوظف الأساتذة تكنولوجيا التعليم	%12	%20	%18	%42	%8	3,1400	1,19540	18,574	000	موافق	55'ي

في تنشيط الحصة											
تواكب مواضيع البحوث التطور العلمي في مجال التخصص	%4.1	%12.2	%16.3	%65.3	%2	3,4898	,89262	27,367	000	موافق	3
يقبل باقتراح البحوث من قبل الطلبة	%14	%18	%8	%52	%8	3,2200	1,25014	18,213	000	موافق	4
						3,5000	,66921	36,982	000	غير موافق	

يشير الجدول إلى أن أفراد العينة المستجوبين يوافقو على جميع بنود محور " هيئة التدريس " (1) الأساتذة مؤطرون مختصون (2) " لا يدرسنا نفس الأستاذ أكثر من مقياس في السداسي الواحد و (3) لا تقتصر الحصص على عرض البحوث فقط و(4) يوظف الأساتذة تكنولوجيا التعليم في تنشيط الحصة (5) " تواكب البحوث التطور العلمي في مجال التخصص " و(6) " يقبل باقتراح البحوث من قبل الطلبة " بمتوسطات حسابية تراوحت بين (3.14 -3.86) وبدرجة كلية قدرها (3.50)، أظهرت نتائج دراسة " الويزة طشوعة " وجود اختلافات في نوعية الاحتياجات التدريبية للأساتذة حسب متغيرات الجنس، الكلية، الخبرة وطبيعة التكوين مما يدل على تأثر الاحتياجات بهذه المتغيرات.

***الإجابة على التساؤل الخامس:**

5-لا تتفاعل إدارة التكوين مع الحاجات التكوينية لطلبة " مدرسة الدكتوراه "من وجهة نظر الطلبة ؟

نتائج اختبار التجانس للفرق بين متوسطات إجابات أفراد عينة الدراسة طبقاً إلى متغير الجنس

جدول رقم (13)

المحاور	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	اختبار التجانس	قيمة T	القيمة الاحتمالية
محتوى البرامج	ذكر	23	3,1913	,85169	6,188	-,962	,016
	أنثى	27	3,3778	,49717		-,924	
المقاييس	ذكر	23	2,9420	,96610	9,353	-,842	,004
	أنثى	27	3,1235	,52419		-,805	
	ذكر	23	2,9565	,99901	3,273	-,726	,077
التقييم	أنثى	27	3,1346	,70792		-,711	
هيئة التدريس	ذكر	23	3,2971	,85422	15,269	-2,042	,000
	أنثى	27	3,6728	,39893		-1,937	
إدارة التكوين	ذكر	23	3,1304	,89363	1,776	-,392	,189
	أنثى		3,2148	,51769		-1,454	

يتبين من خلال الجدول أن القيمة الاحتمالية لاختبار التجانس أكبر من مستوى الدلالة الإحصائية " المعنوية (0.01) لذلك يوجد تجانس بين إجابات أفراد الدراسة بين الجنسين، ما عدا محور " المقاييس " الذي قيمته الاحتمالية أصغر من مستوى المعنوية (0.01)، لذلك يوجد اختلاف بين الجنسين لصالح الإناث.

ثانيًا: نتائج اختبار التجانس للفرق بين متوسطات إجابات أفراد عينة الدراسة طبقاً إلى متغير ا الوضعية المهنية

جدول رقم (14)

المحاور	الوضعية	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	اختبار التجانس	قيمة T	القيمة الاحتمالية
محتوى البرامج	موظف	20	3,2200	,62205	,004	-,605	,950

	غير وظف	30	3,3400	,72616		-,624	
المقاييس	موظف	20	3,0167	,68803	1,820	-,176	,184
	غير وظف	30	3,0556	,81100		-,182	
	موظف	20	3,0921	,58459	5,891	,266	,019
التقييم	غير وظف	30	3,0250	,99427		,297	
هيئة التدريس	موظف	20	3,5500	,54639	1,017	,428	,318
	غير موظف	30	3,4667	,74715		,455	
إدارة التكوين	موظف	20	3,2400	,61078	2,651	,487	,110
	غير وظف	30	3,1333	,84091		,519	,950

يتبين من خلال الجدول أن القيمة الاحتمالية لاختبار التجانس أكبر من مستوى الدلالة الإحصائية " المعنوية 0.01" لذلك يوجد تجانس بين إجابات أفراد الدراسة للموظفين وغير الموظفين من الطلبة.

ثالثًا: نتائج اختبار التجانس للفرق بين متوسطات إجابات أفراد عينة الدراسة طبقاً إلى متغير ا الوضعية نظام التعليم (كلاسيك – ل م د).

جدول رقم (15)

المحاور	الوضعية	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	اختبار التجانس	قيمة T	القيمة الاحتمالية
محتوى البرامج	كلاسيك	13	3,4462	,41756	3,959	,946	,052
	ل.م.د	37	3,2378	,75106		1,231	
المقاييس	كلاسيك	13	2,9615	,37978	7,548	-,431	,008
	ل.م.د	37	3,0676	,85388		-,604	
	كلاسيك	13	3,0000	,53300	4,520	-,236	,039
التقييم	ل.م.د	37	3,0676	,93847		-,310	
هيئة التدريس	كلاسيك	13	3,4615	,51887	1,371	-,239	,247
	ل.م.د	37	3,5135	,72049		-,279	
إدارة التكوين	كلاسيك	13	3,1538	,58397	2,208	-,122	,144
	ل.م.د	37	3,1838	,81018		-,143	,052

يتبين من خلال الجدول أن القيمة الاحتمالية لاختبار التجانس أكبر من مستوى الدلالة الإحصائية " المعنوية 0.01" لذلك يوجد تجانس بين إجابات أفراد الدراسة للمنتمين للنظام (كلاسيك – ل م د).

رابعاً: نتائج اختبار التجانس للفرق بين متوسطات إجابات أفراد عينة الدراسة طبقاً إلى متغير السن

الفروق حسب السن باستخدام تحليل التباين الأحادي Anova

جدول رقم (16)

المحور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الاحصائية
محتوى البرامج	بين المجموعات	,612	3	,204	,423	,737
المقاييس	داخل المجموعات	22,204	46	,483		
	المجموع	22,817	49			
	بين المجموعات	,645	3	,215	,360	,782
	داخل المجموعات	27,442	46	,597		
التقييم	المجموع	28,087	49			
هيئة التدريس	بين المجموعات	1,664	3	,555	,752	,527
إدارة التكوين	داخل المجموعات	33,208	45	,738		
	المجموع	34,872	48			
	بين المجموعات	1,067	3	,356	,783	,509
محتوى البرامج	داخل المجموعات	20,878	46	,454		

	المجموع	21,944	49			
المقاييس	بين المجموعات	,160	3	,053	,089	,966
	داخل المجموعات	27,571	46	,599	,423	
	المجموع	4,075	7	,259	,787	

يتبين من خلال الجدول أن القيمة الاحتمالية لاختبار التجانس أكبر من مستوى الدلالة الإحصائية " المعنوية 0.01" لذلك يوجد تجانس بين إجابات أفراد الدراسة حسب الفئات العمرية المختلفة.

الفروق حسب التخصص باستخدام تحليل التباين الأحادي Anova

جدول رقم (17)

المحور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الاحصائية
محتوى البرامج المقاييس	بين المجموعات	1,737	3	,579	1,264	,298
	داخل المجموعات	21,080	46	,458		
	المجموع[1]	22,817	49			
التقييم	بين المجموعات	4,432	3	1,477	2,873	,046
	داخل المجموعات	23,655	46	,514		
	المجموع	28,087	49			
هيئة التدريس إدارة التكوين	بين المجموعات	,664	3	,221	,291	,831
	داخل المجموعات	34,208	45	,760		
	المجموع	34,872	48			
محتوى البرامج	بين المجموعات	4,832	3	1,611	4,330	,009
	داخل المجموعات	17,112	46	,372		
	المجموع	21,944	49			
المقاييس	بين المجموعات	,973	3	,324	,557	,646
	داخل المجموعات	26,759	46	,582	1,264	
	المجموع	27,731	49	,579		

يتبين من خلال الجدول أن القيمة الاحتمالية لاختبار التجانس أكبر من مستوى الدلالة الإحصائية " المعنوية 0.01" لجميع المحاور لذلك يوجد تجانس بين إجابات أفراد الدراسة حسب التخصص، عدا محور " محتوى البرامج، حث القيمة الاحتمالية أصغر من (0.01)، وبالتالي نجري الاختبار البعدي (شفيه Scheffe)

***المقارنات البعدية بطريقة شفيه للفروقات الزوجية بين متوسطات تقديرات أفراد العينة وفقًا لمتغير التخصص.**

جدول رقم (18)

التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	علوم اجتماعية	حقوق	إقتصاد	لغة وآدب
علوم اجتماعية	11	3,521		,299	,993	,604
حقوق	8	2,970	**299,**		**063,**	**015, دال عن 0.05**
إقتصاد	23	3,594	,993	**063,**		**601,**
لغة وآدب	8	3,937	,604	**015, دال عن 0.05**	**601,**	

من الجدول السابق يظهر لنا وجود فروق ذات دلالة إحصائية لمحور التخصص الدراسي عند مستوى دلالة(0.05) ففي البعد الاول توجد فروق بين تخصص اللغات والآداب وتخصص الحقوق لصالح تخصص اللغات والآداب، بمعنى ان طلبة الدكتوراه " اللغات والآداب " يوافقون على محتوى الدروس.

***مناقشة نتائج الدراسة وتفسيرها:**

هدفت هذه الدراسة التعرف إلى وجهة نظر طلبة دكتوراه " ل م د " السنة الأولى نحو التكوين النظري المقدم لهم من قبل الأساتذة، وأظهرت النتائج المتعلقة بمحتوى البرامج وفيما إذا كان يلبي الاحتياجات التكوينية لطلبة مدرسة الدكتوراه

[1]

من وجهة نظر الطلبة، أشارت الدراسة إلى أن المحتوى يلبي الاحتياجات التكوينية للطلبة، في تباين واضح مع نتائج دراسة أسماء هارون (2010) التي أشارت إلى أن تطبيق " ل م د " برأي الطلبة لم يخضع لمقاييس محيط الجامعة الجزائرية، وصعوبة التكوين في هذا النظام راجع لكثافة البرامج المقررة والحجم الساعي المحدد الذي كان على حساب نوعية التكوين.

وفيما يتعلق بالسؤال الثاني المرتبط" بالمقاييس الدراسية " أشارت النتائج أنها تسهم في تحسين التكوين من وجهة نظرهم وقد أشارت دراسة مكاتي كريمة (2011) أن كل مجتمع الدراسة تلقوا تكوينهم باللغتين الفرنسية والعربية وشعروا بقصور كبير في التكوين سيما في اللغة الفرنسية، وبالرغم من أهمية الجانب العملي في علم المكتبات إلا أن الدروس يغلب عليها " الجانب النظري " وتجمع بين النظري والتطبيقي في المواد الأساسية.

وفيما يتعلق بالسؤال الثالث كشفت نتائج الدراسة أن التقييم يستجيب للمواصفات الموضوعية في تكوين طلبة الدكتوراه من وجهة نظر الطلبة، أشارت نتائج دراسة زرقان ليلى (2013) إلى أن هناك احتياجات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس الجامعي في كل المجالات وفقاً لمعايير الجودة مرتبة كالتالي: 1- مجال أنشطة البحث العلمي، 2- مجال التدريس الفعال، 3- مجال الاتصال، 4 – مجال استخدام TIQ، مجال الممارسات القيادية والإدارية، 6 – مجال التقويم.

وفيما يتعلق بالإجابة عن السؤال الرابع المتعلق بهيئة التدريس وفيما إذا كانت تتوفر على المواصفات المطلوبة في تكوين طلبة مدرسة الدكتوراه أوضحت الدراسة أن " الهيئة التدريسية " تتوفر على مواصفات التخصص وتوظيف تكنولوجيا التعليم وسوى ذلك، أظهرت دراسة الويزة طشوة وجود اختلافات في نوعية الاحتياجات حسب متغيرات الجنس، الكلية، الخبرة وطبيعة التكوين، مما يدل لى تأثر الاحتياجات بهذه المتغيرات، وأسفرت نتائج فريد بلواهري أن الإمكانيات المادية للجامعة لا تلعب دوراً كبيراً في تحقيق أهداف نظام " ل م د " من وجهة نظر الأساتذة في حين تحضر الطلبة إلى عالم الشغل وسوق العمل والنوعية في التكوين تسهل عملية اندماج الطلبة في عالم الشغل.

وفيما يتعلق بالسؤال الخامس كشفت نتائج الدراسة أن إدارة التكوين تتفاعل مع الاحتياجات التكوينية لطلبة مدرسة الدكتوراه من وجهة نظر الطلبة، وقد تباينت مع نتائج دراسة أحمد زرزور (2013) أن محتوى برامج التكوين ونظام التقييم بالإضافة إلى نظام التكوين لا تحضر الطلبة لعالم الشغل، ولا يوجد اهتمام بتشجيع إحداث مصالح مساعدة وإرشاد الطلبة. وفيما يتعلق بالإجابة عن السؤال السادس المتعلق بأثر متغير الكلية والجنس في وجهة نظر الطلبة، كشفت الدراسة عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة الدراسة تعزى إلى متغير الكلية ومتغير الخبرة التدريسية ومتغير الجنس، ومتغير نوعية النظام التعليمي (كلاسيك – ل م د).

-خاتمة:

يمكن تلخيص أهم وأبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالة في النقاط التالية:

1-تميزت فقرات المحور الأول الذي يتعلق بمحتوى البرامج بارتفاع متوسطات أغلب فقراته، مما يدل على موافقة الطلبة على المحتوى الذي يتلقونه من أساتذتهم في المقاييس المعتمدة للتكوين في السنة الأولى.

2- تميزت أيضاً أغلب فقرات المحور الثاني الذي يتعلق بالمقاييس المدرسة بارتفاع متوسط أغلب فقرانه، مما يدل على موافقة الطلبة على أن المقاييس المدرسة التي تلقاها طلبة الدكتوراه في السنة الأولى تسهم في تحسين التكوين من وجهة نظر الطلبة.

3-أظهرت النتائج أيضاً أن التقييم في مرحلة الدكتوراه يستجيب للمواصفات الموضوعية في عملية التأطير من وجهة نظر الطلبة، مما يجعل الطلة يقبلون على بذل المزيد من الجهد في التحصيل العلمي ويشعروا بجدية التكوين في هذه المرحلة المتقدمة من البحث الأكاديمي.

4- وتميزت فقرات المحور الرابع بارتفاع متوسط أغلب فقراته، مما يدل على موافقة الطلبة على أن هيئة التدرس تتصف بالمواصفات المطلوبة في عملية التدريس وتستجيب للتطور الحاصل في ميدان التخصص.

5-وفي محور " إدارة التكوين " كشفت الدراسة عن تفاعل إدارة التكوين مع الاحتياجات التكوينية لطلبة مدرسة الدكتوراه من وجهة نظر الطلبة، باعتبار أن الإدارة مسيرة لعملية التكوين وترافق الطلبة لغاية تخرجهم وحصولهم على شهادة الدكتوراه.

6- وكشفت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسسة على محاور الاستبيان تعزى إلى متغيرات الكلية والخبرة التدريسية و الجنس وكذا متغير نوعية النظام التعليمي.

-مقترحات الدراسة:

1- التخفيف من الحجم الساعي للتدريس واعتماد المقاييس المتخصصة

2-توفير المراجع المتخصصة وإغناء المكتبة بالكتب الحديثة.

3-تغليب الجانب التطبيقي على الجانب النظري في التدريس والعروض المتعلقة بالطلبة.

4-العناية بموضوعية التقييم وترسيخ قواعده العلمية.

استبيان

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

نقوم بإعداد دراسة حول " **واقع التكوين في الدكتوراه ل م د من وجهة نظر الطلبة** " لتقييم التجربة التكوينية لمدرسة الدكتوراه، لذا نرجو من سيادتكم التفضل بالإجابة على الأسئلة المرفقة بموضوعية، ونعلمكم أن إجاباتكم تعامل بسرية ولغرض البحث العلمي فقط. نشكر لكم حسن التعاون.

الخصائص الديموغرافية:

الجنس: ذكر أنثى

الحالة المهنية: موظف غير موظف

السن: من25 – الى أقل من30 سنة من 30 الى أقل من 35 سنة من 35 -الى أقل من 40 سنة 40 سنة فأكثر

نظام التكوين في مرحلة التدرج : كلاسيك ل.م. د

الكلية..

المحاور	الرقم	العبارات	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة
محتوى البرامج	1.	محتوى البرنامج يؤهل الطالب للتدريس الجامعي					
	2.	يعتبر البرنامج في مرحلة الدكتوراه ضروريا					
	3.	البرامج في مدرسة الدكتوراه يغلب عليها الجانب التطبيقي					
	4.	الطالب في مرحلة الدكتوراه بحاجة أكثر الى التكوين التطبيقي.					
	5.	البحث لا يغني عن التكوين في مدرسة الدكتوراه					
	6.	محتوى البرنامج يساعد على تكوين مهارات البحث العلمي					
المقاييس	7.	المقاييس التي تدرسونها حاليا تحضركم تحضيراً جيدًا لإنجاز الأطروحة					
	8.	ليست هناك ضرورة لتعديل مقاييس التكوين الحالية					
	9.	مقاييس التكوين الحالية تمكنك من اكتساب منهجية وأدوات البحث العلمي					
	10.	المقاييس المدرّسة تعطيك القدرة على التحليل وتطبيق المعارف في حل المشكلات المتعلقة بمجال تخصصك					
	11.	يكفي الحجم الساعي لاستكمال برامج المقاييس المقررة					
	12.	المقاييس متكاملة فيما بينها و تخدم الأهداف التكوينية					
التقييم	13.	تقييم الطالب مناسب بشكله الحالي					
	14.	يتسم التقييم بالمعايير الموضوعية					
	15.	يأخذ التقييم في الاعتبار جهود الطالب					
	16.	التقييم يشجع على التميز					
	17.	التقييم يبتعد عن الذاتية والشخصنة					
هيئة التدريس	18.	الأساتذة المؤطرين مختصين					
	19.	لا يدرسنا نفس الأستاذ أكثر من مقياس في السداسي الواحد					
	20.	لا تقتصر الحصص على عرض البحوث فقط					
	21.	يوظف الأساتذة تكنولوجيا التعليم في تنشيط الحصة					
	22.	تواكب مواضيع البحوث التطور العلمي في مجال التخصص					
	23.	يقبل باقتراح البحوث من قبل الطلبة					
إدارة التكوين	24.	التواصل جيد بين الطلبة والادارة					
	25.	برمجة القاعات والتوقيت مناسبة					
	26.	قاعات التدريس مناسبة ومجهزة					
	27.	تتوفر المكتبة على المراجع التي نحتاجها في إعداد بحوثنا					
	28.	نحظى بامتيازات في المكتبة (قاعة مطالعة خاصة، عدد الكتب المعارة، مدة الإعارة).					

ملاحظة: يمكنكم تقديم اقتراحات لدعم التكوين في الدكتوراه، أو إبداء الآراء حول المواضيع التي لم يحتويها الاستبيان

تصور مقترح لتنمية صفات القيادة لدى الشباب الجامعي من خلال ممارسة العمل التطوعي

د.رشدي طاهر - د. لعمور رميلة

جامعة الأمير سونكلا شطر فطاني / تايلاند - جامعة غرداية / الجزائر

الملخص :تشير الأدبيات إلى العلاقة الوطيدة بين ممارسة العمل التطوعي وتنمية الصفات الشخصية والمكتسبة لدى الشباب ومنها صفات القيادة ، وعلى الرغم من أهمية النشاط التطوعي في هذا الميدان وميادين الحياة كافة ، إلا أن أنه لم ينل استحقاقه المطلوب في الأدبيات الاقتصادية وبالذات الدراسات والأبحاث العربية ، ولم تبرز نتائجه في الحسابات الميدانية والإجرائية بالصفة التي تنسجم مع أهميته ودلالاته إنسانياً واقتصادياً واجتماعياً، مما يستدعي حشد الجهود والإمكانات المادية والمعنوية لوضع تصور مقترح لمساعدة الجهات المعنية، وهدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن دور العمل التطوعي في تنمية صفات القيادة لدى الشباب الجامعي ، و تقديم تصور مقترح لتفعيل ممارسة الشباب الجامعي للعمل التطوعي لتنمية صفات القيادة لديهم ، وقد اتخذت المنهج الوصفي ، وتوصلت إلى نتائج أهمها :

- أهمية إشراك الشباب في العمل التطوعي ؛
- سبق التربية الإسلامية إلى الدعوة إلى ممارسة العمل التطوعي والعناية به؛
- الحاجة إلى نشر ثقافة العمل التطوعي داخل الوسط الأكاديمي. كما خرجت الدراسة بتوصيات أهمها:
- تشجيع الشباب الجامعي على ممارسة العمل التطوعي من خلال تخصيص أنشطة ومشاريع لخدمة المجتمع؛
- توعية الشباب الجامعي بأهمية المشاركة في العمل التطوعي من خلال الندوات والمحاضرات والبرامج الثقافية والدروس الخارجية؛
- أن تتبنى الجامعات ومؤسسات التعليم العالي بالدول العربية مشروع التطوع في أنظمتها ، وتضع سياسات تعليمية تخدم هذا الجانب ، بل يجب أن تأخذ على عاتقها تطبيق وتفعيل هذا المشروع .

الكلمات المفتاحية : قيادة، صفات القيادة ،عمل تطوعي،شباب جامعة

Abstract : The present study aimed to reveal the role of volunteerism in the qualities of leadership at the university youth development, and provide a suggested to activate the practice of university students for volunteer work for the development of leadership qualities they have, has taken a descriptive approach, and found the following results:

-the importance of youth participation in voluntary work.

-already Islamic education to call for the practice of voluntary work and taking care of him.

-The need to spread the culture of voluntary work within the academic community.

It also recommended the most important things:

- Encourage university students to exercise voluntary work through the allocation of activities and projects to serve the community.

-Awareness of the importance of university students to participate in volunteer work through seminars, lectures and cultural programs Foreign lessons.

-Adopt universities and higher education institutions in the Arab countries to volunteer in their systems project, and develop educational policies that serve this side, but you should take it upon themselves to apply and activate the project .

Keywords: leadership, leadership qualities, volunteer work, university youth

مقدمة:إن من مقاصد الشريعة الإسلامية المحافظة على وحدة الأمة وترابطها ، والقيم المرتبطة بحفظ الحقوق ، وكرامة الإنسان من أول ما دعا إليه الإسلام في الفترة المكية ، والمسلمون في حالة الاستضعاف ، والدعوة الإسلامية تتوجه لإدخال الناس في الإسلام ولمحاربة الشرك ، فهناك الكثير من الآيات المكية التي تحث على البذل ، وحفظ حقوق اليتامى والفقراء

والمساكين ، وسائر الأعمال التطوعية الخيرية ،قال الله تعالى :﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨)وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)﴾ [1] وقال الله تعالى :﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١)وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢)فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣)أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤)يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥)أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦)﴾[2]، ذلك لما للعمل التطوعي من آثار اجتماعية كثيرة ؛ حيث يساهم في ردم الفجوة بين طبقة الأغنياء والمقتدرين ، وبين طبقة الفقراء والمساكين ، والمرضى والمصابين ، والمهجّرين من ديارهم ، والمشردين عن أهليهم، فيقيم جسراً من التواصل بين الفريقين ، يربي القائمين به على البذل والعطاء ، والتواضع والسخاء ، والبشاشة واللين كما يرتفع بنفوس المستفيدين منه ويستل منها الحسد والحقد والبغضاء ويشعرهم أن إخوانهم يشاركونهم في آلامهم ومصائبهم ، ويتحملون ما يستطيعون من كرباتهم طلبا للأجر والثواب من الله تعالى ، بلا منّ ولا أذى ولا تكبر ولا تعالٍ ، إلى غير ذلك من الآثار الاجتماعية الأخرى.

أولاً: مشكلة الدراسة .

رغم ما يتسم به العمل الاجتماعي التطوعي من أهمية بالغة في تسريع قضايا التنمية في المجالات الثقافية والاقتصادية والتعليمية والصحية والبيئية ، وأهم من ذلك تنمية قدرات الأفراد ، إلاّ أننا نجد نسبة ضئيلة جداً من الأفراد الذين يمارسون العمل الاجتماعي التطوعي , فهناك عزوف من قبل أفراد المجتمع - وخاصة الشباب منهم - عن المشاركة في العمل الاجتماعي التطوعي بالرغم من أن الشباب يتمتع بمستوى عالي من الثقافة والفكر والانتماء ، وبالرغم من وجود القوانين والمؤسسات والبرامج والجوائز التي تشجع الشباب على المشاركة بشكل فاعل في تنمية مجتمعهم. وحينما نخص بهذه الدراسة الشباب الجامعي فإنهم في مرحلة عمرية تعد من أهم المراحل التي يمر بها الإنسان، وهي مرحلة كمال النضج في جميع جوانب الإنسان وجميع قواه والذي يعرف بمرحلة الشباب ، وانطلاقاً من العلاقة التي تربط بين العمل التطوعي والمورد البشري ، فإنه يمكن القول بأن عماد المورد البشري الممارس للعمل التطوعي هم الشباب ، خاصة في المجتمعات الفتية ، فحماس الشباب وانتمائهم لمجتمعهم كفيلان بدعم ومساندة العمل التطوعي والرقي بمستواه ومضمونه ، فضلاً عن أن العمل التطوعي سيراكم الخبرات وقدرات ومهارات الشباب ، والتي سيكونون بأمسّ الحاجة لها خاصة في مرحلة تكوينهم ومرحلة ممارستهم لحياتهم العملية ، فهم أمل الغد الواعد ، وقادة المستقبل، ولقد فطنت الدول المتقدمة إلى أهمية ممارسة العمل التطوعي للشباب ، والفوائد التي تعود عليه من خلال ممارسته لهذا النوع، فجندت أبحاث وتجارب جامعاتها لخدمة هذا الغرض ، إذ أوضحت دراسة في الولايات المتحدة أن عدد الملتحقين ببرامج العمل التطوعي من طلاب الجامعات والكليات الأمريكية في العام بلغ 3.3مليون طالب، حيث تزايد العدد بصورة ملحوظة بين عامي 2002م والعام2005م حيث بلغت الزيادة مانسبته (20%) وقدر عدد المتطوعين من طلاب الجامعات في العام 2003م حوالي (1.2) مليون متطوع ، كما تشير الدراسة إلى أن بعض الجامعات والكليات الأمريكية تضع العلم التطوعي والخدمة العامة ضمن المواد الإجبارية التي يتحتم على الطلاب اجتيازها ، ويعتبر مدارس سان فرانسسكو للتطوع الذي تأسس في العام 1995م مثالاً للبرامج الرائدة في مجال التطوع وغرس قيم العمل الاجتماعي ، حيث شارك الطلاب من (100) مدرسة تابعة للبرنامج في مجالات التطوع مع أكثر من(3000) مؤسسة اقتصادية واجتماعية[3]. بينما لاتزال جهود الجامعات بالدول العربية بشكل عام دون المستوى المطلوب ؛ فقد أظهرت دراسة ميدانية عن التطوع في العالم العربي قامت بها الشبكة العربية للمنظمات

---

[1] سورة الليل، الآيات: 5-11.

[2] سورة البلد ، الآيات: 11-16.

[3] فهد سلطان السلطان ، **اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي –دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود**، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد 112، السعودية ، السنة 30 (1430هـ-2009م)،ص:78.

الأهلية أن الشباب من سن (15) حتى (30) سنة هم أقل فئة مهتمة بالتطوع ، برغم إمكانات الشباب في هذا السن للقيام بأعمال تخدم المجتمع بصورة فائقة[1].

وتشير الأدبيات إلى العلاقة الوطيدة بين ممارسة العمل التطوعي وتنمية الصفات الشخصية والمكتسبة لدى الشباب الجامعي ومنها صفات القيادة ، وعلى الرغم من أهمية النشاط التطوعي في هذا الميدان وميادين الحياة كافة، إلا أن أنه لم ينل استحقاقه المطلوب في الأدبيات الاقتصادية وبالذات الدراسات والأبحاث العربية ، ولم تبرز نتائجه في الحسابات الميدانية والإجرائية بالصفة التي تنسجم مع أهميته ودلالاته إنسانياً واقتصادياً واجتماعياً، مما يستدعي حشد الجهود والإمكانات المادية والمعنوية لوضع تصور مقترح لمساعدة الجهات المعنية، ومن هنا يمكن صياغة مشكلة الدراسة على السؤال الآتي :" **ما التصور المقترح لتنمية صفات القيادة لدى الشباب الجامعي من خلال ممارسة العمل التطوعي ؟** "

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس عدة تساؤلات فرعية من أبرزها مايلي :

1. ما مفهوم العمل التطوعي ،وأهميته،؟
2. ما الآثار الإيجابية للعمل التطوعي على الأفراد الذين يقومون به ، ودوره في إعداد القيادات في المجتمع؟
3. ما مبررات وبواعث العمل التطوعي ، والعوامل المؤثرة في العمل التطوعي ؟
4. ما مفهوم القيادة ، وأهميتها ، وعناصرها ؟
5. مانظريات ومصادر القيادة ؟
6. ما العلاقة بين ممارسة العمل التطوعي وتنمية الصفات القيادة لدى الشباب الجامعي ؟
7. ما التصور المقترح لتفعيل ممارسة الشباب الجامعي للعمل التطوعي لتنمية صفات القيادة لديهم؟

ثانياً : أهمية الدراسة .

1. الحاجة إلى إبراز أهمية العمل التطوعي في المجتمع؛
2. قلة الدراسات التي تربط بين العمل التطوعي والقيادة ، خصوصاً ما يتصل منها بالبيئة الجامعية ؛
3. إن ممارسة العمل التطوعي سبب لاكتساب وتنمية القيم والصفات الحميدة ومنها صفات القيادة؛
4. إن العمل التطوعي عمل مستمر ويحتاج دائماً إلى إعداد قيادات وكوادر تستلم زمام الأمور في العمل التطوعي في البيئة الجامعية وفي غيرها ، لذا لزم العناية بترغيب الشباب الجامعي للانخراط في العمل التطوعي ؛
5. يتوقع أن يستفيد من نتائج هذه الدراسة المؤسسات الاجتماعية والشبابية والتعليمية في بناء خططهم الإستراتيجية.

ثالثاً : أهداف الدراسة .

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف الآتية :

1. تحديد مفهوم العمل التطوعي ، وأهميته ؛
2. إبراز الآثار الإيجابية للعمل التطوعي على الأفراد الذي يقومون به ، ودوره في إعداد القيادات في المجتمع ؛
3. الوقوف على مبررات وبواعث العمل التطوعي و العوامل المؤثرة فيه ؛
4. التعرف على مفهوم القيادة ، وأهميتها ، وعناصرها ، والنظريات التي تفسرها ومصادرها ؛
5. بيان العلاقة بين ممارسة العمل التطوعي وتنمية صفات القيادة لدى الشباب الجامعي؛
6. تقديم تصور مقترح لتفعيل ممارسة الشباب الجامعي للعمل التطوعي لتنمية صفات القيادة لديهم.

رابعاً: هيكل الدراسة .

---

[1] الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، **التطوع والمتطوعون في العالم العربي**، 2005، المصدر:
http://www.shabakaegypt.org/arabic/index.html.

تناقش الدراسة الحالية بعد المقدمة القضايا الآتية :

1. مفهوم العمل التطوعي ، وأهميته ؛
2. الآثار الإيجابية للعمل التطوعي على الأفراد الذين يقومون به، ودوره في إعداد القيادات في المجتمع ؛
3. مبررات وبواعث العمل التطوعي ، والعوامل المؤثرة في العمل التطوعي؛
4. مفهوم القيادة ، وأهميتها ، وعناصرها ؛
5. نظريات ومصادر القيادة ؛
6. العلاقة بين ممارسة العمل التطوعي وتنمية صفات القيادة لدى الطالب الجامعي؛
7. تصور مقترح لتفعيل ممارسة الشباب الجامعي للعمل التطوعي لتنمية صفات القيادة لديهم؛
8. الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات المقترحة .

خامساً: منهج الدراسة .

اتخذت الدراسة **المنهج الوصفي** منهجاً للدراسة : وهو الذي يصف ما هو كائن ويفسره ، ويعمل على تحديد العلاقات بين الوقائع والممارسات الشائعة والاتجاهات المختلفة عند الجماعات[1].

سادساً: حدود الدراسة .

اقتصرت الدراسة في مجالها البشري على الشباب الجامعي، وفي مجالها المكاني على العالم العربي، وفي مجالها الموضوعي على الأدبيات التي تتعلق بالعمل التطوعي والقيادة.

سابعاً: مصطلحات الدراسة.

العمل التطوعي: الجهد الذي يبذل عن رغبة واختيار بغرض أداء واجب اجتماعي دون توقع جزاء مالي[2].

صفات القيادة : هي سمات وخصائص القيادة المكتسبة بالخبرة والتعليم.

الشباب الجامعي: يقصد به جميع الطلاب والطالبات الملتحقين بالجامعات وتتراوح أعمارهم في الغالب بين 18-27عاماً، ويتم قبولهم في الجامعة بعد اجتيازهم للمرحلة الثانوية.

ثامناً : الدراسات السابقة .

1- **دراسة (عبد اللطيف بن عبد العزيز الرباح 2000م)** بعنوان " العمل التطوعي وعلاقته بالحاجات الإنسانية " هدفت إلى بيان العلاقة بين العمل التطوعي والحاجات الإنسانية.

2- **دراسة (محمد المحاميد 2001م)** بعنوان " دوافع السلوك التطوعي النسوي المنظم في الأردن وعلاقته ببعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية " هدفت إلى معرفة طبيعة السلوك التطوعي النسوي المنظم في الأردن .

3- **دراسة (راشد الباز 1423هـ)** بعنوان " الشباب والعمل التطوعي " استخدم الباحث المسح الاجتماعي لعينة من طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بلغ عددها (163)مبحوثاً لمعرفة مشاركاتهم في العمل التطوعي .

4- **دراسة (فهد بن سلطان السلطان 1430هـ)** بعنوان " اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي – دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود " هدفت إلى الكشف عن اتجاهات الشباب الجامعي نحو ممارسة العمل التطوعي.

و تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة بأنها تبحث في موضوع العمل التطوعي وتختلف في متعلقاته ، فالدراسة الأولى تعلقها بالحاجات الإنسانية ، والثانية تعلقها بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية ، والثالثة والرابعة تعلقها بالشباب الجامعي إذ تتفقان مع الدراسة الحالية في الفئة البشرية، **وتختلف عنها** بأنها تبحث في العمل التطوعي ودوره في

[1] جابر عبد الحميد جابر،وأحمد خيري كاظم،**مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1978، ص126.

[2] سامية فهمي وآخرون ، **طريقة الخدمة الاجتماعية في التخطيط الاجتماعي** ، ،المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية ،1984،ص 93.

تنمية صفات القيادة ، وتنحى منحى تأصيلياً تربط قضاياها بشواهد التربية الإسلامية،كما أنها تقدم تصوراً مقترحاً لممارسة الشباب الجامعي للعمل التطوعي.

1. مفهوم العمل التطوعي، وأهميته.

1.1. مفهوم العمل التطوعي.

التطوع في اللغة يطلق على عدة معان هي :

1/ **التّبرع** : التطوع بالشيء : التبرع به[1] .

2/ **النافلة** : وكل متنفل خير متطوع [2]، وتنفل : قام بالعبادة طائعاً مختاراً دون أن يكون فرضاً[3].

3/ **الانقياد والخضوع** :انطاع له،خضع وانقاد ،وطاع النبات طوعاً ، وطاعة ، وطواعية : أمكن رعيه[4].

4/ **التكلف** : تطاوع للأمر : تكلف مزاولته حتى يستطيعه[5]، وتطوع : تكلف الطاعة[6].

5/ **الليونة** : تطوع : لان[7].

والعمل التطوعي في الاصطلاح يتضمن هذه المعاني كلها ، فالقائم بالعمل التطوعي متبرع بوقته أو بدنه أو مال أو بهما جميعاً ، ويقوم بعمله نافلةً لا فرضاً ، منقاد وخاضع لأنظمة المؤسسة الحكومية أو الخيرية ومنفذ لأنظمتها وتعليماتها ، متحمل ومتكلف ومجاهد نفسه على العمل الخيري ، سهل ليس في تعامله مع اليتامى ، والمساكين ، والأرامل ، وغيرهم من المستفيدين من الأعمال الخيرية .

وقد عرفه بعض الباحثين في الاصطلاح بأنه: " الفعل الذي يأتيه الفرد بمبادرة ذاتية دون إكراه طاعة وانقيادا سهلا لنفسه"[8].

وعرفه آخر بأنه : " هو كل ما يبذله الفرد بهدف تقديم الخدمات الاجتماعية أو الإغاثية، أو التربوية بلا أجر مادي، سواء كان ما يبذل علماً أو مالا أو وقتاً أو جهداً بدنياً أو رأياً أو غيرها مما يملكه الفرد، ويحتاجه الآخرون"[9].

كما عرفه آخر بقوله بأنه " الجهد والعمل الذي يقوم به فرد أو جماعة أو تنظيم، طواعية واختيارا، بهدف تقديم خدماتهم للمجتمع أو لفئة منه دون توقع لجزاء مادي مقابل جهودهم "[10].

من خلال التعريفات السابقة يمكن تحديد أبرز معالم ومنطلقات تعريف العمل التطوعي وهي:

---

1 إسماعيل الجوهري، **الصحاح** ، دار العلم للملايين ،بيروت، الطبعة الثالثة ، 1404هـ ، ص 1255.

2 الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد يعقوب ، **القاموس المحيط** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،1406هـ ، ص: 745.

3 إبراهيم مصطفى وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية، 1392هـ ، ص: 750

4 الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد يعقوب ، **مرجع سابق ذكره** ، ص: 745.

5 إسماعيل الجوهري ، **مرجع سبق ذكره** ،ص:1255.

6 إبراهيم مصطفى وآخرون ، **مرجع سبق ذكره**، ص: 570

7 **المرجع السابق** ،نفس الصفحة

8 عبد الرحمن أبو دوم ، **مفهوم العمل التطوعي وعلاقته بالأمن** ، من بحوث مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي " الأمن مسؤولية الجميع "، جامعة جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ،27-1421/6/29هـ ، 2000، ص :3 .

9 عبد اللطيف بن عبد العزيز الرباح ، **العمل التطوعي وعلاقته بالحاجات الإنسانية** ،من بحوث مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي " الأمن مسؤولية الجميع"، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ،27-1421/6/29هـ ، ص: 4

10 سامي عصر ، **قضايا التطوع ونظام العمل في الجمعيات** ،بحث مقدم في مؤتمر التنظيمات الأهلية العربية ، القاهرة ، 31 اكتوبر -3نوفمبر، 1989، ص:7 .

1. أنه جهد وعمل يلتزم الإنسان به طواعية ، وهو من الجانب التنظيمي : تنظيم أهلي اختياري ، غير مفروض على الفرد أن يقوم به ، فالرغبة والدافع الذاتي عوامل أساسية في التطوع ، وهذا الجهد قد يكون فردي أو جماعي .

2. أنه عمل غير مأجور ، بمعنى أن الذي يقوم به لاينتظر أجراً مقابل عمله ، فالدافع الإنساني وحب الخير هو الموجه للمتطوع ، وليس الدافع الديني كما هو الحال في العمل الخيري المرتبط والموجه بدوافع دينية كالدعوة إلى الله وبناء المساجد[1].

3. أنه يستهدف سد ثغرة في مجال الخدمات الاجتماعية لا تقوم المؤسسة الرسمية بتغطيتها، أي تستند إلى الرغبة في خدمة المجتمع.

4. إنه تنظيم لا يستهدف الربح المادي، ولا يستفيد منه أعضاء التنظيم الذين يشرفون عليه، ولا يحققوا أرباحاً شخصية يتم توزيعها عليهم.

5. أن التنظيم ليس مقصوداً بذاته وإنما هو وسيلة لتحقيق أهداف محددة ، اتفق عليها هؤلاء الذين قرروا أن يعملوا به ، وقد ظهر هذا التنظيم حديثا وأطلق عليه القطاع الثالث (القطاع التطوعي) أو المنظمات والمؤسسات غير الربحية .

2.1. أهمية العمل التطوعي.تكمن أهمية العمل التطوعي في أنه يعمل على مشاركة الأفراد في قضايا مجتمعهم ، كما أنه يربط بين الجهود الحكومية والأهلية العاملة على تقدم المجتمع، كما أنه من خلال هذا العمل يمكن التأثير الإيجابي في الشباب، وتعليمهم طريقة للحياة قائمة على تحمل المسئولية الاجتماعية، ويؤدي العمل التطوعي على التقليل من أخطار العلل الاجتماعية والسلوك المنحرف داخل المجتمع، عن طريق انغماس الأفراد في القيام بأعمال من شأنها أن تشعرهم بأنهم مرغوب فيهم، ويضاف إلى ذلك أن هذه المشاركة التطوعية ستؤدي إلى تنمية قدرة المجتمع على مساعدة نفسه، عن طريق الجهود الذاتية التي يمارسها المتطوعون[2].

والعمل التطوعي من الأعمال والخدمات التي يقدمها الإنسان بنفسه أو ماله أو جاهه خدمة لدينه ، وأمته، ومجتمعه وقدّم الإسلام سبقاً حضارياً في مجال العمل ، والخدمات التطوعية ، وقد دلت الآيات والأحاديث الكثيرة على أهميته ، ومشروعيته ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[3]، وقال تعالى في معرض الثناء على بعض أنبيائه عليهم السلام :﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[4].وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال (كان شباب من الأنصار سبعين رجلاً يقال لهم القراء قال : كانوا يكونون في المسجد فإذا أمسوا انتحوا ناحية من المدينة فيتدارسون ويصلون يحسب أهلوهم أنهم في المسجد ، ويحسب أهل المسجد أنهم في أهليهم حتى إذا كانوا في وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا من الحطب ، فجاؤا به وأسندوه إلى حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية (كانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه، فيشترون به الطعام لأهل الصُّفة والفقراء) [5]، وفي رواية أخرى (كنا نسميهم القرّاء في زمانهم كانوا يحتطبون في النهار ويصلون في الليل)[6].

وفي هذا الحديث من الدلالات التربوية في مجال العمل التطوعي ما يأتي[7]:

---

[1] راشد الباز، **الشباب والعمل التطوعي** ، مجلة البحوث الأمنية ،كلية الملك فهد الأمنية ، الرياض ، 1423هـ، ص: 86.

[2] محمد هشام أبو القمبز ، **جدد شبابك بالتطوع** ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، فلسطين ، الطبعة الأولى 2007 ، ص: 14.

[3] سورة البقرة الآية : 158.

[4] سورة الأنبياء الآية : 90.

[5] مسلم بن الحجاج القشيري ، **صحيح مسلم** ، دار إحياء التراث العربي ، ج 3، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1972، ص: 1511.

[6] محمد بن إسماعيل البخاري ، **صحيح البخاري** ، مكتبة دار التراث ،ج4، المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة، 1407هـ، ص- ص:1500-1501.

[7] عبد اللطيف بن عبد العزيز الرباح ، **مرجع سبق ذكره** ، ص: 11.

1. أن هذه المجموعة تجمعهم صفة (الشباب) وهي مرحلة النشاط والحيوية والبذل والعطاء وهي أفضل المراحل التي يمكن استقطابها للعمل التطوعي وبالذات الأعمال التي تحتاج إلى مجهود بدني .
2. تنافسهم في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم بإحضار الماء ، والحطب له : ليتفرغ لمهمته العظيمة .
3. خدماتهم كانت تتعدى ذلك ، فقد كانوا يحضرون الماء إلى مسجده صلى الله عليه وسلم ليشرب منه من يحتاج إلى الشرب،ويتوضأ منه من يحتاج الوضوء .
4. كانت دائرة خدماتهم التطوعية تتسع أكثر؛ فقد كانوا -أحياناً- يجمعون الحطب ويبيعونه ويشترون بثمنه طعاماً للفقراء من المسلمين ، ولأهل الصفة ، هذا هو التكامل ، والتكافل الاجتماعي .
5. أنهم كانوا يتربّون تحت رعاية الرسول صلى الله عليه وسلم وبتوجيهه ، وكان صلى الله عليه وسلم يعدهم للأعمال التطوعية ، ومن أهمها نشر العلم ابتغاء رضوان الله .

2.الآثار الإيجابية للعمل التطوعي على الأفراد الذين يقومون به، ودوره في إعداد القيادات في المجتمع.

1.2. الآثار الإيجابية للعمل التطوعي على الأفراد الذين يقومون به .

يذكر الباحثون جملة من الآثار الايجابية للعمل التطوعي على الأفراد الذين يقومون به ويمكن تقسيمه إلى أبعاد :

البعد النفسي الروحي : القائم بالعمل التطوعي تحركه دوافعه الداخلية المتمثلة في حب الخير، وطلب الأجر والثواب من الله تعالى ، والشعور بالراحة ، والطمأنينة ، والسعادة والصحة النفسية وأداء الواجب الاجتماعي والوطني، ولاشك أن الدوافع الداخلية أعظم أثرا من الدوافع الخارجية ؛ لأنها تستصحب الإخلاص ، والصبر، والاستمرارية بعيداً عن الإشراف الإداري ، والرقابة الخارجية ، والتعزيز المادي[1].

البعد الاجتماعي: فالعمل التطوعي يزيد من قدرة الإنسان على التفاعل والتواصل مع الآخرين ، كما يحد من النزوع إلى الفردية وينمي الحس الاجتماعي لدى الفرد المتطوع ويساهم في جعل المجتمع أكثر اطمئناناً وأكثر ثقة بأبنائه كما يخفف من الشعور باليأس والإحباط ويحد من النزعة المادية لدى أفراده. ويجعل القيمة الأساسية في التواصل والإنتاج والرضا الذاتي المتصل برضا اللّه سبحانه وتعالى ، كما أن الانخراط في العمل التطوعي يتيح للفرد التعرف على حاجات المجتمع ومشكلاته وكيفية حلها فتتطور قدراته في الاعتماد على نفسه ، ويتيح له أيضا إدراك حجم هذه المشكلات وإمكانياته ، وحقيقة الخدمات والبرامج التي يوفرها ، كما يتيح الإطلاع على المشروعات الحكومية ، وامتلاك فرصة لممارسة الرقابة ولو في حدها الأدنى[2].

البعد المهاري : التطوع يتيح للإنسان تعلم مهارات جديدة أو تحسين مهارات يمتلكها أصلاً كما يمكِّنه من اختيار حقل قد يختار فيما بعد التخصص فيه، كذلك يتيح للإنسان التعرف عن كثب على مجتمعه والتَّماس مع قضاياه والتعرف على أناس يختلفون عنه في السن والقدرات والخبرات مما يؤدي إلى تبادل هذه الخبرات كما يساعد على إنشاء صداقات جديدة وتنمية الثقة بالنفس، وباختصار العمل التطوعي يشعر الإنسان بقدرته على إحداث تغيير ما.

البعد القيمي: اكتساب القيم ، والاتجاهات الاجتماعية ، والأخلاق الحميدة من أهم الأهداف التي تسعى التربية بمؤسساتها ورسائلها المختلفة إلى الوصول إليها وتمثّلها واقعاً ملموساً لدى الأفراد ، وللقيم آثار قوية ، وفعالة في تشكيل شخصية الإنسان ، ونظرته لذاته ، وللبيئة التي يعيش فيها ، وبناء الوازع الديني والعقدي ، مما يسهم بفعالية في تكوين

---

[1] عبد اللطيف بن عبد العزيز الرباح ،**المرجع السابق** ، ص:12.

[2] زهيرحطب ، **العمل التطوعي والرعاية الاجتماعية** ، من بحوث مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي " الأمن مسؤولية الجميع " جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ،27-1421/6/29هـ ، ص: 27.

الرغبة الذاتية للقيام بالعمل التطوعي فالقيم والاتجاهات والأخلاق هي التي تحدد معالم شخصية الفرد ، وقدرته على الضبط الذاتي ، والتكيّف السليم[1].

2.2. دور العمل التطوعي في إعداد القيادات في المجتمع .

لقد اتسع مفهوم التطوع في العصر الحديث ليشمل أنماط المشاركة التطوعية ، ومستوياتها في العمل الاجتماعي ، بحيث تتميز المشاركة بالكفاية أو الخبرة أو الجهد البدني أو بالمال كما يشمل العمل التطوعي مجالات المشاركة على مستوى التخطيط أو التنسيق أو التمويل أوالتنفيذ[2].

وتجدر الإشارة إلى أن التطوع إما أن يكون على مستوى الجهد الفردي أو أن يكون على أساس الجهد المؤسسي ، إذ تتولى في أغلب دول العالم المتقدمة منها على وجه الخصوص مؤسسات تعنى بتنظيم العمل التطوعي وباستقبال المتطوعين وتوزيعهم على المؤسسات الاجتماعية المختلفة حسب قدراتهم وحسب المهارات التي يمتلكونها.

وتشير الكثير من التجارب الدولية إلى نجاح العديد من المنظمات التطوعية في إيصال الخدمة وتقديمها بصورة سريعة وبتكلفة أقل ولعل تفسير ذلك يعود إلى العوامل الآتية :

- ✓ تمتلك سرعة اتخاذ القرار؛
- ✓ التركيب الإداري لها يخلو من التعقيدات البيروقراطية ؛
- ✓ الدوافع المهنية والإنسانية مرتفعة[3].

ويمكن تلخيص دور العمل التطوعي في تهيئة القيادات الشبابية في المجتمع عن طريق :

1. تعزيز انتماء ومشاركة الشباب في مجتمعهم؛
2. تنمية قدرات الشباب ومهاراتهم الشخصية والعلمية والعملية؛
4. إتاحة الفرصة للشباب للتعبير عن آرائهم وأفكارهم في القضايا العامة التي تهم المجتمع؛
5. توفير الفرصة للشباب في تأدية الخدمات بأنفسهم وحل المشكلات بجهدهم الشخصي لتدريبهم عليه؛
6. توفير فرصة المشاركة للشباب في تحديد الأولويات التي يحتاجها المجتمع والمشاركة في اتخاذ القرارات.

3. مبررات وبواعث العمل التطوعي ، والعوامل المؤثرة فيه.

1.3. مبررات وبواعث العمل التطوعي.

إن الدوافع التي تكمن وراء العمل التطوعي كفكرة أو نشاط تتم ممارسته في ميادين الحياة المختلفة ، أو بعبارة أخرى مبررات ذلك العمل يمكن تلخيصها في فلسفتين : الذاتية والموضوعية[4] بصورة مترابطة بوصفها قاعدة للتفكير والمنهج الحقلي للتطوعية :

1- **الفلسفة الذاتية** : تقوم هذه الفلسفة أساساً على مجموعة من الاعتبارات التي تجول في ذهن وضمير فرد ما أو مجموعة من الأفراد تميزهم في هذا المضمار عن سواهم ممن يحملون الإطار العام للفلسفة ، أو ممن هم ليسوا منها بشيء بطبيعة الخال فقد يمارس الفرد النشاط التطوعي لإرضاء وتطمين بعض الغرائز والحاجات النفسية ، فهو لايجد نفسه

---

[1] عبد اللطيف بن عبد العزيز الرباح ، **مرجع سبق ذكره** ، ص: 13.

[2] الجازي الشبيكي ، **الجهود الإنسانية التطوعية في مجالات الرعاية الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1992، ص: 16.

[3] أحمد يعقوب وعبدالله السلمي، **إدارة العمل التطوعي**، جامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي،الرياض، 2005، ص: 87.

[4] علي مجيد الحمادي ، **فلسفة العمل التطوعي ومتلازمة الأمن والتنمية** ، من بحوث مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي " الأمن مسؤولية الجميع"، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض،27-1421/6/29هـ ، ص- ص: 6-7.

متوازنا إلا من خلال قيامه بهذا النشاط بغية تحقيق الذات[1] ، وقد يجعل البعض الآخر من فكرة التطوعية حافزاً على إشباع رغبة تتمثل بممارسة النشاط الجماعي أي العمل مع الآخرين ، وتتضمن أيضا رغبة الفرد في كسب شعبية وتأييد واحترام الآخرين ، فهذه أمثلة مختلفة لبواعث ومحفزات من وحي الفلسفة الذاتية للعمل التطوعي .

2- **الفلسفة الموضوعية** : تنشأ نتيجة لتأثر القائمين بهذا العمل بجملة الظروف والمتغيرات البيئية ، ويأتي التأثير البالغ لهذه المتغيرات بفعل وعي الفرد واستيعابه لدوره في المجتمع فهو لايفكر بإشباع حاجة نفسه فحسب ، كما يتم في إطار الفلسفة الذاتية، وإنما ينصب تفكيره على ممارسة نشاط أو دور معين يفرضه وجوده بين الجماعة أو مجموعة الأفراد الذين يعيشون معهم وقد يؤدون دوراً مختلفاً أو دوراً مماثلاً.

2.3. العوامل المؤثرة في العمل التطوعي.

يؤثر في سلوك الفرد لأداء العمل التطوعي متغيرات كثيرة من أهمها :

1- **الخبرة** : يميل الإنسان إلى تكرار الخبرة الحسنة ، أوالمعززة إيجابياً ، والعكس صحيح .فإذا وجد القائم بالعمل التطوعي مضايقة أو عدم تعاون فإنه يميل إلى تجنب التعاون مع هذه المؤسسة التطوعية هذا إذا لم يترك العمل التطوعي كليا ، أما إذا وجد العكس فإنه يميل إلى الاستمرار فيه كما يؤثر خبرات الآخرين على سلوك الفرد عن طريق الاستشارة .

2- **الثواب والعقاب**: أنماط السلوك كلها إذا كوفئت بالتعزيز المادي أو المعنوي فإن الفرد يميل إلى تكرار السلوك، ففاعل الخير إذا وجد تعزيزاً إيجابياً بالثناء والتشجيع فإنه يميل إلى تكرار مثل هذا العمل التطوعي .

3- **الدور الاجتماعي** : هذا المفهوم يؤثر كثيرا في سلوك القائم بالعمل التطوعي فالمكانة الاجتماعية له عالية ومتميزة ويحظى بالاحترام والتقدير ؛ لأنه يبذل من نفسه ووقته وماله فالدور الاجتماعي المتوقع منه أن يكون كريما رفيقا رحيماً ؛ لذلك نجد أن المساهمة في الأعمال التطوعية تؤدي إلى التمكن من الأخلاق الحميدة ، ورسوخها في النفس والاستمرار عليها ؛ لأنها جزء من متطلبات دور القائم بالعمل التطوعي ويمكن للمؤسسة الخيرية أن يستفيد من (الدور الاجتماعي) بتكوين علاقة مستمرة مع المتطوعين ؛ لأن المتوقع منهم وفق دورهم هو التعاون ، لأنهم جربوا وعرفوا أهمية التطوع ، لأن لديهم الخبرة الكافية .

4- **الوراثة** : يصعب العزل بين المؤثرات البيئية والمؤثرات الوراثية ، لكن وجود بعض الأخلاق السائدة في أسر معينة كالكرم والشجاعة والوفاء يدل على الأثر الكبير للوراثة على السلوك ، وقد أثبتت بعض الدراسات التي أجريت على التوائم المتشابهة احتمالية توريث سلوك الإدمان على الكحول من الآباء إلى الأبناء[2].

4. مفهوم القيادة ، وأهميتها ، وعناصرها .

1.4. مفهوم القيادة .القيادة في اللغة من القَوْد: نقيض السَّوْق ،فهو من أمام ، وذاك من خلف ،كالقيادة والمقادة[3].

أما في الاصطلاح فقد وردت تعريفات كثيرة للقيادة منها:

تعرف القيادة بأنها : وظيفة من وظائف السمات والخصائص المكتسبة بالخبرة والتعليم ، وتعرف أيضا : بأنها العملية التي يتمكن بها فرد أن يوجه ويرشد ويؤثر ويضبط أفكار وشعور وسلوك أشخاص آخرين.[4]

وهناك من يعرف القيادة بأنها:" العملية التي يتم من خلالها التأثير على سلوك الأفراد والجماعات وذلك من اجل دفعهم للعمل رغبة في تحقيق أهداف محددة"[1]

---

[1] عبدالله عويدات ، **الشباب والعمل التطوع** ، وزارة الشباب ، عمان ، 1995، ص: 42.

[2] لي إرمان ،وبيترا .بارسونز، **وراثة وتطور السلوك** ، ترجمة / أحمد شوقي وآخرون ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، 1983 ، ص: 377.

[3] الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد يعقوب ، **مرجع سبق ذكره** ، ص :313.

[4] خيري حسن أبو السعود ، **محاضرات في القيادة الريفية** ، المعهد العالي للتعاون الزراعي ، القاهرة ، 1978 ، ص: 2.

في حين هناك من يرى القيادة بأنها : قدرة الفرد على التأثير على فرد أو جماعة وتوجيههم وإرشادهم لنيل تعاونهم وحفزهم على العمل بأعلى درجة من الكفاية، من اجل الأهداف المرسومة[2].

2.4. أهمية القيادة .

هناك مطالب في الحياة في عصرنا الحاضر لايمكن حلها إلا بالعمل الجماعي ومن المعروف أنه لايمكن لجماعة أن ترتقي فوق مستوى القيادة المتوفرة لها .

ويشهد العالم في الوقت الحاضر صراعا بين اهتمامات سياسية واقتصادية واجتماعية ويلعب القادة في هذا الصراع أدواراً أساسية تجعل مصير الإنسانية مرتبطاً إلى حد بعيد بتفاعلها مع الشعوب في مختلف المواقف .

ويؤكد علماء النفس الاجتماعي أهمية القيادة والدور الكبير الذي تلعبه في بناء المجتمعات المختلفة . كما يؤكدون ما للقائد من أهمية بالغة في تماسك تركيب الجماعة وجو الجماعة وأهدافها وأيدلوجيتها ومناشطها[3].

كما تبرز أهمية القيادة في الوظائف التي يمارسها القائد وهي[4] :

- القائد كإداري منفذ؛
- القائد كمخطط ؛
- القائد كواضع للسياسة ؛
- القائد كخبير ؛
- القائد كممثل خارجي للجماعة؛
- القائد كضابط للعلاقات الداخلية ؛
- القائد كمصدر للثواب والعقاب ؛
- القائد كحكم ووسيط؛
- القائد كنموذج أو مثل أعلى ؛
- القائد كرمز للجماعة ؛
- القائد كممثل المسؤولية الفردية ؛
- القائد كأيديولوجي ؛
- القائد كصورة للأب .

وفي التربية الإسلامية شواهد على أهمية القيادة فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من مدرسته كبار القادة الذين فتحوا الفتوح وقادوا المعارك ومن أمثلتهم خالد بن الوليد الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : (نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين)[5].

إن وجود قيادة توجه سياسة الرعية يعد أمر حتمياً أخبر عنه الشارع ، وهذه القيادة لابد أن تطبق شرع الله وفق قوانينه قال تعالى:﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأمُورِ ﴾[1]،

---

[1] فؤاد الشيخ سالم وآخرون، **المفاهيم الإدارية الحديثة**، الطبعة الرابعة، مركز الكتب الأردني،الاردن، 1994، ص:185.

[2] بلال خلف السكرانة ، **القيادة الإدارية الفعالة** ، دار المسيرة للنشر والطبع ، عمان، 2009، ص-ص:18-19.

[3] عبدالحليم عباس قشطة ، **الجماعات والقيادة** ، وزارة التعليم والبحث العلمي ، العراق ، 1981، ص: 53.

[4] مصطفى فهمي ، ومحمد علي القطان ، **علم النفس الاجتماعي** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1977 ، ص :203.

[5] أحمد بن حنبل ، **مرجع سبق ذكره** ، ص:48.

ومن أعظم واجبات القيادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشورى قال تعلى:﴿ وَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾[2].

3.4. عناصر القيادة:تعتبر القيادة ظاهرة جماعية وهي تحدث في مواقف معينة، ويوجد أربع عناصر أساسية ينبغي توافرها في أي موقف قيادي وهي[3]:

1/ **القائد** : ويعتبر ركنا أساسياً في العملية القيادية ، ويلعب دوراً كبيراً في نجاحها وبالرغم من أدور القائد يختلف من عملية قيادية إلى أخرى إلا أنه يمكن وصف الخصائص البارزة لدور القائد فيما يلي :

أ/ أن يتسم القائد بصفة العضوية في الجماعة؛

ب/ يمثل القائد إمكانيات هائلة في المجال الاجتماعي؛

ج/ أن يفهم القائد اتجاهات الأتباع وقيمهم ومخاوفهم ومثلهم العليا وأهدافهم؛

د/ أن يكون للقائد خططاً وسياسات تتفق مع رغبات الجماعة وأهدافها؛

هـ/ أن يكون قادراً على التنظيم والإدارة. ز/ أن يكون مرناً؛

ح/أن يكون ماهراً في خلق روح معنوية عالية في جماعته.

2/ **الأتباع** : يمثلون ركناً مهما في الموقف القيادي ، فمن المعروف أنه كلما زاد التوافق والانسجام بين أعضاء أي جماعة كلما زادت فرصة نجاح العملية القيادية .

3/ **الهدف والموقف المناسب**: يجب أن يكون لدى أعضاء الجماعة هدف مشترك يعملون من أجل تحقيقه أو مشكلة مشتركة يسعون إلى إيجاد حل لها.

4/ **التفاعل الاجتماعي المتبادل:** وجود هذا العنصر هو أساس كل العلاقة داخل الجماعة ويعتبر جوهر العملية القيادية ، ولكي يكون تفاعل بين أعضاء الجماعة فلابد أن يكون هناك اتصال بينهم .

5. نظريات ومصادر القيادة .

1.5.نظريات القيادة .

أ.نظرية السمات:تقوم النظرية على أن الفرد الذي يملك مجموعة من الصفات الشخصية مثل: (الذكاء والدهاء والحزم والقدرة على التعاون والحماس والشجاعة والمبادأة والقدوة الحسنة، والمهارة اللغوية والتقدير والمسئولية والإنجاز والقدرة على التكيف, مراعاته للعلاقات الإنسانية، يعتبر قائداً, حيث إنه غالباً ما تكون هذه السمات ذات جذور عميقة في نفسه ولا يمكن اكتسابها في فترة وجيزة من التدريب والإعداد، وعادة ما تتأثر سمات الشخصية بنمط الثقافة السائد في المجتمع، حيث تركز هذه النظرية على الخصائص التي يتمتع بهاء القائد والمميزات التي يتميز بها عن غيره من الأفراد حيث تم تحديد مجموعة من السمات التي ينبغي توافرها بالقائد هي:[4]

أ-السمات الجسمية : القادة بصفة عامة أكثر طولاً من الأتباع ، وأثقل وزناً منهم بخاصة حين يكون هدف الجماعة القتال ، كذلك يميل القادة إلى أن يكونوا أكثر حيوية وأوفر نشاطاً من الأتباع .

---

[1] سورة الحج الآية :41.

[2] سورة الشورى الآية :38

[3] عبدالحليم عباس قشطة ، **مرجع سبق ذكره** ، ص-ص:58-60.

[4] حامد عبد السلام زهران ، **علم النفس الاجتماعي** ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1977، ص -ص :271-272.

ب-السمات العقلية المعرفية: القادة أكثر تفوقاً من ناحية الذكاء العام من الأتباع ، كذلك يميلون إلى أن يكونوا أغنى ثقافة وأثرى معرفة وأوسع أفقاً وأبعد نظراً وأنفذ بصيرة وأحسن تصرفاً وأعلى مستوى في الإدراك والتفكير وأفضل من حيث الطلاقة اللفظية ، وأحكم في الحكم على الأشياء وأسرع في اتخاذ القرارات.

ج-السمات الانفعالية : يتصفون بالثبات والنضج الانفعالي وقوة الإرادة والثقة بالنفس ومعرفة النفس وضبطها .

د-السمات الاجتماعية : يتسمون أكثر من الأتباع بالتعاون وبث روحه بين الأعضاء ، والقدرة على التعامل مع الجماعة ، وهم أكثر ميلا إلى الانبساطية وروح الفكاهة والمرح بين الأتباع ، وأقدر على الاحتفاظ بأعضاء الجماعة ومراعاة مشاعرهم ، وكسب ثقتهم فيه وثقتهم في أنفسهم ، وأكثرهم ميلا إلى المشاركة والإسهام بشكل إيجابي في النشاط الاجتماعي من حيث المهارة الاجتماعية.

هـ- سمات أخرى : تشمل حسن المظهر ، والمحافظة على الوقت ، ومعرفة العمل والإلمام به والأمانة ، وحسن السمعة ، والتمتع بعادات شخصية حسنة ، والتمسك بالقيم الروحية والإنسانية ، والمعايير الاجتماعية.

ومن الانتقادات التي وجهت لنظرية السمات أهمها: [1]

1- صعوبة توافر جميع السمات المذكورة في شخص واحد؛
2- اختلاف الباحثين في تحديد السمات القيادية؛
3- عدم توضيح النظرية الأهمية النسبية للسمات المختلفة في التأثير على القائد ونجاحه؛
4- عدم واقعيتها وإغفالها الطبيعة الموقفية للقيادة .

ب.النظرية السلوكية: تنطلق النظرية من أهمية السلوك البشري في الحياة حيث تتسم القيادة بدرجة عالية من ديناميكية العلاقات بين الفرد وبقية أعضاء الجماعة في بيئة أما(اجتماعية –اقتصادية –سياسية) فالمهم هو ليس الخصال التي يمتلكها الفرد بقدر ما هي أنواع الأشياء التي يعملها . فالتأكيد هنا ينصب على الطريقة التي يمارس فيها القائد تأثيره، فالقيادة يمكن النظر إليها على أنها عملية يتم التأثير من خلالها على آخرين لإنجاز أهداف في موقف محدد.

ج.النظرية الموقفية: فحسب هذه النظرية فإن القيادة لا تعتبر موهبة، بل هي موقف يتفاعل فيه القائد وجماعة الموقف، ومن أهم هذه النظريات:

- **نظرية فيدلر**: والتي ترى بأن سلوك القائد عادة ما يكون مرتبطا بالموقف القيادي والذي يتأثر بالعوامل الآتية: قوة مركز القائد، طبيعة العمل وعلاقة القائد بمرؤوسيه.
- **نظرية هاونس وايفانس:** وتعرف بنظرية المسار والهدف، فحسب هذه النظرية فدور القائد يتمثل في توضيح الأهداف وسبل تحقيقها من قبل المرؤوسين، أما العوامل التي تؤثر على الموقف فهي تتمثل في:[2]
  - **بيئة العمل**: المهمة، نظام المكافآت، العلاقة مع الآخرين؛
  - **صفات العاملين**: حاجاتهم، قدراتهم، الثقة في النفس؛
  - **المساند**: وهو الذي يعطي اهتماماً لحاجات المرؤوسين ويعمل على ارتياحهم؛
  - **المشاركة**: يثق القائد في المرؤوسين ويمنحهم المجال للمشاركة في صنع القرار؛
  - **الإجرائي**: وهو الذي يمنح المرؤوسين التعليمات والإجراءات بشكل واضح؛

[1] أحمد مسعودان، **الإدارة المدرسية الرشيدة مجال من مجالات الحكم الراشد**، مداخلة ضمن الملتقى الدولي حول الحكم الراشد واستراتيجيات التغيير في العالم النامي، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر، يومي08-09 أفريل 2007، ص:284.

[2] وفيق حلمي الأغا، **دور القيادات الإدارية في التطوير والتنمية الإدارية**، المؤتمر السنوي الرابع في الإدارة، القيادة الإبداعية لتطوير وتنمية المؤسسات في الوطن العربي، دمشق، الجمهورية العربية السورية، 13-16 أكتوبر 2003، ص –ص: 253-255.

- **ألإنجازي أو المتحدي**: وهو الذي يضع أهدافاً يتحدى بها قدرات المرؤوسين بغرض تطوير أدائهم وزيادة الثقة في نفسه.

2.5. مصادر القيادة .يمكن تلخيص مصادر القيادة فيما يلي[1] :

1/ **السمات الشخصية** : تعتمد هذه النظرية على الاعتقاد بأن أسس القيادة هي السمات والخواص الشخصية للقائد – وقد سبق الإشارة إلى ذلك .

2/ **الوراثة والتقليد** : فمثلا كون الشخص من أسرة عريقة مدرب على أسلوب الترفع والعظمة يصح له الحق في السيطرة ، وهناك نوع آخر من التقليد يمكن تسميته بالأسبقية ، وربما كانت على أساس السن أو أقدمية الخدمة .

3/ **القوى غير المنظورة** : وتوجد نظريتان تفسر هذا الأولى: حتمية التقدم الثقافي، وهي أن القادة يخلقون بواسطة المواقف الاجتماعية . والثانية : أن القيادة إلآهية ومقدسة وأن القادة أشخاص معينون منحهم الخالق العقل والحكمة ولم مقومات القيادة .

4/ **المكانة السابقة** : فكون الإنسان قائداً يجعله في موضع إعجاب أعضاء جماعته وتمتعه بمكانة عالية مرموقة ، ويصبح هذا جزء لايتجزأ من شخصية الفرد ويزيد من فرصته ليكون قائداً في المستقبل.

5/ **الحاجة المشروطة** : ويقصد ها العوامل النفسية مثل الحاجة والدافع والرغبة والطموح التي تتصف بها نفسية القائد والتي تدفعه إلى السيطرة واستعداد الأتباع للخضوع له .

6. العلاقة بين ممارسة العمل التطوعي وتنمية صفات القيادة لدى الشباب: ظهر مفهوم جديد للقيادة مفاده أن القادة يصنعون لايولدون وأن القيادة يمكن تعليمها واكتسابها ، وقد أخذ هذا النمط التفكيري في التطور حتى تبلور في النهاية في نظرية قيادة الرجل العظيم والتي قررت أن القادة هم أشخاص لهم سمات أو خصائص غير عادية ولهم القدرة على تشكيل الأحداث والمواقف ، وهذه السمات يمكن تنميتها بطرق عدة ومنها : ممارسة العمل الاجتماعي التطوعي .

وعلى هذا الأساس اهتم علماء النفس بدراسة حياة العظماء وأجريت دراسات عديدة في الفترة ما ين الحربين العالميتين لاكتشاف السمات الشخصية المرتبطة بالقيادة [(2)]، ومما يلاحظ على نظرية السمات الشخصية أنها ترى القيادة شيئاً موجوداً داخل شخصية القائد يضفيه على جماعته ويؤدي إلى نفس النتائج مهما اختلفت الجماعات أو الموقف،والملاحظ أن الفرق بين القائد والأتباع فيما يتعلق بسمات القيادة إنما هو فرق في الدرجة ، وليس في النوع، وأنها تنمى كي تصل إلى حد الكمال النسبي ، وأن الأهمية النسبية لهذه السمات تتوقف على طبيعة المواقف الاجتماعية التي توجد فيها الجماعة والأهداف التي تسعى الجماعة لتحقيقها.

لكن ليس معنى وجود صفات مثل الاتزان الإنفعالي والجرأة والحكم الصادق والذكاء المرتفع وغيرها بدليل كاف على الصلاحية للقيادة ، لأن كثيرا من الأفراد يمتلكون صفات لايمارسونها ، وهكذا تلعب الممارسة دوراً كبيراً في شخصية القائد ، فليست العبرة أن يملك الفرد من صفات ولكن العبرة بما يفعله وهكذا تحدد القيادة الناجحة بمقتضى ما يملكه الفرد من صفات ومايفعله معا.ولايمكن الفصل بين هذين الأمرين في السلوك القيادي الناجح لأن القيادة الناجحة تنشأ من استعمال طرق إيجابية فعالة التأثير في نشاط الجماعة لتحقيق أغراض معينة،والنشاط التطوعي مجال رحب فسيح لممارسة مثل هذه الصفات والسمات والتدريب على مواقفها .

7. تصور مقترح لممارسة الشباب الجامعي للعمل التطوعي.

يتوجه التصور المقترح الحالي إلى أماكن تواجد الشباب وتجمعهم وهو بلا ريب الجامعات ، ولاشك أن مشاركة الشباب من الطلاب الجامعيين في العمل التطوعي وتفاعلهم مع مجتمعاتهم المحلية يمثل بعداً مهماً في ربط الجامعة ومخرجاتها

[1] عبدالحليم عباس قشطة ،**مرجع سبق ذكره** ، ص- ص: 77-80.

[(2)] الأمثلة عل ذلك كثيرة : دراسة بيرد عام 1940م ، دراسة استوجديل عام 1948م.

التعليمية باحتياجات المجتمع ومشكلاته ، ويفتح العمل التطوعي آفاقاً واسعة أمام الطلاب لاستكشاف مجتمعاتهم بعيداً عن أسوار الجامعة وبرامجها النظرية ، كما يتيح ممارسة العلم التطوعي للشباب تنمية ومهاراتهم وصفاتهم القيادية .

ويطبق العديد من الجامعات الأمريكية نظام "**التعليم التطوعي**[1] ، حيث تجد هذه البرامج تفاعلاً وتقديراً من المجتمعات المحلية، وتقوم الوحدات المعنية بالتطوع بالجامعة بالجوانب التالية :

1- دراسة احتياجات العمل التطوعي في المجتمع المحلي؛
2- التنسيق مع مؤسسات المجتمع الراغبة في استقبال الطلاب وفي تطوير البرامج المناسبة؛
3- التنسيق مع الوحدات والأقسام الأكاديمية لتشجيع العمل التطوعي.

ويتضمن البرنامج الأكاديمي للطالب الجامعي ساعات محددة تسحب على أنها أعمال تطوعية للمجتمع ، وتدخل ضمن الساعات المعتمدة للبرنامج الأكاديمي، ولقد أعد الباحثان هذا التصور المقترح بعنوان (مقرر مهارات العمل التطوعي، نظري / تطبيقي) .

أولا :أهداف التصور المقترح

1- زيادة التفاعل والتعاون بين الجامعة والمجتمع المحلي ؛
2- ربط البرامج الأكاديمية الجامعية باحتياجات المجتمع ؛
3- زيادة خبرة الطالب العملية وتنمية صفاته المكتسبة ومهاراته الاجتماعية والعلمية والتطبيقية ؛
4- إعداد القيادات الطلابية التي تمسك بزمام الأمور في المستقبل، وتدريبهم على قيادة الجماعات.

ثانيا :مرتكزات التصور المقترح

1. إتباع المنهجية العلمية في رصد أدبيات الموضوع وخلفيات البرنامج ؛
2. مشاركة الجهات ذات العلاقة بالموضوع (الجامعة وإدارتها والجمعيات والمؤسسات غير الربحية)؛
3. الاستفادة من إمكانات وخبرات الجامعات العالمية التي سبقت في تطبيق البرنامج .

ثالثا:أسس التصور المقترح

1. أن يسبق إعداد التصور دراسات تمهيدية تتناول: اتجاهات الشباب الجامعي، وموضوعات ومناهج تتعلق بالبرنامج ، والفئات المستهدفة ؛
2. تنوع البرامج ومراعاتها للفروق الفردية بين الفئات المستهدفة من حيث الجنس والعمر ومستوى التعليم ؛
3. الاعتماد على عوامل التشويق والجذب بما يحقق متابعة الفئات المستهدفة لهذا الصور .

رابعا: الأماكن المقترحة لتنفيذ التصور المقترح

1. الجامعات ؛
2. الكليات والمعاهد العليا ؛
3. مؤسسات التعليم العالي .

خامسا :الجهات المقترح تعاونها في التخطيط والتنفيذ للتصور المقترح

1. إدارة الجامعات والكليات؛
2. الجمعيات والمؤسسات غير الربحية؛
3. المنظمات والنوادي الطلابية

سادسا :الآليات المقترحة لتنفيذ التصور المقترح

---

[1] فهد سلطان السلطان ، **مرجع سبق ذكره** ، ص89.

1. تشكيل لجنة رئيسية تضم في عضويتها ممثلين لكافة الجهات ذات العلاقة ؛
2. إعداد برامج ومناهج تعليمية تخدم هذا الجانب ؛
3. إنشاء أقسام ووحدات تعنى بهذا الموضوع .

ثامنا :الفئة المستهدفة في التصور المقترح : (طلاب وطالبات التعليم العالي)

تاسعا: محتويات التصور المقترح

1. مناهج ومقررات / الجانب النظري (عبارة عن ساعات ووحدات دراسية إلزامية إجبارية للطالب / الطالبة ، من متطلبات التخرج) ألا يقل عن ساعة واحدة في الأسبوع في جميع المستويات ، ويمكن تخصيصه ببعض المستويات حسب رؤية واضعي المناهج .
2. تطبيق ميداني / الجانب العملي التطبيقي (تطبيقي ميداني على الجمعيات والمؤسسات ذات العلاقة) عند التخرج بعد إنهاء ساعات المقرر النظري كل حسب تخصصه ، على سيل المثال : طلاب كليات الطب في الجمعيات الخيرية التي تعنى بهذا الجانب (أطباء بلاحدود ، جمعية أطباء المدينة الخيرية ، هيئة الإغاثة –اللجنة الطبية -) ، يكون التطبيق الميداني في المستوى الأخير للطالب ولايقل عن (100) ساعة تدريبية .
3. (مشروع تخرج) لتطوير وتحسين العمل التطوعي في الجهة التي تدرب فيها-وبموجهة تعطى للطالب / الطالبة شهادة بأنه أنجز المطلوب منه .

8.الخاتمة:

إن البناء الحضاري يبدأ من بناء الشباب وإعدادهم إعدادا متكاملا ومتوازنا كي يكونوا بمستوى البناء والتحدي الحضاري، والمنافسة الحضارية بين الأمم والشعوب، والتقدم في مجال العمل والصناعة والاقتصاد من محاور البناء الحضاري، وهذا ما لا يمكن تحقيقه إلا عندما يتحول الشباب إلى قوة عاملة وفاعلة ومنتجة، كما أن توظيف عقول الشباب، واستثمار قدراتهم ومواهبهم، والاهتمام بهم وتشجيع روح قيادة الإبداع والابتكار والاختراع والاكتشاف، هي من الخطوات الرئيسة نحو بناء حضاري مشرق، ونهضة اقتصادية زاهرة. ومن هنا تأتي أهمية الاهتمام بالعمل التطوعي في تنمية الصفات القيادية لدى الشباب والمساهمة في بناء وتطور الوطن .

ومن خلال ما سبق توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات أهمها:

1.8. النتائج :

أسفرت الدراسة عن أهم النتائج الآتية :

1. أهمية إشراك الشباب في العمل التطوعي؛
2. سبق التربية الإسلامية إلى الدعوة إلى ممارسة العمل التطوعي والعناية به؛
3. الحاجة إلى نشر ثقافة العمل التطوعي داخل الوسط الأكاديمي؛
4. العناية بمبررات وبواعث العمل التطوعي؛
5. أهمية تشجيع الشباب على الانخراط في العمل التطوعي لما فيه من الفوائد العائدة على أنفسهم ومجتمعهم؛
6. الآثار الإيجابية للعمل التطوعي والعوامل المؤثرة فيه مدخل مهم لتشجيع الشباب الجامعي للمشاركة في العمل التطوعي؛
7. الحاجة إلى إعداد القيادات الشبابية الأكاديمية في المجتمع ؛
8. ربط نظريات القيادة ومصادرها بالمجتمع يسهل على الباحثين إيجاد التفسيرات والمبررات؛
9. العناية بالعلاقة التي تربط ممارسة العمل التطوعي وتنمية صفات القيادة لدى الشباب الجامعي

2.8. التوصيات المقترحة :

1. العمل على نشر ثقافة التطوع في الوسط الأكاديمي بشتى الوسائل : (التعليمية ، الإعلامية ، التنظيرية، الإدارية)؛
2. تشجيع الشباب الجامعي على ممارسة العمل التطوعي من خلال تخصيص أنشطة ومشاريع لخدمة المجتمع ؛
3. توعية الشباب الجامعي بأهمية المشاركة في العمل التطوعي من خلال الندوات والمحاضرات والبرامج الثقافية والدروس الخارجية؛
4. توظيف الأثار الإيجابية للعمل التطوعي والعوامل المؤثرة فيه لتشجيع الشباب على الانخراط في العمل التطوعي؛
5. إصدار مطويات للتعريف بالبرامج التطوعية التي تنظمها الجمعيات والمؤسسات غير الربحية ؛
6. دعوة الجامعات ومؤسسات التعليم العالي إلى إنشاء مراكز أو أقسام أو وحدات متخصصة للتعريف بالعمل التطوعي المجتمعي ، وتدريب الشباب الجامعي على ممارسة العمل التطوعي؛
7. عقد الندوات والمؤتمرات الطلابية بجامعات ومؤسسات التعليم العالي في الموضوعات التي تثري جانب العمل التطوعي وإعداد القيادات في الوسط الأكاديمي ؛
8. دعوة الجهات التطوعية والمؤسسات غير الربحية لعقد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات في مؤسسات التعليم العالي للتعريف بهم وأنشطتهم وسبل التعاون معهم ، وتوقيع اتفاقيات وتبادل المعلومات والخبرات؛
9. دعوة الجهات التطوعية من المنظمات والمؤسسات غير الربحية إلى استقطاب القيادات الشبابية الجامعية وتبنيهم وتدريبهم؛
10. توفير قاعدة معلوماتية وافية عن مجالات العمل التطوعي في مواقع الجامعات، أو ربطها في بمواقع هذه الجمعيات والمؤسسات؛
11. أن تتبنى الجامعات ومؤسسات التعليم العالي بالدول العربية مشروع التطوع في أنظمتها ، وتضع سياسات تعليمية تخدم هذا الجانب ، بل يجب أن تأخذ على عاتقها تطبيق وتفعيل هذا المشروع ؛
12. إجراءات دراسات مماثلة لمادون المرحلة الجامعية .

المصادر و المراجع:

القرآن الكريم

السنة النبوية الشريفة

1. إبراهيم مصطفى وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية، 1392هـ.
2. إسماعيل الجوهري ، **الصحاح** ، دار العلم للملايين ،بيروت، الطبعة الثالثة ، 1404هـ .
3. أحمد بن حنبل ، **المسند** ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، 1405 .
4. أحمد مسعودان، **الإدارة المدرسية الرشيدة مجال من مجالات الحكم الراشد،** مداخلة ضمن الملتقى الدولي حول الحكم الراشد واستراتجيات التغيير في العالم النامي، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس سطيف،الجزائر، يومي08-09 أفريل 2007.
5. أحمد يعقوب وعبدالله السلمي، **إدارة العمل التطوعي**، جامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي،الرياض، 2005.
6. الجازي الشبيكي ، **الجهود الإنسانية التطوعية في مجالات الرعاية الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1992.
7. الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، **التطوع والمتطوعون في العالم العربي**، 2005م ، المصدر:
8. http://www.shabakaegypt.org/arabic/index.html.
9. الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد يعقوب ، **القاموس المحيط** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،1406هـ .

10. بلال خلف السكرانة، **القيادة الإدارية الفعالة** ، دار المسيرة للنشر والطبع ،عمان 2009 .
11. جابر عبد الحميد جابر،وأحمد خيري كاظم،**مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1978.
12. حامد عبد السلام زهران ، **علم النفس الاجتماعي** ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1977.
13. خيري حسن أبو السعود ، **محاضرات في القيادة الريفية** ، المعهد العالي للتعاون الزراعي ، القاهرة ، 1978.
14. راشد الباز، **الشباب والعمل التطوعي** ، مجلة البحوث الأمنية ،كلية الملك فهد الأمنية ، الرياض ، 1423هـ.
15. زهيرحطب ، **العمل التطوعي والرعاية الاجتماعية** ، من بحوث مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي " الأمن مسؤولية الجميع "، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ،27-1421/6/29هـ ،2000.
16. سامي عصر ، **قضايا التطوع ونظام العمل في الجمعيات** ، بحث مقدم في مؤتمر التنظيمات الأهلية العربية – مشاركة ن عطاء ، إنماء ، القاهرة ، 31 اكتوبر -3نوفمبر 1989 ،
17. عبد الرحمن أبو دوم ، **مفهوم العمل التطوعي وعلاقته بالأمن** ، من بحوث مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي " الأمن مسؤولية الجميع "، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ،27-1421/6/29هـ ، 2000.
18. عبد اللطيف بن عبد العزيز الرباح ، **العمل التطوعي وعلاقته بالحاجات الإنسانية** ،من بحوث مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي " الأمن مسؤولية الجميع"، جامعة نايف للعلوم الأمنية ، السعودية، 27 -1421/6/29هـ ،2000.
19. عبدالحليم عباس قشطة ، **الجماعات والقيادة** ، وزارة التعليم والبحث العلمي ، العراق ، 1981هـ.
20. عبدالله عويدات ، **الشباب والعمل التطوع** ، وزارة الشباب ، عمان ، 1995 .
21. علي مجيد الحمادي ، **فلسفة العمل التطوعي ومتلازمة الأمن والتنمية** ، من بحوث مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي " الأمن مسؤولية الجميع"، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض، 27-1421/6/29هـ ،2000.
22. فهد سلطان السلطان ، **اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي –دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود**، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد 112، السعودية ، السنة 30 (1430هـ-2009) .
23. فؤاد الشيخ سالم وآخرون، **المفاهيم الإدارية الحديثة**، الطبعة الرابعة، مركز الكتب الأردني،الأردن، 1994.
24. لي إرمان ،وبيترا .بارسونز، **وراثة وتطور السلوك** ، ترجمة / أحمد شوقي وآخرون ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، 1983.
25. محمد بن إسماعيل البخاري ، **صحيح البخاري** ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة، 1407هـ .
26. محمد هشام أبو القمبز ، **جدد شبابك بالتطوع** ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، فلسطين ، الطبعة الأولى ، 2007.
27. مسلم بن الحجاج القشيري ، **صحيح مسلم** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1972.
28. مصطفى فهمي ، ومحمد علي القطان ، **علم النفس الاجتماعي** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1977.
29. وفيق حلمي الأغا، **دور القيادات الإدارية في التطوير والتنمية الإدارية**، المؤتمر السنوي الرابع في الإدارة، القيادة الإبداعية لتطوير وتنمية المؤسسات في الوطن العربي، دمشق، الجمهورية العربية السورية، 13-16 أكتوبر 2003.

حق المستهلك في العدول في عقود الخدمات

أ.يلس آسيا

جامعة باجي مختار عنابة.

ملخص: إن تغير البيئة التي يجري فيها التعاقد بين فئة المستهلكين والمتدخلين، أدى إلى تدخل المشرع بتبني ميكانيزمات جديدة تمكن المستهلك من اتخاذ قراراته بإرادة حرة، من خلال تكريس حقه في العدول عن العقد المبرم وبخاصة في مجال الخدمات، أين يصعب عليه معرفة درجة جودتها ومدى موائمتها لرغباته المشروعة إلا بعد الاستفادة منها، وهذا راجع إلى خصوصية الخدمة وطابعها غير المادي بالمقارنة مع السلعة، وقد تبنت عدة تشريعات أجنبية هذه المكنة مع ضبط إطارها القانوني، ليقف المشرع موقفا سلبيا أمام السبق التشريعي لعدة دول على الرغم من سلسلة التعديلات للرقي بسياسة حماية المستهلك باعتباره أحد الفاعلين في الاقتصاد الوطني.

كلمات مفتاحية: العقد الاستهلاكي، عقود الخدمات، المستهلك، متدخل، الحق في العدول، مهلة للتفكير، الحق في الضمان.

Abstract:The change in the environment in which the contract is made between the consumer and the intervention groups has led to the legislator's intervention in adopting new mechanisms that enable the consumer to make his decisions freely , by dedicating his right to waive the contract, especially in the field of services, where it is difficult for him to know the degree of its quality and suitability And this is due to the privacy of the service and its intangible character in comparison to the commodity. Several foreign legislations have adopted this mechanism while controlling its legal framework. The legislator stands in a negative position before the legislative authority of several countries despite the series of amendments to the policy, Consumer protection as an actor in the national economy.

مقدمة: إن العقد هو الوسيلة التي تمكن الشخص من الحصول على مختلف السلع والخدمات لسد حاجاته اليومية، حيث لقيت هذه الأخيرة استعمالا واسعا حتى أصبحت تفوق السلع كما ونوعا، إذ تخضع مختلف العقود لمبدأ سلطان الإرادة فكل واحد حر في اختياراته واشتراط البنود التي تخدم مصالحه المشروعة، وهو ما يؤدي إلى ميلاد عقد له قوة إلزامية في مواجهة أطرافه والغير.

إلا أنه وبعد سلسلة التطورات على المستوى الاقتصادي والتكنولوجي وانفتاح السوق على الخارج، وفي ظل تصاعد عمليات الترويج والدعاية لمختلف المنتوجات، وظهور تقنيات جديدة للتعاقد فإنه أدى كل ذلك إلى تغير البيئة التعاقدية، لتجمع طرفين غير متكافئين من الناحية الاقتصادية والمعرفية.

الأمر الذي أدى إلى تدخل الدولة لإعادة التوازن المفقود بميكانيزمات قانونية، فشلت في إحقاق حماية كافية للمستهلك في مواجهة المتدخل، وهو ما أدى إلى ضرورة استحداث آلية قانونية فعالة تضع حدا لهيمنة المحترف على العملية العقدية ومنح المستهلك الحق في اتخاذ القرار المناسب لحماية مصالحه عن طريق ما يسمى:" بالحق في العدول عن العقد".

وقد تبنت عدة تشريعات هذه الآلية نظرا لدورها الفعال في حماية المستهلك، وهو ما يدفعنا إلى البحث عن موقف مشرعنا الوطني بسبب غموض بعض النصوص في هذا المجال وبخاصة أمام السبق التشريعي للقوانين المقارنة التي أتقنت عملية تنظيمه، بهدف الوقوف على القصور التشريعي الذي يشوب قانون حماية المستهلك واقتراح ما يسد ذلك من حلول، ومنه نطرح الإشكال الآتي: ما هو النظام القانوني للحق في العدول في نطاق عقود الخدمات وفقا للتشريعات المقارنة؟ وكيف نقيم موقف المشرع الجزائري من ذلك؟

لذا فإن موضوع الدراسة يكتسي أهمية بالغة بسبب حاجة المستهلكين إلى هذه الوسيلة القانونية في مجال عقود الخدمات التي تتميز بطابعها الخاص مقارنة مع السلعة، حيث يصعب عليهم التأكد من درجة جودتها، إلا بعد الاستفادة منها نظرا

لطابعها غير الملموس، في ظل زيادة عمليات الإشهار والترويج ليجد المستهلك نفسه مدفوعا إلى التعاقد دون التريث لاتخاذ القرار المناسب، وبالتالي يرتبط بعقد لا يحقق له رغباته المنشودة.

ويمكن القول إنّ هذه الدراسة تتميز بأنها دراسة مقارنة بالرجوع إلى مختلف التشريعات الأجنبية خاصة الفرنسي والمغربي والمصري، ووصفية تحليلية نقدية لنصوص قانون حماية المستهلك في هذا المجال والقوانين المرتبطة به بهدف تقييم موقف المشرع الجزائري واقتراح كل ما يسد النقائص الموجودة وفقا للخطة الآتية:

المبحث الأول: الإطار القانوني لحق المستهلك في العدول في نطاق عقود الخدمات وفقا للقوانين المقارنة

المطلب الأول: الإطار المفاهيمي لحق المستهلك في العدول نطاق عقود الخدمات

المطلب الثاني: الإطار الموضوعي لحق المستهلك في العدول في نطاق عقود الخدمات

المبحث الثاني: تقييم حق المستهلك في العدول في عقود الخدمات وفقا التشريع الجزائري

المطلب الأول: البحث عن إطار تشريعي لحق المستهلك في العدول في نطاق عقود الخدمات

المطلب الثاني: مدى ضرورة خلق تنظيم خاص لحق المستهلك في العدول في نطاق عقود الخدمات

المبحث الأول: الإطار القانوني لحق المستهلك في العدول في نطاق عقود الخدمات وفقا للقوانين المقارنة

يعنى هذا المبحث بتحديد النظام القانوني لحق المستهلك في العدول في نطاق عقود الخدمات على ضوء القوانين المقارنة[1] بهدف حصر مختلف القواعد القانونية المتعلقة بهذا الحق والاعتماد عليها فيما بعد لتقييم موقف المشرع الجزائري من ذلك، ولا يتأتى هذا إلا بضبط الإطارين المفاهيمي والموضوعي للحق في العدول في مطلبين اثنين.

المطلب الأول: الإطار المفاهيمي لحق المستهلك في العدول في نطاق عقود الخدمات

ينصب المطلب الأول على تحديد مفهوم الحق في العدول عن العقد الاستهلاكي ونطاقه القانوني.

الفرع الأول: مفهوم حق المستهلك في العدول عن العقد

نقف على تعريف الحق في العدول واستخلاص خصائصه ثم تحديد طبيعته القانونية.

أولا: تعريف حق المستهلك في العدول عن العقد وخصائصه

1-تعريف حق المستهلك في العدول عن العقد

إن الحق في العدول عن العقد من أقوى الحقوق المخولة للمستهلك وذلك في منحه مكنة التراجع عن العقد المبرم خلال مدة محددة دون تحمل أي تبعات وقد اتخذ عدة مسميات منها: خيار الرجوع[2]، حق الندم[3]، الحق في مهلة للتفكير[1]، الحق في إعادة النظر[2]، مع تحفظنا على بعض التسميات[3].

([1]) وهي قوانين نصت صراحة على تكريس حق المستهلك في العدول عن العقد كآلية مستحدثة واستثنائية غير مألوفة في القواعد العامة للقانون المدني وهي بالأخص:

*المادة L 121-3 قانون حماية المستهلك الفرنسي، المعدل بموجب القانون رقم 2014/344 بتاريخ 14 مارس 2014.

* المادة 38 من قانون حماية المستهلك المغربي ظهير شريف رقم:03.11.1 صادر في 18 فبراير2011 بتنفيذ القانون رقم 08-31 القاضي بتحديد تدابير لحماية المستهلك، الجريدة الرسمية عدد 5932، بتاريخ 7 أفريل 2011، ص 1072.

* المادة 55 من قانون حماية المستهلك اللبناني قانون رقم 659 تاريخ 4 شباط 2005.

* المادة 8 من قانون حماية المستهلك المصري رقم 67 لسنة 2006، الجريدة الرسمية – العدد 20 مكرر في 20 مايو 2006 .

([2]) زوبة سميرة: الأحكام القانونية المستحدثة لحماية المستهلك المتعاقد،مذكرة لنيل درجة الدكتوراه في القانون، جامعة مولود معمري تيزي وزو،2016،ص47، أيمن مساعدة وعلاء خصاونة: خيار المستهلك بالرجوع في البيوع المنزلية و بيوع المسافة، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة،عدد46، افريل 2011، ص107، حسن ساكني وصباح كوتو: حق المستهلك في التراجع عن العقد،مجلة القانون والأعمال عدد خاص الحادي عشر، أفريل 2016، ص:11.

([3]) محمد بودالي:حماية المستهلك في القانون المقارن، دار الكتاب الحديث، القاهرة،2006،ص 152.

وتجدر الإشارة قبل إيراد مختلف التعاريف القانونية للحق في العدول أن الفقه الإسلامي كان له السبق في إقرار الحق في العدول في إطار نظرية الخيارات(4) من خلال خيار الشرط، والرؤية والمجلس(5) على الرغم من وجود بعض الاختلافات(6).

وقد عرف الفقه القانوني الحق في العدول بأنه: "ميزة قانونية منحها أعطاها المشرع للمستهلك في الرجوع عن التعاقد، بعد أن تم إبرام العقد صحيحا أو قبل إبرامه، دون أن يترتب على ذلك مسؤولية المستهلك عن ذلك الرجوع أو مسؤولية المتعاقد الآخر عما قد يصيبه من أضرار بسبب الرجوع"، ما يؤخذ على هذا التعريف، أنه أخلط بين العدول عن العقد بعد إبرامه وقبله(7).

وعرفه الفقهاء أيضا بأنه: "منح المستهلك الحق في إرجاع السلعة أو رفض الخدمة خلال مهلة معينة من استلام السلعة أو إبرام العقد بالنسبة للخدمة دون إبداء إي مبررات"(8)، ويذهب بعض الفقه بالقول أنه:" حق المستهلك بإعادة النظر في العقد الذي ابرمه والعدول عنه خلال مدة محددة تختلف باختلاف محل العقد".(9)

وذهب البعض بأن الحق في العدول هو "سلطة احد المتعاقدين بالانفراد بنقض العقد، والتحلل منه دون التوقف على إرادة الطرف الأخر" ما يعاب على هذا التعريف أنه لم يحدد صاحب الحق في العدول، ومدته القانونية.(10)

مما سبق يمكن تعريف الحق في العدول بأنه:" **مكنة تشريعية أو اتفاقية تتيح للمستهلك –خلال مدة محددة- الرجوع عن العقد دون إبداء مبرر بشرط تحمل نفقات رد المبيع**".(11)

يشمل التعريف السابق على كل عناصر الحق في العدول، وهي المستهلك بصفته صاحبا للحق والصفة الإرادية والمؤقتة للحق والحرية في مباشرته دون أي مبررات.

---

(1) زعبي عمار: الحق في العدول عن التعاقد ودوره في حماية المستهلك، مجلة المفكر تصدر عن جامعة محمد خيضر بسكرة، ماي 2013،عدد9، ص119.

(2) أيمن مساعدة وعلاء خصاونة: المقال السابق،ص 172.

(3) فمصطلح الحق في الندم مصطلح أدبي أكثر من قانوني اذ لا يعبر عن المعنى القانوني للحق في العدول، أما مصطلح الحق في مهلة للتفكير فهو يتعلق بحق آخر مستقل عن هذا الحق وهو الالتزام بالإعلام ، إذ يعد حق مكمل له.وسنفصل في ذلك في المبحث الثاني.

(4) عبد الفتاح بيومي حجازي: حقوق الملكية الفكرية وحماية المستهلك في عقود التجارة الالكترونية، دار الكتب القانونية، مصر،2001، ص 88 . أيمن مساعدة وعلاء خصاونة: المقال السابق:ص 187، حسن ساكني وصباح كوتو: المقال السابق، ص 13.

(5) خيار الشرط مقرر للمشتري أو البائع بموجب اتفاق بين البائع والمشتري

- خيار الرؤية : يمنح للمشتري الحق في فسخ العقد بإرادته المنفردة في حالة عدم رؤيته للمبيع.

- خيار المجلس: يمنح المشتري خيار الرجوع عن إيجابه في مجلس العقد بهدف إعطاءه مهلة للتروي والتفكير للحيلولة دون التسرع في إبرام العقد، أنظر: أيمن مساعدة وعلاء خصاونة: المقال السابق:ص 192.

(6) فمثلا في خيار الشرط وهو وضع شرط في العقد بإمكانية الرجوع وهو أمر صعب بسبب اختلال المراكز القانونية بين المستهلك والمتدخل في العقود الاستهلاكية، أما في خيار الرؤية فكثير ما يتمكن المستهلك من رؤية المبيع لكن قد يقع في الغالب فريسة الإعلان و الدعاية فيتسرع في إبرام العقد أو يكون ناقص الخبرة في بعض المعاملات، على عكس الحق في العدول فيتقرر للمستهلك في حالة ثبتت الرؤية من عدمها، لمزيد من التفصيل أنظر: أيمن مساعدة وعلاء خصاونة: المقال السابق: ص 194.

(7) أشرف محمد رزق قايد: حماية المستهلك، مركز الدراسات العربية، مصر، 2016، ص 947.

(8) حسن عبد الباسط جميعي: حماية المستهلك، الحماية الخاصة لرضاء المستهلك في عقود الاستهلاك، دار النهضة العربية، القاهرة،1997، ص 44.

(9) أيمن مساعدة وعلاء خصاونة: المقال السابق، ص 142.

(10) مصطفى أحمد أبو عمرو: التنظيم القانوني لحق المستهلك في العدول، دون ذكر دار النشر، مصر، 2012، ص 29.

(11) ذات المرجع، ص 34.

2-خصائص حق المستهلك في العدول عن العقد: اعتمادا على التعريف السابق، يمكن استخلاص أهم خصائص الحق في العدول، وهي أنه حق منظم بقواعد آمرة وحق تقديري مؤقت ومجاني.

– حق العدول منظم بقواعد آمرة: فهو حق متعلق بالنظام العام الاقتصادي، ولا مجال للتنازل عليه ويقع باطلا كل اتفاق مخالف ذلك[1].

– حق العدول حق تقديري ومؤقت: حيث ينفرد به المستهلك وحده دون أن يبدي أي مبرر كأصل عام[2] وذلك لحمايته أمام هيمنة المتدخل في السوق من الناحية المعرفية والتقنية، أمام تصاعد حملات الإشهار التي كثير ما يقع في شباكها فريسة سهلة، اذ يمارسه خلال مدة زمنية محددة حسب القانون المعمول به[3] وذلك ضمانا لاستقرار المعاملات[4].

– حق العدول مجاني:حيث لا يلتزم المستهلك بأي أداء مالي مقابل ممارسة هذا الحق، فلو كان بمقابل لأفرغ الحق في العدول من محتواه، ولفقد فعاليته في حماية المستهلك[5] إلا ما تعلق بمصاريف رد الشيء إلى المتدخل[6].

ثانيا : الطبيعة القانونية لحق المستهلك في العدول عن العقد: اختلف الفقهاء في تحديد طبيعة هذا الحق بسبب خصوصيته وخروجه عن القواعد العامة.

1- حق العدول والبيع بالعربون: يعرف العربون على أنه مقدار من المال، يدفعه أحد المتعاقدين إلى الآخر وقت إبرام العقد وذلك للدلالة على تأكيد إبرام العقد، فإذا اتفق المتعاقدان على أن العربون جزاء للعدول عن العقد، كان لكل منهما الحفي العدول، فان عدل من دفعه خسره وأن عدل من قبضه رده مضاعفا[7].

وهنا يتبين الاختلاف بين المفهومين، من حيث الغرض فحق العدول يهدف إلى حماية المستهلك مجانا دون دفع أي مقابل على عكس البيع بالعربون، إذ يخسر المشتري ما دفعه، أما في حق العدول فيسترجع المستهلك الثمن دون أي تعويض،والشخص المستفيد من الحق في العدول هو المستهلك فقط، في حين في البيع بالعربون يحق العدول لكل من المتعاقدين[8].

2- حق العدول و البيع بالتجربة: اعتبر جانب من الفقه أن الحق في العدول هو ذاته البيع بالتجربة المنصوص عليها في المادّة 355 قانون مدني والمادّة 15 من القانون رقم 03/09.

إذ يجيز القانون للمشتري تجربة المبيع للتأكد من ملائمته لحاجاته الشخصية، بحيث يكون قرار الرفض أو القبول من حق المشتري وحده نتيجة تجربته للمبيع.لكن على الرغم من بعض التشابه، إلا أنهما يختلفان من عدة نقاط فحق العدول حق مطلق للمستهلك دون أي قيد مرتبط بمشيئته وحده، أما في البيع بالتجربة فالقبول أو الرفض مرتبط بنتائج التجربة، هذا بالإضافة إلى أن الغاية من الحق في العدول هو حماية المستهلك من تسرعه في إبرام العقد، أما الحق في التجربة فلتمكين

([1]) هشام بلخنفر: حق الرجوع كآلية لحماية المستهلك المتعاقد الكترونيا، مجلة القانون والأعمال عدد خاص 11، نوفمبر، 2016، ص 169.

([2]) على عكس بعض قوانين حماية المستهلك العربية التي ربطت إعمال الحق في العدول بأسباب محددة كقانون حماية المستهلك المصري في المادة 8 منه، إذ اشترط وجود عيب أو عدم تلبية المبيع للرغبات المشروعة للمستهلك.

([3]) ذات المقال: ص 172.

([4]) خلوي نصيرة:الحماية القانونية للمستهلك عبر الانترنيت"دراسة مقارنة"مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2013، ص73.

([5]) مصطفى احمد أبو عمرو: المرجع السابق، ص 46.

([6]) خلوي نصيرة: المرجع السابق، ص 170.

([7]) وهو ماجاء في فحوى المادة 72 مكرر من القانون المدني.

([8]) مصطفى أحمد أبو عمرو: المرجع السابق، ص 54.

المشتري من التأكد من مدى ملائمة المبيع لغرض الشراء[1]، ويقتصر نطاق البيع بالتجربة على عقد البيع فقط في حين يشمل الحق في العدول كل العقود كأصل عام.

مما سبق يمكن القول أن الحق في العدول هي آلية قانونية كرسها قانون حماية المستهلك بنصوص مستقلة بذاتها، يستعملها بإرادته المنفردة قصد حمايته من القرارات المتسرعة الناجمة عن ملابسات وخصوصيات التعاقد في مجال الاستهلاك، هذا بالنسبة للتشريعات التي تبنت الحق في العدول كآلية جديدة لحماية المستهلك.

الفرع الثاني: نطاق حق المستهلك في العدول في عقود الخدمات: إن المنطق السليم يستدعي عدم تعميم تطبيق الحق العدول على جميع العقود دون استثناء، وإلا سيؤدي ذلك إلى خلق لا توازن في العلاقة العقدية بين أطرافه، وعدم استقرار في المعاملات، وبالتالي التأثير على إحدى حلقات الاقتصاد، ولما كان مجال بحثنا الحق في العدول في نطاق عقود الخدمات، فإننا نخصص الدراسة في هذا الحيز دون تلك العقود المنصبة على السلع، لذا سنحدد مجال إعمال حق العدول في إطار عقود الخدمات اعتمادا على النطاق الشخصي والموضوعي والزمني.

أولا: النطاق الشخصي للحق في العدول في عقود الخدمات: يعتمد تطبيق الحق في العدول على تحديد صفة أطراف العلاقة العقدية، وهما المستهلك والمتدخل بحيث يكونان ما يسمى بعقد الاستهلاك[2]، إذ لا يتصور إعمال هذا الحق في العقود التجارية[3] أو المدنية[4]. ولما كان موضوع الدراسة ينصب بصفة رئيسة على عقود الخدمات فان الحق في العدول يكون في العقود المبرمة بين المستهلك ومقدم الخدمة.

1-المستهلك بصفته صاحب الحق في العدول: عرف المستهلك بأنه: "كل شخص طبيعي أو معنوي يحصل على سلع أو خدمات بمقابل أو مجانا للاستعمال النهائي للمنتوجات سواء أكان الاستعمال شخصيا أو غير شخصي، ويشمل التعريف كل شخص طبيعي أو معنوي عاديا كان أو مهنيا، متى كان استعماله للشيء استعمالا نهائيا مجرد من كل أغراض تجارية محضة[5].

2- مقدم الخدمة (متدخل) بصفته ملتزما بحق العدول: وهو الطرف الثاني لعقد الاستهلاك، يملك قوة اقتصادية ومعرفية تجعله يتفوق على الطرف الثاني "المستهلك" لهذا كان هدف قانون حماية المستهلك هو إعادة وضع الطرفين على قدم المساواة[6]، ونعرفه بأنه: "كل شخص طبيعي أو معنوي مهما كانت صفته القانونية، يتدخل في أية مرحلة من مراحل وضع مختلف الخدمات للاستهلاك"[7]، وتتنوع الخدمات بين ذات الطبيعة المادية كخدمات الغسيل وإصلاح الأعطاب أو المالية كالتأمين والقروض أو ذهنية كالعمل الطبي أو الاستشارات القانونية [8].

([1]) أيمن مساعدة وعلاء خصاونة: المقال السابق، ص 164، زوبة سميرة: المرجع السابق، ص 74.

([2]) هو العقد الذي يجسد عملية الاستهلاك فالعملية الاستهلاكية [2] هي " تلك العملية الاقتصادية من: (شراء، استئجار، الحصول على خدمة طبية) التي يرمي الفرد من خلالها إلى إشباع حاجاته اليومية دون توفر نية تحقيق الربح"، لمزيد من التفصيل انظر، يلس آسيا: الالتزام بالإعلام في عقد البيع الاستهلاكي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية،2017، ص24.

([3]) التي تجمع المهنيين فهؤلاء يحكمهم القانون التجاري.

([4]) التي تجمع المستهلكين أنفسهم.

([5]) وقد تكفلت بتعريفه المادة 3 من القانون 03/09 المتعلق بحماية المستهلك و قمع الغش بقولها: يقصد في مفهوم أحكام هذا القانون ما يأتي
- المستهلك : كل شخص طبيعي أو معنوي يقتني بمقابل أو مجانا ، سلعة أو خدمة موجهة للاستعمال النهائي من أجل تلبية حاجاته الشخصية أو تلبية حاجة شخص آخر أو حيوان يتكفل به).

([6]) محمد بودالي: حماية المستهلك في القانون المقارن "دراسة مقارنة مع القانون الفرنسي "المرجع السابق، ص 33 .

([7]) يلس آسيا: المرجع السابق، ص 34.

([8]) محمد بودالي: الالتزام بالنصيحة في نطاق عقود الخدمات "دراسة مقارنة"، طبعة 1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 6.

ثانيا: النطاق الموضوعي والزمني للحق في العدول في عقود الخدمات: لقد كان قانون حماية المستهلك الفرنسي قبل التعديل الأخير في نص المادّة L221.16 لا يعطي الحق في العدول إلا فيما يخص السلع وعقود البيع دون العقود الواردة على الخدمات[1]، ليتدارك ذلك في التعديل الجديد 2 أفريل 2014 بموجب عدة مواد كنص المادّة L 221-3 [2] ليشمل أيضا مختلف الخدمات.

وعقود الخدمات هي "كل عقد ينصب على أداء أو عمل قابل للتقدير نقدا، ومجرد من كل عملية تسليم سلعة حتى ولو كان هذا التسليم مرافقا للخدمة المقدمة" [3]، والأصل في الخدمة أنها غير ملموسة، مما يصعب على المستهلك إدراك مدى مطابقتها ورغباته المشروعة، رغم الإعلام المقدم من قبل المتدخل ومن هذه النقطة يلعب الحق في العدول في العقود المنصبة على الخدمات دورا فعالا في حمايته، وبخاصة أمام زيادة الإغراءات التي تحملها مختلف الخدمات بسبب تصاعد موجة الدعاية والإشهار. وعلى الرغم من حاجة المستهلك إلى حماية قانونية في مجال الخدمات، إلا أن كل التشريعات المقارنة قد حددت مجال تطبيق الحق في العدول في مجالات خاصة واستبعدت البعض الآخر.

1- عقود الخدمات المشمولة بأحكام حق العدول: حدد المشرع الفرنسي -الذي خطى على نهجه عدة تشريعات عربية-[4] عقود الخدمات الخاضعة لحق العدول وتقسم إلى قسمين تبعا لتقنية إبرام عقد الخدمة وإلى طبيعته.

* **بالنظر إلى طبيعة المعاملة:** وتشمل عقد القرض الاستهلاكي وعقد التأمين بحيث ترتب هذه العقود التزامات مالية كبيرة على عاتق المستهلك.

-**عقد القرض الاستهلاكي**[5]: هو:" العقد الذي يحصل بموجبه المستهلك على تيسيرات مالية، وذلك وفقا النموذج المعد لذلك و المهلة المحددة لذلك"[6]، وعادة ما يقع المستهلك ضحية لتسرعه في إبرامه للعقد بسبب حاجته الماسة للنقود، وبسبب الطبيعة المعقدة لهذا العقد الذي يغلب عليه الطابع التقني وكثيرا ما يستعصى فهمه من قبل المستهلك العادي، لذلك خصه قانون حماية المستهلك الفرنسي بحق العدول في نص المادّة L224-15 التي يمكنه أن يمارسه خلال 14 يوما من تاريخ إبرام العقد والمادّة 85 من قانون حماية المستهلك المغربي.

([1]) أيمن مساعدة وعلاء خصاونة: المقال السابق، ص 178، أشرف محمد رزق قايد: المرجع السابق، ص 961، مصطفى أحمد أبو عمرو: المرجع السابق، ص 107.

([2])**Art. L. 221-3.** *(Loi du 2 avril 2014)*
«(1) Pour tout contrat visé par les chapitres 2 à 4 du présent titre, le consommateur a le droit de se rétracter par écrit ou sur tout autre support durable, sans indication de motif et sans pénalité, dans un délai de quatorze jours calendrier. Si le dernier jour du délai n'est pas un jour ouvrable, le délai est prorogé jusqu'au premier jour ouvrable suivant.
Par dérogation à l'alinéa premier, pour les contrats visés à la première section du chapitre 2, le consommateur a le droit de se rétracter oralement.»
(. . .) (abrogé par la loi du 2 avril 2014)
«(2)»2 Ces délais prennent cours:
- pour la livraison de biens, le jour de la réception;
- pour les prestations de services, le jour de la conclusion du contrat.
«(3)»2 Les délais de rétractation sont censés être respectés dès lors que le consommateur a «adressé» sa rétractation auprès du professionnel avant l'expiration de celui-ci.

([3]) وهو ما جاء في معنى المادة 16/3 من القانون 03/09 المتعلق بحماية المستهلك و قمع الغش.

([4]) خاصة قانون حماية المستهلك المغربي و اللبناني.

([5]) عرفته المادة L224.1 من قانون حماية المستهلك الفرنسي ونظمت أحكامه بالتفصيل.

([6]) مصطفى أحمد ابو عمرو: المرجع السابق،ص 112.

-عقد التأمين[1]: يعد من عقود الخدمات الاستهلاكية الضرورية والشائعة في الحياة اليومية وقد أولت التشريعات المقارنة حماية خاصة للمستهلك المؤمن عليه من خلال قانون التأمين، وجعلت له الحق في الرجوع عن عقد التأمين بشروط محددة نظرا للضعف المعرفي والمالي الذي يعاني منه في مواجهة شركات التأمين، لما تتمتع به من خبرات في مجال التأمين، ومثال المادّة L132.5.1 من مدونة التأمينات الفرنسية التي منحته أجل 30 يوما للعدول ابتداء من تاريخ إبرام في عقد التأمين على الحياة، والمادّة 97 من قانون التامين المغربي الذي منح المستهلك 15 أيام من تاريخ الاكتتاب للعدول عن عقد التأمين عن الحياة المبرم خارج شركة التأمين.

*** بالنظر لتقنية التعاقد:** وتشمل العقود المنزلية خارج المحلات التجارية والتعاقد عن بعد.

-البيوع المنزلية المبرمة خارج المحلات التجارية: يتمثل في زيارة البائع للزبون في غير المكان المخصص لعرض الخدمة وعادة ما يكون في منزله[2]، بمعنى ضرورة تحقق الحضور المادي للمستهلك وعارض الخدمة خارج الأمكنة المخصصة لعرضها[3].وبالتالي لا يكون المستهلك مستعدا للتفاوض في ظل وجود نوع واحد من الخدمة فيقع في غالب الأمر ضحية لتسرعه ومباغتته من قبل مقدم الخدمة.

وقد تصدى قانون حماية المستهلك الفرنسي لهذا النوع من المعاملات ومنح المستهلك الحق في العدول بموجب نص المادّة L222-9

-التعاقد عن بعد[4]: يعرف بأنه العقد الذي ينشأ وينفذ دون الحضور الشخصي أو الجسدي للمستهلك ومقدم الخدمة بحيث يستخدمان أحد الوسائل الاتصال عن بعد[5]، وتتنوع الخدمات المبرمة عبر هذه الوسائل كالعقود الفندقية السياحة، النقل عبر شبكات الانترنيت.

وعلى الرغم من الايجابيات التي تعود من هذا النوع من التعاقد كربح الوقت والجهد، إلا أن المستهلك لا يمكنه تكوين صورة نهائية عن الخدمة ومعرفة مدى تطابقها ورغباته، إلا بعد البدء في الاستفادة منها بحيث لا تكفي الصور والفيديوهات المعروضة على شاشة الانترنيت أو التلفزيون، لذلك منحته معظم التشريعات المقارنة الحق في العدول عن العقود المبرمة عن بعد مثل المادّة L 222-9[6] من قانون حماية المستهلك الفرنسي والمادّة 36 من قانون حماية المستهلك المغربي 08/31[1] والمادّة 55 من قانون حماية المستهلك اللبناني[2].

([1]) لمزيد من التفصيل أنظر: محمد الهيني: الحماية القانونية للطرف الضعيف في عقد التأمين البري، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون الخاص لجامعة سي محمد بن عبد الله كلية العلوم القانونية و الاقتصادية و الاجتماعية فاس، 2006/2005.

([2]) أبو بكر مهم: حماية المستهلك من خلال حق الرجوع دراسة في مقتضيات قانون 08.31، مجلة القانون والأعمال"مجلة الكترونية"عدد خاص 11، نوفمبر،2016، ص 33.

([3]) وقد عرفتها المادة L 222-1 من قانون حماية المستهلك الفرنسي:

«contrat hors établissement»: tout contrat conclu entre un professionnel et un consommateur:
- conclu en la présence physique simultanée du professionnel et du consommateur, dans un lieu qui n'est pas l'établissement commercial du professionnel.

([4]) وقد عرفته المادة L222-1 من قانون حماية المستهلك الفرنسي:

Art. L. 222-1. Au sens du présent chapitre, on entend par:
1) **«contrat à distance»**: tout contrat conclu entre un professionnel et un consommateur dans le cadre d'un système organisé de vente ou de prestation de service à distance, sans la présence physique simultanée du professionnel et du consommateur, par le recours exclusif à une ou plusieurs techniques de communication à distance, jusqu'au moment, et y compris, au moment où le contrat est conclu;

([5]) مصطفى احمد أبو عمرو: المرجع السابق، ص 111.

([6]) 1- En dehors des cas où les exceptions prévues au paragraphe(7)du présent article s'appliquent,le consommateur dispose d'un délai de **quatorze jours** calendrier pour se rétracter d'un contrat à distance ou d'un contrat hors établissement sans avoir à motiver sa décision et sans encourir d'autres coûts que ceux prévus à l'article L.222-10.

2-عقود الخدمات المستبعدة من نطاق الحق في العدول: والواقع أن الحق في العدول ليس قاعدة عامة مطبقة على كل عقد استهلاكي، وإنما يطبق على ما ورد به نص فقط على عكس ما ذهب إليه بعض الفقهاء[3]، لأن الحق في العدول ما هو إلا استثناء على الأصل العام هذا من جهة، ومن جهة أخرى سيؤدي التطبيق الواسع للمبدأ إلى الإخلال للمراكز القانونية بين المتعاقدين، وبالتالي عدم استقرار المعاملات، زد على ذلك فان التشريعات المقارنة، وعلى رأسها قانون حماية المستهلك الفرنسي وبخاصة بعد التعديل الأخير، أطّر الحق في العدول تأطيرا قانونيا محكما، بحيث شمل مختلف العقود كما شرحنا سابقا. إلا أننا نقترح تعميم تطبيق الحق في العدول على جل عقود الخدمات دون تلك الواردة على السلع، نظرا للطبيعة الخاصة للخدمة، لأنها في اغلبها غير ملموسة وما ينتج على ذلك من صعوبة في تكوين قناعة ورضاء مستنير للمستهلك حتى إن تم إعلامه إعلاما قانونيا كاملا، فكثير منا لا يكتشف حقيقة الخدمة المتحصل عليها إلا بعد الاستفادة منها.

وعلى العموم فقد استبعدت بعض العقود من نطاق الحق في العدول، نظرا لأسباب معينة، نصت عليها المادّة L222-9 من ق ح م الفرنسي [4]، إلا في حالة الاتفاق على خلاف ذلك وهي[5]:

- في عقود توريد الخدمات التي نفذت كليا من قبل المهني بعد الحصول على الموافقة المسبقة للمستهلك، بشرط إعلامه بسقوط حقه في العدول في هذه الحالة، إذ لا يمكن للمستهلك أن يعدل عن العقد حتى قبل انتهاء المدة المحددة للعدول، لأنه بكل بساطة قد استفاد المستهلك من الخدمة ويتعذر عليه رد ما استفاد منه إلى المهني وبالتالي الإضرار به.
- عقود توريد الخدمات التي تتقلب أسعارها بحسب ظروف السوق المالية. [6]
-عقود تقديم خدمات الإيواء أو النقل أو المطاعم أو الترفيه التي يجب أن تقدم في تاريخ محدد أو بشكل دوري.

المطلب الثاني: الإطار الموضوعي لحق المستهلك في العدول في عقود الخدمات

نظمت التشريعات المقارنة كيفية ممارسة الحق في العدول في مختلف العقود وآثاره المترتبة على ذلك.

الفرع الأول: كيفية ممارسة حق المستهلك في العدول عن العقد: يمارس المستهلك حقه في العدول بقوة القانون في العقود الخاضعة له دون إبداء أي مبررات، وهو ما نصت عليه القوانين المقارنة وقد سبق الإشارة إلى ذلك، إلا أن المشرع المصري خرج عن ذلك[7]، وربط هذا الحق بإلزامية وجود عيب في الخدمة أو نقص بها في المادّة 09 منه والتي منحته الحق في إعادة تقديمها أو استرجاع مقابلها دون أن يحدد مدة القانونية للعدول[8]، ولم تبين أيضا تاريخ بدأ حساب هذه المهلة.

2- Sans préjudice du paragraphe (3) du présent article, le délai de rétractation visé au paragraphe (1) expire après une période de quatorze jours à compter:
a) en ce qui concerne les contrats de service, **du jour de la conclusion du contrat**;

([1]) (للمستهلك أجل 7 أيام لممارسة حقه في التراجع ، ودون الحاجة إلى تبرير ذلك أو دفع غرامة باستثناء مصاريف الإرجاع إن اقتضى الأمر ذلك).

([2]) (خلافا لأي نص آخر، يجوز للمستهلك الذي يتعاقد عن بعد، العدول عن قراره بشراء سلعة أو استئجارها أو الاستفادة من خدمة وذلك خلال مهلة 10 أيام تسري اعتبارا من تاريخ التعاقد فيما يتعلق بالخدمات أو من تاريخ التسليم فيما يتعلق بالسلعة).

([3]) أمثال الدكتور مصطفى احمد أبو عمرو حيث قال: "والواقع أن الاستبعاد من نطاق حق العدول في مجال عقود الاستهلاك لا يكون إلا بنص تشريعي صريح ومحدد" لمزيد من التفصيل أنظر: مصطفى احمد أبو عمرو: المرجع السابق، ص 108.

([4]) تجدر الإشارة أن هذه الاستثناءات وردت بخصوص العقود المبرمة عن بعد و البيوع المنزلية.

([5]) تقابلها المادة 38 من قانون ح م المغربي و المادة 56 من ق ح م اللبناني.

([6]) أي على أسعار البورصة.

([7]) تجدر الإشارة إلى أن المشرع المصري جاء بنص عام للحق في العدول دون أن يقصره على نوع محدد من العقود، غير أنه اشترط مبررات لممارسة هذا الحق.

([8]) نصت المادة 09 من قانون حماية المستهلك المصري على أنه: (يلتزم كل مقدم خدمة بإعادة مقابلها أو مقابل ما يجبر النقص فيها أو إعادة تقديمها إلى المستهلك، وذلك في حالة وجود عيب أو نقص بها وفقا لطبيعة الخدمة وشروط التعاقد عليها والعرف التجاري ويحال كل خلاف...)

ومنه نجد أنه لم يخرج عن القواعد العامة الخاصة بالحق في الضمان فيما يخص الخدمات، في حين أنه بالنسبة للسلعة في المادّة 08 اشترط إمكانية ألا تكون مطابقة للمواصفات أو للغرض الذي تم التعاقد من أجله لممارسة الحق في العدول[1].

وليتمكن المستهلك من ممارسة هذا الحق وجب على المتدخل إعلامه بحقه في العدول خلال المدة القانونية تحت طائلة تمديد المدة إلى 12 شهرا يبدأ سريانها من تاريخ انقضاء مهلة العدول طبقا للمادّة **L222-9** ق حماية المستهلك الفرنسي والمتعلقة بالعقود المنزلية أو المبرمة عن بعد.

لذا فان للمستهلك السلطة التقديرية في إعمال حقه في العدول خلال المهلة القانونية تحسب من تاريخ إبرام عقد الخدمة. إلا أنه يتوجب عليه إبلاغ المتدخل بقراره بالرجوع بوسيلة كتابية، كرسالة مضمونة الوصول بالنسبة لعقد القرض الاستهلاكي وفقا للمادّة L224-15، وبالنسبة للعقد المبرم على شبكة الانترنيت فإنه يتعين على المستهلك ملأ نموذج استمارة الرجوع المنصوص عليها في الملحق1 أو إقرار آخر صريح وواضح، وعلى المتدخل أن يرسل إخطارا بتسلم العدول على دعامة دائمة[2]، لأن عبئ إثبات ممارسة الحق في العدول في المهلة المحددة يقع على المستهلك.

الفرع الثاني: **آثار ممارسة حق المستهلك في العدول في عقود الخدمات:** إذا قرر المستهلك استعمال الحق في العدول عن العقد، فإنه يترتب على ذلك آثار متعلقة بالعقد ذاته وبالنسبة لطرفي العقد.

أولا: أثر مباشرة حق العدول على عقد الاستهلاك: لا يتحدد مصير عقد الاستهلاك بشكل قاطع إلا بعد انقضاء مهلة العدول وعلى وفق قرار المستهلك فإذا لم يباشر هذا الحق خلال المدة المحددة فانه يستقر العقد ويرتب آثاره، أما إذا باشره فانه يزول بأثر رجعي وكأنه لم يكن[3].

ثانيا: أثر مباشرة حق العدول على طرفي العقد: إذا نشأ العقد صحيحا فانه يرتب أثاره، أما إذا باشر المستهلك حقه في العدول فيزول العقد بأثر رجعي وتولد التزامات جديدة على عاتق طرفي العقد.

1- بالنسبة للمستهلك: عندما يمارس المستهلك حقه في العدول، فإنه يكون ملزم بأن يرجع بدون تأخير السلعة إلى المتدخل أو إلى الشخص الذي أعطاه المهني أهلية استلام السلعة، إلا إذا طلب هو أن يسترجعها بنفسه، أما النفقات المالية التي يتحملها المستهلك بعد عدوله فتتعلق بمصاريف إرجاع السلعة.

غير أنه بالنسبة للخدمة فيختلف الأمر تماما، لأنه من غير الممكن إرجاع ما استفاد منه، لذا فالرد يكون بأن يدفع المستهلك مبلغا نقديا عن الأيام التي استفاد منها قبل إعلانه ممارسة حقه في العدول، ويحدد المبلغ بناءا القيمة الإجمالية المحددة في العقد، وهو ما نصت عليه المادّة L222-4 من قانون حماية المستهلك الفرنسي.

2- بالنسبة للمتدخل:يكون المتدخل ملزم في حالة ممارسة المستهلك لحقه في العدول برد ثمن الخدمة دون أن يكون ملزما بتسديد أي نفقات إضافية خلال 14 يوما من اليوم الموالي لإعلامه بقرار العدول، طبقا للمادّة L222-10/-1 من قانون حماية المستهلك الفرنسي[4]، ويتحقق علمه بعد إرساله بريدا الكترونيا يوضح فيه تلقيه إعلان العدول ووضعه في الاعتبار ويكون الرد بذات الوسيلة التي تم بها الوفاء نقدا أو من خلال تحويل مصرفي أو الكتروني.

المبحث الثاني: **تقييم حق المستهلك في العدول في نطاق عقود الخدمات وفقا التشريع الجزائري:** لقد استحدثت العديد من التشريعات المقارنة آلية جديدة لحماية المستهلك في مواجهة المتدخل بإعطائه الحق في التراجع عن العقد المبرم دون إبداء أي مبررات أو تحمل أية مسؤولية، ونظمته تنظيما محكما دون ترك أية ثغرة أمام التلاعب الذي يمكن أن يصدر من

([1]) نصت المادة 08 على انه: (... بالنظر إلى طبيعة السلعة، للمستهلك خلال 14 يوما من تسلم أية سلعة الحق في استبدالها أو إعادتها مع استرداد قيمتها، وذلك إلى شاب السلعة عيب أو كانت غير مطابقة للمواصفات أو الغرض الذي تم التعاقد عليها من أجله ...)

([2]) اشرف محمد رزق قايد: المرجع السابق، ص 986.

([3]) ذات المرجع، ص 150.

([4]) تقابلها المادة 38 من قانون حماية المستهلك المغربي.

بعض المتعاملين المحترفين، لنتساءل عن موقف المشرع الجزائري وبخاصة بعض صدور القانون 03/09 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش.

المطلب الأول: البحث عن إطار تشريعي لحق المستهلك في العدول في نطاق عقود الخدمات

الفرع الأول: في قانون حماية المستهلك: إن البحث في نصوص قوانين حماية المستهلك، تكشف عن وجود نصين ذا صلة بحق المستهلك في العدول وهما:

- نص المادّة **13** من القانون03/09 [1] والمتعلقة بحق المستهلك بالضمان التي تنص على أنه: " ...يجب على المتدخل خلال فترة الضمان المحددة **في حالة ظهور عيب استبداله** او **إرجاع ثمنه** او **تصليح المنتوج** أو **تعديل الخدمة على نفقته**" وكذا المادّة 12 من المرسوم التنفيذي رقم 327/13 الذي يحدد شروط وضع السلع والخدمات حيز التنفيذ.

- نص المادّة 4 من المرسوم التنفيذي رقم 306/06 المؤرخ في 10 سبتمبر 2006 الذي يحدد العناصر الأساسية للعقود المبرمة بين الأعوان الاقتصاديين والمستهلكين والبنود التي تعتبر تعسفية على أنه:" يتعين على العون الاقتصادي إعلام المستهلكين بكل الوسائل الملائمة بالشروط العامة والخاصة لبيع السلع و/ أو تأدية الخدمات **ومنحهم مدة كافية لفحص العقد وإبرامه**".

سنناقش فيما يأتي مدى تعلق فكرتي الحق في الضمان وفي مهلة للتفكير بحق المستهلك في العدول.

أولا: الحق في العدول والحق في الضمان: بقراءة النصين أعلاه نجد أن المشرع أورد مصطلح **"إرجاع الثمن"** في المادّة 13 التي جاءت تحت الفصل الرابع من القانون 03/09 بعنوان **إلزامية الضمان والخدمة ما بعد البيع،** والمادّة 12 من المرسوم التنفيذي رقم 327/13 [2] فهل يفهم من ذلك أن الحق في العدول هو ذاته الحق في الضمان؟

يستفيد المستهلك من حق الضمان في حالة اكتشافه لعيب في السلعة أو نقص في الخدمة، فيمكنه في هذه الحالة مطالبة المتدخل بإرجاع الثمن المدفوع، ومنه نجد أن المشرع ربط بين حق العدول ووجود عيب في المنتوج[3]، ولم ينص على الحق في العدول بصفته حقا مستقلا بذاته[4]، يمارسه المستهلك في مدة محددة من دون أي مبرر، على غرار ما نص عليه القانون الفرنسي، الذي جعل منه حقا مستقلا متميز عن القواعد العامة التي فشلت في حماية رضاء المستهلك.

ثانيا: الحق في العدول والحق في مهلة للتفكير: نصت المادّة 4 من المرسوم التنفيذي رقم 306/06[5] على أنه:" يتعين على العون الاقتصادي إعلام المستهلكين بكل الوسائل الملائمة بالشروط العامة والخاصة لبيع السلع و/ أو تأدية الخدمات **ومنحهم مدة كافية لفحص العقد وإبرامه**".

ومنه فالمادّة 4 أعلاه منحت للمستهلك الحق في مهلة كافية للتفكير بالتالي إمكانية الرجوع خلال تلك المدة، وقد يفهم البعض أن الحق في التفكير هو ذاته الحق في الرجوع باعتباره أثرا من آثاره.

والحقيقة أن الحق في التفكير -وإن كان يتشابه مع الحق في العدول من حيث الهدف والموضوع- فإنه يختلف عنه في عدة نقاط.

---

(1) الخاص بحماية المستهلك وقمع الغش.

(2) المؤرخ في 26 سبتمبر 2013 الجريدة الرسمية مؤرخة في 2 أكتوبر 2013، رقم 49.

(3) محمد بودالي: حماية المستهلك في القانون المقارن، المرجع السابق، ص 153.

(4) وهو ما ذهب اليه المشرع المصري في قانون حماية المستهلك المادة8 منه، إذ ربط هو الآخر بين حق العدول والحق في الضمان باشتراطه وجود عيب في المنتوج أو عدم تطابقه مع المواصفات المتفق عليها، ومنحه **مهلة 14 يوما للعدول.** أما المشرع الجزائري اكتفى بالمدة القانونية للضمان وهي 6 أشهر على الأقل، لمزيد من التفصيل أنظر: مصطفى أحمد أبو عمرو: المرجع السابق، ص 44.

(5) المؤرخ في 10 سبتمبر 2006 الذي يحدد العناصر الأساسية للعقود المبرمة بين الأعوان الاقتصاديين والمستهلكين والبنود التي تعتبر تعسفية، جريدة رسمية مؤرخة في 11 سبتمبر 2006، عدد56.

1-أوجه التشابه:إن كل منهما يهدف إلى حماية المستهلك من تسرعه في اتخاذ قرار التعاقد ليجد نفسه ملزما بعقد متضمنا شروطا تعسفية او متحملا أعباء مالية لا طاقة له بها أو انه لا يخدم حاجاته المتوقعة[1]، هذا بالإضافة إلى أنهما مصدرهما نص قانوني يخص العقود الاستهلاكية.

2-**أوجه الاختلاف:** ما يميز الحق في مهلة للتفكير أنه يرد قبل إبرام العقد الاستهلاكي[2]، إذ عرف بأنه: منح المستهلك فترة زمنية محددة للتفكير والتروي قبل الارتباط بالعقد نهائيا، حيث يلتزم المهني خلال تلك الفترة بالبقاء على إيجابه[3]، فهو عبارة عن إلتزام مكمل لإلزامية الإعلام المفروضة على المتدخل في المادّة 17 من قانون 03/09، فبعد أن يعلمه بكل المعلومات الإلزامية المحددة قانونا يترك له مدة محددة للتفكير لاتخاذ القرار المناسب لإبرام العقد من عدمه، في حين أن المستهلك يمارس الحق في العدول بعد إبرام العقد كاستثناء على مبدأ القوة الملزمة للعقد المنصوص عليه في المادّة 106 قانون مدني[4].

وإن كان لحق التفكير إيجابيات تفرض على المتدخل تمكين المستهلك من نسخة من العقد النموذجي المزمع إبرامه وفحصه بتريث وتدبر قبل اتخاذ قرار بإبرامه، فإنه في كثير من الأحيان ما يقع ضحية لأساليب الإشهار المغرية التي لا تظهر الصورة الحقيقية للمنتوج، وبخاصة في العقود المبرمة عن بعد، بالإضافة إلى نقص الخبرة في بعض العقود ذات الطبيعة التقنية.

هذا بالإضافة إلى أنه ما يلاحظ على الحق في التفكير المقرر، بموجب المادّة 4 أعلاه، أنها لم تحدد المدة اللازمة للتفكير واكتفت بقولها **"مدة كافية"**، فاسحة بذلك المجال أمام المتدخل لتفسير النص بما يخدم مصالحه على حساب المستهلك، وهو ما سيؤثر على فاعليته في حماية المستهلك في ضوء خلو النص من جزاء جزائي يفرض على كل مخالف لأحكام هذا النص.

لذا تظهر الحاجة الماسة للحق في الرجوع كآلية مستقلة لحماية المستهلك في نطاق بعض العقود، ومنه فالمشرع لم يتبنى هذا الحق كآلية مستحدثة لحماية المستهلك في إطار قانون حماية المستهلك، على الرغم من أنه في كثير من النصوص قد أكد على حقه في أن يحظى بمنتوج يلبي رغباته المشروعة في نص المادّة 11 من القانون 03/09، وأن لا تمس الخدمة المقدمة بمصالحه المادية ولا المعنوية في المادّة 19 من ذات القانون.

الفرع الثاني: في بعض القوانين الخاصة (قانون التأمين): سبق وأن رأينا في المبحث الأول أن المشرع الفرنسي قد مكن المؤمن عليه من حق العدول عن عقد التأمين في مجال التأمين على الحياة لنتساءل عن الموقف مشرع الجزائري في قانون التأمينات[5].

بقراءة نصوص قانون التأمينات نجد المادّة 22 من القانون 04/06 المتعلق بالتأمين أضافت نص جديدا، مقررة منح المستهلك المؤمن عليه الحق في الرجوع عن عقد التأمين بقولها: (باستثناء عقود تامين المساعدة، يجوز للمكتتب عقد التأمين على الأشخاص لمدة شهرين كحد أدنى، أن يتراجع عن العقد برسالة مضمونة مع وصل استلام خلال أجل 30 يوما ابتداء من الدفع الأول للقسط، يجب على هذا الأخير إعادة القسط الذي تقاضاه بعد خصم تكلفة عقد التأمين، خلال 30 يوما الموالية لاستلام الرسالة الموجهة من قبل المكتتب إلى مؤمنه، والتي موضوعها التراجع عن العقد).

---

(1) مصطفى احمد أبو عمرو: المرجع السابق، ص 48.

(2) أيمن مساعدة وعلاء خصاونة: المقال السابق، ص 163.

(3) زعبي عمار: المقال السابق، ص 119، مصطفى أحمد أبو عمرو: المرجع السابق، ص 48.

(4) التي تنص على أنه: " العقد شريعة المتعاقدين، فلا يجوز نقضه، ولا تعديله إلا باتفاق الطرفين، أو للأسباب التي يقررها القانون".

(5) نظمه الأمر 07/95 المؤرخ في 25 جانفي 1995، جريدة رسمية عدد13 صادرة في 08 مارس 1995، المعدل بموجب القانون 04/06 المؤرخ في 20 فيفري 2006 ، جريدة رسمية رقم 15 صادرة في 12 مارس 2006.

في ضوء نص المادّة 22 أعلاه نستنتج أن قانون التأمين قد اعترف للمستهلك-في ظل سكوت قانون حماية المستهلك- بحقه في العدول بشروط محددة، وذلك بسبب ما تفرضه مقتضيات التعاقد و قلة خبرة المستهلك في مجال التأمينات أمام تفوق المعرفي والمهني لشركات التأمين التي تفرض عليه شروطا تعسفية مدرجة في العقود النموذجية المحررة بإرادتها المنفردة.
وقد ضبطت المادّة 22 أعلاه شروط ممارسة الحق في العدول عن عقد التامين وهي كالآتي:

أولا- الحق في العدول مقتصر على عقود التأمين على الأشخاص: يمارس المستهلك حقه في العدول في مجال عقود التأمين على الأشخاص فقط دون الأموال، ويشمل وفقا للمادّة 63 من الأمر 07/95 التأمين على الحياة التأمين على الوفاة، العجز الدائم الجزئي أو الكلي، العجز المؤقت عن العمل، تعويض المصاريف الطبية والصيدلانية والجراحية.

وما يلاحظ في هذا الصدد أن المشرع الجزائري، كان أكثر شمولا وايجابية من المشرع الفرنسي والمغربي، إذ يقتصر حق العدول في القانون التامين الفرنسي[1] على عقد التأمين على الحياة في أن المغربي[2]، حصره في عقد التأمين على الحياة المبرم خارج شركة التأمين.

ثانيا- شكل ممارسة الحق في العدول ومهلته القانونية: للمستهلك المؤمن عليه أجل 30 يوما[3] لممارسة حقه في الرجوع عن العقد، ابتداء من تاريخ دفع أول قسط عن طريق رسالة مضمونة الوصول، وقد ألقت المادّة 17 من القانون 04/06 على المؤمن إعلام المستهلك بآجال وكيفيات الرجوع عن كشوف المعلومات الإجبارية[4]، حتى يفرغ الحق من محتواه فكثير من المستهلكين لا يعلم بوجوده، وباستعمال الحق في العدول ينحل عقد التامين ويلزم المؤمن بإرجاع القسط المدفوع خلال 30 يوما من تاريخ وصول التبليغ مع حقه في خصم تكلفة العقد.

المطلب الثاني: مدى ضرورة خلق تنظيم خاص للحق في العدول : يجب تقييم الحق في العدول للوقوف على مدى وجوب خلق نظام قانوني خاص به في مجال العقود بصفة عامة وعقود الخدمات بصفة خاصة.

الفرع الأول: تقييم الحق في العدول : إن الدراسة الموضوعية للحق في العدول تقتضي إبراز نقاطه الايجابية والسلبية.

أولا- الايجابيات: يعد الحق في العدول آلية تشاركية للمستهلك في المجال الاقتصادي[5]، حيث أن كثرة التراجعات في مختلف الخدمات، بمثابة تنبيه للمتدخل، حتى يتقصى الحذر أثناء عملية الترويج للخدمة وعرضها على المستهلك، وبالتالي رفع التنافسية بين الأعوان الاقتصاديين، وهو ما يؤدي إلى تحسين جودة المنتوجات المعروضة في السوق.

- يعمل الحق في العدول على تحقيق العدالة للمستهلك من دون اللجوء إلى القضاء، وما يتبع ذلك من نفقات ووقت[6].

-إن هذه المكنة توطد الثقة بين المستهلك والمتدخل في مجال العقود الالكترونية، وبالتالي تنمية التجارة الالكترونية التي تشهد تطورا ملحوظا في السوق الجزائرية[7].

ثانيا- السلبيات: يؤدي الحق في العدول إلى عدم استقرار المعاملات وبخاصة في حالة استعماله من قبل المستهلك بسوء نية، مما يفسح المجال أمام وجود بعض الممارسات التعسفية بسبب إعفاءه من تبرير رجوعه ومنه فلحق العدول ايجابيات تفوق سلبياته بما يحقق حماية فعالة للمستهلك في ظل قصور القواعد العامة.

([1]) المادة1-5-L132.

([2]) المادة 97 من مدونة التأمينات المغربية.

([3]) في القانون المغربي 15 يوما فقط.

([4]) في حين سكت المشرع المغربي عن ذلك.

([5]) هشام بلخنفر: المرجع السابق، ص178.

([6]) ذات المرجع، ص 178.

([7]) مثال ذلك: مختلف الخدمات البنكية، الائتمانية التي شهدت تطور ملحوظا في الآونة الأخيرة من خلال استحداث بطاقات الدفع الالكترونية. الالكترونية.

الفرع الثاني: ضرورة خلق تنظيم خاص للحق في العدول مع ضبط شروطه

أولا- الحاجة الماسة إلى خلق إطار قانوني للحق في العدول: إذا كانت القواعد العامة المقررة في القانون المدني تهدف إلى حماية إرادة المتعاقد، وجعلها حرة مستنيرة من خلال نظرية عيوب الإرادة[1]، فإنها عاجزة عن تحقيق ذلك بسبب إلقاء عبئ إثبات تعيب إرادته عليه حيث يصعب في كثير من الأحيان، إثبات أمور نفسية داخلية، هذا بالإضافة أن المستهلك قد لا تعاب إرادته لكنه قد يدخل في علاقة عقدية لا تحقق له أي فائدة بسبب ظروف التعاقد الخاصة في مجال الاستهلاك.

ومنه في ضوء ما سبق وبسبب قصور القواعد العامة وعدم كفاية القواعد الخاصة في قانون حماية المستهلك فإنه تظهر الحاجة الماسة لتدخل المشرع لتبني الحق في العدول كآلية فعالة في حماية المستهلك في مجالات محددة، وبخاصة في عقود الخدمات، نظرا لخصوصيتها وصعوبة ضبط جودتها قبل إبرام العقد بشروط معينة ضمانا لعدم تعسف المستهلك.

ثانيا- ضوابط ممارسة الحق في العدول: يمارس المستهلك حقه في التراجع عن العقد بصفة انفرادية دون الحاجة إلى إبداء مبررات، ولكن على الرغم من ذلك، فانه يمنع من التعسف في استعمال حقه إضرار بالمتدخل، إذ يخضع لمبدأ حسن النية في تنفيذ العقود، فما الفائدة من حمايته إذا كان في مركز قانوني يجعله ندا للمتدخل[2].

وفي سبيل منع تعسفه في استعمال حقه في العدول، فإنه يخضع للضابط الزمني بأن يمارس حقه خلال المدة الزمنية المحدد قانونا، التي تبدأ من تاريخ إبرام عقد الخدمة، ونقترح أن يقيد المشرع المدة ب7 أيام فقط، حماية للمصلحة الطرفين على أن يلزم المتدخل بإعلامه بحقه في الرجوع من خلال العقود النموذجية المقدمة.

كما يتقيد المستهلك بالضابط الموضوعي أي استعمال الحق في العقود المحددة بنص فقط كالعقود المبرمة عن بعد و العقود المنزلية والقروض الاستهلاكية وعقود التأمين دون العقود التي استثنيت بنص[3].

ويجب على المستهلك خلال تلك المهلة المحافظة على المنتوج (بالنسبة للسلع) وتحمل المسؤولية في حالة هلاكه أو حتى استعماله، كما يتكبد وحده دفع مصاريف إرجاعه.

خـاتمة: في ضوء ما سبق يمكن الخروج بالنقاط الآتية:

* إن الحق في العدول مكنة قانونية، تسمح للمستهلك المتعاقد بإعادة مراجعة نفسه باتخاذ القرار المناسب بالرجوع عن العقد المبرم.

*يعد حق المستهلك في العدول عن العقد حقا مستقلا بذاته، يمارسه صاحبه بقوة القانون بإرادته المنفردة خلال المهلة القانونية دون أن يتكبد أي تعويض.

*يبقى تطبيق الحق في العدول كاستثناء من القاعدة العامة، وهي "القوة الملزمة للعقد"، إذ انه يطبق في بعض العقود الاستهلاكية التي تجمع المستهلك و المتدخل.

*إن مجال الدراسة ينصب على عقود الخدمات، لما لها من خصوصية تميزها عن السلعة، إذ يصعب على المستهلك في كثير من الأحيان المعرفة الحقيقية للخدمة، رغم إعلامه إعلاما صحيحا إلا بعد الاستفادة منها.

*تتنوع مجالات الخدمات، لذا فالتشريعات المقارنة حددت مجال تطبيق الحق في العدول في نطاق العقود المنزلية والعقود المبرمة عن بعد المنصبة على الخدمات، وكذا عقود القرض الاستهلاكي وعقد التأمين، على الرغم من حاجة المستهلك للحماية في جل عقود الخدمات نظرا لخصوصيتها.

*أولى المشرع الفرنسي وكذا المغربي عناية بالغة بتنظيم الحق في العدول بتخصيص عدد كبير من النصوص القانونية، إذ فرض على المتدخل إعلام المستهلك بحقه في الرجوع وكيفياته عند إبرام العقد، ومن بعد يعلمه المستهلك عن قراره بالرجوع

([1]) نظمتها المواد من 81-91 قانون مدني.

([2]) مصطفى احمد أبو عمرو: المرجع السابق، ص 147.

([3]) التي سبق أن تعرضنا لها بخصوص العقود المستثناة من حق العدول في الصفحة 10.

عن طريق كتابي بحيث ينحل العقد ويلزم المتدخل برد الثمن، أما المستهلك فيرد قيمة ما استفاد من الخدمة عن الأيام السابقة على عدوله.

*أما المشرع الجزائري فقد اتخذ موقفا سلبيا في مجال قانون حماية المستهلك 03/09، حيث انه لم ينص صراحة على حق المستهلك في العدول، واكتفى بالنص على حقه في استرجاع الثمن في حالة وجود عيب في المنتوج فقط، كما أعطاه الحق في الرجوع من خلال الحق في مهلة للتفكير قبل إبرام العقد، على انه لم يحدد هذه المدة وتركها مبهمة وهو مالا يخدم المستهلك.

*نص المشرع صراحة على حق العدول في إحدى عقود الخدمات، وهو عقد التأمين في نص المادّة 22 من القانون 04/06، بل وقد وسع من مجال الحماية بالمقارنة مع التشريعات المقارنة من حيث الموضوع والآجال.

وبناء على ذلك نقترح مجموعة من التوصيات:

*تحديد مهلة التفكير لإعطاء الحق قيمة قانونية وترتيب عقوبات جزائية على كل متدخل يخالف ذلك.

*يجب على المشرع الجزائري أن يتبنى الحق في العدول، كآلية فعالة في حماية المستهلك، بحيث أن كثرة التراجعات تضع المتدخل أمام الآمر الواقع، وتجعله يسعى وراء تحسين جودة الخدمات المعروضة في السوق.

*وقصد منع المستهلك من التعسف في استعمال حقه في العدول، وجب أن يقيد بشروط من حيث المهلة ومجال تطبيقه.

*نقترح أن يشمل الحق في العدول كل عقود الخدمات، لما للخدمة من خصوصية وتعقيد بالمقارنة مع السلعة.

*نقترح أن يدعم الحق في العدول بعقوبة جزائية لردع كل متدخل يحرم المستهلك من حقه.

قائمة المراجع:

أولا- الكتب:

- أشرف محمد رزق قايد(2016) حماية المستهلك، مصر، مركز الدراسات العربية.
-حسن عبد الباسط جميعي(1997) حماية المستهلك، الحماية الخاصة لرضاء المستهلك في عقود الاستهلاك، القاهرة، دار النهضة العربية.
- عبد الفتاح بيومي حجازي(2001) حقوق الملكية الفكرية وحماية المستهلك في عقود التجارة الالكترونية، مصر دار الكتب القانونية.
- محمد بودالي(2006) حماية المستهلك في القانون المقارن،القاهرة، دار الكتاب الحديث.
- محمد بودالي(2005) الالتزام بالنصيحة في نطاق عقود الخدمات " دراسة مقارنة "(طبعة 1)،الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع.
-مصطفى احمد أبو عمرو(2012) التنظيم القانوني لحق المستهلك في العدول،مصر، دون ذكر دار النشر.
- يلس آسيا(2017) الالتزام بالإعلام في عقد البيع الاستهلاكي، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة.

ثانيا: الرسائل الجامعية

- زوبة سميرة: الأحكام القانونية المستحدثة لحماية المستهلك المتعاقد،مذكرة لنيل درجة الدكتوراه في القانون، جامعة مولود معمري تيزي وزو،2016.
- محمد الهيني: الحماية القانونية للطرف الضعيف في عقد التأمين البري، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون الخاص لجامعة سي محمد بن عبد الله كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية فاس، 2006/2005.

ثالثا: المقالات

- أبو بكر مهم: حماية المستهلك من خلال حق الرجوع دراسة في مقتضيات قانون 08.31، مجلة القانون والأعمال"مجلة الكترونية"عدد خاص 11، نوفمبر،2016.
- أيمن مساعدة وعلاء خصاونة: خيار المستهلك بالرجوع في البيوع المنزلية و بيوع المسافة، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة،عدد46، أفريل 2011.
- حسن ساكني وصباح كوتو: حق المستهلك في التراجع عن العقد،مجلة القانون والأعمال عدد خاص الحادي عشر، أفريل 2016.

-زعبي عمار: الحق في العدول عن التعاقد ودوره في حماية المستهلك، مجلة المفكر تصدر عن جامعة محمد خيضر بسكرة، ماي 2013، عدد9.

هشام بلخنفر: حق الرجوع كآلية لحماية المستهلك المتعاقد الكترونيا، مجلة القانون والأعمال"مجلة الكترونية"عدد خاص 11، نوفمبر 2016.

رابعا: القوانين:

***القانون الجزائري:**

--الأمر 07/95 المؤرخ في 25 جانفي 1995، جريدة رسمية عدد13 صادرة في 08 مارس 1995، المعدل بموجب القانون 04/06 المؤرخ في 20 فيفري 2006 ، جريدة رسمية رقم 15 صادرة في 12 مارس 2006.

-القانون رقم 03/09 المؤرخ في 25 فيفري 2009 متعلق بحماية المستهلك وقمع الغش، الجريدة الرسمية عدد 15، الصادرة في 8 مارس 2009.

- المرسوم التنفيذي رقم 306/06 المؤرخ في 10 سبتمبر 2006 الذي يحدد العناصر الأساسية للعقود المبرمة بين الأعوان الإقتصاديين والمستهلكين والبنود التي تعتبر تعسفية، الجريدة الرسمية رقم 56، الصادرة في 11 سبتمبر 2006.

- المرسوم التنفيذي رقم 327/13 مؤرخ في 26 سبتمبر 2013 الذي يحدد شروط وكيفيات وضع ضمان السلع والخدمات حيز التنفيذ، الجريدة الرسمية رقم 49، الصادرة في 2 أكتوبر 2013.

***القوانين المقارنة:**

- قانون حماية المستهلك اللبناني قانون رقم 659 تاريخ 4 شباط 2005.

- قانون حماية المستهلك المصري رقم 67 لسنة 2006، الجريدة الرسمية– العدد 20 مكرر في 20 مايو 2006.

-قانون حماية المستهلك المغربي ظهير شريف رقم:03.11.1 صادر في 18 فبراير2011 بتنفيذ القانون رقم 08-31 القاضي بتحديد تدابير لحماية المستهلك، الجريدة الرسمية عدد 5932، بتاريخ 7 أفريل 2011.

- قانون حماية المستهلك الفرنسي، المعدل بموجب القانون رقم 2014/344 بتاريخ 14 مارس 2014.

الطبيعة القانونية للحقوق الثقافية للأقليات في القانون الدولي العام

أ.هبـهـوب فوزيــة

كلية الحقوق والعلوم السياسية

جامعــة باجي مختار،عنابة.

الملخص: تهدف هده الدراسة الى توضيح الطبيعة القانونية للحقوق الثقافية للاقليات، لمعرفة الاطار القانوني لمارستها.خاصة وأن هده الحقوق تثير عدة اشكالات قانونية بشأن تصنيفها وكيفية ممارستها والتمتع بها. تدور الحقوق الثقافية للاقليات في فلك الحقوق الفردية والجماعية،فهي ذات طبيعة مزدوجة،فتعتبر حقوقا جماعية تمارس في إطار فردي،فضلا عن هذا تعتبر حقوقا عالمية مترابطة مع باقي حقوق الانسان وغير قابلة للتجزئة،كما أنها تشكل قواعد الزام في مواجهة الكافة،ومنها ما يعتبر قواعد امرة.

الكلمات المفتاحية: الطبيعة القانونية،الحقوق الثقافية ،الأقليات .

Abstract: This study aims at clarifying the legal nature of the cultural rights of minorities, in order to know the legal framework for their practice, especially as these rights raise several legal problems regarding their classification and how to exercise and enjoy the . . The cultural rights of minorities are in the orbit of individual and collective rights. They are of a dual nature. Collective rights are exercised in an individual framework. Moreover, they are universal rights that are interrelated with other human rights and are indivisible. Rules and Regulations. .

Keywords: legal nature, cultural rights, minorities

المقدمــة:مع بداية التسعينات ومند انتهاء الحرب الباردة تزايد وبشكل ملحوظ الانتهاك الصارخ لحقوق الأقليات خاصة الثقافية،لاصطدامها بمعارضة شديدة من الدول التي ترفض ولأغراض عديدة الاعتراف لها بهده الحقوق،من خلال تبنيها لسياسات عدم الاعتراف بالتنوع الثقافي وإرغامها على الانصهار والاندماج مع الأغلبية،وحرمانها من ممارسة حقوقها الثقافية بشكل جماعي.تعبيرا عن هويتها المادية والثقافية ككيانات ثقافية متمايزة، ليصل الوضع في بعض الدول إلى محاولة إبادتها جسديا وثقافيا،ويكفي في هذا الصدد الإشارة لمشكلات طائفة السيخ في الهند والتاميل في سيريلانكا والأكراد في العراق وتركيا وإيران ومشكلة الأقليات في إثيوبيا والكونغو ونيجيريا والمسيحيين في جنوب السودان والأتراك في قبرص والتبتين في الصين[(1)]،كما وشهدت مناطق أخرى اضطرابات عرقية وصراعات طائفية سرعان ما زادت إلتهابا وتأجيجا في كل من لاوس وكشمير وبورما وأندونيسيا والصومال وبورندي والبوسنة والهرسك ومقدونيا، ولم تستثنى مشكلة الأقليات البلدان المتقدمة في العالم، ففي فرنسا مثلا هناك مشكلة الجماعات الآثنية القاطنة في بريطانيا الباسك،كورسيكا والتي لم تنصهر حتى اليوم وبشكل تام في بوثقه الثقافة الفرنسية[(2)].وتعاني بلجيكا من حدة الصراع بين الوالون في الجنوب والفليمينغ في الشمال.وتعاني الولايات المتحدة الأمريكية من وجود مشكلات ناجمة عن وجود جماعات أثنية مختلفة مثل الهنود الحمر والزنوج وغيرهم وكذلك الحال بالنسبة إلى إيرلندا الشمالية التي لا تزال تعاني صراعا حادا بين الكاثوليك والبرتوسيتانة. ومشكلة الأقليات الاثنية في الباسك في اسبانيا.[(3)]ولا ننسى بالذكر حدث الساعة أي أزمة الروهينغا في مينامار وما تتعرض له حاليا من إبادة جسدية وثقافية. إن حماية الحقوق الثقافية للأقليات يقتضي تميزا ايجابيا أو معاملة تفضيلية تراعي خصوصيتها وهويتها الثقافية.فمن جهة تطالب الأقليات بمنع التميز للاستفادة بجميع الحقوق الواردة في

---

(1) – **محمد السماك:**" الأقليات بين العروبة والإسلام"، دار العلم للملاين،بيروت،الطبعة الأولى،1990، ص.10.

(2) – المرجــع نفســـــه، ص 12 .

(1)- **فوزي العيدي كمال:** مشكلة حماية الأقليات في ضوء القانون الدولي رسالة لنيل شهادة الماجيستير، قانون دولي وعلاقات دولية،جامعة الجزائر، كلية الحقوق والعلوم الإدارية، سنة 2001، ص5.

مواثيق واتفاقيات حقوق الإنسان الدولية[1] من هذا المنطلق سنحاول الاجابة على الاشكالية التالية:ماهي الطبيعة القانونية للحقوق الثقافية للأقليات وماهو الإطار القانوني لممارستها ؟ .

المبحث الأول:مفهوم الحقوق الثقافية للأقليات في القانون الدولي العام .

إن تحديد مفهوم الأقليات وحقوقها الثقافية في القانون الدولي العام،ليس بالأمر السهل وترجع الصعوبة في دلك إلى عوامل سياسية وقانونية،بالرغم من هدا تبقى مسألة تحديد المفهوم وضبطه من المسائل المهمة لتوفير حماية أكيدة،فالتعرف على الجماعة المراد حمايتها ومضمون حقوقها هو المقدمة الأساسية لإضفاء الحماية عليها.

المطلب الأول: مدى الترابط بين الأقليات وحقوقها الثقافية .

لتحديد مفهوم الحقوق الثقافية للأقليات،كان من الضروري تحديد ما المقصود بمصطلح الأقلية وعلاقتها بحقوقها الثقافية،أي دراسة الترابط القائم بين المفهومين.ولعل أهم نقاط الترابط بين الأقليات وحقوقها الثقافية هو غموض المفهومين وعدم التوصل إلى تعريف متفق عليه لكلا من المصطلحين،وسنوضح العلاقة والترابط المتواجد بين الأقليات والحقوق الثقافية من خلال التعريف بكلا المفهومين وتحديد العناصر التي يرتكزان عليها .

الفرع الأول:تعريف الأقليات ذات الخصائص الثقافية في القانون الدولي العام. .

ليس من السهل التوصل إلى تعريف متفق عليه لمصطلح الأقلية،نظرا لاختلاف معايير تعريفها،فبالرغم من العمل الدؤوب للمنظمات الدولية في هدا المجال لا يزال الغموض يعتري المصطلح .

الأقلية الثقافية مصطلح عام يطلق على جميع الأقليات من عرقية ولغوية دينية وقومية واثنيه، وهي تلك الجماعات التي تصر على الحفاظ على هويتها وارثها الثقافي المادي وغير المادي في مجتمع غير متجانس ثقافيا،وتطالب بالتمايز عن بقية أفراد الأغلبية،ومهما اختلفت مطالبها إلا أن مطالبها الثقافية تبقى من أهم حقوق الأقليات وتشملها جميعا،فالحقوق الثقافية ترتبط ارتباط وثيق بالأقليات مهما اختلفت تصنيفاتها على اعتبار أن الأقلية هي ظاهرة ثقافية قد يشترك أفرادها في واحد أو أكثر من مقومات اللغة أو الدين أو العرق.

أولا:المحاولات الفقهية والقانونية لتعريف الأقليات ذات الخصائص الثقافية. قبل التطرق إلى المحاولات الفقهية والقانونية لتعريف الأقلية الثقافية،يمكننا التطرق إلى دور بعض الموسوعات العلمية أهمها الموسوعة العربية التي عرفتها بأنها:"مجموعة من الناس يختلفون في بعض سماتهم عن المجموعة الرئيسية التي تشكل غالبية المجتمع،وتعد اللغة والمظهر والدين ونمط المعيشة والممارسات الثقافية لهده المجموعة من أهم مظاهر الاختلاف."[2]

أما الموسوعة البريطانية فعرفت الأقلية:"بأنها جماعة يرتبط افرداها بثنايا وروابط معينة مثل وحدة الأصل أو اللغة أو العقيدة الاثنية كما يشعر هؤلاء الأفراد بأنهم مختلفون بصدد هده الروابط من أغلبية سكان دولتهم.[3]

من خلال ما تقدم نلاحظ أن معظم التعريفات الواردة في الموسوعات العلمية ركزت على أهم الخصائص الذاتية والثقافية التي تميز الأقلية عن غيرها كاللغة والدين والاثنية مع تمسكها بالحفاظ على هويتها الثقافية وتاريخها وتراثها ولغتها وعادتها وتقاليدها.

1/**المحاولات الفقهية لتعريف الأقلية ذات الخصائص الثقافية:**من بين أهم الفقهاء العرب الدين ركزوا على المعيار الداني والخصائص الثقافية الاستاد "**علوان محمد يوسف**" عرفها بأنها:" مجموعة من الأفراد أقل عددا من أغلبية مواطني الدولة،وهي في وضع غير مسيطر وتتوافر لها خصائص اثنيه أو دينية أو لغوية تختلف عن بقية السكان وتظهر ولو

---

[1]- **محمد سنوسي**: الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان ، دار الشروق القاهرة 2003، ص.203.

[1]- **حسام محمد هنداوي:**" القانون الدولي العام وحماية حقوق الاقليات"، دار النهضة العربية،القاهرة،ص 84.

[3]- المــرجع نفســـه .

بشكل مستتر إحساسا بالتضامن بغية الحفاظ على ذاتيتها الثقافية أو خصائصها المتميزة." [1] .وعرفها الاستاد **أحمد سويلم العمري** بأنها:" مجموعة من السكان لهم عادة جنسية الدولة غير أنهم يعيشون بذاتيتهم،ويختلفون عن غالبية المواطنين في الجنس واللغة والعقيدة والثقافة والتاريخ والعادات". [2]

لم يختلف موقف فقهاء الغرب في تعريفهم للأقلية معتمدين على المعيار الثقافي والمعنوي ومنهم السيد **كابوتورتي فرانسيسكو**[3] في تقريره المقدم عام 1988 بشأن حماية حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقلية اثنيه أو لغوية أو دينية عرف الأقلية بأنها:" مجموعة أقل عددا من بقية سكان الدولة ،يكون أعضاؤها في وضع غير مسيطر ومتمتعين بجنسية الدولة الموجدين على إقليمها،ويتصفون بصفات تختلف عن تلك التي يتصف بها سائر مواطني الدولة،كما يظهرون بشكل ضمني شعورا بالتضامن هدفه المحافظة على ثقافتهم وتقاليدهم أو على ديانتهم و لغتهم.[4] من خلال هده المحاولات الفقهية نستنتج:اتفاق معظم الفقهاء العرب والغربيين على المعيار الذاتي الشخصي والذي يميز الأقلية وان هذا التمايز يقوم أساسا على الخصوصيات الثقافية كوحدة الدين واللغة والعادات والتقاليد والمصير المشترك والإرث الثقافي المادي وغير المادي،وهدا إن دل على شيئ إنما يدل على شدة الترابط بين المفهومين أي بين الأقليات وحقوقها الثقافية.

2/المحاولات القانونية لتعريف الأقليات وترابط المصطلح بالحقوق الثقافية:لم تتعرض لا الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان ولا النصوص الدولية الخاصة بالأقليات لتقديم تعريف للأقلية،لهدا سنحاول التطرق لبعض التعريفات القانونية المقدمة من طرف بعض اللجان وفي بعض المشاريع التحضيرية للاتفاقيات الأوربية.

أ/تعريف الأقلية من طرف اللجنة الفرعية لمنع التمييز وحماية الأقليات.[5]حاولت اللجنة الفرعية لمنع التمييز وحماية الأقليات في دورتها الثالثة عام 1950 تعريف الأقلية بأنها:"تلك الجماعة التي تتمتع بخصائص وتقاليد جنسية أو دينية أو لغوية معينة تختلف بصورة واضحة عن بقية الشعب، بحيث يكون بإمكانهم المحافظة وتطوير هده الخصائص والتقاليد.[6] وفي دورتها الرابعة أكدت اللجنة على أن الأقلية هي تلك الجماعات التي لها أصل عرقي ثابت وتقاليد ثابتة وصفات تختلف بصفة واضحة عن بقية الشعب،ويجب أن تكون هذه الأقلية قادرة للحفاظ على تقاليدها وصفاتها.[7]م تعاود اللجنة الفرعية محاولتها لتعريف مصطلح الأقلية إلا عام1968 في دورتها العشرين من خلال القرار رقم 9 المتعلق بدراسة تطبيق المبادئ الواردة في المادة 27 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية،مع الاهتمام بتحليل مفهوم الأقلية والاخد بعين الاعتبار ثلاث عناصر مهمة في تعريفها هي: **العوامل الاثنية واللغوية والدينية.**[8]. وفي هدا الإطار قامت اللجنة

---

[1]-**عبد السلام ابراهيم بغدادي**:"الوحدة الوطنية ومشكلة الاقليات، في افريقيا،"الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،2000،ص78

[2]-**أحمد وهبان**:"الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر،دراسة في الأقليات والجماعات والحركات العرقية،دار الجامعة الجديدة للنشر ،الاسكندرية،2001،ص100.

[3]- **كابوتورتي** هو خبير ايطالي معني بقضايا الأقليات وهو العضو السابق باللجنة الفرعية لمنع التمييز وحماية الأقليات التابعة للأمم المتحدة.

[4] -**Francisco Capotorti**:Etude des droits des personnes apartennant aux minorites ethniques,religieuses,languistiques, Nation Unies,New York,1991,p 1,2.

[5]- تعد اللجنة الفرعية لمنع التمييز وحماية الأقليات إحدى أجهزة الأمم المتحدة التي أنشأت من طرف لجنة حقوق الإنسان في دورتها الأولى عام1947 وهدا من أجل تقدريها لمنع التمييز وحماية الأقليات من أثر معم على انجاز مهام الأمم المتحدة في مجال حقوق الإنسان،ومند إنشائها لم تتوانى اللجنة عن محاولة تعريف مصطلح الأقلية.

[6]-the sub,commission on the prevention of discrimination and the protection of minorities,draft resolution on definition of minorities,UN .Doc E/CN4/sub ,2/119,p37

[7]-Rapport de la commission des droits de lhomme sur les travaux de la troisieme session de la sous,commision,document des Nations Unies,E/CN ,4 janvier 1950,ch ,VI et résolution C

[8]-Rapport de la commission des droits de lhomme sur sa premiere session,document officiel du conseil economique et sociale,quatrieme session 1947,supplement no 3,E /259,chapitre IV.

بتعيين السيد **كابوتورتي** مقررا خاصا لإعداد دراسة حول حقوق الأشخاص المنتمين للأقليات **الاثنية والدينية اللغوية**.[1]،تبنى السيد* **فرانشيسكو كابوتورتي*** في الفقرة568في تقريره عام 1977 التعريف الأتي:هي" جماعة تحتل مرتبة أدنى من الناحية العددية مقارنة **ببقية سكان** الدولة يكون لها مركز غير مهيمن ويكون أفرادها من مواطني الدولة ويتميزون بخصائص اثنية أو دينية أو لغوية تختلف عن تلك التي يتميز بها بقية السكان ويظهرون وان بشكل ضمني شعورا بالتضامن يوجه نحو المحافظة على ثقافتهم أو تقاليدهم أو دينهم أو لغتهم".[2]

إن اللجنة الفرعية في تعريفها للأقلية لم تعدد أنواع الأقليات ولم تذكر مصطلح الأقلية الثقافية صراحة،لكنها ركزت على أهم معيار يميز الأقلية عن غيرها وهو الخصائص الثقافية كالدين اللغة الاثنية والتقاليد والإرادة الجماعية في الحفاظ عليها،وتركيزها على الاقلية اللغوية والدينية والاثنية،وهو إقرار ضمني بقيام علاقة وطيدة بين الأقليات وحقوقها الثقافية،واعتراف بالاقلية الثقافية.

ب/تعريف الأقلية في مسودة الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان:حيث قررت بانها:"جماعة عددها أقل من تعداد بقية السكان في الدولة حيث يتميز أبناؤها عرقيا ولغويا ودينيا عن بقية أعضاء المجتمع ويحرصون على استمرار ثقافتهم أو تقاليدهم أو دياناتهم أو لغتهم".[3] وهو نفس الاتجاه الذي تبناه البرتوكول الإضافي للاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان فقد عرفت الأقلية القومية:" مجموعة من الأشخاص في دولة ما مقيمين على إقليمها ومواطنيين لها،ويتمتعون بروابط قوية ودائمة مع هذه الدولة،يتحلون بصفات إثنية،ثقافية،دينية،لغوية متميزة يشكلون عددا كافيا ولكنهم أقل عددا من باقي سكان الدولة ويرتبطون معا بإرادة عيش شترك للحفاظ على العناصر المكونة لهويتهم المشتركة خاصة المتعلقة بثقافتهم أو بتقاليدهم وعاداتهم،أوبدياناتهم ولغتهم."[4]

ثانيا:معايير تحديد مفهوم الأقليات ذات الخصائص الثقافية.هناك من المعايير التي لها علاقة مباشرة بالحقوق الثقافية كالمعيار الموضوعي والذاتي أي المعنوي،وسنتطرق إلى هادين المعيارين حتى يتسنى لنا معرفة دورهما في تبيان العلاقة بين الاقلية وحقوقها الثقافية.

أ/دور المعيار المادي في التعريف بالأقلية الثقافية.يندرج ضمن هذا المعيار عدد من العناصر المحددة لتعريف الأقلية الثقافية والمميزة بينها وبين بعض المفاهيم الشبيهة بها.

1/عنصر الخصوصيات المميزة. تتمثل هده الخصائص في اللغة أو الدين أوالثقافة أوالعرق أو الاثنية[5].التي بموجبها يمكن للأقلية المطالبة بحقوقها اللغوية أو الدينية أو الثقافية كالعادات والتقاليد والإرث الثقافي.[6] وهدا ما ذهبت المحكمة المحكمة الدائمة للعدل الدولي في رأيها الاستشاري الصادر 1930/07/31 بخصوص الجماعة اليونانية والبلغارية بنصها:"حسب العرف فإن المجموعة تبدو أنها جماعة من الأشخاص تعيش في دولة أو منطقة معينة لديها عرف،دين ،لغة وتقاليد خاصة بها ومتحدة بواسطة هويتها،ولها شعور بالتضامن من أجل المحافظة على تقاليدها وممارسة شعائرها

---

[1]-التقرير المرحلي الثاني المقدم من السيد اسبيورن أيدي للجنة الفرعية حول السبل والوسائل الممكنة لتسهيل حل المشاكل التي تشمل الاقليات حلا سلبيا ،وثيقة E/CN.4/sub ,2L1992L37

[2]-Human Rights series, No ,5(Unieted Nations publications,sales,No,E91?XIV.2)

[3]- المادة الاولى من قانون حماية حقوق الاقليات الصادر عن المبادرة الاوروبية المركزيةبتورينتو في 18 نوفمبر1994،وتسري الاتفاقية الاوروبية لح ا في القانون الداخلي للدول التي صادقت عليها،أنظر **عبد العزيز سرحان**:"الاتفاقية الاوروبية لحماية حقوق الانسان والحريات الأساسية والقواعد المكملة لها طبقا للمبادئ العامة للقانون الدولي"،الطبعة الاولى،دار النهضة العربية ،القاهرة،بدون تاريخ نشر،ص 209.

[4]- **Stéphane pierré Caps**,peut on parler actuellement dun droit européén des minorites ?,AFRI ?Vol 40,1994,p86.

[5]-**السيد محمد جبر**، المرجـــع الســـابق، ص 82_83.

[6]-**الشافعي محمد البشير**:"القانون الدولي العام في السلم والحرب،"مكتبة الجلاء الحديثة،ط3،1976،ص 108.

الدينية ومن أجل ذلك تثقف وتعلم أطفالها حسب طوائفها...الخ[1]وقد تبنته أيضا المحكمة في رأيها الاستشاري الصادر6أفريل1935 بشأن مدارس الأقليات في ألبانيا،وينطلق هذا الاتجاه من منطلق التباين بين أفراد الشعب الواحد من حيث الجنس، الدين، اللغة، الثقافة.فوفقا للمحكمة تكون الأقلية:" مجموعة من الأفراد داخل الدولة تختلف عن الأغلبية من حيث اللغة والثقافة أو العقيدة.

2/ المقومات الثقافية:يعد المعيار الثقافي أهم معيار في تحديد العلاقة بين الأقليات وحقوقها الثقافية، لان الأقلية هي في الأساس ظاهرة ثقافية قد يشترك أفرادها في احد المقومات كالدين و العرق أو اللغة او الاثنية ،كما أن المعيار الثقافي هو ما أخد به العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية في نص المادة 27 وكذا إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الأشخاص المنتمين لأقليات قومية أو إثنية أو دينية أو لغوية الصادر سنة 1992،ومن أهم المقومات الثقافية التي تعد بمثابة معايير لتعريف الأقلية الثقافية:

أ/**اللغة والثقافة:**تعد اللغة رابطة تواصل فهي أداة للتعبير والتفاهم الروحي بين أفراد الجماعة اللغوية،فوحدة اللغة تؤدي إلى حفظ التراث القومي،سواء في مجال التعليم أو التقاليد على نحو يؤدي إلى خلق شعور بالتجانس والتجاوب بين أفراد الجماعة،من هنا نجد أن الاختلافات اللغوية بين الجماعات البشرية تؤدي إلى اختلافات ثقافية،فإن وحدة اللغة والثقافة والمكان والزي والطعام تعد من المقومات المهمة في تأكيد الذاتية العرقية.[2]

ب/الدين: اشتراك جماعة ما في العقيدة يعتبر مقوما بارزا من المقومات الذاتية العرقية لتلك الجماعة،فالعقيدة الدينية على وجه الخصوص لها تأثير بالغ على سلوك الجماعة،فالاختلافات الدينية تؤدي الى اختلافات في طرق وأساليب الحياة الثقافية.[3]

ب/**دور المعيار الشخصي في تعريف الأقلية الثقافية**:اعتمد أصحاب هذا الاتجاه على أساس داخلي نفسي يتجلى من شعور أبناء الأقلية، لذا ووفقا لوجهة نظر أصحاب هدا المعيار فانه لا يمكن اعتبار مجموعة معينة أقلية تحظى بحماية القانون الدولي لمجرد وجود خصائص موضوعية متميزة كالدين أو اللغة أو العرق أو الثقافة،ولكن يتعين أن يكون لدى أفراد الأقليات الرغبة في الحفاظ على تراثهم وتقاليدهم ودينهم ولغتهم. هدا الاتجاه الذي أيدته كما ذكرناه سابقا المحكمة الدائمة للعدل الدولي في رأيها المتعلق بالمعاهدة المعقودة بين اليونان وبلغاريا عام1919مؤكدتا على الشعور بالتضامن من افرد الاقلية للمحافظة على حقوقهم الثقافية[4].من هذه النقطة بالذات تظهر العلاقة الوطيدة ما بين الأقليات وحقوقها الثقافية،فلا يمكن وصف جماعة ما بالأقلية إلا إذا جمعت بين عناصر موضوعية متميزة عن بقية أفراد الأغلبية،مع وجود شعور قوي بالتضامن فيما بينها للحفاظ على ثقافتها أو استعمال لغتها وممارسة شعائرها الدينية،وكأن الترابط بين الأقليات وحقوقها الثقافية هو أمر في غاية الأهمية،إذ أنه إذا لم تحافظ الأقليات على حقوقها الثقافية فلن تحافظ على وجودها كجماعات متميزة.

ثالثا/تصنيف الأقليات حسب مقوماتها الثقافية:ركز الكثير من الباحثين في تعريفهم للأقلية على جملة من المعايير،لكن سنركز في هده الورقة البحثية على المعيار الموضوعي بالتحديد عنصر المقومات الثقافية كاللغة والدين والعادات والتقاليد،التراث المادي وغير المادي،كالاقلية لغوية ودينية واثنية.[5] وحتى الأقلية العرقية التي ترتكز على مقوم العرق أو

[1]-**Advisory opinion**,the permanent court of international justice Greco_Bulgarian ; Communities ,serieB .N =7 «31 July 1930,op,cit,p30.

[2]-**Ven nom Vandyke**, the cultural rights of peoples ,Universal Human Rights ,Vol,11, No ,london,1980,Earl, M,Co, p3.

[3]-**David L .Sills**,ed International Encyclopedia of the social sciences,vols,New york ,free press,Macmillan,1968vol,10,p365.

-[4]**Advisory opinion**,the permanent court of international justice international justice ; Greco_Bulgarian ; Communities ,serieB .N =7 «31 July 1930,op,cit,p30.

[5]- **غليون برهان**:"الاثنية والقبلية ومستقبل الشعوب البدائية،مجلة التسامح ،العدد الثاني والعشرين،2003،ص5.

السلالة كلون البشرة أو العينين أو الشعر لها من المقومات الثقافية التي تتمسك ها،ويرجع تمايزها إلى الترابط بين عرقها وحقوقها الثقافية.[1] .

أ/الأقلية الاثنية:انصبت حماية الأقليات في عهد عصبة الأمم على الأقليات العرقية والدينية واللغوية،إلا أن الأمر تغير في منظمة الأمم المتحدة،حيث جرى استبدال مصطلح العرقية بالإثنية خلال الأعمال التحضيرية لنص المادة 27 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية،لسنة1966،ومنذ الستينات أصبح هذا المصطلح يستخدم للدلالة على جماعة بشرية يشترك أفرادها في اللغة والدين والعادات والتقاليد و الثقافة وأي سمات أخرى مميزة كالأصل والصفات الجسمانية. والزي والموسيقى والفنون، فالأقلية الاثنية هي جماعة بشرية متميزة عن الجماعات الأخرى تتمتع بثقافة مستقلة نسبيا ولها شعور تضامني داخلي يوحدها حول مواصفاتها الثقافية.

ب/الأقلية اللغوية[2]:عرفت المادة الأولى من الميثاق الأوروبي للغات الجهوية والأقلية الصادرفي1992/11/15 الأقلية اللغوية بأنها:" مجموعة أشخاص تستعمل لغة متداولة عادة على إقليم دولة ومختلفة عن اللغة الرسمية لهذه الدولة" يرتبط أفراد الأقلية اللغوية بوحدة اللغة فتكون هي الرابطة أو المقوم الأساسي لتمايزها عن باقي المجموعات،وهذا التباين اللغوي ينتج عنه حتما التباين الثقافي،لكن يخرج عن مفهوم اللغات اللهجات فاختلافها داخل الدولة لا ينطبق على وجود أقليات لغوية. ومن أمثلة الأقليات اللغوية الأقلية الفرنسية التي تتحدث بالفرنسية في إقليم كيبيك بكندا في حين تتحدث الأغلبية في باقي الأقاليم الانجليزية،وكذا الأقلية البربرية في الجزائر التي تتحدث اللغة الامازيغية في حين أن الأغلبية تتحدث اللغة العربية.

3/الأقلية الدينيــة:[3]تمثل العقيدة مقوما بارزا من المقومات الثقافية،فالدين مقوم رئيسي لذاتية وهوية البشر وأساس تمايز الجماعات ومن شأنه إقامة حضارة أساسها الاختلاف الديني. تعرف الأقلية الدينية على أنها جماعة من الناس ترتكز هويتها على أساس استخدام ديانتها،والتي تختلف عن الدين الرسمي للدولة الأم،ويوجد في عالمنا المعاصر العديد من الديانات،على سبيل المثال مصر ،لبنان،بورما،السودان،الفيليبين[4].

الفرع الثاني:**تعريف الحقوق الثقافية في القانون الدولي العام.**

بالرغم من ورود مصطلح الثقافة في العديد من المواثيق والاتفاقيات الدولية،إلا أنه وليومنا الحالي لم يقدم تعريف قانوني دقيق متفق عليه،وهذا لصعوبة الموضوع وتشعبه وتعقيده،لكن سنتعرض لأهم المحاولات الدولية في إطار منظمة الأمم المتحدة الرامية إلى الإحاطة بمفهوم الحقوق الثقافية مع توضيح علاقتها هده الأخيرة بالأقليات.

أولا:جهود الأمم المتحدة لتعريق الحقوق الثقافية: بعد عرض موجز لبعض الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان نجد أنها أشارت إلى الحقوق الثقافية كحق من حقوق الإنسان،كما عددت صور وأشكال هذه الحقوق وكيفية ممارستها،إلا أنه اللافت للانتباه لم تتوصل هذه النصوص والإعلانات إلى تعريف قانوني متفق عليه لهده الحقوق،لكن اتفقت جميعا على اعتبارها جملة من الخصائص المادية للجماعات العرقية والدينية والاثنية.[5]

---

[1] -**Vetter (t),** commentaryon the concepet of national,minorities RDH.Vol ,VII 2 /1974 .p224 .

[2] -**Robert Dunbar,**minority language rights in international law,ICLQ .Vol ,50 ;january,2001,p96.

[5] - المادة الاولى من الميثاق الاوروبي للغات الاقليمية أو لغات الاقليات،الصادر عن مجلس أوربا عام 1992 الذي دخل حيز التنفيد عام1998.

[3] -**أماني صالح وعبد الخبير عطا محروس:**"العلاقات الدولية والبعد الديني والحضاري،التأصيل النظري للدراسات الحضارية"،العدد 5 من سلسلة التأصيل للدراسات الحضارية،دمشق، دار الفكر ،2008،ص 105،106.

[4] - المـــرجع نفســـه ، ص 107.

[5] -**Ghadli Kouidri**,les droits culturels dans le droit international du développement,thése de doctorat soutenue à Montpellier en 1979,p 11.

ويمكن الاعتماد على بعض التعاريف العملية التي عددت صور الحقوق الثقافية كما هو وارد في المادتين 26،27 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمادة27 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية والمادة 15من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية.

1/اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعريف بالحقوق الثقافية .

للجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية دور مهم جدا في توضيح مضمون الحقوق الثقافية ونجد أهم التعريفات ما ورد عن اللجنة إثر تعليقها العام رقم 21 الصادر في نوفمبر2009 بشأن حق كل في أن يشارك في الحياة الثقافية الفقرة 1(أ) من المادة 15 من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، أن الثقافة تشمل:"أساليب الحياة واللغة والأدب الشفوي والمكتوب والموسيقى والأغاني والاتصال غير الشفوي والدين أو مجموعات المعتقدات والطقوس والاحتفالات والرياضة والألعاب وأساليب الإنتاج أو التكنولوجيا والبيئات الطبيعية والاصطناعية والمأكل والملبس والمأوى والفنون والعادات والتقاليد التي من خلالها يعبر الأفراد ومجموعات الأفراد عن إنسانيتهم والمعنى الذي يعطونه لوجودهم وتشكل الثقافة وتبرز قيم الرفاه والحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للأفراد ومجموعات الأفراد والمجتمعات."[1]وأشارت اللجنة في تعريفها للحقوق الثقافية أنه يجب أن لا ينظر إلى مفهوم الثقافة على أنه سلسلة من المظاهر المتفرقة أو المقصورات المغلقة،بل يجب اعتبارها عملية تفاعلية يعبر عبرها الأفراد والمجتمعات عن الثقافة الإنسانية مع الحفاظ على خصوصياتهم ويجب على المرء أن يضع في اعتباره أن الأمم والجماعات العرقية والجماعات الثقافية هي كيانات متعددة الإيديولوجيات [2] .

2/تعريف الحقوق الثقافية في تقرير المقررة الخاصة بالحقوق الثقافية.[3]

رسمت السيدة فريدة شهيد الخبيرة المستقلة في مجال الحقوق الثقافية عملا بقرار مجلس الأمن رقم23/10 في التقرير الأول المقدم إلى مجلس حقوق الإنسان وجهات النظر الأولية بشأن الإطار ألمفاهيمي والقانوني للحقوق الثقافية وأقرت الخبيرة بعدم وجود تعريف رسمي للحقوق الثقافية واعتمدت الخبيرة في تعريفها للحقوق الثقافية على التعاريف العملية خاصة ديباجة الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي والتعليق العام رقم 21 لسنة 2009 بشأن الحق في المشاركة في الحياة الثقافية،وانطلاقا منها أكدت الخبيرة على أن الثقافة:"هي عملية حية تتسم بكونها عملية تاريخية وحيوية ومتطورة،وأنها سلسلة من المظاهر المتفرقة أوعملية تفاعلية يعبر عبرها الأفراد والمجتمعات المحلية عن الثقافة الانسانية مع الحفاظ على خصوصياتهم"[4] .وأن الحقوق الثقافية ترتبط بجملة واسعة من القضايا مثل التعبير والإبداع في أشكال منها المادية وغير المادية المختلفة للفن واللغة والهوية والانتماء إلى جماعات متنوعة ومتغيرة،وأساليب الحياة والتعليم والتدريب والاستفادة

---

[1]-ا انظر التعليق العام رقم 21 للجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بشأن الحق في المشاركة في الحياة الثقافية وثيقة رقم E/C.12/GC/21، فقرة 13 ،ص04.

[2]-Epharim Nimni, collective dimenssions of the right to take part in cultural life ، ورقة مقدمة الى اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية،يوم المناقشة العامة بشأن الحق في المشاركة في الحياة الثقافية، E/C.12/40/17 . ص8،

[3]-في عام 2009، أنشأ مجلس حقوق الإنسان، بموجب قراره 23/10، ولاية الخبير المستقل في مجال الحقوق الثقافية ومُدِّدت فترة الولاية في عام 2012 بموجب القرار 6/19 الذي أسند فيه المجلس إلى المكلفة بالولاية مركز المقررة الخاصة في مجال الحقوق الثقافية. ومُدّدت فترة الولاية مجدداً في عام 2015 ثلاث سنوات بموجب القرار 9/28. وفي 2 تشرين الأول/أكتوبر 2015، عُينت كريمة بنّون في هذا المنصب بعد أن أتمّت فريدة شهيد مدة ولايتها الثانية.

[4]-أنظر تقرير الخبيرة المسقلة في مجال الحقوق الثقافية ،السيدة فريدة شهيد ،المقدم عملا بقرار مجلس حقوق الانسان رقم 23/10 بتاريخ 22مارس2010 وثيقة رقم A/HRC/14/36.

من الحياة الثقافية والتراث الثقافي المادي وغير المادي، ويمكن أن تحمي الحقوق الثقافية سبل الاستفادة من التراث الثقافي والموارد التي تسمح بإثبات الهوية.[1]

تعريف الحقوق الثقافية في صكوك حقوق الإنسان الثقافية.أهم المحاولات في هدا المجال جهود منظمة التربية والعلم والثقافة"اليونيسكو"[2]خاصة المحاولة التي عرضت على المائدة المستديرة بموناكو التي قرر فيها الحاضرون صعوبة ايجاد تعريف متفق عليه لهده الحقوق،لكن أكدت اليونيسكو على ضرورة ضبط من هم الأشخاص المتمتعين بهده الحقوق وتحديد شخصيتهم القانونية،خاصة ادا تعلق الأمر بالشعوب الأصلية والاقليات.

1/الإعلان العالمي حول التنوع الثقافي:بدأت المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) العمل على دراسة الحقوق الثقافية وتعريفها منذ 1968، ولم تتوصل إلى وضع صيغتها شبه النهائية إلا سنة 1998 حين أصدرت "مشروع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الثقافية " الذي تبين لاحقا أنه بحاجة إلى نصوص إضافية مكملة ، تغطي مسألة التنوع التي ظهرت على شكل ملحق أصدرته اليونسكو عام 2001 تحت عنوان" الإعلان العالمي حول التنوع الثقافي".والذي يبدو صك فريد من نوعه أورد حقوق مصنفة أنها حقوقا ثقافية،فقد تطرق في ديباجته إلى التعريف العملي للحقوق الثقافية وفي نص المادة05 التي عرفت الحقوق الثقافية بأنها تشمل:"مجمل السمات المميزة،الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي يتصف بها مجتمع أو مجموعة ما،والتي تشمل الى جانب الفنون والأدب طرائق الحياة وأساليب العيش ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات".[3]

2/اعلان فريبـورغ:لا نغفل دور إعلان فريبورغ في تعريفه للحقوق الثقافية في المادة 2 :"بأن مصطلح الثقافة يشمل القيم والمعتقدات والقناعات واللغات والمعارف والفنون والتقاليد والمؤسسات وأنماط العيش التي يعبر بها الشخص أو المجموعة عن إنسانيتهم والدلالات التي يعطيها لوجوده وتطوره."[4]وفي هدا الإطار حدد إعلان فريبورغ ثمانية حقوق يمكن تصنيفها بالحقوق الثقافية والمتعلقة بالهوية الثقافية والتراث الثقافي وحرية الانتماء لمجتمع واحد أو عدة مجتمعات والاستفادة من الحياة الثقافية والمشاركة فيها.

3/إعلان المكسيك الخاص بالسياسات الثقافية لسنة1992:عرف الثقافة على النحو الاتي:" مجموعة من السمات الروحية والمادية الفكرية التي تميز مجتمع ما أو مجموعة اجتماعية معينة،فهي تضم إلى جانب الفنون والآداب،أنماط الحياة والحقوق الأساسية،كما تضم القيم والعادات والمعتقدات،فهي تجعل الإنسان كائنا متعقلا وعقلانيا،تزوده باليات التفكير ومن خلاله يعبر الإنسان عن ذاته.

المطلب الثاني:تعريف الحقوق الثقافية للأقليات في القانون الدولي العام.

لا تترسخ الحقوق الثقافية في الأفراد ولكن في المجموعات،مثل الأقليات الدينية واللغوية والاثنية ومجتمعات الشعوب الأصلية،وتشمل الحقوق الثقافية للأقليات قدرة المجموعة في الحفاظ على ثقافتها لتربية أطفالها على طريقة أسلافها،ومواصلة التحدث بلغتها،ويمكن أن ترتبط كمفهوم واسع أيضا بمسار التنمية الثقافية ومن ثمة حق تقرير المصير،الحق في حرية الفكر،العقيدة،التجمع،الحق في التعليم،الحق في الوصول إلى هذه الثقافة والحفاظ عليها

الفرع الأول:مضمون الحقوق الثقافية للأقليات.

---

[4]- تقرير المقررة الخاصة في مجال الحقوق الثقافتعزيز وحماية جميع حقوق الانسان،الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بما فيها الحق في التنمية، الصادر في 3فيفري 2016،وثيقة رقمA/HRC/31/59

[2]-أنشأت اليونيسكو في أول نوفمبر 1945إثر المؤتمر التأسيسي الذي عقد في لندن ضم 44 دولة واعتمد ميثاقها التأسيسي في 16نوفمبر 1945 ودخل حيز النفاد في 04نوفمبر 1946 من أهداف ميثاقها صون السلم والامن بالعمل عن طريق التربية والعلم والثقافة وتوثيق عرى التعاون بين الامم.

[3]- الفقرة الخامسة من ديباجة اعلان اليونيسكو العالمي بشان التنوع الثقافي.

[4]- انظر المادة 02 من اعلان فريبورغ بشأن الحقوق الثقافيةعلى الموقع الالكتروني: www.unifr.ch/iedh/files/declarations/eng_déclaration pdf

أشارت اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تعليقها العام رقم 21 بشأن الحق في المشاركة في الحياة الثقافية،إلى حقوق الجماعات وأفراد الجماعات الثقافية إما بصورة مباشرة بذكر مصطلح الأقليات وحقوقها الثقافية أو بصورة غير مباشرة[1].ولقد أعطت لجنة حقوق الإنسان حق الأقلية في التمتع بثقافتها معنى واسعا ،فأشارت في تعليقها رقم 23(50) بشأن التعليق على المادة 27 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية،وفي استنتاجاتها الصادرة عن البلاغات الفردية المعروضة أمامها،إلى أن ممارسة الحقوق الثقافية المعترف بها للأقليات تشمل عدد من الأنشطة التقليدية الاقتصادية مثل صيد الأسماك أو صيد بعض الحيوانات والحق في العيش في محميات طبيعية.وممارسة العادات والتقاليد والطقوس الدينية،حفاظا على الإرث المشترك.[2]

أولا/الحقوق المندرجة ضمن الحقوق الثقافية للاقليات:هناك جملة من الحقوق المرتبطة بالحقوق الثقافية للأقليات التي لا يمكن لها كجماعات راغبة في التميز الاستغناء عنها أو ومن أهم هذه الحقوق:

أ/الحق في التعليم:يعد التعليم شرط أساسي لانتقال ثقافة الأقلية بين أفرادها،ووسيلة لصيانتها والإبقاء عليها،فالتعليم لا ينفصل عن القيم بأي حال من الأحوال،والتعليم الرسمي الذي تكفله الحكومات مصمم لتوصيل قيم مهمة واجب الحفاظ عليها،لكن قد تتعارض تلك القيم والمضامين مع القيم التي تسعى ثقافة الأقلية إلى إشاعتها فيما بينها،وبالمثل فعندما يهدف التعليم الى تعزيز ثقافة جماعة من الجماعات فإنه قد يحمل قيما معادية لحقوق الجماعات الاخرى[3].كما وتطرقت المادة الخامسة من اتفاقية اليونيسكو للقضاء على أشكال التمييز في التعليم لعام1960،لمضمون حق الأقلية في التعليم،وأكدت على دوره في حماية كيان وهوية الأقليات المتمايزة،خاصة ادا كان التعليم بلغة الأقلية.[4]

ب/حق الأقلية بالجهر بدينها وأتباع تعاليمه:هناك العديد من الفقهاء من يعتبر الدين هو إحدى أهم الحقوق الثقافية للأقليات،على خلاف الفريق الأخر الذي اعتبره حقا مستقلا بذاته خاصة المسلمين،لكن يبقى الدين إحدى أهم المقومات الثقافية،فهو أساس تمييز المجموعات والاختلاف في الثقافة،وهذا ما أكدته اللجنة المعنية بحقوق المرأة في تعليقها العام رقم 48/22 الصادر سنة 1993 بشأن المادة 18من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية.[5] وتظهر كذلك العلاقة بين الحق في الثقافة والدين في حرية الوجدان والفكر،وإقامة الشعائر الدينية والطقوس الخاصة بدينهم.وإنشاء المدارس الدينية[6].

ج/ حق الأقلية في استعمال لغتها:تمثل اللغة الأداة الرئيسية التي يعبر فيها الأشخاص المنتمين لأقليات عن خصوصياتهم الثقافية وعن هويتهم الاثنية أو القومية،كما أنها اداة للتواصل بينهم داخل جماعتهم،هذا ما جعلها تلقى اهتمام فائق من الصكوك

---

[3]-انظر الوحدة 17 بشأن الحقوق الثقافية، عن دائرة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية،برنامج الامم المتحدة الانمائي.

[1]- الوحدة 17 بشأن الحقوق الثقافية ،المرجــــــع السابق .

[2]-**Yvonne Donders**;UNESCO and cultural rights,la declaration universelle des droits de l'homme,1948_2008 Réalité d'un ideal commun!les droits économiques,sociaux et culturels en question,actes du colloque international organize par la commission nationale consultative des droits de l'homme et le commissaire aux droits de h'homme du conseil de l'europe,le 16 et17 octobre 2008 à Strasbourg,la documentation fransaise,Paris;2009, p145,146.

[4]-المادة 05 من اتفاقية اليونيسكو للقضاء على جميع أشكال التمييز في التعليم لعام 1960 .

[5]- انظر التعليق العام رقم 48/22 الصادر سنة 1993 للجنة المعنية بحقوق الانسان بشأن المادة 18 المتعلقة بالحق في حرية الفكر والوجدان والدين من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية .

[6]- **Hazem Sagieh and Saleh Bechir**, "The 'Muslim community': a European invention", Open Democracy, 16 October 2005. Available at www.opendemocracy.net/conflict-terrorism/community_2928.jsp

الدولية المتعلقة بحماية حقوق الأقليات،فلم تكتفي النصوص الدولية بمبدأ المساواة وعدم التمييز للاعتراف للأقلية بحقوقها اللغوية،فاختلاف اللغة من جماعة إلى أخرى أساس للتنوع الثقافي.[1] .

يشمل حق الأقليات في استعمال لغتهم العديد من الصور لها علاقة بالحقوق الثقافية، كاستخدام لغتهم الخاصة في علاقاتهم،وفي وسائل الاتصال وفي التعليم وفي القضاء وإنشاء صحف خاصة بهم.

د/اختيار نوع السكن من الحقوق الثقافية للأقليات.يعكس السكن الذي يختلف في بنائه المعماري وشكله من بلد إلى أخر أو حتى البلد الواحد.يعكس الاختلاف في الثقافات بين الأقليات ففي الجزائر مثلا نجد أن السكنات التي يقطنها القبائل أو بني مزاب لا تتشابه مع سكان الأغلبية،فهي تختلف من حيث معمارها والأماكن الموجودة فيها،وقد أوضحت اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تعليقها العام رقم 4 بشأن الحق في السكن أن سياسات توفير السكن الملائم يجب أن يحترم الهوية الثقافية للمجموعات وتنوعها الثقافي[2].وهذا ما يثبت أن الحق في السكن يعد من الحقوق الثقافية.

ه/ الصحة ونظم الطب التقليدية إحدى الحقوق الثقافية للأقليات.ترتبط الصحة كما عرفتها منظمة الصحة العالمية بالحقوق الثقافية،فالعلاقة بينهما ليست بسيطة،فالصحة النفسية والبدنية ترتبط بالثقافة ارتباطا وثيقا،فإدا حرم الشخص من الحق في المشاركة في الحياة الثقافية، فإن صحته النفسية تتعرض للتدهور. وتتداخل الحقوق الثقافية للأقليات بالطب التقليدي لأن المداواة بالأعشاب التقليدية وممارسة بعض العادات الطبية يعكس هوية وثقافة هذه الفئات وهذا ما اعترف به إعلان ألما ،أتا الصادر 1978[3] .فقد ندد هدا الاخير بالممارسات الطبية التي تختلف وثقافات وأديان بعض المجموعات،ولكن سرعان ما اتجهت الدول لتقليص نظام المداواة بالطرق التقليدية،وممارسة سياسيات التميز في هذا المجال مع تطوير نظام المؤسسة الطبية الحديثة.[4] .

و/التراث الثقافي للأقليات: تصف الخبيرة المستقلة في مجال الحقوق الثقافية التراث الثقافي المادي بأنه المواقع والهياكل والمخلفات ذات القيمة الأثرية أو التاريخية أو الدينية أو الثقافية أو الجمالية،وغير المادي مثل العادات والتقاليد والممارسات والمعتقدات الجمالية والروحية واللغات الدارجة أو غيرها من اللغات وأشكال التعبير الفنية والفلكلور والرقص والموسيقى،والتراث الطبيعي مثل المحميات الطبيعية وغيرها من مناطق التنوع البيولوجي المحمية والمنتزهات التاريخية والحدائق والمناظر الطبيعية الثقافية[5]." أما اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي لعام 2003 فتعرف التراث الثقافي غير المادي أنه:"الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية التي تعتبرها الجماعات والأفراد، جزءا من تراثهم الثقافي،وهذا التراث الثقافي غير المادي ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها."[6]. يشمل التراث الثقافي للأقليات المظاهر المادية وغير المادية لأساليب عيشها

---

[1]-**Denise Reaume**, the groupe rights to linguistic security ;whose rights ,what duties !in J .Bak _group rights , Toronto ,University of Toronto Press, 1994 .p 94

[2]-الفقرة 8 ز من التعليق رقم 4 للجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بشأن الحق في سكن ملائم المادة 11 فقرة 1 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية.

[3]-Déclaration of Alma _Ata, International conférance on primary health care, Alma_Ata ,USSR ,6_12 Septembre 1978,section 6 ;para,7 .

[4]- انظر التعليق العام رقم 21 للجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بشأن الحق في المشاركة في الحياة الثقافية وثيقة رقم E/C.12/GC/21

[5]- انظر الفقرة 04 من تقرير الخبيرة المستقلة في ميدان الحقوق الثقافية،فريدة شهيد،مقدم الى مجلس حقوق الانسان في 21مارس2011.،وثيقة رقم A/HRC/17/38

[6]-انظر المادة 02 من . اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي المعتمدة من طرف المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، المنعق باريس من 29 سبتمبر إلى 17 أكتوبر 2003 ، في دورته الثانية والثلاثين، أنظر وثائق منظمة اليونيسكو على الموقع الالكتروني: www .unesco .org

وعاداتها وتقاليدها،بما في ذلك اللغة والفنون والموسيقى والرقص والأناشيد والقصص والرياضات والألعاب التقليدية والأماكن المقدسة ومدافن الأجداد، فإن حفظ التراث بالنسبة للأقليات يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحماية الأراضي التقليدية وملازم لها، فمفهوم التراث التقليدي للأقليات مفهوم شمولي تتوارثه الأجيال ويستمد جذوره من قيم مادية وروحية مشتركة تتأثر بالطبيعة وهو يشمل أيضاً التراث الثقافي الأحيائي ونُظم إنتاج الغذاء التقليدية كالزراعة الموسمية،ورعي الماشية،ومصائد السمك التقليدية، وأشكال أخرى لتسخير الموارد الطبيعية.[1]

الفرع الثاني:علاقة الحقوق الثقافية للأقليات بما شابهها من مفاهيم.

لتوضيح ما المقصود بالحقوق الثقافية،سنتطرق إلى بعض المفاهيم التي لها علاقة مباشرة بالحقوق الثقافية

أولا:علاقة التنوع الثقافي بالحقوق الثقافية للأقليات.يرتبط التنوع الثقافي بالأقليات من جوانب عديدة كالاعتراف بحقوقها الثقافية داخل المجتمعات المتعددة الهويات.وتعزيز وجودها ككيانات متمايزة لها ثقافتها المغايرة

أ/تعريف التنوع الثقافي:التنوع الثقافي إغناء للثقافات،فهو يحمل فكرة التعايش بين أكثر من مظهر ثقافي داخل نفس الوسط المجتمعي،ويظهر التنوع الثقافي أكثر لدى المجتمعات التي تحوي كيانات ثقافية مختلفة وتظهر هذه العلاقة أكثر بين الأكثرية والأقلية.[2]فالتنوع الثقافي لا يقتصر على مفاهيم الثقافة ومظاهرها بل هو أداة سياسية وقانونية توفر الشرعية لجماعات ثقافية للاعتراف بوجودها داخل مجتمع متنوع ثقافيا.ويرتبط مفهوم التنوع الثقافي بالتعددية الثقافية في عدة جوانب كونها تتعامل مع الجماعات المتمايزة ثقافيا،فالتعددية نهج للتعايش والتسامح ما بين مكونات ثقافية مختلفة. جاء التعريف القانوني للتنوع الثقافي في كل من الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي لسنة2002 واتفاقية اليونيسكو لحماية وتعزيز أشكال التعبير الثقافي 2005. أقرت المادة الأولى من إعلان اليونيسكو بشأن التنوع الثقافي:" تراثا مشتركا للانسانية، ويتجلى هذا التنوع في أصالة وتعدد الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية"[3]وعرفته المادة04 فقرة01 من اتفاقية اليونيسكو لحماية وتعزيز أشكال التعبير الثقافي2005:"بأنه تعدد الأشكال التي تعبر عنها الجماعات والمجتمعات عن ثقافتها وأشكال التعبير يتم تناقلها داخل الجماعات والمجتمعات وفيما بينها، ولا يتجلى التنوع الثقافي في تنوع أساليب التعبير عن التراث الثقافي للبشرية وإثرائه ونقله بواسطة أشكال التعبير الثقافي المتنوعة،بل يتجلى أيضا من خلال تنوع أنماط ابداع أشكال التعبير الفني وإنتاجها ونشرها وتوزيعها والتمتع".[4]

ب/دور التنوع الثقافي في الحفاظ على الحقوق الثقافية للأقليات:أكدت المادة الرابعة من إعلان اليونيسكو بشأن التنوع الثقافي على العلاقة الأكيدة بين الأقليات والتنوع الثقافي،لأن هذا الأخير من شأنه الاعتراف لها بحقوقها الثقافية كجماعات متميزة،فالدفاع عن التنوع الثقافي واجب أخلاقي يفترض الالتزام باحترام الهويات الثقافية،أضافت المادة الخامسة من ذات الإعلان أن الحقوق الثقافية هي الإطار الملائم للتنوع الثقافي[5]

---

[1]- تقرير الخبيرة المستقلة في مجال الحقوق الثقافية ،وثيقة رقم A/HRC/14/36، الفقرة10 .

[2]- **باريخ بيخو**:"إعادة النظر في التعددية الثقافية والتنوع الثقافي والنظرية السياسية،"دمشق ،الهيئة العامة السورية للكتاب،2007،ص20.

[3]- انظر المادة الاولى من اعلان اليونيسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي،المعتمد من طرف المؤتمر العام لليونيسكو في دورته الحادية والثلاثين في باريس20 نوفمبر 2001،انظر وثائق منظمة التربية والعلوم والثقافة على الموقع الالكتروني: www .unesco .org

[4]-انظر المادة 04فقرة01 من اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي،المعتمدة في باريس في 20 أكتوبر 2005 ،انظر وثائق منظمة التربية والعلوم والثقافة على الموقع الالكتروني: www .unesco .org

[5]- المؤسسة المعنية بالعلاقات بين المجموعات العرقية، the Lund recommendations on the effective, participation of national minorities in public life,and explanatory note، سبتمبر 1999 ، ص 16 .

وهذا ما عبرت عنه الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم174/64 في الفقرة العاشرة مؤكدتا على أن التنوع الثقافي يعد واجب أخلاقي يفترض الالتزام بحماية حقوق الإنسان وبما فيها حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات،فيضمن لهم الحق في المشاركة في الحياة الثقافية،واحترام الهويات القومية والاثنية واللغوية والدينية[1].

ثانيا:علاقة الهوية الثقافية بالأقليات.يرتبط مفهوم الحقوق الثقافية للأقليات بالعديد من المفاهيم كالتنوع الثقافي والخصوصية الثقافية والهوية الثقافية،وسنركز في هده النقطة بالذات على علاقة الهوية بالحقوق الثقافية للأقليات. يقصد بها السمات والخصائص التي ينفرد بها الكائن البشري،أو مجموعة بشرية تجعلها تتميز عن الهويات الثقافية الأخرى،وتتمثل هده الخصائص في الدين واللغة والتاريخ والتراث والعادات والتقاليد.وعليه فالهوية الثقافية تبنى على الإحساس القوي للإنسان بنفسه وتمييزه في المعتقدات والأفكار،فترتبط الهوية بالبعد الثقافي،ومن أهم المفاهيم التي قدمت للهوية الثقافية ما تبنته منظمة اليونيسكو بأن:"الهوية الثقافية تعني أننا أفرد نتنتمي لجماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية،ويتضمن أيضا الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها وإحساسنا بالخضوع له والمشاركة فيه." [2]أما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "الاسيسكو"عرفت الهوية الثقافية بأنها النواه الحية للشخصية الفردية والجماعية والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة بالاحتفاظ مكوناتها الثقافية الخاصة وميزاتها الجماعية."[3] من خلال التعريفات السابقة للهوية الثقافية نجد أن لها ثلاث مستويات منها الهوية الفردية والهوية الجماعية والهوية الوطنية والقومية،والأقليات الثقافية تريد الحفاظ على النوع الثاني من الهويات أي الهوية الجماعية،فالهوية الثقافية جزء لا يتجزءا من الحقوق الثقافية،فالحفاظ على هده الأخيرة هو تكريس لهوية الأقليات .

المبحث الثاني:الطبيعة القانونية للحقوق الثقافية للأقليات وإطارها القانوني.

تأخد الحقوق الثقافية مكانا محوريا على صعيد العمل الحقوقي،لإقامة نظام عالمي أكثر عدلا،لا يشتمل على عدالة المساواة فقط،بل يعكس صور هده الحقوق وكيفية التمتع بها،وإطارها القانوني،خاصة وأن للحقوق الثقافية مقارنة بباقي الحقوق طبيعة خاصة.نظرا للتجليات الكثيرة للثقافة،والى ترابطها مع باقي الحقوق.

تندرج الحقوق الثقافية ضمن الجيل الثاني من حقوق الإنسان،وهي مترابطة وغير قابلة للتجزئة،وهدين مبدآن أساسيان من مبادئ القانون الدولي لحقوق الإنسان تم تأكيدهما في المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان عام1993"[4]. ويقصد بهدا المبدأ أن الحقوق الثقافية كغيرها من الحقوق تسري على جميع الأفراد على أساس المساواة وعدم التميز،وأنها توجب التزامات محددة على الحكومات،وانه يجوز التقاضي بشأنها.

تطرح مسألة تحديد الطبيعة القانونية للحقوق الثقافية للأقليات إشكالات عديدة،فالمسألة ليست بالبسيطة،والسبب في هدا يرجع الى الطبيعة الخاصة لهده الحقوق من جهة والى فئة المستفدين منها،فهي تارة تظهر كحقوق فردية يتمتع به الفرد ككائن بشري تقرر له جملة من الحقوق الثقافية،وتارة أخرى تظهر الحقوق الثقافية بمظهر الحقوق الجماعية،لاسيما إدا تعلق الأمر بحماية الجماعات كالأقليات.فالحقوق الثقافية لا يكون لها معنى إن لم يمارسها أفراد

---

[1]- برنامج الامم المتحدة الانمائي،تقرير التنمية البشرية لعام 2004، ص 23، وثيقة رقم . E/C .12/40/17

[2]- كلمة السيد"كويشيرو ماتسورا" رسالة المدير العام لليونيسكو بمناسبة الاحتفال بالسنة الدولية للغات2008،على موقع اليونيسكو http:// www.un.org.arabic.events.iyl

[3]- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،الخطة الشاملة للثقافة العربية،ط2،تونس،ادرة الثقافة،د،ت،ص،21 .

[4]- الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية،دليل للمؤسسات الوطنية لحقوق الانسان،الامم المتحدة،سلسلة التدريب المهني،العدد رقم 12 ،نيويرك، وجنيف ،2005،ص 4 .

الأقليات بالمشاركة فيما بينهم مع شعورهم بالتضامن للحفاظ على خصائصهم الثقافية. وعليه تكون الحقوق الثقافية مجزئة بين حقوق الإنسان وحقوق الأقليات.

المطلب الأول:الحقوق الثقافية للأقليات هي حقوق فردية أم جماعية: .

ترتكز الحقوق الثقافية للأقليات على مجموعة من الحقوق الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها من طرف أفراد الأقلية بصفتهم الإنسانية أو بوصفهم أفراد في الجماعة،والنوع الثاني من هده الحقوق هي التي يطالب بها الأقليات كجماعات متمايزة حفاظا على وجودهم وهويتهم الثقافية. يمكن تقسيم الحقوق المعترف بها للأقليات إلى حقوق جماعية وحقوق جماعات،فالطائفة الأولى تثبت للأشخاص المنتمين الى أقليات وليس للأقليات ذاتها بصفتها كائنات أو أشخاص مستقلة،فهي في حقيقتها حقوق فردية ثابتة للأشخاص لكن ممارستها لا يتحقق إلا باشتراك أفراد الأقليات معا في دلك.فالاختلاف الجوهري بين الحقوق الجماعية والفردية يكمن في أن هده الأخيرة يمارسها الفرد بمفرده دون حاجة للاشتراك مع غيره،بينما الحقوق الجماعية لا يتمكن الفرد ممارستها الا في وسط جماعي بالاشتراك مع غيره لكن هدا لا ينفي كونها حقوق فردية بالنسبة للمنتفع بها وهدا هو شأن الحقوق الثقافية للأقيات.أما فيما يتعلق بحقوق الجماعات فهي الحقوق التي تثبت للجماعة أي للأقلية بصفتها هده،فهي ليست بالحقوق الفردية آو الجماعية وإنما حقوق جماعات مستقلة عن أفراها،وهدا النوع من الحقوق ما ترفض الدول الاعتراف به لأقلياتها.[1]

الفرع الأول:الحقوق الثقافية للأقليات حقوق فردية[2].يتم تصنيف الحقوق الى فردية وفقا لمعياريين أولهما هو طبيعة الحق في حد ذاته والثاني هو الشخص المستفيد منها،ومنه تقسم الحقوق الفردية الى حقوق مدنية وسياسية وحقوق اقتصادية واجتماعية وثقافية[3]. .

إذا تفحصنا حقوق الاقليات بصفة عامة وحقوقها الثقافية بصفة خاصة لوجدنا في طبيعتها خليط بين الحقوق الفردية والجماعية.لكن سنركز في هده النقطة على الحقوق الثقافية للأقليات التي تعتبر حقوقا فردية يستفيد منها أفراد الاقليات داخل النسيج الاجتماعي ككل،إذ أن حقوق الفرد وحرياته الأساسية تتداخل في نسيج وحريات باقي أفراد المجتمع ومنه يمكن وصف الحقوق الثقافية في هدا الصدد بالحقوق الفردية.ومن بين أهم الحقوق الثقافية التي تمارس بشكل فردي مايلي: حق كل فرد في المشاركة في حياة المجتمع والتمتع بالفنون والاداب والمساهمة في التقدم العلمي,والحق في حرية البحث العلمي،فالحرية الفكرية لها علاقة وطيدة بالحقوق الثقافية،والحق في حماية المصالح المعنوية والمادية للمنتجات الفكرية والعلمية والادبية.

ان الاساس الاخر لتمتع الاقليات بالحقوق الثقافية من منظور فردي هو الاشارة الى هده الحقوق ضمن الاحكام الواردة في صكوك حقوق الانسان الدولية العالمية كالاعلان العالمي لحقوق الانسان في المادة 27 منه و المادة 15 من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها من الاتفاقيات دات الطابع الخاص والمتعلقة بمنع التميز ،إضافة الى الاشارة الى هده الحقوق في بعض الاتفاقيات الاقليمية كالاتفاقية الاوروبية لحقوق الانسان. ومنه تعتبر الحقوق الثقافية كغيرها من حقوق الانسان فهي تثبت للانسان،كالحق في التعليم وحرية الدين وحرية الانضمام الى الجمعيات

---

[1]-**محمد يوسف علوان،محمد خليل الموسى**:"القانون الدولي لحقوق الانسان،الحقوق المحمية"،الجزء الثاني،2005،ص 481.

[2]-الحقوق الفردية هي الحقوق التي ثبت الفرد بصفته وحدة قانونية متميزةبغض النظر عن انتمائه لمجموعة معينة وبالتالي تمكنه من ممارستها بمفرده،انظر **قادري عبد العزيز**:"حقوق الانسان في القانون الدولي والعلاقات الدولية،المحتويات والاليات،دار هومة للنشر،2003،ص 16.

[3]-**Christian Tomuschat** ,Human rights between Idealism and realism, Oxford ,university press ,2003,p24

الثقافية،فحق طفل أقلية ما في التعليم بلغته الام أو التدين بدين ابائه وحق الفرد الاقلية في المجاهرة بدينه وممارسة عاداته تعد من قبيل الحقوق الفردية.[1]

أكدت اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تعليقها رقم 21 على المادة15 بشأن الحق في المشاركة في الحقوق الثقافية،بإمكانية ممارسة هده الحقوق بشكل فردي أو بالاشتراك مع الاخرين وهدا ان دل على شيئ إنما يدل على تأكيد اللجنة على الطابع الفردي للحقوق الثقافية.[2]

الفرع الثاني:الحقوق الثقافية للاقليات حقوق جماعية[3]:بالرغم من استفادة افراد الاقليات من الاحكام المتعلقة بالحقوق الثقافية والمنصوص عليها في المواثيق الدولية لحقوق الانسان،الا انه ومع تزايد تفاقم مشكلة الاقليات تنبأت الامم المتحدة أن قواعد حقوق الانسان لم تساعد الاقليات على بلوغ أهدافها ،لهدا اتجهت المنظمة الى تدعيم فكرة الحقوق الخاصة أو الحقوق الجماعية من أجل حماية هده الجماعات

من المستقر أن الاقليات لا تكتفي بالمساواة في المعاملة مع الاشخاص الاخرين،فهي تنزع الى المطالبة لتطوير هويتها الاثنية وهي مسألة تستوجب تواصلا بين أعضائها،وهدا ما يتطلب معاملة تفضيلية فيما يخص ثقافتهم ولغتهم وديانتهم وهويتهم الاثنية.ومنه فالحقوق الثقافية تعد من الحقوق الجماعية التي تمارس في اطار فردي،حتى أن البعض يعتبرها من قبيل التمييز الايجابي والدي كرسته قواعد القانون الدولي لحقوق الانسان

أكدت الخبيرة المستقلة في مجال الحقوق الثقافية في تقريرها المتعلق بتعريف الحقوق الثقافية على ارتباط الحقوق الثقافية بالبعد الجماعي،فوصفتها بالحقوق الجماعية خاصة عند الاشارة الى الحياة الثقافية والى الحق في المشاركة فيها الدي تمت الاشارة له في الاحكام الدولية الخاصة بالاقليات،كالمادة 27 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية التي أكدت على احترام ثلاث انواع من الحقوق تعد بمثابة الحقوق الثقافية وهي:الحق في التمتع بالثقافة الخاصة،والحق في اعلان وممارسة الديانة الخاصة والحق في استخدام اللغة الخاصة،فنصت صراحة على على ممارسة هده الحقوق من طرف أفراد الاقليات بالاشتراك مع الاعضاء الاخرين[4].

أكد إعلان الامم المتحدة الخاص بالاقليات لعام 1992 على مجموعة من الحقوق الثقافية التي يمارسها الاشخاص المنتمون لاقليات بصفة فردية ،وبالاشتراك مع باقي أفراد جماعتهم،فأكد بدلك الاعلان على البعد الجماعي للحقوق الثقافية للأقليات.وفي هدا الاطار يمكن تقسيم الحقوق الثقافية الى:

أولا:الحقوق الثقافية للاقليات حقوق خاصة فردية:هي الحقوق التي يفترض لممارستها وجود جماعة من الناس يعيشون كوحدة اجتماعية أصغر،داخل وحدة أكبر،وهدا النوع من الحقوق يعتبر حقوقا جماعية تم النص عليه في الصكوك الخاصة بحماية الاقليات وتتمثل هده الحقوق في: الحق في التمتع بالثقافة الخاصة،الحق في المشاركة في الحياة الثقافية،الحق في اعلان وممارسة الديانة الخاصة،الحق في استعمال اللغة الخاصة،الحق في التعليم باللغة الأم،حق الاقلية الثقافية في انشاء روابط خاصة[5].

---

[1]-**Jack Donnely:***Human rights,Individual and collectives rights,Human rights in a pluralist world;individuals and ollectives,introduction item,the rights to cultural identity,UNESCO and RSC,p34 .

[2]-**محمد يوسف علوان،محمد خليل الموسى**، المرجع السابق ،ص 482.

[3]-الحقوق الجماعية هي تلك الحقوق التي تثبت للأفراد ولكن التمتع بها وممارستها لا يتم الا من خلال الجماعة كالحق في العمل،الضمان الاجتماعي،الحق في الاضراب والحريات النقابية، حرية التعبير والاجتماع والتجمع،فالحقوق الجماعية هي تلك الحقوق التي لا تتم ممارستها الا بشكل جماعي،انظر **رياض صالح أبو العطا**:"الحقوق الجماعية في ضوء القانون الدولي العام،دار الجامعة الجديدة،الازاريطة،القاهرة،2009،ص 64.

[4]-**الهام عيداروس،احمد راغب**:"تقرير الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافيةفي 2009،القاهرة مركز هشام مبارك،مرصد الحقوق الاقتصادية والاجتماعبية والثقافية،ص100.

[5]- **صلاح سعيد ابراهيم الديب**:"حماية حقوق الاقليات في القانون الدولي العام،المرجع السابق،ص 162.

ثانيا:الحقوق الثقافية للاقليات حقوق خاصة جماعية:وتعرف بحقوق الجماعات تكون هده الحقوق لصيقة بدات الجماعة،لا يمكن ممارستها او المطالبة بها بشكل فردي،فيمارسها الافراد مجتمعين بوصفهم كيان جماعي متميز عن غيره من الجماعات.وتعرف هده الحقوق بحقوق الجماعات لأنها تثبت للاقلية بصفتها هده،ومن الحقوق الجماعية الخاصة التي لها علاقة بالحقوق الثقافية هو حق الاقلية في الحفاظ على هويتها والحماية من الابادة الثقافية.[1]ويعتبر هدا الحق من أهم الحقوق الخاصة الجماعية للاقلية،فهو مقرر لمصلحة الجماعة وهدا تأكيدا لهويتها،ويعنبر هدا الحق هو الحق الاساسي لتتمتع الجماعة وأفرادها بحقوقها الثقافية.

يشمل هدا الحق حماية الارث الديني والثقافي الأساسي لهوية الأقليات بما في ذلك المكتبات والكنائس وكل ما له علاقة بالهوية الثقافية للاقليات،وقد ألزمت الصكوك الدولية كاعلان حقوق الاشخاص المنتمين للاقليات في المادة الاولى منه،وكدا المادة 27 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية الدول الاطراف بحماية وجود الاقلية من خلال احترام الهوية الاثنية واللغوية والدينية والقومية.فقد اضحى حق الاقلية في حماية وجودها الثقافي وحمايتها من الابادة الثقافية قاعدة من قواعد القانون الدولي العرفي،واعترفت به الصكوك العالمية او الاقليمية[2].

الفرع الثالث:البعد الفردي والجماعي للحقوق الثقافية للأقليات.تتميز الحقوق الثقافية للاقليات بطبيعة قانونية خاصة وهدا بالنظر الى معيارين،أولهما يرجع الى نوع الحقوق المراد حمايتها،والمعيار الثاني بالنظر الى الشخص المراد حمايته،واعمال المعيارين يجعل من الحقوق الثقافية والخاصة بالاقليات على وجه التحديد تدور في فلك الحقوق الجماعية التي تمارس في اطار فردي،أو ما تعرف بالحقوق الفردية الخاصة التي تقرر للافراد باعتبارهم جزءا من جماعة،ومن ناحية اخرى تصنف الحقوق الثقافية للاقليات بأنها حقوق جماعية خاصة أي حقوق جماعات، وهدا ما ترفض الدول الاعتراف لها به نظرا لاعتبارات عديدة أهمها السياسية[3].فعلى سبيل المثال لا يمكن ان يتمتع بالحق في المشاركة في الحياة الثقافية الا افراد جماعة ثقافية معينة كالاقليات مثلا.كما أنه نجد أن الحقوق الثقافية في العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفي النصوص الخاصة بالاقليات جاءت معرفة تعريفا فرديا،مثل الحق في حرية الدين والحق في حرية التعبير عنه والحق في تكوين الجمعيات والانظمام اليها،وهي ذات بعد فردي وجماعي في نفس الوقت.أما بالنسبة لحق الاقلية في حمايتها من الابادة الثقافية والحفاظ عليها وعلى هويتها وتراثها الثقافي الخاص،فهي حقوق جماعية خاصة تمارس في اطار جماعي[4]. تناولت الدول الحقوق الثقافية باعتبارها حقوقا فردية أساسا لأن الاحكام الواردة في الصكوك الدولية المتعلقة بحقوق الانسان معرفة من حيث الفرد في المقام الاول باستثناء الحق في تقرير المصير الثقافي الذي يمثل كما هو مذكور في العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مادتيهما الاولى حقا لجميع الشعوب وليس للاقليات،فقد كان القلق يساور الدول بشأن منح جماعات ككل حقوق ثقافية خشية أن تتطور مطالبها لتصل لحد تقرير المصير الثقافي والسياسي[5]. وهذا النهج الجماعي يهدد استقرار مجتمعاتها،ولكن بالرغم من هذا لم يكن البعد الجماعي للثقافة موضع تجاهل تام كما يدل على ذلك ظهور

---

[1]-**ممدوح سالم:**"الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم العربي"،أعمال الندوة الاقليمية حول تفعيل العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الدار البيضاء،ادار الكتب والوثائق القومية،الطبعة الاولى،2003.

[2]-**جانوس سيموندس،ترجمة بهجت عبد الفتاح:**"الحقوق الثقافية نوعية مهملة من حقوق الانسان،المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية،اليونيسكو،العدد 158،ديسمر 1998،ص 145.

[3]-**محمد وليد وعلي سالم:**"حماية حقوق الانسان في اطار الامم المتحدة،رسالة ماجيستير ،كلية الحقوق ،جامعة الجزائر، 1999،ص 23.

[4]- تقرير اليونسكو العالمي لعام 2009، الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات ،ص 225 على الموقع الالكتروني: htpps ://Books,gogle,dz/Books id – Bjgs ,DjDUXREC , printsec = frontover ,ghl=ar

[1]- انظر الفقرة 07 من التعليق العام رقم 50/23 للجنة حقوق الانسان بالصادر في 1994شأن التعليق على المادة 27 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية.

حقوق الاقليات الثقافية في الاعلان المتعلق بحقوق الاشخاص المنتمين الى أقليات قومية أو اثنية ودينية،فهو ينص صراحة على عدد من الحقوق الثقافية،ويعترف الاعلان بالبعد الجماعي لهذه الحقوق[1]،فالاحكام ذات الصلة بالاقليات أو بحقوق الانسان ليست مصاغة باعتبارها حقوقا للجماعات بل باعتبارها واجبات تقع على عاتق الدول وهذا معناه أن الجماعات ليست موضوع هذه الاحكام بل هي الاخرى مستفيدة منها كأفراد ضمن هذه المجموعات.وحتى وان كان هناك أبعاد جماعية في الكثير من نصوص حقوق الانسان ومنه مثلا الحق في تكوين النقابات فهو حق جماعي فان الفرد أساسا هو صاحب الحق ويجب عدم الخلط بين الابعاد الجماعية لحقوق الانسان والحقوق الجماعية التي تشكل ضرورة أساسية لسلامة الامم والجماعات ورفاهها وبقائها، وتعترف قلة من الصكوك المتعلقة بحقوق الانسان بالحقوق الجماعية بصفتها هذه ومازالت هذه الحقوق حتى الان من الصعب المطالبة بها ومن الصعب انفادها

المطلب الثاني:ارتباط طبيعة الحقوق الثقافية للاقليات بطبيعة قواعد حقوق الانسان.

مما لا شك فيه هي تميز الحقوق الثقافية للأقليات بطبيعة متميزة بالنظر الى أفراد الاقلية المراد حمايتها والى الجماعة بذاتها،لكن وبالرغم من هدا ترتبط الحقوق الثقافية للاقليات بالطبيعة القانونية لقواعد حقوق الانسان،فهي لا تخرج عن المبادئ العامة التي تحكم تلك القواعد.

الفرع الاول:الحقوق الثقافيةللاقليات قاعدة امرة أم قاعدة إلزام في مواجهة الكافة.

سنتطرق للطبيعة القانونية الامرة لحقوق الاقليات من خلال التطرق للقواعد الامرة وصلتها بحقوق الانسان،ثم سنربط الصلة بين القواعد الدولية الامرة وحقوق الاقليات ومنها الحقوق الثقافية،فهل تعتبر الحقوق الثقافية للأقليات من القواعد الامرة؟.

أولا:مفهوم القواعد الدولية الامرة وقاعدة الالزام في مواجهة الكافة[2].اختلف الفقه حول طبيعة القواعد الامرة لحقوق الانسان،فدهب البعض من الفقه الى اعتبار قواعد حقوق الانسان من القواعد الامرة التي لا يجوز للدول مخالفتها.ومن الفقه مالم يسند لكل تلك القواعد الصفة الامرة،وبالرغم من هدا التناقض الا أن القواعد الامرة في القانون الدولي أصبحت حقيقة مؤكدة وهدا ما تم تأكيده بالفعل في اتفاقية فينا لقانون المعاهدات لسنة1969 ففي نص المادة53:"تعتبر المعاهدة باطلة بطلانا مطلقا ادا كانت وقت ابرامها متعارضة مع قاعدة امرة من قواعد القانون الدولي[3]."وبمقتضى المادة 64 من ذات الاتفاقية فإنه:"إذا ظهرت قاعدة امرة جديدة من قواعد القانون الدولي فإن أية معاهدة قائمة تتعارض مع هده القاعدة تصبح باطلة وينتهي العمل بها.[4]"

تجدر الاشارة الى أن فكرة القاعدة الامرة الدولية الامرة قد وجدت في العرف الدولي،الذي اشتملت قواعده على مبادئ وقيم مثلى،تلتزم كافة الدول من أبرزها تلك التي تحمي الحقوق الفردية والجماعية كحظر ارتكاب جريمة الابادة الجماعية بكل صورها ومنع الاضطهاد الممارس ضد الاقليات الدينية واللغوية والعرقية.

أما بالنسة الى الالتزامات في مواجهة الكافة مصالح تحمل العالمية وبالتالي تكون مقررة لمصلحة دولية عامة،فهي تقترب من مفهوم القواعد الامرة لكن تختلف في بعض النقاط التي بينتها لجنة القانون الدولي،فالاتزام في مواجهة الكافة يحمل

---

[1]- تقرير اليونسكو العالمي لعام 2009، الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات،ص226، المرجــع السابــق .

[3]- تعتبر من بين القواعد الامرة الحقوق الاساسية للانسان التي لا يمكن المساس بها في وقت السلم أو الحرب ومنها منع التمييز وحظر التعديب،منع الابادة الجماعية،الحق في الحياة،ومن بين الحقوق التي تعتبر قواعد امرة الحقوق المنصوص عليها في ميثاق الامم المتحدة كحظر استعمال القوة في

[2]- الالتزام بمواجهة الكافة هو حق في مواجهة كل أشخاص القانون الدولي،أو أنه حق يستخدم ضد كل من يتصرف بالتناقض مع هدا الالتزام،انظر **محمد بو سلطان**:"المبادئ العامة للقانون الدولي العام"،الجزء الثاني،دار الغرب للنشر والتوزيع،الجزائر1999، ص 200 .

[3]- انظر المادة 53 من اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات .

[4]- انظر المادة 64 من اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات .

مفهوم ضيق من حيث قوة الالزام.[1] غير أن الأستاد"**حيدر الطائي**" يرى أن معيار التميز من حيث وضوح القواعد الامرة من حييث دلالتها، في حين أن الالتزامات في مواجهة الكافة تتعدد تفسيراتها وبالتالي تتعدد خيارات التنفيد،وخير مثال يقدمه الحق في تقرير المصير بوصفه نمودج على غموض قواعد الالتزام في مواجهة الكافة لما يواجهه من اختلاف في تفسيره من دولة الى اخرى ومن جماعة قومية الى اخرى داخل الدولة[2] .

ثانيا:الحقوق الثقافية للاقليات من القواعد امرة في القانون الدولي.لقد اختلف الفقه بشأن اعتبار حقوق الاقليات قواعد دولية امرة،فمنهم من أكد على أنها حقوق دولية تفرض التزام دولي،فحماية حقوق الاقليات بما فيها حقوقها الثقافية يستند الى القواعد الدولية لحقوق الانسان التي تعتبر قواعد امرة يمكن لأفراد الاقليات الاستفادة منها،بل أكد هدا الجانب من الفقه أن القواعد الدولية العرفية التي اهتمت بحقوق الاقليات هي المصدر الوحيد للقواعد الدولية الامرة،والمثال الاوضح هو تجريم ومنع جريمة الابادة الجماعية بما فيها الابادة الثقافية للجماعات الاثنية واللغوية والدينية،التي تعتبر من القواعد الامرة ومنه تعتبر قاعدة الزام في مواجه الكافة،تلزم الدول بمنع ارتكابها ومنه يمكن للاقليات الثقافية الاستفادة من أحكام الاتفاقية الدولية لمنع جريمة ابادة الجنس البشري لسنة1948والتي تعد احدى الاحكام القانونية لحماية الهوية الثقافية ووجود الاقلية كجماعة متميزة[3] .

ثالثا:الحقوق الثقافية للأقليات قواعد الزام في مواجهة الكافة.تعددت الاتفاقيات والاعلانات العالمية والاقليمية التي تخص حقوق الاقليات خاصة حقوقها الثقافية،فمعظم هده الصكوك يشير اليها،حتى أصبحت هده الحقوق شأنا عالميا وهدا يمثل ضمان لحماية هده الحقوق.

إن القواعد الخاصة بحماية الحقوق الثقافية للاقليات وسواء كانت مدكورة في الاتفاقيات العامة لحقوق الانسان،فضلا عن الاتفاقيات والاعلانات الخاصة بحقوق الاقليات،إلا أنه تبقى تخضع لقاعدة الأثر النسبي للمعاهدات،فهي لا تلزم الا الدول الأطراف فيها،ومنه لا تعد قواعد حماية حقوق الاقليات الثقافية من قبيل القواعد الامرة التي تلزم الدول الغير مصادقة عليها[4].ولكن تبقى هده القواعد تحت طائلة الالتزام القانوني بتطبيقا نظرا لتكرارها فهي تشكل بتكرار النص عليها قواعد قانونية تكتسب وصف قاعدة الالزام في مواجه الكافة.إد أن أغلب هده الاتفاقيات توجب التزام دولي ويبقى التنفيد وطنيا،فلا وجود لرقابة فاعلة في حالة انتهاك الحقوق الثقافية للاقليات،فإدا تقدمت مثلا جماعة من الاقليات انتهكت احدى حقوقها الثقافية أما المحكمة الاوروبية لحقوق الانسان لرفضت دعواها لأن الدول ترفض مسالة الاعتراف للاقليات بحقوقها كجماعة متميزة[5]

الفرع الثاني:عالمية الحقوق الثقافية للاقليات وترابطها وعدم قابليتها للتجزئة.

الحقوق الثقافية شأنها شأن باقي حقوق الانسان الاخرى،تشكل حقوقا يكتسبها الافراد أو الجماعات،وتنطبق عليها المبادئ العامة لقواعد القانون الدولي لحقوق الانسان،كعالميتها وترابطها وعدم قابليتها للتجزئة.

أولا:علاقة مبدأ عالمية حقوق الانسان بالحقوق الثقافية للأقليات. أشار مجلس حقوق الانسان الى مبدأ عالمية حقوق الانسان في قراره رقم 23/10 ويقصد بهدا المبدأ الحقوق التي تمنح للانسان بصفته انسان ويرجع أساسها للطبيعة

---

[1]- **محمد وليد وعلي سالم**:"حماية حقوق الانسان في اطار ميثاق الامم المتحدة،" رسالة ماجيستير ،كلية الحقوق جامعة الجزائر،2001،ص33 .

[2]-**حيدر أدهم الطائي**، المرجـــع نفســـــه،ص 204 .

[3]- **محمد الطاهر**":الحماية الدولية للأقليات في القانون الدولي العام"،دار النهضة العربية،القاهرة،ص 144.

[4]- **سعد سالم سلطان الشبكي**:"ضمانات حقوق الاقليات في القانون الدولي العام،"رسالة دبلوم عالي في قانون حقوق الانسان،لجنة الاشراف على المطبوعات الجامعية ، الموصل، العراق، 2014، ص 36.

[5]- المـــرجع نفســـــه .

البشرية،فهل ينطبق هدا المبدأ على الحقوق الثقافية للاقليات ومنه تأخد الطابع العالمي[1].إن المستفدين من الحقوق الثقافية هي طائفة معينة من الناس تجمعهم روابط ثقافية متميزة عن الاخرين،فهي لا تمس الانسان بل تمس الجماعة ومنه تهدف الحقوق الثقافية الى حماية البعد المادي كحماية وجود الاقليات وهويتهم الثقافية،وهدا يعد استجابة لمتطلبات في الطبيعة البشرية،وبما أن هدا التطلع يعتبر أمر عالمي،فإن الحقوق الثقافية تعد حقوقا دات بعد عالمي،لكن من الناحية العملية تطرح مسألة عالمية الحقوق الثقافية للاقليات مشكلة وهي موقف الدول الرافض الاعتراف لها بهده الحقوق كجماعات متمايزة،وخاصة في غياب اليات قضائية رادعة[2]

ثانيا:الاعتماد المتبادل للحقوق الثقافية وعدم قابليتها للتجزئة[3].تترابط الحقوق الثقافية مع غيرها من الحقوق ولا تقبل التجزئة وهذان مبدئان من مبادئ القانون الدولي لحقوق الانسان،أعيد تأكيدهما في مناسبات عديدة منها المؤتمر العالمي لحقوق الانسان سنة 1993[4].تشير جميع معاهدات حقوق الانسان تشير الى الترابط بين الحقوق مهما اختلفت،فالعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لا يقتصر على الحقوق المنصوص عليها ضمنه فحسب كما يظهر ذلك جليا،وانما يمكن ان نجد فيه اشارة الى حقوق اخرى كالحقوق الثقافية مثلا:وخير مثال على ذلك هو نص المادة 27 منه التي تطرقت الى حماية حقوق الاقليات بما فيها الحقوق الثقافية،فاعتراف العهد بالحق في الحياة فيه اقرار غير مباشر بحماية الحقوق الثقافية كاحترام أساليب العيش ونمط حياة الجماعات والحق في التعليم والحق في الصحة.[5] كذلك الحق في السكن وهو وهو حق اجتماعي له علاقة بالحقوق الثقافية للاقليات،لأن السكن يعكس هويتها وانتمائها.وهذا ما أكدته العديد من المحاكم القضائية الدولية.

الخاتمـــة :

تطرح الحقوق الثقافية للاقليات جملة من الاشكالات،منها ما يتعلق بالطبيعة والتصنيف ومنها ما يتعلق بالاطار القانوني الذي تمارس فيه هده الحقوق.فالحقوق الثقافية للاقليات لها خصوصية شأنها شأن باقي الحقوق التي تطالب الاقلية بها وهدا لارتباط مثل هدا النوع من الحقوق بالجماعة وليس بالفرد.فحق الاقلية مثلا في حماية وجودها المادي والحفاظ على هويتها الثقافية المتميزة يعدا من الحقوق التي تثبت للجماعة وليس للفرد من الجماعة. من خلال ما سيق توصلنا الى النتائج التالية:

1/الحقوق الثقافية للأقليات هي حقوق جماعية تمارس في اطار فردي .

2/تأكيد كل من المادة27من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية،واعلان الامم المتحدة بشأن حقوق الاقليات الاثنية واللغوية والدينية على الطابع الجماعي لهده الحقوق.

3/يمكن تقسيم الحقوق الثقافية للأقليات الى قسمين:حقوق فردية خاصة وهي الحقوق التي يستفيد منها أفراد الاقلية بوصفهم جزء من الجماعة كالحق في المشاركة في الحياة الثقافية،والحق في استعمال اللغة الخاصة والحق في التعليم والمجاهرة بالدين.أما النوع الثاني فيوصف بالحقوق الجماعية الخاصة وهي الحقوق التي تمنح للمجموعة بغض النظر عن الافراد كحق الاقلية في الحفاظ على هويتها الثقافية وحمايتها ووجودها الثقافي كجماعة متمايزة.

---

[1]-**باتاريك ثورنبيري**:"الحقوق الثقافية وعالمية حقوق الانسان".ورقة مقدمة الى اللجنة المعنية بالحقوق الاجتماعية والثقافية،يوم المناقشة العامة بشأن الحق في المشاركة في الحياة الثقافية،E/C.12/40/15، ص 2.

[2]- الـمرجـع نفســه .

[3]- تم الاعلان على مبدأ الترابط بين الحقوق وعدم قابليتها للتجزئة في الاعلان العالمي لحقوق الانسان وفي اعلان فيينا لحقوق الانسان 1993 ،وفي العهدين الدوليين للحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

[4]- أحد التأكيدات على هده المبادئ تم اعتمادها ايضا في قرار الجمعية العامة رقم 130/32 المؤرخ في 12دسيمبر 1977والذي يؤكد على أن جميع حقوق الانسان لا تتجزء وهي مترابطة وأن تنفيد جميع الحقوق يجب أن يحظى بتكافؤ في الفرص.

[5]- **زراري حبيبة:"** الحق في التنوع الثقافي،"رسالة ماجيستير،تخصص حقوق الانسان والحريات العامة ،جامعة الجزائر ،2014،2013، **ص58** .

4/الاطار القانوني لممارسة الحقوق الثقافية والتمتع بها يكون وفق منطلقين:منطلق حماية الفرد أي ضمن اطار حماية حقوق الانسان،أو من منطلق حماية الاقلية كجماعة متميزة وفقا للصكوك المتعلقة بحماية الاقليات.

مساهمة رأس المال المخاطر في تمويل الابتكار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة
– تجارب دولية –

أ.عايب فاطمة الزهرة
كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير،
جامعة سطيف 01-

الملخص:تهدف هذه الدراسة إلى توضيح دور رأس المال المخاطر في تمويل الابتكار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة باعتباره الحل الأمثل لمشكل التمويل. وخلصت الدراسة إلا أن رأس المال المخاطر يقوم بتمويل كل مراحل الابتكار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، بداية من الفكرة الأولية إلى غاية الوصول إلى نجاح الفكرة وتحقيقها للعوائد المالية وحصولها على قدرة تمويل ذاتية.

تعد تجربة رأس المال المخطر في الولايات المتحدة الأمريكية هي الأفضل من حيث النتائج المتوصل إليها، ونموذجا للاستفادة منه في الجزائر وفي الدول النامية بصفة عامة.

الكلمات المفتاحية: رأس المال المخاطر، الابتكار، المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، التمويل

Abstract
This study aims to highlight the role venture capital in financing Innovation in small and medium-sized enterprises,

The study concluded that venture capital funds all stages of innovation in small and medium-sized enterprises, from the initial idea to the success of the idea, achieving financial returns and obtaining self-financing capacity.

The risk-taking experience in the United States of America is the best in terms of results and a model for use in Algeria and in developing countries in general.

Keywords : Venture capital, Innovation, small and medium sized enterprise, finance.

مقدمة:

إن الابتكار هو المحرك الرئيسي للتحول الاقتصادي والتنمية، ويعتبر هدفا استراتيجيا وأساسيا من أهداف السياسة الاقتصادية منذ فترة طويلة في الاقتصاديات المتقدمة، ويحظى باهتمام متزايد في معظم الدول النامية، لأنه مصدر من مصادر الميزة التنافسية التي تعد مفتاح لبقاء ونمو المؤسسات الصغيرة والمتوسطة. لكن مشكلة تمويله عائق يقف أمام هذه المؤسسات المبتكرة، وتبحث له عن حلول وطرق مستحدثة لتمويله، ويعد رأس المال المخاطر أحد أهم هده التقنيات لأنه يتحمل قدرا من المخاطرة ويتناسب مع طبيعة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة المبتكرة التي تتميز بدرجة مخاطرة عالية وفي مقابله مردودية عالية في حالة نجاحها ويبقى هو الحل الأمثل لمشكلة تمويل الابتكار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة. وهذا ما يقودنا لطرح الإشكال التالي: ما مدى مساهمة رأس المال المخاطر في تمويل الابتكار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر؟ وكيف يمكن الاستفادة من التجارب الدولية؟

أهمية الدراسة: تنبع أهمية هذه الدراسة من خلال أهمية رأس المال المخاطر كمصدر من مصادر التمويل الحديثة في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وخاصة دوره في تمويل الابتكار ، والتعرف على آلية عمله، وعرض تجربة كل من تونس والولايات المتحدة الأمريكية ومحاولة الاستفادة منها لتطوير وتحسين أداء مؤسسات رأس المال المخاطر في الجزائر.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

- التعرف على رأس المال المخاطر وأهميته في حل مشاكل التمويل في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة؛

- التعرف على إشكالية تمويل الابتكار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة؛
- إبراز مراحل الابتكار وتطور حاجتها للتمويل، وكيفية حل رأس المال المخاطر لهذه المشكلة.

المنهج المتبع: لقد اعتمد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لمعرفة مدى مساهمة رأس المال المخاطر في تمويل الابتكارات في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.

للإجابة على التساؤل المطروح يتطلب ذلك التطرق للنقاط التالية:

أولا: الابتكار، مفهومه ومشاكله التمويلية

1. **مفهوم الابتكار:** تعددت واختلفت التعاريف التي أعطيت للابتكار، ولكن أغلبها تتفق على التفريق بين الإبداع والابتكار فالإبداع هو: " عملية خلق قيمة جديدة موجهة نحو المستهلك (العميل)باعتباره المصدر الرئيسي للمنافسة بين المؤسسات، كما قد يستفيد من هذه القيمة كل أطراف المؤسسة كالعاملين و المساهمين وحتى الشركاء الأجنبيين."[1] ويعرف أيضا بأنه: "توصل إلى حل خلاق لمشكلة ما أو فكرة جديدة."[2] أما الابتكار حسب Schumpeter: " صناعة منتجات أو خدمات جديدة، أو إدخال تحسين على منتج موجود استحداث أسلوب الإنتاج الجديد، فتح منفذ جديد للتوزيع(أي سوق جديد) ،اكتشاف مصدر جديد للمواد الخام أو المنتجات نصف المصنعة، تحقيق وخلف تنظيم جديد. وتكون قابلة للتنفيذ والتطبيق."[3]

من خلال تعريف شمبيتر فإن الابتكار يمكن أن يكون:

- منتجا جديدا أو إدخال تحسين على منتج موجود ، خدمة جديدة، تقنية جديدة، تقنية جديدة في أنماط التسيير أو الإنتاج. ولكن الأهم في ذلك هو إمكانية تنفيذها وتحقيقها في الواقع وتجسيدها، فالفكرة المبتكرة لا تكون ابتكارا إلا إذا تم تنفيذها.

2. **إشكالية تمويل الابتكار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة:** تعد المؤسسات الصغيرة والمتوسطة أهم مصدر من مصادر الابتكار، حيث أثبتت التجارب والدراسات الاقتصادية أن لهذه المؤسسات القدرة على الابتكار أكثر من المؤسسات الكبيرة، لكنها تعاني من مشاكل عدة وأبرزها المشكل التمويلي، والسؤال المطروح هنا هو كيف يمكن أن تمول المؤسسات صغيرة والمتوسطة نشاطاتها الابتكارية؟ أي كيف تجد هذه الأخيرة رؤوس الأموال، وكيف يتم تسيير الإيرادات المالية المتحصل عليها؟

حسب نظرية Modigliani Miller التي تنص على أن للابتكار خاصيتين أساسيتين تميزانه:

- ارتباطه بالخطر المرتفع؛
- المعلومات غير الكافية.

- فالاحتمال الأول أي ارتباطه بالخطر المرتفع يتم أخذه بعين الاعتبار لارتباطه الوثيق والمباشر بالتمويل، ففي حال فشل المشروع فإن المستثمرين يفقدون أرباحهم، وفي حال نجاحه إن الربح يتعلق بالشكل التعاقدي للاستثمار:

- في حاله أن التمويل بقرض بنكي أو اكتتاب سندي، فإن مردودية الاستثمار مردودية ثابتة والمقترض له الكثير من الخسائر والقليل من الأرباح، إذ هذا المشروع فيه خطر ولا يتم تمويله بقرض.

إضافة إلى صعوبة الحصول على القروض وارتفاع معدلات الفائدة، وعدم امتلاك المؤسسات للضمانات الكافية.

أما بخصوص الأسواق المالية فتجد هذه المؤسسات صعوبة في طرح أسهمها للتداول.

---

[1] Jean Paul Flipo, **l'innovation dans les activités de service**, Editions d'organisation, Paris, 2001, p : 19

[2] نجم عبود، إدارة الابتكار، دار وائل للشر والتوزيع، ط01، ص:17

[3] Jean –Hervé Lorenzo, Alain Villemmeur, **L'innovation au cœur de la nouvelle croissance**, économica, paris, 2009, p : 48-49.

– وبالنسبة للخاصية الثانية: تشير إلى ارتباط الابتكار بالمعلومات غير الكافية بين الأطراف المتعاقدة، ما يعني أن المبتكر له معلومات دقيقة حول قيمة مشروعه مقارنة بالمستثمرين خارج المؤسسة، وهذا ما نقصد بعدم تماثل المعلومات ويعد كخطر معنوي ومصدرا لتعدد الخيارات. عليه يمكن القول انه لا البنوك ولا الأسواق المالية مناسبة لتمويل الابتكار، إذا تبقى تمويله بإحدى الطريقتين:

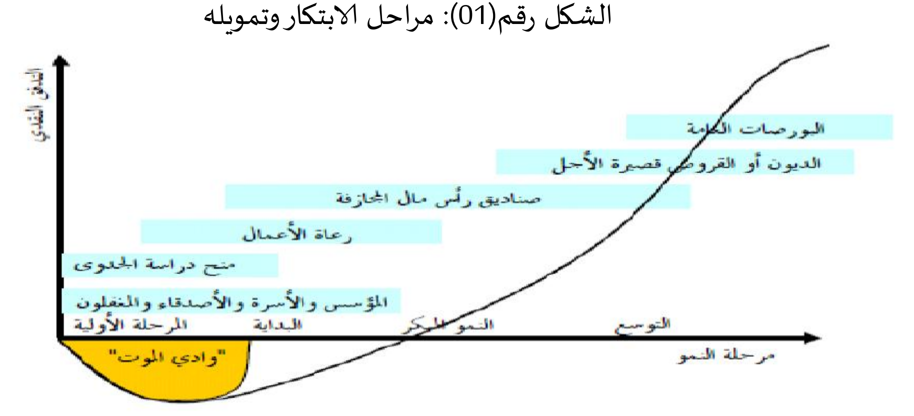
– التمويل الذاتي

– تأسيس مؤسسات خاصة من اجل تمويل الابتكار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة كمؤسسات رأس المال المخاطر. تشير الدراسات أن جل نفقات البحث والتطوير تعتمد على التمويل الذاتي، وبالتالي يبقى اللجوء إلى التمويل عن طريق رأس المال المخاطر هو التوجه الأنسب لتمويل الابتكار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.

3. مراحل تطور المشروع الابتكاري وتطور حاجته للتمويل في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة:

يمر المشروع الابتكاري بعدة مراحل، وكل مرحلة منها مهمة و تحتاج إلى تمويل مناسب وهذا ما يوضحه الشكل الموالي

الشكل رقم(01): مراحل الابتكار وتمويله



من خلال الشكل يتضح أن الابتكار يمر بالمراحل التالية:

-المرحلة الأولية: هذه المرحلة هي أهم مرحلة، فبداية الابتكار هي فكرة غير مسبوقة من قبل، وبالتالي تحتاج إلى العديد من النفقات لدراسة مدى نجاحها والعوائد المنتظرة منها، وبالتالي ترتفع نفقات البحث والتطوير، والتدفق النقدي هنا يكون سالبا خاصة عند تحويل الفكرة المبتكرة إلى منتجات أو خدمات أو تقنيات يمكن بيعها وتسويقها وتحقيق أرباح منها، وهذا ما يتطلب من المؤسسات الاهتمام أكثر بالبحث والتطوير.خلال هذه المرحلة تقل وحتى تنعدم مصادر تمويل الابتكار بحيث تقتصر على مالك المؤسسة والاعتماد على التمويل من طرف الأسرة والأصدقاء

- أما يخص بتمويل وظيفة البحث والتطوير فيتم تمويلها عادة من الخدمات المجانية التي تقدمها الدولة لهذه المؤسسات عن طريق مراكز الدعم كالحاضنات ومكاتب الخبرة والاستشارات، وتعرف هذه المرحلة بوادي الموت وانعدام التمويل في هذه المرحلة يمنع كثيرا من المبتكرين من مواصلة العمليات الابتكارية وتجسيدها في الواقع.[1]

-مرحلة البداية: يبقى التدفق النقدي سالبا أيضا لي هذه المرحلة وذلك راجع لقلة مصادر التمويل وارتفاع درجة المخاطرة في نجاح هذه المشاريع، وتعاني المؤسسات اختناقا شديدا في التمويل. ونقصد هنا بمرحلة البداية، بداية تنفيذ الفكرة وتحويلها إلى منتج أو خدمة أو تقنية، أي أن فكرة الابتكار دخلت في مرحلة التواجد في السوق وهذا يعني حاجتها لتمويل أكثر لتغطية نفقات التسويق.

[1] مذكرة مقدمة من طرف أمانة الأونكتاد، الاستثمار في الابتكار من أجل التنمية، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، بتصرف، ص:54.

- مرحلة النمو المبكرة:في هذه المرحلة يتم تطوير التكنولوجيات أو التقنيات أو المنتجات لتصبح قادرة على البقاء من الناحية التجارية ويصبح لها سوقا أوليا، وبالتالي تحتاج إلى موارد مالية أكبر تنفق على التسويق وتجربة المنتج ومعرفة ردة فعل المستهلك الموجه له المنتج أو العملية أو الخدمة. عنصر المخاطرة في عملية التمويل يكمن في عدم التأكد من قبول ونجاح الابتكار الجديد،وبالتالي ضمان الأرباح والعوائد غير مؤكد، وبالتالي تحتاج إلى تمويل بتقنية تقبل بهده المخاطرة (أي تقاسم الربح الخسارة).

- مرحلة التوسع: تأتي هذه المرحلة بعد أن تتمكن المنتجات والخدمات المقدمة المبتكرة من بنا حصة سوقية وتبدأ في تحقيق عوائد مالية وتغطية التكاليف، بمعني استرجاع رؤوس الأموال الموظفة في الابتكار، وتتجاوز ذلك إلى التوسع أكثر وأكثر وتحقيق إيرادات مالية مهمة.

من خلال ما سيق عرضه، يتضح أن تمويل الابتكارات فيه مجازفة ومخاطرة وبالتالي لا يمكن تمويله بالمصادر التقليدية ويجب البحث عن بدائل تمويلية تتناسب مع درجة المخاطرة وأبرزها هو رأس المال المخاطر الذي سيتم التطرق والتعرف على مدى مساهمته في تمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة المبتكرة[1]

ثانيا: الإطار النظري لرأس المال المخاطر.

1. **مفهوم رأس المال المخاطر:** لقد تعددت واختلفت المفاهيم المقدمة لرأس المال المخاطر وأهمها:

– تعرفه الجمعية الأوروبية EVCA: "هي كل راس مال يوظف بواسطة وسيط مالي متخصص في مشروعات خاصة ذات مخاطر عالية، تتميز باحتمال نمو قوي لكنها لا تضمن الحصول على دخل أو التأكد من استرداد رأس المال في التاريخ المحدد (دلك هو عنصر المخاطرة)، أملا في الحصول على فائض قيمة مرتفع في المستقبل البعيد نسبيا حال بيع حصة هده المؤسسات بعد عدة سنوات متأخرة وهده الحالة تعتبر تعويضا للمخاطر."[2]

– أما منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OCDE: " تعرف هده المنظمة رأس المال المخاطر على انه رأس المال الذي تمنحه شركات تستثمر مواردها المالية وترافق مسيري هده المؤسسات حديثة النشأة والتي لا تكون مدرجة في البورصة، فيكون الهدف منه العائد المالي وهدا من خلال خلق القيمة من المؤسسة الحديثة بالتعاون مع شركات رأس المال المخاطر وخبرتها المهنية." [3]

– يمكن تعريفه أيضا بأنه "عبارة عن أسلوب أو تقنية لتمويل المشاريع الاستثمارية بواسطة شركات رأس المال المخاطر وهده التقنية لا تقوم على تقديم النقد فحسب كما هو الحال في التمويل المصرفي بل تقوم على المشاركة، حيث يقوم المشارك بتمويل المشروع من دون ضمان العائد ولا مبلغه، لدلك يخاطر بأمواله بالتالي تساعد أكثر المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الجديدة التي تواجه صعوبة مالية.[4]

من خلال كل ما سبق، نجد أن معادلة مؤسسات رأس المال المخاطر تقوم على (تكنولوجيا متقدمة- مخاطر عالية-أرباح كبيرة)، ومن ثمة يلزم لنجاح هده المؤسسات التحلي بالصبر لمدة ثلاث سنوات على الأقل لضمان أرباح كبيرة. وتقوم على أساس المشاركة في الأرباح والخسائر وهذا ما يوضحه الشكل الموالي

---

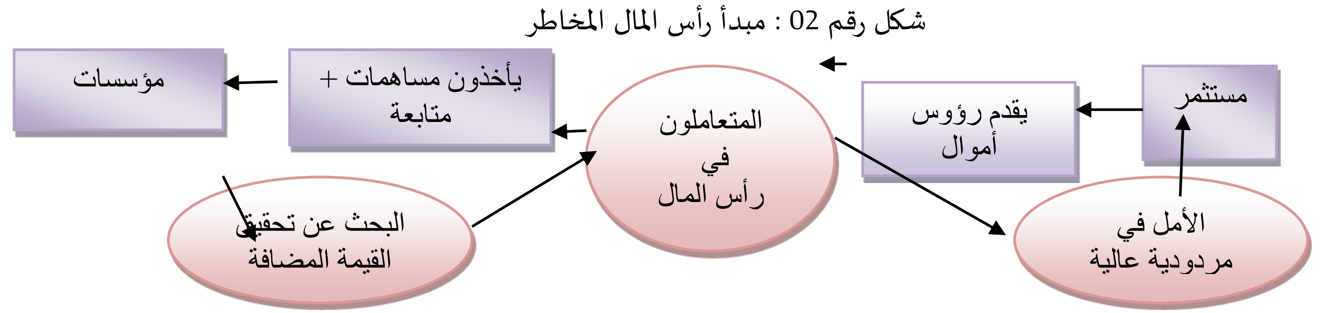
[1] نفس المرجع السابق، ص:55.

[2] عبد الله إبراهيم، المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في مواجهة مشكلة التمويل، الملتقى الدولي حول متطلبات تأهيل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الدول العربية، الشلف 18/17 أفريل 2006، ص:308.

[3] دراجي كريمو ، شركات رأس المال المخاطر كآلية لتمويل المؤسسات دراسة حالة الجزائر، مجلة الاقتصاد الجديد، كلية العلوم الاقتصادية، العدد 09، سبتمبر 2013، ص: 346.

[4] نفس المرجع السابق، ص: 346.

شكل رقم 02 : مبدأ رأس المال المخاطر



المصدر: عبد الباسط وفاء، رأس المال المخاطر ودورها في تدعيم الشركات الناشئة، دار النهضة العربية، مصر، 2001، ص:04

2. نشأة وتطور رأس المال المخاطر: تنسب نشأة رأس المال المخاطر إلى الجنرال الفرنسي الأصل Doriot،الذي قام بتأسيس أول مؤسسة رأس المال المخاطر ,تحمل اسم المؤسسة الأمريكية للبحث والتطوير (American research and development)، بأموال معهد للتكنولوجيا وشركة تأمين وذلا بهدف المساهمة في رأس مال المؤسسات الصغيرة المبتكرة،[1] ثم عرف انطلاقة حقيقية سنة 1950 تحت اسم رأس المال المخاطر، وأصبح النموذج الأمريكي مرجعية لكل العالم في هذا المجال.ظل بعد ذلك نمو مؤسسات رأس المال المخاطر بطيئا في السوق الأمريكية إلى غاية سنة 1977[2].أما في أوروبا فقد عرفت في تاريخ احدث لكنها لقيت عناية كبيرة من الجمعية الأوروبية لرأس المال المخاطر التي تأسست في بروكسل عام 1983، لتطوير رأس المال المخاطر.في أوروبا وتصل أرباحها في حدودها العادية ما بين 300% و250% سنويا، وتظهر أهمية ذلك إذا علمنا أن الاستثمار طويل الأجل بلغ بين ستني 1999و1993 في الولايات المتحدة الأمريكية 60%منه، وهي تنسب إلى بنوك كبيرة عمرها حوالي 200سنة، بينما لم يزد عمر رأس المال المخاطر عن نصف قرن.[3]

3. أهداف رأس المال المخاطر: تصب معظم أهداف مؤسسات رأس المال المخاطر في تسهيل عملية تمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، ونذكر منها:

- مواجهة الاحتياجات الخاصة بالتمويل الاستثماري؛
- تعتبر بديلا تمويليا في حالة ضعف السوق المالي وعدم قدرة المؤسسات على إصدار أسهم وطرحها للاكتتاب؛
- توفير التمويل اللازم للمؤسسات الجديدة أو العالية المخاطر

4. أهمية رأس المال المخاطر:رأس المال المخاطر له أهمية كبيرة ومكونا رئيسيا لسوق رأس المال، ويلعب دورا فعالا في تمويل المؤسسات بحيث تمدها بالأموال والخبرة والطرق الحديثة في الإدارة والتنظيم وتدمج أموالها مع أموال المؤسسات الممولة، وهدا ما يحقق تمويلا محفزا لهده المؤسسات لأن تنهض نحو الأفق وتحقق أرباحا معتبرة بعكس طريقة التمويل بالاستدانة المحفوفة بمخاطر السداد وسعر الفائدة، وغيرها من المعوقات التي تقف في طريق المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.[4]ففي دراسة شملت نحو 500 شركة أمريكية تم تمويلها برأس المال المخاطر نصفها على الأقل عمره لا يتجاوز

---

[1] بلعيدي عبد الله، مقلاتي عاشور، المقارنة بين رأس المال المخاطر وحاضنات الأعمال في تمويل ودعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة مع إمكانية التكامل بينهما، مجلة البحوث الاقتصادية والمالية، جامعة أم البواقي، العدد 06، 2016، ص: 323

[2] بريبش السعيد، رأس المال المخاطر بديل مستحدث لتمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، دراسة حالة شركة SOFINANCE، مجلة الباحث، كلية الاقتصاد، ورقلة، العدد 05،2007، ص: 08.

[3] نفس المرجع السابق، ص: 08.

[4] عبد الله بلعيدي، التمويل برأس المال المخاطر دراسة مقارنة مع التمويل بنظام المشاركة، مذكرة ماجستير، تخصص اقتصاد إسلامي ،كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، 2007، ص: 108-109

أربع سنوات ونحو 80%منها يعمل في القطاع التكنولوجي مقارنة بعدد مماثل من المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والتي مولت ذاتيا عن طريق أصحابها وتم تلخيص نتائج الدراسة في الجدول[1] الموالي:

جدول رقم 01: مقارنة بين المؤسسات الممولة برأس المال المخاطر والمؤسسات الممولة ذاتيا في أمريكا

أوجه المقارنة	المؤسسات الممولة برأس المال المخاطر	المؤسسات الممولة غير برأس المال المخاطر
خلق عمالة كفؤة %	+59%	+59%
العمالة المنشأة سنويا %	+25%	-3%
نفقات البحث والتطوير بالنسبة للشخص الواحد سنويا بالدولار	16000	8000
معدل الاستثمارات السنوية %	+35%	+9%
معدل الإنتاجية السنوية %	+12%	+5%

المصدر: رابح خوني، رقية حساني، المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ومشكلات تمويلها، ايتراك للنشر والتوزيع، مصر،ط1 2008، ص: 159.

من خلال الجدول يتضح أن المؤسسات الممولة عن طريق رأس المال المخاطر تتميز بأداء أفضل وجيد جدا مقارنة بالمؤسسات الأخرى غير الممولة برأس المال المخاطر، خاصة في مجال الإنفاق على البحث والتطوير، لان هذه النفقات تكون عالية جدا وغالبا فوق قدرة المؤسسات، ولكن بدعم تمويلها عن طريق رأس المال المخاطر يؤدي ذلك إلى رفع معدلات الإنتاجية السنوية والاستثمارات.

ثالثا: آلية عمل رأس المال المخاطر ودوره في تمويل الابتكارات في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة:

يساهم رأس المال المخاطر في تمويل الابتكار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، لأنه يتناسب مع طبيعة عنصر المخاطرة في الابتكار الذي بدوره يعد مخاطرة بالنسبة للمؤسسة، والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة التي تواجه مخاطر عالية في إمكانية بقاءها ونجاحها، ولما يجتمع الابتكار مع خاصية هذه المؤسسات يزيد عنصر المخاطرة، كما أن أكبر مشكل يواجهها هو المشكل التمويلي وتوفير الموارد المالية لتغطية كل مراحل الابتكار فيبقى رأس المال المخاطر هو الحل الأنسب والمصدر الذي يضمن للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة مسيرتها نحو تنفيذ وتحقيق أهدافها الابتكارية، بحثي يتدخل في كل مراحل الابتكار بداية من كونه فكرة إلى غاية تنفيذه ونجاحه، ويتم توضيح ذلك خلال ما يلي:

1. رأس المال البذري (رأس المال النشأة) لتمويل المرحلة الأولية

في المرحلة الأولية للانطلاق في المشروع أي مرحلة الفكرة أو مرحلة النفقات المسبقة لإنشاء المؤسسة ، يوجه رأس المال البذري لتمويل مقاول أو مستثمر ذو فكرة جديدة سواء تتضمن تكنولوجيا أو نموذجا تسويقيا جديدا. وتتم عملية التمويل إلى مرحلتين :

1.1 **رأس المال ما قبل الانطلاق:** تتميز هذه المرحلة بدرجة مخاطرة عالية لأنها تعنى بتحويل الفكرة المبتكرة إلى الواقع حيث يمول نفقات عملية البحث والتطوير والنماذج العملية والنماذج التجارية للسلعة، ومن جهة أخرى يوجد خطر عدم القدرة على تجسيد الفكرة. بتعبير أخر رأس المال البذري موجه للمؤسسات التي تكون في بداية نشاطها أو قبل الانطلاق في نشاطها ويسمح لها بهيكلة وتطوير منتجاتها أو خدماتها، والمبالغ المستثمرة تكون قليلة تتراوح بين أقل من 50000 أورو إما في شكل عيني أو مالي. المخاطرون الممولون هنا هم الأصدقاء والعائلة، وتمويل هنا يسمى بالقرض العائلي.

2.1 **رأس المال الانطلاق لتمويل مرحلة الانطلاق**: هو رأس المال للمرحلة الأساسية لتدخل رأس المال المخاطر، وهو يخصص لتمويل المشروعات التي دخلت مرحلة الإنشاء، أو في بداية النشاط أي في السنوات الأولى من التواجد، حيث تكون في حاجة إلى تمويل و تنمية منتج، أو سوق أولي، أو تغطية نفقات تسويق المنتجات ، أو البدء في التنفيذ التصنيعي أي مرحلة الحياة

[1] رابح خوني، رقية حساني، المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ومشكلات تمويلها، ايتراك للنشر والتوزيع، مصر،ط1, 2008، ص: 159

التجارية للسلعة، لكنها في حاجة إلى التمويل لانطلاق التصنيع والتسويق حيث لم تتمكن بعد من توليد أية مكاسب.[1] بمعنى أن رأس المال ابذري يعلب دورا مهما في تمويل الابتكار في مرحلته الأولية ويتحمل المخاطرة والتكاليف الباهظة للبحث والتطوير.وتجدر الإشارة أن هذه المرحلة هي أصعب مرحلة يمر بها الابتكار.

2. رأس مال التنمية لتمويل مرحلة التوسع في الابتكار:

في هذه المرحلة يكون المشروع قد بدأ في تحقيق إيرادات ويقسم تمويل الابتكار هنا على مرحلتين:

1.2. تمويل مرحلة التوسع: في هذه المرحلة يكون المشروع قد بلغ مرحلة الإنتاجية أي توليد الإيرادات، ولكن يقابله ضغوطات مالية تجعله يلجا إلى مصادر أخرى ، فيقوم رأس المال التوسع بتمويله وذلك أملا في تحقيق أهدافه في النمو الذي يتراوح متوسطه بين 5-10% سنويا. هذا النمو يكون داخليا كزيادة القدرة الإنتاجية أو زيادة القدرة التنافسية له، أو خارجيا كتصريف منتجات أو فتح فرع جديد أو قناة توزيع جديدة لتسويق أو تنويع الأسواق.[2]

2.2 **تمويل مرحلة النضج والتطور**:

خلال هذه المرحلة تتجه المخاطر إلى التناقص بطريقة واضحة، تبدأ في تسديد قروضها بمواردها الذاتية، وتكتسب المؤسسات المقدرة على الاستدانة ويصبح لديها ضمانات لذلك. عندها يبدأ دور رأس المال المخاطر في التراجع تاركة الساحة شيئا فشيئا لوسائل التمويل التقليدية. والجدول الموالي يوضح ما سبق التعرض إليه

الجدول رقم (02): مراحل المشروع الابتكاري ومصادر تمويله

	الإنشاء	التوسع	التطور	النضج
التمويل الذاتي	–	غير كاف	نسبي	كافي
رأس المال المخاطر	قاصرة عليه فقط	جوهري	هام	–
القروض	مستحيلة	صعبة	ممكنة	ممكنة بدرجة أكبر
درجة المخاطر	عالية جدا	عالية	قوية	أقل قوة
متابعة المشروعات	موجودة بدرجة مهمة	موجودة بدرجة قليلة نسبيا	ضعيفة	هامة لبيع المساهمات

Source : Bessis Joël , **Capital risque et financement d'entreprises** , Economica , Paris ,1988,P :26

3. **رأس مال تحويل الملكية**: يستعمل هدا النوع من التمويل عند تغيير الأغلبية المالكة لرأسمال المشروع، أو تحويل مشروع قائم فعلا إلى شركة قابضة مالية ترمي إلى شراء عدة مشاريع قائمة. بالتالي خلال هذه المرحلة تهتم مؤسسات رأس مال المخاطر بتمويل عمليات تحويل السلطة الصناعية والمالية في المشروع إلى مجموعة جديدة من الملاك .[3]

4. **رأس مال التصحيح أو إعادة التدوير:** عندما تواجه المؤسسة مشاكل ضعف الأداء أو مشاكل إدارية أو نقص الإيرادات، أو تغير ظروف الطلب عليها فإنها تحتاج إلى دعم مالي، فيكون رأس المال المخاطر هو الحل الذي يعيد ترتيب أمورها، وتستقر من جديد في السوق، وتحقق أرباحا. وتسمى أيضا هذه المرحلة مرحلة خروج رأس مال المخاطر من المؤسسة أو مرحلة التقويم لأنها تصحح أوضاعا مؤقتة.[4]

رابعا: **تجارب دولية** : اخترنا التجربة الأمريكية باعتبارها أفضل نموذج لباقي الدول، ثم تم التعرض إلى تجربة تونس والجزائر للمعرفة واقعها ومقارنتها بنظريتها الأمريكية، ويتم التفصيل في ذلك كما يلي:

---

[1] عبد الله بلعيدي، التمويل برأس المال المخاطر دراسة مقارنة مع التمويل بنظام المشاركة، رسالة ماجستير، تخصص اقتصاد إسلامي، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية ، باتنة، 2008/2007، ص: 95.

[2] بريبش السعيد، مرجع سابق، ص: 09.

[3] نفس المرجع السابق، ص: 09.

[4] بلعيدي عبد الله، مقلاتي عاشور، المقارنة بين رأس المال المخاطر وحاضنات الأعمال في تمويل ودعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة مع إمكانية التكامل بينهما، مرجع سابق، ص: 326

1. **تجربة الولايات المتحدة الأمريكية:** تستحوذ الولايات المتحدة الأمريكية منشأ رأس المال المخاطر وتستحوذ على ثلثي السوق العالمي لهذا النشاط، وتعتبر مهد هذه الشركات، وبدأت استثماراتها تشهد توسعات كبيرة مع نهاية السبعينات لتكون هي سبب التطور الفعلي لهذه المؤسسات. والسبب في ذلك يكمن في تخفيض الضرائب على القيم المضافة المحققة سنة 1978 ما دفع إلى إنشاء عدة صناديق رأس مال مخاطر جديدة، وبهذا بدأ نموه، حيث استثمرت من سنة 1970 إلى سنة 2009 حوالي 173 مليار دولار حققت خلالها عوائد قدرت ب 1300 مليار دولار وساهمت في إنشاء 7.6 مليون منصب شغل.

- خلال سنة 2004 قدرت عوائد الاستثمارات المخاطرة ب 1.8 تريليون دولار مع 10.1 منصب عمل
- سنة 2005 العوائد المحققة 2.1 تريليون دولار و 10 مليون منصب عمل.
- سنة 2006 العوائد بلغت 2.8 تريليون دولار و10.4 مليون منصب عمل.
- ونتيجة استقرار سوق رأس المال المخاطر في الولايات المتحدة الأمريكية يتم سنويا إنشاء ما لا يقل عن 1000 مؤسسة حديثة، وكان رأس المال الأمريكي نواة أغلبية الشركات التكنولوجية العملاقة التي نعرفها الآن مثل (yahoo, intel, cisco, amazon, microsoft. [1] وبعدها استمرت في النمو والانتشار واستمر وجودها في دول الأوروبية

2. **تجربة رأس المال المخاطر في تونس:** إن القطاع المالي في تونس مراقب من بجزء كبير من القطاع العام، وبدأ يتحرر منه ليتجه نحو الخوصصة، وتوجد حوالي 20 مؤسسة استثمارية ذات مخطر على رأس المال (SICAR)،وتعد أهم الوسائل لدعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في تونس. ومنذ سنة 1990 استفاد القطاع المالي في تونس من عدة مؤسسات استثمارية ذات رأس مال مخاطر SICAR عامة وخاصة، لترقية الاستثمار الخاص لاسيما في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.

وجهت مساهمات SICAR بشكل عام نحو قطاع الصناعة والخدمات وتغطي قبل كل شيء الاستثمارات المتعلقة ببرنامج التأهيل أو بالمشاريع ذات القيمة المضافة الكبيرة، فهي تستثمر بشكل عام في المشاريع المتوسطة الحجم مع استثمار إجمالي قدره 04-05 مليون دينار تونسي، أي حوالي 2.8-3.6 دولار أمريكي مع الدعم المالي، تضمن مؤسسات رأس المال المخاطر للمتعاملين التونسيين دعما في التسيير والنظام الداخلي للمشروع ، وتدعمها في مجال الاستراتيجيات التسويقية.

كما حدثت شراكة بين SICAR و صندوق ترقية ولامركزية الصناعة FOPRODI الذي أسس سنة 1973 من أجل دعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الناشئة في قطاع الصناعة التحويلية للتقليل من نسبة البطالة، وكان هدفه الرئيسي هو دعم أصحاب المشاريع الابتكارية والجديدة النشأة، يمكن توضيح آلية مساهمة رأس المال المخاطر SICAR مع صندوق FOPRODI لدعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة كما يلي:

- 30 % من الأموال الخاصة لحصة الاستثمار حتى 01 مليون دينار تونسي أي ما يقابل 2.1 مليون دولار أمريكي؛
- 10% من الأموال الخاصة لحصة الاستثمار حتى 01 مليون دينار تونسي.

وتعد هذه المساهمة مهمة جدا بالنسبة للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة المبتكرة وفي بداية نشاطها لأن نسبة مساهمة مجموعها 40% يساعد المؤسسة في تجاوز الضغط التمويلي لتنفيذ مشاريعها الابتكارية، خاصة إذا جمعناها مع مواردها من الأصدقاء والعائلة، والصناديق المخصصة لدعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة. بمعني أنها تتمكن من تغطي 70% من احتياجاتها المالية لتمويل الابتكار وتنفيذه وتحقيق عوائد من جرائه.

رغم أن التجربة التونسية في مجال رأس المال المخاطر لم تصل بعد إلى الأهداف المنشودة لكنها تعد أحسن من وضعها في الجزائر ويجب أن يتم الاهتمام به أكثر فأكثر حتى يحل مشكل تمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة المبتكرة التونسية.[1]

---

[1] نفس المرجع السابق، ص: 330.

3. **تجربة الجزائر:** إن نشاط مؤسسات رأس المال المخاطر في الجزائر أكثر ضعفا مقارنة بدول أخرى وهو حديث الوجود بل تعداد مؤسسات رأس المال المخاطر قليل جدا، لذا فإن من مصلحة الدول النامية خاصة الجزائر أن تعمل على تنمية هذه المؤسسات لدعم مشروعاتها لهدف تحقيق التنمية، وبالفعل فقد تم في الجزائر العزم على إنشاء صندوق رأس المال المخاطر لفائدة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة تتولى الخزينة والبنوك تدعيمه وإقامته باعتماد قدره 3.5 مليار دينار جزائري وكان ذلك يوم14/01/2004، وقد أعلن أيضا في نفس السنة على تأسيس صندوق ضمان قروض الاستثمار لفائدة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وهذا الصندوق ثمرة التزام مشتركة بين السلطات العمومية والبنوك برأس مال قدره 30 مليار دينار جزائري)

1.**تعريف رأس المال المخاطر في المشرع الجزائري:** يعرف المشرع الجزائري شركات رأس المال المخاطر (الاستثماري) في الفصل الأول من القانون رقم 06-11 بتاريخ جوان 2006 بأنها: " شركات رأس المال الاستثماري التي تهدف إلى المشاركة في رأس مال الشركة، وفي كل عملية تتمثل في تقديم حصص من أموال خاصة أو شبه خاصة للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة في طور التأسيس أو النمو أو التحويل أو الخوصصة. وقد ركز المشرع على مراحل نمو المؤسسات الصغيرة والمتوسطة موضوع التمويل كما حدد كيفية تدخل شركة رأس المال الاستثماري، والتي تتمثل في رأس المال المخاطر.[2]

ويوضح المشرع من خلال القانون السابق ان شركات رأس المال المخاطر تمول كل مراحل الابتكار في المؤسسات، بحيث تمول مرحلة الفكرة الأولية ومرحلة الانطلاق، إضافة إلى النمو والنضج.

2.مؤسسات رأس المال المخاطر في الجزائر:

تمت بعض التجارب في الجزائر لبعض مؤسسات رأس المال المخاطر نوردها فيما يلي

– مؤسسة SOFINANCE :

تأسست بتاريخ 2002/01/09 ونسبة مساهمتها في التمويل لا تتعدى % 35 من رأس مال الشركة كحد أقصى وهي نسبة ضعيفة إذا ما قورنت بنظيراتها في الدول الأخرى، وهي كذلك لا تغطي كل الأنشطة، بل انحصر مجال عملها في الصناعات التحويلية للمنتجات الغذائية وتخزين المنتجات ومواد التغليف وصناعة الألبسة وتحويل الخشب واستغلال الثروات المنجمية وهذا يعني الاهتمام بالصناعات التحويلية وهو نشاط ضئيل المخاطر إذا ما قورن بالأنشطة الأخرى.

– مؤسسة FINALEP: التي تأسست سنة 1991 كأول مؤسسة في الجزائر بأربعة مساهمين وهم:

– بنك التنمية المحلية BDL بـ 40 %.

– الصندوق الفرنسي للتنمية CFD بـ 28.74 %.

– القرض الشعبي الجزائري CPA بـ 20 %.

– البنك الأوروبي للاستثمار BEI بـ 11.26 %.

وتعمل هذه المؤسسة على ترقية الاستثمار في الجزائر على مسار الشركة الجزائرية الأوربية، وهي كباقي مؤسسات رأس المال المخاطر تشارك في عملية التأطير فهي وكيل ما بين 10 % و 20% من رأس المال الاجتماعي حسب الحجم وحاجة المؤسسة يقدر رأس مال مؤسسة ب 159.750 مليون دينار جزائري وهي شركة ذات أسهم تعد أول مؤسسة ذات رأس مال استثماري ومخاطر في الجزائر، وتقوم بجملة من المهام نذكر منها:

- ترقية وتمويل ودعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة من حيث النشأة وتنمية المشاريع المتعثرة.

---

[1] محسن عواطف، إشكالية التمويل المصرفي للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر-دراسة ميدانية للمؤسسات المصغرة المنشأة في إطار الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب بورقلة، رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية، غ منشورة، كلية العلوم الاقتصادية و التجارية وعلوم التسيير ورقلة، 2008 ص: 121-122

[2] المادة 02-.03 من المرسوم الرئاسي رقم 06-11 المؤرخ في 24 جوان 2006 المتعلق بشركات رأس المال الاستثماري.

- تساهم المالية الأوربية الجزائرية بعمليات التمويل عن طريق الشراكة في رأس المال الخاص، على عكس البنوك التي تمنح القروض، أي أنها تقوم باقتصاد المساهمة في رأس المال الاجتماعي للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وهذه التمويلات تكون إما عن طريق الحساب الجاري، أو سندات قابلة للتحويل أو عن طريق قروض المساهمة، نقدا أو محررا كتابيا أو مقسمة إلى جزئين نصفها بالعملة الصعبة والنصف الآخر بالعملة المحلية.
- المساعدة في إعداد الدراسات القابلة للتنفيذ والبحث عن تمويل مسبق والتحقيق من الشركاء وعرض نشاط البنوك وبنوك المعطيات الدولية التي تقدم يد الإرشاد والمساعدة.
- التركيب القانوني والمالي وحضور إتمام الإجراءات الإدارية والقانونية والمساعدة في إتمام إجراءات الإنشاء.

ومن أهم المشاريع التي ساهمتFINALEP في تمويلها، شركة الكيمياء الصناعية التي تقدم الصيانة الصناعية والتنظيف الصناعي، وكذلك شركةCOCHMA التي تنتج الياؤورت والعصير والحليب من الصودا، وأيضا الزراعة الغذائيةMAS,TABCCOUS وتنتج التبغ، وأيضا مؤسسة التحويل المعدني الصناعية SOYAMIN METAL وهي مؤسسة جزائرية إيطالية لتصنيع الديكور والإكسيسورات وغيرها.[1]

- المغاربية للاستثمار: بدأت العمل رسميا سنة 2006 برأس مال قدره 65 مليون أورو ثم تم رفعه إلى 124 مليون أورو سنة 2008، من أهم مستثمري الصندوق: البنك الدولي، المؤسسة المالية الدولية SFI، البنك الأوروبي للاستثمار، البنك الإفريقي للتنمية BAD، متخصصة في عمليات تمويل المؤسسات، إضافة إلى تسير الأصول وعمليات الوساطة في البورصة وبلغت مساهمتها نهاية 2008 1.7 مليار د.ج.[2]

3. تقييم دور رأس المال المخاطر في تمويل الابتكار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر:

- رغم المساهمة التي تقدمها مؤسسات رأس المال المخاطر في تمويل كل مراحل الابتكار بداية من الإنشاء والانطلاق، إلى غاية مرحلة النمو والنضج وتتمكن المؤسسات من تحقيق عوائد. إلا أن هذه المساهمة تعد ضعيفة جدا وبعيدة عن الأهداف المنتظرة، منها وبعيدة أيضا عن تجربة نظيرتها في الولايات المتحدة الأمريكية .

4. سبل دعم مؤسسات رأس المال المخاطر في الجزائر

على الدولة أن تقدم يد العون لهذه المؤسسات والوقوف إلى جانبها حتى تتغلب على الصعوبات المختلفة التي تواجه نشاطها مثل انخفاض الإيرادات وارتفاع المخاطر ودعمها بشتى الطرق سوى المباشرة أو غير المباشرة .ومن بين سبل الدعم نذكر ما يلي :

- التدعيم غير المباشر لمؤسسات رأسمال المخاطر : وهو كل ما يتعلق بالحوافز الضريبية والشروط التنظيمية التي تحكم عمل هذه المؤسسات وكذا الجانب التشريعي الذي يخلق بيئة ملائمة لتطويرها لذلك يجب أن تتميز اللوائح والتنظيمات التي تصدرها الدولة بالبساطة والسهولة عند إنشاء هذه المؤسسات.
- التدعيم المباشر :لا يجب أن يقتصر تدعيم الدولة لمؤسسات رأسمال المخاطر على التدعيم غير المباشر بل يتعداه إلى الدعم المباشر والاشتراك في نشاطها ويتخذ هذا التدعيم عدة أشكال أهمها:
- توفير تمويل مباشر للمشروعات من قبل الدولة للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة، كمساهمة الدولة الألمانية في رؤوس أموال مشاريع تكنولوجية خطيرة، وبنك التنمية المحلية للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة التابع للحكومة الفرنسية سنة1996 .
- إنشاء الدولة لصناديق مشتركة أو عامة لرأس مال المخاطر كشكل من أشكال الدعم المباشر لهذا النشاط مثل هذه الصناديق وجدت في الولايات المتحدة الأمريكية حيث أنشأت عام 1957 والصناديق الألمانية للاستثمار في مؤسسات رأس مال المخاطر التي يتولى تمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة مثل الصندوق .المنشأ في فلندا عام1994 .

---

[1] عبد الله بلعيدي، التمويل برأس المال المخاطر دراسة مقارنة مع التمويل بنظام المشاركة، مرجع سابق، ص: 121.

[2] دراجي كريم مرجع سايق، ص: 352.

- تدعيم عمل شركات رأس المال المخاطر وربطه بحاضنات الأعمال، بحيث تكون الحاضنات هي الموجه الأساسي للمشاريع الابتكارية نحو التمويل برأس المال المخاطر، لكونها تهتم بالمؤسسات المبتكرة.[1].

الخاتمة:

من خلال تحليلنا لكل ما سبق، نجد أن رأس المال المخاطر يساهم ويلعب دورا مهما في تمويل المبتكرين والابتكار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، حيث أن الابتكار يعد مخاطرة كبيرة يمكن أن ينجح فيحقق عوائد مهمة والعكس يفشل فيحقق خسائر كبيرة، وتزيد درجة المخاطرة عندما يتعلق الأمر بالمؤسسات الصغيرة والمتوسطة التي تتميز بالمغامرة وشدة المخاطرة، إضافة إلى أنها تعاني من عدم القدرة على الاقتراض وقله الموارد المالية التي تعيقها عن تنفيذ ابتكاراتها، ورأس المال المخاطر هو الحل الأنسب والملائم لطبيعة هذه المؤسسات لأنه يقبل بهذه المخاطرة ويتقاسم معها الأرباح والخسائر. كما أنه يتدخل لتمويل كل مراحل الابتكار بداية من البذرة أو الفكرة إلى غاية نموها ونضجها وتحقيق عوائد من خلالها. وتبقى تجربة الجزائر بعيدة نسبيا عن الأهداف المنتظرة منها في مجال رأس المال المخاطر نظرا لحداثته مقارنة بالدول الأخرى وقله مصادر تمويله وضعف أدائه، في حين أن النموذج الأمريكي يعد أفضل نموذج عالمي على الدول والجزائر السعي للاستفادة من تجربتها وتنمية شركات رأس المال المخاطر.

النتائج المتوصل إليها:

من خلال ما سبق التعرض إليه توصلنا للنتائج التالية:

- يعد المشكل التمويلي هو العائق الأكبر الذي يقف أما المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وخاصة في ما يتعلق بتمويل الابتكار؛
- يعتبر رأس المال المخاطر الغطاء التمويلي اللازم لتمويل نشاطات الابتكار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، ويتناسب مع طبيعتها المخاطرة والمغامرة؛
- يقدم رأس المال المخاطر الدعم المالي للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة في كل مراحل الابتكار بداية من الإنفاق على البحث والتطوير إلى غاية تسويق المنتج أو الخدمة وتحقيقها للعوائد المالية؛
- حقق رأس المال المخاطر في تونس نتائج مهمة مقارنة بالجزائر؛
- يعتبر تجربة رأس المال المخاطر في الولايات المتحدة الأمريكية هي النموذج الأمثل للعالم وللدول النامية، وعلى الجزائر الاستفادة من تجربتها والنهوض بمؤسسات رأس المال المخاطر فقد حققت نتائج مهمة ووفرت العديد من مناصب العمل.

المراجع باللغة العربية

1. بريبش السعيد،،2007، رأس المال المخاطر بديل مستحدث لتمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، دراسة حالة شركة *SOFINANCE*، مجلة الباحث، كلية الاقتصاد، ورقلة، العدد05،.
2. بلعيدي عبد الله، مقلاتي عاشور، 2016، المقارنة بين رأس المال المخاطر وحاضنات الأعمال في تمويل ودعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة مع إمكانية التكامل بينهما، مجلة البحوث الاقتصادية والمالية، جامعة أم البواقي، العدد 06.
3. بوريش أحمد، رحماني يوسف زكرياء، 2017، دور تجربة حاضنات الأعمال في دعم المشاريع الابتكارية والإبداعية لمنظمات الأعمال وانعكاساتها على التنمية الاقتصادية (تجارب ومقارنات)، المؤتمر العلمي الثالث حول أساليب تفعيل قيادة الإبداع والابتكار في المؤسسات الجزائرية في ظل المفاهيم الإدارة الحديثة-الواقع والتحديات-، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، غرداية، 15/14 فيفري.
4. دراجي كريمو، 2013، شركات رأس المال المخاطر كآلية لتمويل المؤسسات دراسة حالة الجزائر، مجلة الاقتصاد الجديد، كلية العلوم الاقتصادية، العدد 09.
5. رابح خوني، رقية حساني, 2008، المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ومشكلات تمويلها، ايتراك للنشر والتوزيع، مصر،ط 1.
6. عبد الباسط وفاء، 2001 رأس المال المخاطر ودورها في تدعيم الشركات الناشئة، دار النهضة العربية،مصر.

[1] بريبش السعيد، مرجع سابق، ص: 13.

7. عبد الله إبراهيم، أفريل 2006 المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في مواجهة مشكلة التمويل، الملتقى الدولي حول متطلبات تأهيل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الدول العربية، الشلف 18/17 أفريل.

8. عبد الله بلعيدي 2007، التمويل برأس المال المخاطر دراسة مقارنة مع التمويل بنظام المشاركة، مذكرة ماجستير، تخصص اقتصاد إسلامي ،كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير.

9. عبد الله بلعيدي،2008، التمويل برأس دراسة مقارنة مع التمويل بنظام المشاركة، رسالة ماجستير، تخصص اقتصاد إسلامي، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية ، باتنة.

10. المادّة 02-.03 من المرسوم الرئاسي رقم 06-11 المؤرخ في 24 جوان 2006 المتعلق بشركات رأس المال الاستثماري.

11. محسن عواطف،2008، إشكالية التمويل المصرفي للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر-دراسة ميدانية للمؤسسات المصغرة المنشأة في إطار الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب بورقلة، رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية، غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية و التجارية وعلوم التسيير ورقلة، ص: 121-122.

12. مذكرة مقدمة من طرف أمانة الأونكتاد، الاستثمار في الابتكار من أجل التنمية، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، بتصرف.

13. نجم عبود، إدارة الابتكار، دار وائل للشر والتوزيع، ط01، ص:17

باللغة الأجنبية:

1. *Bessis Joël ,1988,Capital risque et financement d'entreprises , Economica , Paris.*
2. *Jean –Hervé Lorenzo, Alain Villemmeur,2009,L'innovation au cœur de la nouvelle croissance, économica, paris.*
3. *Jean Paul Flipo, 2001,l'innovation dans les activités de service, Editions d'organisation, Paris.*

توظيف الألعاب اللغوية في تعليم المفردات للناطقين بغير العربية

أ.دلال محمد العساف-أ.نور محمود الحاج عفانة

مركز اللغات-الجامعة الأردنية

الملخص: تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على أهمية استخدام الألعاب اللغوية وتوظيفها في تعليم المفردات في اللغات عمومًا، وفي تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها على وجه الخصوص، في محاولة لتقديم خطة مقترحة لاستخدام الألعاب اللغوية في تعليم مفردات اللغة العربية في نماذج من الدروس للمستوياتِ كلِّها: المبتدئ، والمتوسّط، والمتقدّم؛ لأنّ للألعاب قدرة على إثارة دافعية المتعلمين، وتحفيزهم في جو من المرح والتسلية، بالإضافة إلى قدرتها على تيسير اكتساب الدارس للغة على نحو وظيفي طبيعي.

وتستفيد هذه الدراسة من معطيات المنهج الوصفي التطبيقي في الإجراء والتحليل قَصْدَ اختبار مدى نجاح الألعاب اللغويّة في تدريس العربيّة للناطقين بغيرها ولاسيما المفردات؛ لما لها من فوائد تعليمية نفسية تنعكس على أداء الطالب اللغوي والشخصي، على أن يكون الهدف من اللعب واضحًا بالنسبة للمتعلم؛ ليخرج الطالب من فكرة اللعبة من أجل المتعة فقط إلى مفهوم اللعبة من أجل المتعة في الدراسة والتحصيل.

الكلمات المفتاحية : توظيف، مفردات، الألعاب اللغوية، تدريس، للناطقين بغير العربية

Abstract: This study tries to highlight the importance of using linguistic games in teaching vocabulary items in languages in general, and in Arabic for Non-Native Speakers of Arabic in particular. The researchers try to present a proposal to use linguistic games in teaching Arabic vocabulary items for students in the elementary, medium, and advanced levels. Games provide an interesting and entertaining atmosphere for students to learn. Moreover, they facilitate language acquisition in an ordinary functional way.

This study uses the descriptive and Practical methodology for analysis in order to test the accuracy of the hypothesis that linguistic games increase the success in teaching vocabulary of Arabic language for speakers of other languages, because of their physiological benefits which reflect on the student's linguistic and personal performance. However, the learner should be aware of the purpose of the game. He should understand that the game is not only for entertainment but also for learning in an interesting atmosphere.

مدخل إلى استثمار الألعاب في تعليم المفردات: تُعدّ المفردة لبنة أساسية في بناء اللغة، وتعليمها للناطقين بها، أو بغيرها على السواء. ويحتاج تعليمها على نحو وظيفي إلى معلم يمتلك مهارة في اختيار الوسائل والأساليب المناسبة للدارسين في سياقها الطبيعي؛ ذلك أنَّ الأساليب التقليدية لتعليم اللغات الأجنبيّة تنحو نحوَ المعرفة اللغويّة المتراكمة بالخبرة التعليميّة غالبا؛ لهذا سَعت الدراسةُ إلى الوقوف على دور الألعاب اللغوية في تعليم المفردات في اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتوظيفها في تقديم المفردة على نحو وظيفي فعّال يسهل على الدارس مهما كان عُمره ومستواه فهمها واستخدامها في سياقها الطبيعي.

فكان أن استعلنت الدراسة السعي إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ما دور الألعاب اللغوية في تدريس المفردات؟

2- ما شروط استخدام الألعاب اللغوية؟

3- ما خطوات استخدام الألعاب اللغوية؟

4- ما أنواع الألعاب اللغوية المناسبة في التعليم؟

ولحُسن الحظّ؛ فقد تهدَّت الدراسة بدراسات سابقة ذات منحى عام موجِّه إلى دراسة دور اللعبة اللغويّة في تعليم العربيّة للناطقين بها لا للناطقين بغيرها، كدراسة قاسم البريّ (2010)، "أثر استخدام الألعاب اللغوية في منهاج اللغة العربية في تنمية الأنماط اللغوية لدى طلبة المرحلة الأساسية"، ودراسة أمي حنيفة الماجستير(2012)، "أهمية الألعاب اللغوية في تعليم اللغة العربية" وهي ذات إطار عام.

والمفردات اللغويّة مصطلح منفتح على الموروث والمستحدَث، وتصاحبه دلالات لغويّة يستعملها المختصّون مثل: الكلمة، والمفردة، واللفظة تؤدي إلى مدلول عليه تعارفه العلماء بأنَّ المفردات اللغويّة "الوحدة أو الوحدات اللغوية التي تترتب أفقيا وفق نظام نحوي خاص لتكوين جملة (الخولي،1986)، وهو قريب من تعريف ستيفن أولمن، وتمام حسّان(أولمن،1990؛حسّان1990).

وتعليم المفردات اللغوية يشكل ركيزة مهمّة في تعليم اللغات في جميع مستوياتها ومراحلها، فهي الأداة التي تمكن الطالب من التواصل باللغة وممارستها في بيئتها، وهي القوالب التي تحمل المعنى والدلالة وتؤدي الوظيفة التواصلية، وثمة علاقة طردية بين مخزون المفردات لدى المتعلم والوظائف اللغوية التي يستطيع أداءها، فكلما زاد هذا المخزون؛ زادت قدرته على التعبير عن المواقف التواصلية، منتقلا من الخاص الملموس إلى العام المجرّد؛ فيشعر بالراحة والثقة عند تداوله اللغة مع الآخرين (عبد الباري،2010) ولا سيما إذا كان من غير الناطقين بتلك اللغة.

ونظرة في المعايير الدولية لتقييم الأداء اللغوي لمتعلمي اللغة وكفاءتهم اللغوية – كما هو في معيار آكتفل مثلا– تدلنا على أهمية المفردات وقيمتها في مراحل تعلم الدارس للغة؛ فهي أساس في تنمية الثروة اللغوية لدى الدارس التي هي أساس كفايته التواصلية، وهي مؤشر أيضا على تقدمه في مستويات اللغة.

ومن هنا تبرز أهمية تعليم المفردات اللغوية لمتعلمي العربية، والعناية بأساليب تقديمها لا سيما للطلبة الناطقين بغيرها.فإذا كانت المفردات أساس بنائهم اللغوي فالعناية بها مادة، واختيارا، وأساليب تقديم حاجة ملحة، ليكون البناء سليما مكتملا، وإلا ستواجه الدارس الكثير من المشاكل اللغوية والنفسية التي ستعيق تواصله باللغة وتقدمه فيها، ومن ثم تثبط عزيمته عن مواصلة تعلمها.

وانتقاء المفردات المناسبة التي تفيد الطالب يرتكز على معايير متعددة (طعيمة،1989؛ العناتي،2009؛ عبد الباري، 2010؛ حماد، 2013) أهمّها: معيار الشيوع، والانتشار المكاني والدلاليّ بمراعاة مبدأ البيئة اللغويّة، وبناء الحقل الدلاليّ، ومدى الحاجة الفعليّة الحقيقيّة لتلك المفردات بناء على دراسات علميّة إحصائيّة حديثة، ومُراعاة الخصوصيّة الثقافيّة للمتعلِّم في كلمات لغته الأصل باستثمار مبادئ الاشتراك اللغويّ، والقرابة اللغويّة، والإمكانيّات الصوتيّة المشتركة بين اللغة الأم واللغة الهدف، على أن يخضع تزويد المتعلِّم بالمفردات إلى مبدأ التدرّج.

الألعاب اللغوية ودورها في تعليم المفردات : لا شك في أن حبّ اللعب شيء فطري لدى الناس صغارا وكبارا؛ لأنه يثير المتعة والحماس، ويعطي جوا من التفاعل والنشاط مع المحيط؛ ففيه متعة بالحركة الجسدية، وتفاعل مع الأقران والمجموعة، وإحساس بالمرح والتشويق، وتعزيز للجانب الشخصي والاجتماعي؛ كالقيادة والانتماء والتعاون. وغيرها من القيم الإيجابيّة. وهي وسيلة تعليمية يمكن أن يستثمرها المعلم في تدريس طلابه أيا كان موضوع درسه في العلوم أو الحساب أو اللغة... .

واستخدام الألعاب في صف تعليم اللغة لا يضيع وقت الدرس وهدفه، ولا يصرف الطلاب عن درسهم، بل يشرك جميع حواسّهم في العملية التعليمية، ويقودهم إلى تحقيق هدفهم في تعلم اللغة بحيوية ومتعة، ويؤهلهم نحو استخدام اللغة في مواقف الحياة الطبيعية أو شبه الطبيعية؛ ذلك أنّ الألعاب اللغوية "مسابقة في المعارف اللغوية أي هي نشاط يتم بين الطلاب (متعاونين أو متنافسين) للوصول إلى غايتهم في إطار القواعد الموضوعة" (عبد العزيز،1983). وهي "تلك الأنشطة المنظمة المنطقية المتعددة التي تخضع لقوانين اللعب المستثمرة في تدريس اللغة العربية بوصفها لغة ثانية

للناطقين بغيرها، إذ تتيح التفاعل بين أفراد العملية التعليمية، ومن شأن هذا التفاعل هو تحقيق الهدف المنشود من هذه الألعاب ألا وهو المراس والمران على تدريبات اللغة المتعلمة".(الهاشمي، 2011).

وقد استفادت كثير من برامج تعليم اللغات من الألعاب اللغوية باعتبارها وسيلة جيدة لتعليم اللغة الجديدة، وأثبتت تطبيقاتها نتائج إيجابية في كثيرمن البلاد التي تهتم بتطوير نظم تعليم لغاتها (الماجستير،2012). وتأتي هذه الألعاب في أنشطة تعليمية ممنهجة وإن كانت غيرمنهجية تؤدي بالضرورة إلى تحقيق أهداف التعلم، وهي اكتساب اللغة الهدف ومهاراتها، أو وسيلة لتفعيلها واستخدامها. فالألعاب اللغوية "من أفضل الوسائل التي تساعد كثيرا من الطلاب على معالجة اللغة في إطارها الكامل في الحوارات، والمحادثات، والقراءة، والتعبير المكتوب" (ناصف،1980). فالألعاب الشفهية مثلاً تركز على المحادثة والتكلم، والألعاب الكتابية تتيح للمتعلم التدرب على كتابة الحروف، ومن ثم ضمها معا في كلمة واحدة لتكوين كلمة ذات دلالة كأن يكتب اسم الصورة الدالة مدلولها وهكذا في غيرها من المهارات (حماد،2013).

كما تسهم الألعاب اللغوية أيضا في "ترقية الطلاقة اللغوية عند الطلاب"(الماجستير،2012)؛ فاستخدام الألعاب اللغوية يحتاج إلى السرعة والبديهة والعفوية في التفكير والتعبير باستخدام اللغة المتعلمة، وهذا يعزز الطلاقة اللغوية.

وتبرز أهمية استخدام اللعب في تعليم اللغة للناطقين بها والناطقين بغيرها إذا أحسن المعلم استخدامها أداة تعليمية تثير دافعية المتعلم، وتحفزه للتعلم، وتساعده أيضا في الاستعداد لاكتساب اللغة وتعلمها، لاسيما مفرداتها واستخدامها استخداما سليما. فالألعاب من أكثر الوسائل التعليمية تشويقا وتحفيزا للطالب على التعلم، حيث إن الألعاب اللغوية" تجعل الطلبة أكثر فاعلية ومشاركة في الموقف التعليمي، وتضعهم في مواقف تشبه مواقف الحياة اليومية. فهي مثيرة وشائقة، وتساعد على تركيز الانتباه والإدراك والتخيل والابتكار والإبداع"(البري،2011). فإذا كان تعلم لغة ثانية عملا شاقا في بعض الأحيان فإن الألعاب اللغوية من أفضل الوسائل التي تساعد كثيرا من الطلاب على مواصلة الجهد في الفهم وفي التدريب الآلي المكثف للتمكن من استعمال اللغة الجديدة، وللتنمية المتواصلة لمهاراتها المختلفة. إذ تخفف من رتابة الدروس وجفافها كما أنها تخفف من الشعور بالقلق والتوتر أثناء تعلم اللغة، بالإضافة إلى " علاج بعض المشكلات النفسية كالانطواء والعزلة حيث تعطي الطلاب الخجولين فرصة أكبر للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم بوضوح"(الماجستير،2012).

وتعد الألعاب اللغوية وسيلة للتعليم والتقييم في آنٍ معا؛ حيث يلاحظ الأستاذ أداء الطلبة اللغوي وتقدمهم في تعلم اللغة. كما يمكن أن يرصد أخطاءهم اللغوية المتكررة ويعمل على معالجتها. بالإضافة إلى إمكانية استثمار هذا التقييم في التخطيط للأنشطة القادمة أيضا.

شروط استخدام الألعاب اللغوية: لتحقيق الهدف من هذه الألعاب اللغوية لابدّ للمعلم أن يراعي عدّة شروط (عبد العزيز،1983؛ البري،2011؛ الماجستير،2012، سونداري،2014) أهمّها:

1- التخطيط للعب: فمن الضروري أن يخطط الأستاذ للألعاب التي سيستخدمها في الدرس؛ محددا أهدافها، ومراحلها، وكيفيتها، ووقتها. وعليه تجهيز الأدوات والوسائل التي سيستخدمها في اللعب.

2- ربط اللعب بالمنهاج : فيجب أن تتصل هذه الألعاب بالأهداف التدريسية التي يسعى المدرس لتحقيقها، وأن تزيد من فهم الطلاب للغة الجديدة، كما يجب أن تشجع الطلاب على استخدام اللغة الجديدة.

3- توزيع الأدوار بما يتناسب مع مستويات الطلاب وميولهم: فلابد أن تكون اللعبة مناسبة لقدرات الطلاب، وميولهم، ومستوياتهم اللغوية والعمرية. وأن يكون دور الطالب واضحا ومحددا في اللعبة .

4- توضيح قواعد اللعبة ومراحلها: فيجب أن تكون قواعد اللعبة سهلة وواضحة، فلا يمكن الشروع في اللعب دون شرح طريقة إجرائها. فإذا تعذر على الطلاب فهم الشرح باللغة العربية فلا بأس من استخدام اللغة الوسيطة؛ لأن الهدف من اللعب ليس التسلية والترفيه، إنما تحقيق أهداف تعليمية.

خطوات استخدام الألعاب اللغوية :

1- التخطيط للعبة اللغوية وربطها بالمنهاج، وتحديد الوقت المناسب لها لتحقيق الهدف منها، وتجهيز كل ما يلزم (بطاقات ، لوحات، أقلام ملونة، مغناطيس ، صور، ..... وغيرها).

2- شرح قواعد اللعبة للطلبة، وتوضيح الهدف منها.

3- توزيع الأدوار على الطلبة.

4- القيام بأداء اللعبة، وفي هذا الوقت لابد أن يكتب الأستاذ ملاحظاته حول أداء الطلبة.

5- تقييم، وتغذية راجعة لتصحيح الأخطاء التي وقع فيها الطلبة.

أنواع الألعاب اللغوية : للألعاب اللغوية أشكال وأنواع متعددة، تتنوع بتنوع المهارات اللغوية، وكيفية أدائها، وعدد المشاركين فيها، ومستوياتهم، ومكان استخدامها، كما تتعدد أشكال اللعبة الواحدة، وتأخذ أنماطا مختلفة، فالكلمات، والصور، والصواب والخطأ، والسؤال والجواب، والتذكر، والتخمين وغيرها ألعاب يمكن استخدامها في تدريس المهارات اللغوية كلها إلا أنها تتخذ أشكالا متعددة تناسب نوع المهارة المقدمة؛ فتخمين الكلمة في مهارة المحادثة يجري بوصف الكلمة والحديث عن مدلولها. وتخمين الكلمة في مهارة الكتابة يجري بتكوين الكلمة من مجموعة أحرف أو وضعها في المكان المناسب في الجملة. وتخمين الكلمة في مهارة القراءة يجري عبر قراءة الكلمة، والتدرب على قراءة الحروف مرتبطة، أو إعطاء معناها، أو مرادفها، أو ضدها. وتخمين الكلمة في مهارة الاستماع يجري بتمييز الأصوات في الكلمة؛ كتمييز السين عن الصاد في الكلمتين (سيف، صيف)، أو تمييز أصوات الأشياء، أو الحيوانات، والإتيان بالكلمة الدالة عليها. ويمكن تصنيف الألعاب اللغوية على النحو الآتي :

1- ألعاب لغوية تتعلق بالمهارات اللغوية : فهناك الألعاب اللغوية الشفهية: كالسؤال والجواب، والتعبير عن الصورة، واستمع ونفّذ... وغيرها. والألعاب الكتابية: كألعاب كتابة الحروف وربطها، أو كتابة الكلمات في جملة، أو تحت الصورة المناسبة، أو إكمال الكلمة الناقصة، أو إعادة ترتيب الكلمات في جملة، أو كتابة جمل حول الصور في قصة...وغيرها. والألعاب القرائية: كألعاب قراءة الحروف بشكلها الصحيح، والتمييز بين الأصوات المتشابهة في النطق، أو قراءة الكلمات أو الجمل وغيرها. والألعاب السماعية: كألعاب التدرب على تخمين الكلمات المسموعة ومعانيها، أو تمييز الأصوات المسموعة، أو لعبة فرق الصح والخطأ في الجمل المسموعة وغيرها(للمزيد ينظر: الماجستير،2012).

2- ألعاب لغوية تتعلق بكيفية الأداء: كالألعاب اللغوية العقلية كالتخمين (لغز/ معنى/ كلمة)، والألعاب الجسدية (تمثيل/ طبخ/ رياضة)، والألعاب المتعلقة بالحواس الخمس: كالنظر والمشاهدة (صور/فيديو)، والتذوق(طعام)، والسمع (أصوات حيوانات)، واللمس (تعرف الأشياء)، والشم (روائح طعام ونباتات).

3- ألعاب لغوية تتعلق بعدد المشاركين: كالألعاب الفردية، والألعاب الثنائية، والألعاب الثلاثية أو المجموعات (للمزيد ينظر: الهاشمي،2011). وهي ألعاب إما تعاونية أو تنافسية .

4- ألعاب لغوية تتعلق بمستوى الدارسين : فمنها ما هو مناسب للمستوى المبتدئ، ومنها ما هو مناسب للمستوى المتوسط، ومنها ما هو مناسب للمستوى المتقدم. على أن هناك ببعض الألعاب التي تناسب مستويين معا كالمبتدئ والمتوسط، والمتوسط والمتقدم .

5-ألعاب لغوية تتعلق بمكان ممارستها: وهي نوعان : الألعاب الصفّيّة: وهي الألعاب التي يجريها الأستاذ مع طلبته في الغرفة الصفية. والألعاب البيتية: ويقسم هذا النوع من الألعاب إلى ألعاب مصنوعة من قبل الأستاذ وألعاب جاهزة مطروحة على الـ " أندرويد وأبل ستور". وثمة عدد من الألعاب اللغوية الإلكترونية يمكن استثمارها في إغناء حصيلة الطالب المفرداتية. فمع هذا التقدم التكنولوجي السريع علينا كأساتذة وواضعي مناهج مواكبة هذا التطور، والتفكير بجدية بما يمكن أن يزيد

من دافعية طلابنا في توظيف ما يستخدمونه دائما كوسيلة تعليمية ذاتية. وبذلك نستفيد من التطبيقات الحديثة لأغراض تعليمية. ومن هذه الألعاب الشائعة على الأندرويد وشبكة الإنترنت مجانا ومتاحة للجميع:

- لعبة " كلمة السر": وعلى اللاعب في هذه اللعبة أن يبحث عن حروف كلمة ما. في البداية تبدو اللعبة سهلة لكنها تصبح صعبة فيما بعد. وينصح بها للمستويات المتوسطة وما فوق؛ وذلك لأنّ إرشادات اللعبة بالعربية وهذا ما يؤخذ عليها. لكن ذلك لا يمنع أن يطلع طلبة المبتدئ على مبدأ اللعبة فيحاكيها.

- لعبة الكلمات المتقاطعة: فمن الممتع أن يقدم الأستاذ ورق عمل لطلبته في المستويات كلها يستثمر فيها هذه اللعبة ليُفعّل مفردات درسه. ويمكنه الاستعانة ببعض المواقع الإلكترونية التي تتيح خاصية إعداد اللعبة بعد كتابة الكلمات. للأسف معظم هذه المواقع لا تقبل الحروف العربية لذا على الأستاذ كتابة الكلمة بحروف إنجليزية فمثلا كلمة " نام " تكتب على الشكل الآتي : " nam ". ومن المواقع الإلكترونية التي توفر مثل هذه الألعاب لتعلم العربية :

- موقع kahoot (https://create.kahoot.it/#) : حيث يتميز هذا الموقع بتوفير فرصة للأستاذ لإعداد اختبارات تشاركية ممتعة تشابه سير عمل برنامج من سيربح المليون. هذا الموقع سهل ومجاني وإرشادته كالآتي: سجل حسابا خاصا في الموقع. بعد ذلك انقر على أيقونة quiz، ثم ابدأ بتسجيل أسئلتك، ثم الخيارات لكل سؤال. حاول أن تكون الإجابات متقاربة لتزيد من صعوبة اللعبة .

ومن الضروري أن توضح لطلابك الهدف من هذه اللعبة، بأن تكون مثلا تفعيلا للمفردات بشكل فردي بيتي، وما على الطالب سوى الدخول للموقع وإدخال كلمة سر اللعبة pin التي سبق وأرسلتها له.أو قد تكون على شكل مسابقة لمراجعة مفردات الوحدة في الصف. ومن الجيد أن تضيف سؤالين على الأقل للمفردات - غير الممنهجة - التي تم تتناولها في الصف لتمنح الطلاب فرصة تفعيل هذا النوع من المفردات التي للأسف يتم تجاهلها في أغلب الأحيان. وجدير بالذكر أن هذا الموقع أيضا يصلح لتفعيل مهارات عدة كالقواعد على سبيل المثال، فهولا يقتصرعلى تعليم المفردات فقط.

- موقع Quizlet (https://quizlet.com/): وهو واحد من أمتع مواقع اللعب الذاتي باستخدام المفردات. كل ما على الأستاذ أن يسجل صفحة له مجانا، ويكتب مجموعة من المفردات بالعربية، ويترجمها بالإنجليزية أو أي لغة أخرى (أو مرادفات العربية أو حقولها الدلالية). كما يمكن للأستاذ أن يعمل قوائم للكلمة، ويجمعها، ثم يرسل الرابط لطلبته لمشاركتهم بألعاب ذاتية متنوعة وممتعة. بالإضافة لما سبق يوفرهذا الموقع مفردات تشاركية مع مستخدمين آخرين فقط من خلال البحث عن موضوع ما. ويمكن إيجاده عادة عند البحث بالإنجليزية .

وعليه فثمّة تنوع كبير في الألعاب اللغوية التي يمكن أن يستثمرها المعلم في تدريس العربية، لاسيما المفردات؛ تتنوع أشكالها، وتتعدد طرق توظيفها، لكنّها تتصف بالمرونة في الاستخدام بما يخدم المهارة المطروحة أو المادة المقدمة للطلبة. على أن يتخير منها المعلم ما يناسب طلبته، وميولهم، ومستوياتهم العمرية والدراسية والثقافية. على أنه يجب التنويع في استخدام هذه الألعاب، وعدم تكرارها بصورة مستمرة؛ حتى لا يشعر الطالب بالملل والرتابة، ويبقى عنصر التشويق والتحفيز والمنافسة سائدًا في صف اللغة، مع ضرورة الالتزام بشروط استخدام هذه الألعاب لضمان نجاح تطبيقها واستثمارها وتحقيق الغاية المرجوة منها.

بعض النماذج للألعاب اللغوية : وفيما يأتي عرض مفصّل لطريقة إجراء بعض الألعاب اللغوية التي يمكن استخدامها في صفوف تعليم اللغة العربية لا سيما تدريس المفردات. وقد استعانت الباحثتان ببعض الكتب الأجنبية(Kiryk,2010؛ سونداري، 2014؛Simpson،2015)، وألعاب أخرى طبقتها الباحثتان في صفوفهما. والألعاب المختارة هي:

1- لعبة: أين أنا؟

2- لعبة: احزرْ الكلمة.

3- لعبة: اختبرْ مُفرداتك.

4- لعبة: Scatergories "تخمين المفردة المناسبة للحقل الدلالي باعتماد الحرف الأوّل (مثل لعبة: اسم، نبات، جماد).

5- لعبة: Pictionary (خمن الكلمة).

6- لعبة: " Bluff" المخادعة.

7- لعبة: المترادفات والمتضادات.

8- لعبة: تداعي المعاني/الحقول الدلالية.

لعبة " أين أنا؟!" المستوى: المبتدئ

المهارات المعززة: تعلم مفردات جديدة وتذكرها

المواد اللازمة: تمثيل من الأستاذ أو صور لأشخاص يؤدون أعمالاً ما.

الإجراءات: يعرض المدرس حركة تمثل مهنة أو عمل ما، أو كلمة تدل على مكان، فيلقي سؤالا: أين أنا؟

الاقتراحات: يمكن أن يغير الجملة بسؤال "من أنا" ؟ فالطالب يجيب بالكلمة المناسبة.

-مواضيع مقترحة لتدريس مفردات العربية باستخدام هذه اللعبة: الأنواع المختلفة من العمل (طبيب، مزارع....) ، أماكن مختلفة مثل (مستشفى، مدرسة...) ، التضاريس الطبيعية (جبل، بحر...).

لعبة " احزر الكلمة " المستوى : من المبتدئ إلى المتقدم.

المهارات المعززة: التدقيق الإملائي(النطق)، استدعاء كلمات ذات معنى قريب.

المواد اللازمة: كرسيان، شاشة عرضdata show ، مفردات.

الإجراءات: - يجهّز الأستاذ مجموعة من المفردات تحت بعضها (من الممكن أن تكون باللون الأبيض حتى لا يرى الطلاب إلا الكلمة التي يريدها الأستاذ).

- يقسم الأستاذ الصف إلى مجموعتين، ويضع أمام كل جهة كرسيًا، ثم يطلب من الطلاب أن يحاولوا شرح الكلمة التي يرونها للطالبين الجالسين على الكرسي، والطالب الذي يعرفها أولًا يفوز.

- يعود الطالب الفائز إلى مجموعته، ويأخذ طالب آخر من نفس المجموعة مكانه، في حين الطالب الخاسر سيبقى مكانه إلى أن يعرف الكلمة.

التغييرات: - اعمل أكثر من مجموعة بدلا من مجموعتين.

- امنح لكل مجموعة (جوكر) يسمح للمجموعة بتغيير طالبها المنافس مرة واحدة إذا استمر بالخسارة.

- اطلب من الطلبة أن يضعوا الكلمة في جملة كي يحصلوا على نقطة.

الاقتراحات: - من الممكن أن تمنح لكل مجموعة وقتا في شرح المفردة لكل الطلاب المتنافسين، حتى لا يصبح الوضع مزعجا إذا تكلمت كل المجموعات في الوقت نفسه.

- من الجيد تهيأة الطلاب لهذه اللعبة مسبقا، فتطلب منهم دراسة المفردات في البيت، وتخبرهم بأن هذا الصف وهذه اللعبة ستكون مراجعة لدراستهم.

- استخدم صورا بدلا من المفردات، وهذا يرفع من سقف اللعبة؛ فعلى الطلاب المشاركة في معرفة الكلمة أيضا خلال شرح المفردات سواء المجموعات أو المتنافسين.

لعبة " اختبر مفرداتك" المستوى: من المتوسط إلى المتقدم.

المهارات المعززة: تفعيل المفردات، وتعزيز التدقيق الإملائي(الكتابة).

المواد اللازمة: ورقة، قلم، جهاز توقيت.

الإجراءات:- يقسم الأستاذ الطلاب إلى مجموعات صغيرة .

- يكتب الطلاب جملا باستخدام مفردات الدرس مع ترك فراغ مكان المفردة، ثم يضع بنكا للمفردات.

- يأخذ الأستاذ الأوراق ويوزعها على مجموعات جديدة لتبدأ بالإجابة عليها.
- عند انتهاء المجموعات يعيد الأستاذ الأوراق للمجموعات الأصلية لتصحيحها وقول النتيجة.

التغييرات:- اللعب في مجموعات أو بشكل فردي.
- ركز على موضوع معين لتفعيل المحتوى أيضا.
- اطلب من الطلبة أن يصححوا الخطأ في كتابة جمل زملائهم ليحصلوا على نقطة.

الاقتراحات:- حدد عدد المفردات التي تريد من كل مجموعة استخدامها.
- اطلب منهم أن يكتبوا بخط واضح وجميل.
- إذا وزعتهم في مجموعات من الأفضل أن تبعد المجموعات عن بعض حتى لا تُسمع الإجابات.

لعبة Scatergories **(مثل لعبة اسم، نبات، جماد)** المستوى : من المبتدئ إلى المتقدم.

المهارات المعززة: التدقيق الإملائي(النطق)، استدعاء كلمات ذات موضوع ما (التذكر).

المواد اللازمة: ورقة، قلم، جهاز توقيت.

الإجراءات:- يعطي الأستاذ موضوعا ما للطلاب. يكتب الطلاب الكلمات التي تعلموها في ذلك الموضوع.
- عندما ينتهي الوقت كل طالب يقرأ قائمة كلماته. إذا تكررت كلمة عند الطلاب لا تحسب فقط الكلمات المتبقية تأخذ نقطة لكل واحدة.

التغييرات:- اللعب في مجموعات أو بشكل فردي.
- أعط الحرف الأول الذي يجب أن تبدأ به الكلمات.
- اطلب من الطلبة أن يضعوا الكلمة في جملة كي يحصلوا على نقطة.

الإقتراحات:- ارفع من سقف المواضيع ليتناسب ذلك وقدرة الطلاب.
- إذا وزعتهم في مجموعات من الأفضل أن تبعد المجموعات عن بعض حتى لا تُسمع الإجابات.

-مواضيع مقترحة: صفات لوصف الناس، حيوانات، مشاهير أو أشخاص معروفين في التاريخ (من اللغة الهدف)، ملابس، ألوان، أيام، أشهر، أرقام...، طعام(فواكه، خضروات، أكلات...)، عبارات التحية، هوايات، أثاث في غرفة معينة،نوع من الترفيه، نوع من المواصلات، غرف في المنزل، المدرسة .

لعبة Pictionary **(خمن الكلمة)** المستوى: من المبتدئ إلى المتقدم

المهارات المعززة: تعريف المفردات واستدعاؤها.

المواد المطلوبة: قرطاسيه+ قطعة ورقة أو لوح طباشير للرسم.

الإجراءات:- قسم الطلاب إلى فرق.
- سيأخذ كل طالب في الفريق دوره في الرسم، ومن الممكن تكرار الرسام بعد أن يرسم الجميع.
- الرسام سيعطى كلمة أو عبارة من الأستاذ حتى يرسمها.
- غير مسموح للرسام أن يستخدم الأرقام أو الحروف في رسمته لكن الإشارات مسموحة.
- الطلاب سيخمنون الكلمة من خلال الرسمة.
- إذا كان تخمينهم صحيحا ينالون نقطة.
- انتقل للمجموعة الثانية، للرسام التالي.

التغييرات:- دع الطلاب يخمنون بشكل فردي، والطالب الذي يفلح في الإجابة سيكون الرسام التالي.
- اطلب منهم الرسم في اليد الأخرى (التي لا يكتبون بها)، أو وأعينهم مغمضة، أو بدون رفع القلم.

اقتراحات أخرى :- اطلب رفع اليد وتصحيح اللفظ من المخمنين.

- استخدم جهاز توقيت إذا لزم الأمر.
- استخدم المفردات الحالية (الدرس الجديد).
- إذا استخدمت هذه اللعبة لمراجعة المفردات امنحهم فئات للكلمات.

لعبة " Bluff" المخادعة: المستوى: من المبتدئ إلى المتقدم.

المهارات المعززة: تنمية النطق(اللفظ)، وتعريف المفردات.

المواد المطلوبة : لا يوجد.

الإجراءات:- وزع الطلاب في فريقين.

- الأستاذ سيطلب من الفريق الأول أن يقدم معنى كلمة.

- أي طالب يعرف معنى الكلمة يقف.

- الفريق الآخر سيطلب من أي طالب واقف(في الفريق الأول) أن يترجم الكلمة أو يذكر مرادفها.

- إذا المعنى صحيح نقطة لكل طالب واقف.

- إذا المعنى خاطئ تحذف (نقطة) من الفريق.

التغييرات:- اطرح سؤالا للإجابة بدلا من مجرد ترجمة الكلمة.

- اطلب من الطلبة استخدام المفردة في جملة للتعريف بها أو شرحها.

لعبة المترادفات والمتضادات المستوى: من المبتدئ إلى المتقدم.

المهارات المعززة:تفعيل المفردات وتذكرها وتوضيح معناها

المواد اللازمة: شاشة عرض ومغناطيس وأوراق

الإجراءات :- اكتب المفردات الجديدة على أوراق مقصوصة بحجم الكلمة، وضعها على الطاولة . واطلب من الطلبة الوقوف حول الطاولة.

- اعكس على شاشة العرض كلمات مترادفة أو متضادة مع المفردات الجديدة .

- اجعل الطلبة يضعون الكلمة المناسبة بجانب الكلمات المعكوسة ع اللوح باستخدام المغناطيس .

- قدم جائزة للطالب الذي عرف أكثر عدد من الكلمات .

التغييرات:- يمكن أن يكتب الأستاذ الكلمات على اللوح دون حاجة لاستخدام شاشة العرض .

- يمكن أن يطلب الأستاذ من الطلبة تذكر الكلمات المترادفة أو المتضادة من الكلمات الجديدة دون تقديم مجموعة المفردات على أوراق .

- يمكن أن يعرض الأستاذ صورا بدلا من الكلمات ويطلب من الطلبة إعطاء كلمة مترادفة أو متضادة بعد إعطاء الكلمة الدالة على الصورة .

اقتراحات:- يمكن تقسيم الطلبة في مجموعات إذا كان عددهم كبيرا لتجنب حدوث فوضى في الصف .

- حدد وقتا لكل مجموعة لتعرف الكلمة المترادفة أو المتضادة، وإذا انتهى الوقت اطلب من مجموعة أخرى إعطاء الكلمة .

- يمكن تقسيم الصف إلى مجموعتين : مجموعة للكلمات المترادفة وأخرى للكلمات المتضادة والمجموعة التي تعرف أكبر عدد من الكلمات تكون الفائزة.

- يمكن أن يكوّن طلبة المستوى المبتدئ جملا قصيرة، أما طلبة المستوى المتقدم فيمكن أن يكوّنوا فقرات قصيرة باستخدام عدد من المفردات الجديدة.

مواضيع مقترحة : الصفات على اختلاف صيغها (البسيطة والمتقدمة/ المادية والمعنوية)، الأحوال، القيم.

لعبة تداعي المعاني / الحقول الدلالية: المستوى: من المبتدئ إلى المتقدم.

المهارات المعززة: تفعيل المفردات وتذكرها وربطها بمفردات ذات علاقة

المواد اللازمة: أوراق كبيرة للكتابة، أقلام.

الإجراءات: - قسّم الطلبة إلى مجموعات .

- أعط لكل مجموعة ورقة كبيرة وأقلام بعدد الطلبة في المجموعة .

- أعط لكل مجموعة حقلا دلاليا (كلمة تجمع تحتها مجموعة من الكلمات مثل: فواكه/ خضار/ أثاث..) أو كلمة ترتبط بكلمات أخرى في المعنى مثل: مدرسة (طالب/ كتاب/ معلم/ دفتر....) وذلك حسب المفردات الجديدة المراد تفعيلها.

- اطلب من كل مجموعة أن تكتب أكبر عدد من الكلمات الجديدة التي لها علاقة بالحقل الدلالي . والمجموعة التي تكتب أكبر عدد من الكلمات هي المجموعة الفائزة .

- اطلب من الطلبة استخدام المفردات الجديدة في جمل (للمستوى المبتدئ) أو سلاسل من الجمل باستخدام عدد من المفردات الجديدة في فقرة(للمستوى المتقدم).

التغييرات: - إذا كان عدد الطلبة قليلا من الممكن أن نكتب حقلين دلاليين على اللوح في دائرة تتفرع منها الكلمات الجديدة ذات العلاقة، ويتنافس الطلاب في مجموعتين على كتابة أكبر عدد من الكلمات الجديدة ذات العلاقة بالحقل الدلالي.

- من الممكن كتابة المفردات الجديدة على أوراق مقصوصة بحجم الكلمة ونثرها على الطاولة. ثم نطلب من الطلبة تجميع الكلمات ذات العلاقة بحقل دلالي معين.

مواضيع مقترحة :الأثاث، الخضراوات، الفواكه، السياحة والسفر، التكنولوجيا ، مواضيع اقتصادية متقدمة(التجارة، الشركات..، مواضيع سياسية (الحرب، الإعلام ....) وغيرها الكثير.

وهذه الألعاب نماذج دالة على إمكانية استخدام الألعاب اللغوية في تدريس مفردات اللغة العربية على اختلافها وتنوع مجالاتها. ويوجد غيرها الكثير مما يمكن أن يستخدمه الأستاذ في بث الحيوية والنشاط في صفه، وإثارة دافعية طلبته، وتيسير تعلم مفردات درسه على نحو طبيعي وظيفي في جو من المرح والتسلية. وتصلح جميع هذه الألعاب وغيرها في تدريس كافة المواضيع الحياتية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والإنسانية، والدينية أيضا، في جميع المستويات المبتدئة والمتوسطة والمتقدمة، لاسيما وأن الأستاذ الماهر يستطيع أن يطوعها في خدمة درسه بالطريقة التي يراها مناسبة لمستوى طلبته وموضوع درسه.

النتائج والتوصيات :

1- أكدت الدراسة أهمية تدريس المفردات اللغوية لمتعلمي العربية والعناية بأساليب اختيارها وتقديمها.

2- خلصت الدراسة إلى القول بأهمية استخدام الألعاب اللغوية وتوظيفها في تدريس اللغات لاسيما تدريس المفردات، لما لها من فوائد تعليمية نفسية تنعكس على أداء الطالب اللغوي والشخصي.

3- توظيف الألعاب اللغوية واستثمارها في صف اللغة اتجاه وظيفي في تعليم المفردات وتفعيلها.

4- التوجيه إلى توظيف الألعاب اللغوية في فروع اللغة كافة، لاسيما وأنّ الألعاب اللغوية تناسب كل جوانب التعلم: مفردات ومحتوى ومهارات.

5- توصي الدراسة باعتماد الألعاب اللغوية وسيلة تعليمية-من وسائل أخرى بطبيعة الحال- في صفوف تعليم اللغة، ومناهجها؛ لتيسير تعلّم اللغة، واكتسابها على نحو طبيعيّ وظيفيّ. فلا بدأن تحوي مناهجنا أنشطة تستفيد من هذه الألعاب اللغوية التعليمية وتبين هدفها.

6- عقد دورات تدريبية تشجع الأساتذة وتوعيهم بأهمية استخدام الألعاب اللغوية في صفوفهم وكيفية إجرائها، بما ينعكس إيجابا على تقدم الطلبة في اكتساب اللغة، وتعزيز دافعيتهم.

خطة مقترحة لاستخدام الألعاب اللغوية في تعليم مفردات اللغة العربية في نماذج من الدروس للمستوى المبتدئ والمتوسط والمتقدم

خطة درس للمستوى المبتدئ : عند الطبيب الوقت: من3-4 ساعات (صفان دراسيان)

الأهداف المتحققة / النتاجات : يتوقع من الطالب بعد الانتهاء من الدرس ما يأتي :

-أن يتذكر مفردات الجسم والمفردات التي نستخدمها عند الطبيب.

-أن يكون قادرا على مطابقة الصورة مع الكلمة الجديدة التي تعلمها .

-أن يستخدم الكلمات في كتابة جملة بسيطة تعبر عن الصور.

- أن يستخدم الكلمات الجديدة في حوار قصير مع الطبيب.

- أن يميز الكلمات الجديدة ومعناها عندما يستمع إليها أو يقرأها.

-أن يجيب عن الأسئلة بعد الاستماع إلى نص أو قراءة نص يستخدم المفردات الجديدة.

إجراءات الدرس :

1-يرسم الأستاذ نموذجا لجسم الإنسان ويعين عليه أجزاءه (مشاركة مع الطلبة)، أو يستخدم صورة، أو يشير إليها حقيقة.

2-يطلب الأستاذ من كل طالبين تذكر أجزاء الجسم مع بعض بالإشارة إليها. ثم يراجعها مع كل الصف. 3-يقوم الأستاذ بتفعيل هذه المفردات بلعبة لغوية مثل المطابقة بين الكلمة والصورة، أو مسابقة في سرعة الإشارة إلى الجزء الذي يقوله الأستاذ وغيرها .

4-يعطي الأستاذ الطلبة قائمة بالمفردات الجديدة (عند الطبيب) مثل(حرارة/ مغص/ استفراغ/ عيادة/ مستشفى..) ويعرض صورا لها ليفهم الطالب معناها، ويترجمها أو يطلب من الطلبة ترجمتها ليتأكد من الفهم الصحيح. ويمكن أن تتضمن القائمة ترجمة للمفردات لاسيما وأنهم في المستوى المبتدئ.

5-يقوم الأستاذ بتفعيل هذه المفردات الجديدة باستخدام الألعاب اللغوية مثل خمن الكلمة (وذلك بتقسيم الصف إلى مجموعتين ثم اختيار طالب من كل مجموعة ويجلسان مقابل طلبة الصف، يكتب الأستاذ كلمة من المفردات الجديدة على اللوح وتحاول كل مجموعة شرح الكلمة والطالب الذي يخمن الكلمة يفوز.أو باستخدام لعبة المطابقة بين الكلمات والصور(حيث يقسم الأستاذ الصف إلى مجموعتين ويضع المفردات على أوراق مقصوصة بحجم الكلمة على الطاولة ويقوم بعرض صور للمفردات وعلى الطلبة أخذ المفردة ووضعها بجانب الصورة المناسبة باستخدام المغناطيس) أو لعبة اختبر مفرداتك .

5- يطلب الأستاذ من الطلبة استخدام المفردات في جمل بسيطة. ويمكن أن يعرض صورا أو يعطيهم ورقة فيها مجموعة من الصور ويعبرون عنها بكتابة جملة باستخدام المفردات الجديدة.

6-يعرض الأستاذ فيديو يمثل حوارا بين الطبيب والمريض ، ثم يعطيه للطلبة مكتوبا، ويطلب من كل طالبين أداء الحوار ثم الانتقال للعمل مع زميل آخر والتغيير في نص الحوار كأن يصف أعراض أخرى يشعر بها أو يغير اختصاص الطبيب (طبيب أسنان أو عام ....) وغيرها .

7-يمكن أن يستخدم الأستاذ الفيديو السابق كتدريب استماع أو نصا آخر يتعلق بالموضوع نفسه. فيطلب من الطالب كتابة المفردات الجديدة التي استمع إليها من الفيديو ويتذكرها، أو يعمل تمرينا للتمييز بين الأصوات في ثنائيات مثل: مغص/ مخص، طبيب/تبيب. ويمكن أن يضع مجموعة من الأسئلة ليختبر فهم الطالب للنص المسموع. كما يمكن أن يستخدم النص المكتوب للحوار أو نصا آخر كاستيعاب قرائي.

خطة درس للمستوى المتوسط: مفردات صف الإعلام

برنامج مدلبري في عمان / الجامعة الأردنية

النتاجات / الأهداف: تفعيل مفردات وحدة الإعلام في الشرق الأوسط (هذا هدف عام)

بعد الانتهاء من الدرس يتوقع من الطالب :

- أن يكون قد فهم المفردات الجديدة والتمييز بين معانيها واستخداماتها.
- أن يكون قادرا على استخدامها في سياقها الصحيح.
- أن يكون قادرا على كتابة خبر كامل باستخدام المفردات الجديدة.
- أن يكون قادرا على استخدامها في حواراته ومقابلاته

المواد اللازمة: قصاصات ورقية، أقلام ملونة للتصحيح.

إجراءات الدرس:- توزيع قائمة من المفردات على الطلبة من قبل.

-عمل ورقة عمل للتفعيل المفردات بيتيا.

-إرسال موقع الكتروني من " Quizelt" ليفعل الطلبة المفردات تفعيلا ذاتيا.

-التفعيل في الصف: (باستخدام الألعاب اللغوية)

يبدأ الدرس بالتمهيد من خلال سؤال الطلاب عن الأحداث الأخيرة التي قرؤوا عنها أو سمعوها في الأيام الماضية، ويتم ذلك في مجموعات ثنائية.ثم يسمع الأستاذ من المجموعات الأخبار التي سمعوها وتعليق سريع على الأخبار. وبعد ذلك ينتقل إلى المفردات الجديدة . يوزع مجموعة من المفردات مكتوبة على قصاصات على كل مجموعة ويطلب منهم كتابة جمل عليها بدون كتابة المفردة ويضع قائمة المفردات في بنك للمفردات.ثم يستلم الأستاذ الجمل من المجموعات ويعيد توزيعها على المجموعات الأخرى، مانحا إياهم وقتا كافيا للإجابة. وبعد ذلك يستلم الأستاذ الأوراق مرة أخرى معيدا إياها هذه المرة لمن كتبها ثم يطلب من هذه المجموعات تصحيح الأوراق وإعطاء تقييم للمجموعات الأخرى.

خطة درس للمستوى المتقدم : تفعيل قائمة مفردات لامتحان منتصف الفصل.

برنامج مدلبري في عمان / الجامعة الأردنية

النتاجات / الأهداف :بعد الانتهاء من الدرس يتوقع من الطالب :

- أن يكون قد فهم المفردات الجديدة وميّز بين معانيها واستخداماتها.
- أن يكون قادرا على استخدامها في سياقها الصحيح.

المواد اللازمة: شاشة عرض، قائمة مفردات.

إجراءات الدرس:- توزيع قائمة من المفردات على الطلبة قبل الدرس.

-إعداد ورقة عمل لتفعيل المفردات بيتيا.

-إرسال موقع الكتروني من " Quizelt" ليفعّل الطلبة المفردات تفعيلا ذاتيا.

التفعيل في الصف: باستخدام الألعاب: لعبة المترادفات والمتضادات ، لعبة خمن الكلمة

راجع إرشادات لعبة المترادفات والمتضادات.

تغييرات في لعبة (خمن الكلمة):- قسّم الطلاب إلى مجموعتين.

-ضع كرسيًّا أمام كل مجموعة بعكس اتجاه شاشة العرض.

-حضّر قائمة من المفردات التي تود تفعيلها أو مراجعتها.

-أجلس طالبًا من كل مجموعة على الكرسي ثم اعرض مفردة على المجموعتين وعليهما المنافسة في شرح المفردة لزميلهم المنافس.

-في حالة نجاح الطالب المنافس في تخمين المفردة المرادة اسمح له بالعودة وبادل مكانه مع تلميذ آخر في حين يبقى الطالب المنافس الآخر مكانه حتى ينجح وهكذا.

اقتراحات:من الجيد أن يكون الطلبة على معرفة مسبقة أن هذا الصف سيخصص لتفعيل المفردات وأن عليهم التحضير مسبقا للعبة. ويمكنك الاستعانة بصور – إن أمكن – لشرح المفردات المرادة مما يشرك المجموعات أيضا في التحدي.

المصادر والمراجع:

1- أولمان، ستيفن(1990)، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، القاهرة: مكتبة الشباب، ص49.

2- حسان، تمام(1990)، مناهج البحث في اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ، ص232.

3- الخولي، محمد(1986)، معجم علم اللغة التطبيقي، بيروت: مكتبة لبنان، ص131.

4- طعيمة، رشدي(1989)، تعليم العربية لغير الناطقين بها: مناهجه وأساليبه، الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكوا، ص194.

5- عبد الباري، ماهر شعبان(2010)، تعليم المفردات اللغوية، عمان: دار المسيرة ، ص ص34-40، ص405-406.

6- عبد الباري، ماهر شعبان(2010)، استراتيجيات تعليم المفردات(النظرية والتطبيقية)، عمان : دار المسيرة، ص ص31-34 ، ص ص62-64.

7- عبد العزيز، ناصف(1983)،الألعاب اللغوية في تعليم اللغات الأجنبية، ط1، الرياض: دار المريخ، ص13، ص9، ص48.

8- الهاشمي، عبد الرحمن(2011)، دراسات في مناهج التربية الإسلامية واللغة العربية وأساليب تدريسها، ط1، عمان: مؤسسة الوراق، ص268.

الدراسات الأجنبية :

1. Talak-Kiryk, Amy (2010), "Using Games In A Foreign Language Classroom" .MA TESOL Collection, P23-26 ,28-29,41.
2. Simpson, Adam, (2015)" Using Games in the Language Classroom" pdf. Published by at Smashwords, **p3-4,12-22**, **17-18, 23-24**

الدوريات :

1- البري، قاسم(2011)، أثر استخدام الألعاب اللغوية في منهاج اللغة العربية في تنمية الأنماط اللغوية لدى طلبة المرحلة الأساسية ، الأردن : المجلة الأردنية في العلوم التربوية ، مجلد7، عدد1، ص28،24.

2- العناتي، وليد(2009)، كتاب نون والقلم لتعليم العربية للناطقين بغيرها: دراسة لسانية تربوية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، مطابع جامعة أم القرى، العدد2، ص123-124.

3- الماجستير، أمي حنيفة(2012)، أهمية الألعاب اللغوية في تعليم اللغة العربية ،ماليزيا : مجلة التجديد/الجامعة الإسلامية العالمية/علوم التربية، مجلد1،عدد2، ص 3-7-9.

الرسائل الجامعية :

1.حماد، هبة(2013)، تعليم المفردات للناطقين بغير العربية كتاب "نون والقلم" نموذجًا ، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية ، ص26-28، ص85.

2.سونداري، تيتيك (2014)، أثر استخدام أسلوب الألعاب اللغوية على مهارة الكلام لدى تلاميذ الصف الثامن في المدرسة الثانوية الحكومية بويولالي، رسالة جامعية ، جامعة سلاتيجا الإسلامية الحكومية، ص18، 21 .

المواقع الإلكترونية :

1.معايير آكتفل

https://www.actfl.org/publications/guidelines-and-manuals/actfl-proficiency-guidelines-2012/arabic

2. موقع لعبة كلمة السر

-على الأندرويد(Android): https://play.google.com/store/apps/details?id=zozo.android.lostword

-على الآيفون(IPhone): https://itunes.apple.com/app/id827468856?mt=8

3. Puzzlemaker http://puzzlemaker.discoveryeducation.com/CrissCrossSetupForm.asp

الأدب الرقمي واقع مفروض أم خيار حضاري؟
-الرواية الرقمية أنموذجا-

د.بوقطاية سعاد

جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة

الملخص: في خضم التحول الثقافي الذي تشهده الساحتان الأدبية والنقدية، طفا إلى السطح جنس أدبي جديد سمي بالأدب الرقمي ، وهو شكل تعبيري جديد يعتمد في بنائه على وسائط متعددة كالصورة والصوت والحركة إضافة إلى الكلمة، ولم يستثن المد التكنولوجي النص الروائي ، فكان له الأثر البالغ في جعله أكثر ديناميكية عما سبق، من حيث أنه أكسبه إيقاعا سرديا جديدا, أسهم في تقريبه من المتلقي وفتح الباب للمبدع لركوب صهوة التجريب.

الكلمات المفتاحية: الأدب الرقمي، الرواية التفاعلية، الإيقاع السردي الجديد.

Abstract
In the midst of the cultural transformation witnessed by the literary and monetary spheres, a new literary genre called digital literature came to the surface.
It is a new form of expression that depends in its construction on various media such as image, sound and motion, as well as the word. The technological tide has not spared the narrative text since it has had the profoundest effect of making it more dynamic than ever before thereby imparting to it a new narrative rhythm,. Such rhythm contributed to its proximity to the recipient and opened the door to the creator to delve into the world of trial.

Keywords: digital literature, interactive novel, new narrative rhythm

مقدمة: يعد الأدب ركيزة أساسية لثقافة شعب من الشعوب، والناقل والحافظ لمقوماتها، من فكر ووجدان وتاريخ وعادات وتقاليد، وذلك من خلال أنساق وأبنية لغوية متنوعة كان الشعر سنامها وعمادها، ثم تعددت أشكالها لتظهر أساليب تعبيرية جديدة تتماشى والمسار الوجودي المتنامي على المستوى الفكري أو على المستوى المادي.

والمتتبع لمسار الإبداع الأدبي تستوقفه محطات بارزة تمثل نقاط التطور فيه، سواء كان هذا التطور على مستوى النمو الفكري أو على مستوى التطور المادي، فمن التفكير الخرافي الميثافيزيقي إلى التفكير الفلسفي، منه إلى التفكير العلمي، ومن الحجر والخشب والجريد إلى الكتب والجرائد والمجلات، أما اليوم فقد ظهرت وسائط جديدة ومتطورة مثل الإذاعة والتلفزيون وشبكة الأنترنيت...الخ، ليعرف النشاط الأدبي تحولات مشهودة وتحديات مفروضة فرضها التطور التكنولوجي المذهل خاصة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال، هذا المد الزاحف الذي اجتاح كافة الميادين وأوجد لنفسه مناخا معرفيا شاسعا، أسهم في تطور حقول معرفية سابقة، كما أسهم في ميلاد حقول معرفية جديدة (الصحافة الإلكترونية، الهندسة الإلكترونية، التجارة الإلكترونية...).

ويمكننا أن نجمل المراحل التي مر بها النشاط الأدبي في ثلاث مراحل هي: المرحلة الشفاهية ، المرحلة الكتابية ، المرحلة الإلكترونية، وكل مرحلة من هذه المراحل تختلف عن سابقتها اختلافا جوهريا، خاصة المرحلة الأخيرة التي تعد انتقالا حضاريا في مختلف جوانب الحياة ،و قفزة نوعية في حقل الآداب الإنسانية، وتجدر الإشارة إلى أن العلاقة التي تربط هذه المراحل هي علاقة التجاوز والتكامل لا القطيعة ، إذ " ما العصر الإلكتروني إلا عصر "شفاهية ثانوية" شفاهية التليفون والإذاعة والتلفاز ،وهي شفاهية تعتمد في وجودها على الكتابة والطباعة "[1] . وهذا ما أقره رونيه ويليك حين اعتبر الأدب " ليس من بقايا الماضي وإنما هو استمرار حي.

[1] - والترج.أونج: الشفاهية والكتابية، تر:حسن البنا عز الدين، عالم المعرفة- الكويت، دط، 1994م، ص39.

ويمكننا في هذا السياق التنويه إلى نقطة هامة وهي أن التحول الذي طال الأدب لم يطل ماهيته وطبيعته بقدر ما طال طرق نقله ووسائل توصيله إلى المتلقي، بمعنى أن الأدب لم يتغير وإنما الوسيط هو الذي تغير ، فالأدب يظل أدبا مهما تعددت أشكال ووسائل نقله للمتلقي، ولعل المسميات التي عرف بها الأدب في هذه الفترة دليل على ما قلناه سابقا، فكلها مستمدة من الوسائط التكنولوجية الحديثة، فظهرت مصطلحات من قبيلا: الأدب الرقمي ،الأدب الإلكتروني، الأدب المعلوماتي، الأدب السمعي البصري، الأدب التفاعلي وغيرها.

وفي السياق نفسه من النقاد من لديهم وجهة نظر مغايرة، ومنهم الناقدة " فاطمة البريكي" ، في كتابها "مدخل إلى الأدب التفاعلي" ، حيث ترى أن التغير الذي شهده الأدب قد مس جوهره كما مس وسائل نقله، فالتأثير كان بالغا وعميقا ليس فقط على نوع النصوص المقدمة (ورقية أو إلكترونية) إنما على طبيعتها، ونوعية الأفكار التي تطرحها ومدى تواؤمها مع معطيات العصر"[1].

هذه المواقف المزدوجة فتحت الباب على مصراعيه لسيل عارم من التساؤلات والإشكاليات.. ما الأدب الرقمي ؟ ما هي أنواعه؟ ما مدى تفاعل المتلقي العربي مع هذا المستحدث الإلكتروني؟ ما هو واقع الأجناس الأدبية في ظل الفضاءات الرقمية ، خاصة النتاج الروائي العربي؟ وما الإضافات التي أثرى بها هذا الأخير عملية الإبداع والتلقي معا؟.

1-مفهوم الأدب الرقمي: فتحت الثورة المعلوماتية الحديثة الأفق واسعا أمام النص الأدبي فارتقى بذلك إلى سماء البرمجة النصية مرتحلا من عوالمه الورقية إلى عوالم رقمية ، سابحا في فضاءات افتراضية مغرية مكنته من استعارة بعضا من تقنياتها الحداثية ووسائطها الإبداعية ، والتي أسهمت في تغيير ملامحه وتبدل تركيبته فرافق ذلك ظهور إبداعات تكنونصية واعدة ، تروم إلى مواكبة التطورات الراهنة ، فتحددت معاقلها (أجهزة الحاسوب)، وتباينت مفاهيمها، وتعددت مسمياتها ،مما جعل القارئ يتخبط خبط عشواء لا يميز بين التفاعلي والترابطي والرقمي والإلكتروني، وكلها مسميات مرتبطة بالوسيط الإلكتروني الحاسوب ، مما فتح المجال واسعا أمام النقاد لمساءلة هذا الجنس الأدبي الجديد، والتعريف به ، ولعل أهم هذه المحاولات ما قام به الناقد جميل حمداوي في كتابه " الأدب الرقمي" ، حين أعطى حوالي ستة عشر تعريفا له ، مركزا في كل تعريف على خاصية من خصائصه، مفضلا مصطلح "الأدب الرقمي" على بقية المصطلحات الأخرى، قائلا: " بيدا أن أفضل مصطلح بالنسبة لي هو الأدب الرقمي وأساس اختياره وتفضيله تتمثل في كونه أكثر ارتباطا بالوسيط الإعلامي.. و يقوم هذا الأدب كذلك على تحريك المعطى النصي وفق الصوت والفيديو والإيقاع الزمني انطلاقا من أرقام ثنائية مزدوجة "[2].

ويعرفه بأنه: "ذلك الأدب السردي أو الشعري أو الدرامي الذي يستخدم الإعلاميات في الكتابة والإبداع...يعني هذا أن الأدب الرقمي هو الذي يستخدم الواسطة الإعلامية أو جهاز الحاسوب أو الكومبيوتر، ويحول النص الأدبي إلى عوالم رقمية وآلية وحسابية "[3].

من المحاولات الجادة التي عرفت الأدب الرقمي ما قامت به الناقدة فاطمة البريكي في كتابها " مدخل إلى الأدب التفاعلي"، والتي تقر بأن " الأدب التفاعلي مصطلح فضفاض يضم- كما رأينا- عددا من الأجناس الأدبية التي تختلف فيما بينها اختلافا كليا، ولا تكاد تتفق إلا في كونها لا تتجلى لمتلقيها إلا إلكترونيا، وهذا يعني بالضرورة أن منتجها لا ينتجها إلا إلكترونيا أيضا، مما يستدعي أن يصبح المبدع متمكنا من استخدام الحاسوب بمهارة ، وفهم لغته وبرامجه وكل ما يتعلق

---

[1]. فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب، ط1،2006م، ص19.

[2]. جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، شبكة الألوكة، ط1، 2016م،ص14

[3]. المرجع نفسه، ص15.

به، حتى يتمكن من صياغة إبداعه دون أن يشعر بحواجز نفسية على الأقل بينه وبين الوسط الذي ينقل عبره إبداعه إلى المتلقي ، حتى إن كان يستعين بأكثر الحاسوبيين مهارة للقيام بذلك نيابة عنه "[1].

و بهذا فالناقدة تركز على ضرورة امتلاك المبدع لجهاز الحاسوب وحسن استخدامه وتوظيف تقنياته ، كما أنها قد قصرت أطراف العملية الإبداعية الرقمية على المبدع الرقمي والمتلقي الرقمي وجهاز الحاسوب بينما أهملت النص الرقمي ، وهو محور العملية الإبداعية ، فلا أدب بلا نص، بغض النظر عن كونه شفاهيا أو كتابيا أو إلكترونيا.

فمن منطلق الناقدة " فاطمة البريكي "يكون كل ما يكتب على شاشة الحاسوب يعد أدبا، وبهذا فهي تعيد طرح فكرة الأدبية في الأدب ولكن بمفهوم جديد ومصطلح جديد ألا وهو "الأدبية الرقمية "،الأمر الذي يزيد من تعقيد مفهوم الأدب الرقمي أكثر مما يوضحه إذ نجدها في موضع آخر تحاول تحديد ماهيته بالوقوف عند قطبيه (الأدبية والإلكترونية) حيث تقول:" وبهذا يسهل فهم وصف هذا الجنس ب(الأدبية والإلكترونية) معا ، فهو أدبي من جهة لأنه في الأصل إما أن يكون شعرا أو مسرحية أو قصة أو رواية ، وإلكتروني من جهة أخرى ،لأنه لا يمكن لهذا الفن الأدبي أيا كان نوعه ،أن يتأتى لمتلقيه في صيغته الورقية ،ولا بد له من الظهور في الصيغة الإلكترونية " [2].

والملاحظ أن مفهومها للأدبية الرقمية مفهوم سطحي وبسيط ،إذ ما لا يخرج عن الأجناس الأدبية التقليدية من رواية ومسرحية وقصيدة وقصة يعد أدبا ، وهذا المفهوم مفهوم عام بعيد كل البعد عن روح التحليل والتمحيص، إذ فيه كثير من التعميم المطلق المؤدي إلى تعتيم المصطلح بدلا من إضاءته.

أما التسمية التي آثرت استخدامها فهي "الأدب المتفرع" وهو اقتراح قدمه الدكتور (حسام الخطيب) في كتابه "الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المتفرع"، حيث عرفه بأنه " أسلوب يتيح للقارئ وسائل عملية عديدة لتتبع مسارات العلاقات الداخلية بين ألفاظ النص وجمله وفقراته، ويخلصه من قيود خطية النص ، حيث يمكنه من التفرع من أي موضوع داخله إلى أي موضوع لاحق أو سابق، بل ويسمح أيضا للقارئ بأن يمهر النص بملاحظاته واستخلاصاته، وأن يقوم بفهرسة النص وفقا لهواه، بأن يربط بين عدة مواضيع في النص ربما يراها مترادفة أو مترابطة تحت كلمة واحدة ،أو عدة كلمات مفتاحية[3].

ويلتقي السيد نجم في مفهومه لهذا النوع من الأدب مع البريكي في أمور كثيرة منها كونه لا يتجلى لمتلقيه إلا إلكترونيا ،بالإضافة إلى اعتماد نظام (النص المتفرع) في تقديمه للمتلقي وكذا الجمع بين الأدبية والإلكترونية ،إلا أنه يضيف عليها عنصر التفاعل، والمتمثل في قدرة المتلقي الرقمي على التفاعل مع النص الرقمي من خلال فهم لغته واستيعاب تقنيات توليده وإدراك صوره وأشكاله المختلفة ، مقترحا تسميته بالأدب التفاعلي ومعرفا إياه بأنه "الأدب الذي يعتمد إلى حد على الحالة التفاعلية القائمة بين العناصر الثلاثة الرئيسية المكونة للعملية الإبداعية (المبدع-النص-المتلقي) والتي تترك لمتلقي النص مساحة لا تقل عن مساحة مبدعه، ليسهم من خلالها في بناء معنى النص الذي لا يكون نهائيا ،و لا مكتملا، إنما في حالة حركة وتجدد ونماء دائمة".

من هذا التعريف يمكننا أن نضع أيدينا على نقطتي التحول التي طالت العملية الإبداعية، النقطة الأولى والمتمثلة في طبيعة العملية الإبداعية من خلال اعتماد جهاز الحاسوب كدعامة أساسية لتقديم النص الأدبي ،النقطة الثانية والمتمثلة في أطراف العملية الإبداعية، إذ استولى كل من المبدع والمتلقي على المراكز التفاعلية في عملية الإبداعية بينما همشت بقية الأطراف.

---

3 . فاطمة البريكي: الرواية التفاعلية ورواية الواقعية الرقمية، موقع ميدل إيست أونلاين ،على الرابط:

www.middle-east-online.com 03-06-2005 /

[2] . فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص73.

[3] . المرجع نفسه، ص77.

ومما لاشك فيه أن التفاعلية هي أهم خاصية مميزة للأعمال الرقمية ،وهي مرتبطة أساسا بالمتلقي ومدى تجاوبه مع النظام التقني للعمل الأدبي،ومدى قدرة هذا الأخير على إحداث نشاط فعال وخلاق لدى القارئ، باعتباره عنصرا داخليا في العمل الأدبي ويعرفها فليب بوتز" بأنها خاصية للعلاقة التي تقوم بين القارئ والبرنامج.إنها قدرة تمنح للقارئ وإكراه يخضع البرنامج: يمنح العمل القارئ قدرة التأثير في تركيب العلامات المقترحة للقراءة ويفرض العمل نفسه على البرنامج أن يتجاوب مع بعض المعلومات التي يقدمها القارئ "[1].

على ضوء هذا فإن التفاعلية هي الخاصية التي تخلق نوعا من التأثير والتأثر بين القارئ وبين البرنامج أو النظام الذي يستخدمه المبدع في بناء نصه.

ونجد الناقد المغربي سعيد يقطين في كتابه " من النص إلى النص المترابط: مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي " يتجاوب مع فكرة التفاعلية في النصوص الرقمية ،أو يرى أن الأدب ماهو إلا نوع من أنواع الإبداع التفاعلي ،الذي تجاوز الآلية التقليدية في تقديم النص الأدبي إلى آلية إلكترونية جديدة تسمح بجعل النص أكثر حيوية وديناميكية ، وتكسبه بعدا تفاعليا ، يكون للمتلقي فيه مساحة كبرى في بناء النص معرفا الإبداع التفاعلي بأنه " مجموع الإبداعات (والأدب من أبرزها) التي تولدت مع توظيف الحاسوب ولم تكن موجودة قبل ذلك ،أو تطورات من أشكال قديمة ،ولكنها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة في الإنتاج والتلقي " [2].

وقد فضل مصطلح النص المترابط لأنه رأى أن دعامة هذا الأدب وقوامه هو الترابطية ، بمعنى الترابط الموجود بين تشعبات النص وتفرعاته ، ولا يتجسد هذا الترابط إلا من خلال جهاز الحاسوب وبرامجه، فالنص عنده مجموعة من الوحدات المتشعبة والمتفرعة، التي تقتضي روابط تجمعها " لهذا الاعتبار نرى أن مفهوم " النص المترابط" أدق في توصيف هذا النص الجديد " [3].

ونبقى مع النقاد المغاربة الذين احتفوا كثيرا بهذا الجنس الأدبي ومنهم الناقدة " زهور كرام "،التي تسعى جاهدة إلى الإقرار بحقيقة الأدب الرقمي ، وترى أن الأدب الإلكتروني ما هو إلا مرحلة متطورة من مراحل تطور الأدب؛ إذ أنه لا يعرف الثبات والاستقرار مما يجعله دائم التحول والتحور وذلك وفقا لتغير الوسائط الناقلة له والداخلة في تكوينه ،وكثيرا ما تعرج الناقدة على واقع التجربة العربية في هذا المجال وترى بأنها مازالت تحبو وتتعثر ،كون الذهنية العربية مازالت لم تتشرب الثقافة التكنولوجية بعد حيث تقول "الأدب الرقمي حقيقة أدبية تميز العصر التكنولوجي في أمريكا وأوروبا، وعربيا مايزال يخطو باحتشام كبير. وهذا له علاقة بمدى انخراطنا في حالة التطور ومدى توفرنا على مناخ يسمح بمثل هذا الإبداع ،كما يتعلق أيضا بوضعية النقد الأدبي وقدرته على متابعة تطورات حالة النص الأدبي".

مهما اختلفت التعاريف وتباينت إلا أنها تجمع على أن الأدب الرقمي هو ذلك الأدب الذي اتخذ من الوسائط التكنولوجية الحديثة وسائل في الكتابة ، وهو ذلك الأدب الذي يوظف بالإضافة إلى الكلمة تقنيات جديدة كالصورة والصوت والحركة وغيرها.

2- الأدب الرقمي: ممارسة ومساءلة: قدمت الوسائط التكنولوجية الحديثة دورا هاما في إحداث قفزة نوعية في المغامرة الإبداعية ،حيث أصبحت وسائط فعالة في الكتابة وضرورية في العملية الإبداعية ،فقد أسهمت في خلق تجارب جديدة في الكتابة ،هذه التجارب طرحت نفسها بقوة لإحداث موجة من التغيير ،إلا أنها لم تكن بالحدة الكافية التي تسمح بالانتقال من حال إلى حال ،ولعل ذلك راجع إلى قلة النماذج الإبداعية الرقمية سواء عند الغرب أو عند العرب، ويرجع المنظرون

---

[1]. فليب بوتز: ما الأدب الرقمي؟ تر: محمد أسليم، مجلة علامات، العدد35، ص105.

[2]. فاطمة البريكي: المرجع السابق ،ص58.

[3]. سعيد يقطين: النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1،2008م، ص30.

لهذا الجنس الأدبي الجديد أول عمل رقمي تفاعلي في العالم إلى سنة1986 م ،أين أصدر الروائي "مايكل جويس "رواية بعنوان "قصة- بعد الظهيرة "[1].

بينما يرجع رائد الرواية الرقمية العربية " محمد سناجلة " الإرهاصات الأولى للأعمال التفاعلية إلى الروائي الأمريكي " ستيفن كينج" الذي نشر روايته الأولى عبر شبكة الأنترنت عام 2001م،حيث يقول: " إلا أن كينج لم يستخدم التقنيات الرقمية في بناء روايته هذه بل اكتفى فقط بنشرها رقميا على الشبكة عوضا عن نشرها في كتاب ورقي كالعادة وبالتالي لم يأتي بجديد إلا في مجال النشر الرقمي أو الرواية الرقمية.

وفي نفس الوقت – الأصح في الوقت نفسه- كنت قد انتهيت من كتابة روايتي ظلال الواحد التي استخدمت في بنائها التقنية المستخدمة في بناء صفحات الويب وقمت بنشرها رقميا على شبكة الأنترنت على موقعي من غير مساعدة من أحد"[2].

ذهب سناجلة أبعد مما نتصور ، في التلميح إلى أنه أول من كتب رواية تفاعلية في العالم ، لأن المحاولات السابقة أو المعاصرة له كان لها السبق في النشر الرقمي فقط والذي يختلف كثيرا عن الإبداع الرقمي التفاعلي الذي يستخدم التقنيات الرقمية ، وقد يكون الرجل صادقا فيما ذهب إليه كون المجال مازال خصبا والمحاولات كثيرة، وقد يكون مدفوعا بدوافع أخرى. ثم توالت بعد ذلك النماذج الإبداعية الرقمية مثل:روايات "بوبي رابيد "التفاعلية، وقصائد "روبيرت كاندل" التفاعلية أيضا ، واستمر التطور ليصل إلى الساحة العربية، التي اعتراها مخاض عسير من جراء الاصطدام المفاجئ بالتكنولوجيا الحديثة ، ليجد المبدع العربي نفسه وجها لوجه أمام عصر تكنولوجي مذهل ،لابد من مجاراته وسبر أغواره ، حتى يتمكن من ابتكار طرق جديدة لتقديم إبداعه تتناسب مع متطلبات العصر، وهذا ما تقره "البريكي"، حيث تقول: "إن امتلاك أدوات العصر سيؤدي إلى تمكن المبدع من أداء دوره الخلاق بشكل أفضل منه في حال عدم امتلاكه لها ،إذ يصبح قادرا على التفكير بطريقة تتناسب أيضا مع العصر الذي يعيشه ،وأن يبتكر طرقا جديدة لتقديم إبداعه تتواءم أيضا مع عصره، ومن شأن هذا أن يؤثر في الطريقة التي سيتلقى بها الجمهور نصه وكيفية تفاعله مع "[3]. لكن المتتبع للمشهد العربي خصوصا، يلحظ حركة مد وجزر بين رافض ومتقبل، وإن كان شبه إجماع من قبل الجمهور على رفض هذا الجنس الأدبي الجديد، وهذا الرفض مرتبط بالدرجة الأولى بالمتلقي العربي ومدى استيعابه ووعيه بالمعرفة التكنولوجية، وقدرته على التعامل مع الوسائط الجديدة باعتبارها ثقافة جديدة عليه، المعروف أن المجتمعات العربية مازالت في طور الالتفات وبداية الوعي بهذه الظاهرة ، الأمر الذي يتطلب الكثير من الوقت حتى يمكن الحديث عن تجربة عربية رائدة في حقل الأدب الرقمي إبداعا ومساءلة، وهذا ما تحدثت عنه الناقدة " زهور كرام": " الأدب الرقمي هو محقق الآن في التجربة الغربية ، وهذا راجع لتطور وسائطه التي تساعد على الانخراط فيه بسرعة، أما في التجربة العربية فهو ما يزال يعرف تعثرا كبيرا في تحقيقه، لان ثقافة الوسائط التكنولوجية التي يعتمدها الأدب الرقمي في إنجازه وتحققه ما تزال لم تتشربها بعد الذهنية العربية باعتبارها ثقافة الإنتاج وليس فقط ثقافة الاستهلاك "[4].

والأمر نفسه يراه جميل حمداوي في قوله: " وإذا كان الأدب الرقمي قد عرف انتعاشا وتطورا وازدهارا كبيرا في الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا ، وأوروبا ، فإن هذا الأدب ما يزال جنينيا وضعيفا ومتعثرا في الحقل الثقافي العربي، وما تزال كتاباته ، النظرية والإبداعية ، قليلة جدا تعد على الأصابع " [5].

---

[1]. فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص112.

[2]. محمد سناجلة: رواية الواقعية الرقمية، كتاب إلكتروني، ص34.

[3]. فاطمة البريكي: المقال الإلكتروني السابق.

[4]. زهور كرام: المرجع السابق.

[5]. جميل حمداوي: المرجع السابق، ص104.

يمكن القول بأن التجربة العربية مازالت في طريق النمو كونها حديثة العهد بالتكنولوجية، والتجربة الرقمية على العموم ما تزال مجالا بكرا وخصبا للمبدعين ، خاصة العرب منهم الذين أحسوا بحجم الفجوة الحاصلة بينهم وبين قرائهم وأدركوا الأسباب التي جعلت هؤلاء يعرضون عن تعاطي إنتاجهم فأيقنوا أن لا بد لهم من ركوب صهوة التكنولوجية باعتبارها أفضل وسيلة في الوقت الراهن لجذب القراء من جديد ، وقد أدرك السيد نجم هذه الوضعية فراح يشخصها معطيا أسبابها حيث يقول: " إن الإبداع الأدبي يعاني من حالة إعراض شبه عامة من قبل الجمهور المتلقي وذلك نتيجة لعوامل عدة أهمها توافر الكثير من الملهيات الأخرى الأكثر جاذبية للناس على اختلاف ميولهم وأهوائهم ، وانشغالهم بأمور التجارة والرياضة والفن والسياسة... وقد أدرك كثير من المبدعين هذا الأمر وشعروا بالحجم الحقيقي للفجوة الحاصلة بينهم وبين المتلقي ، ورأوا أنهم يتحدثون في واد والمتلقي في واد أخر ، لذلك حاول بعض المبدعين اللجوء إلى الطرق التي من شانها تقليص هذه الفجوة ، ومد جسور التواصل مجددا بينهم ، وبين المتلقي الذي يحتاج اليوم إلى توافر الكثير من عناصر الجذب في النص الأدبي كي يقبل عليه فكان توظيف التكنولوجيا هو أفضل طريقة لجذب المتلقي المعاصر ، شديد الألفة بها والتكيف معها "[1].

فبالرغم من قلة الوعي العربي بالتكنولوجية الحديثة وتقنياتها ،إلا أن هذا لا ينفي وجود نماذج إبداعية عربية في هذا المجال ، فقد ظهرت أول رواية رقمية عربية للروائي "محمد سناجلة" سنة 2001م " ظلال الواحد" ، وتتابعت إبداعاته فأنتج روايته الثانية " الشات" سنة 2005م ، والتي تعد " بما أضافته من جماليات وإجادة في التقنيات ، مع رواية "ظلال الواحد" السابقة عليها (صدرت عام 2001م)... شهادة ميلاد عملية بأننا نشهد ميلاد فن رائد وجديد حتما سينال ما يستحق من تقدير ، بقدر ما بذله الروائي الشاب " محمد سناجلة" من جهد فني وفكري رائد"[2]. وأخيرا صدرت له رواية جديدة بعنوان "صقيع"، ولم تخلو هذه الرواية أيضا من استخدام التقنيات الرقمية المختلفة كتقنية النص المترابط (الهايبرتكست) والمالتي ميديا المختلفة من صورة وصوت وحركة، والروايات على موقع اتحاد كتاب الأنترنت العرب. وأطلق " سناجلة " على مشروعه الإبداعي تسمية " أدب الواقعية الرقمية "، ونعته بأنه بدعة ابتدعها في عصره شأنه شأن أبي تمام وابن عربي وأدونيس حيث يقول: " أعرف إنني قد جئت ببدعة جديدة لم تكن من قبل... وكل بدعة بحاجة الى من يدافع عنها، وقبل كل شيء أن يعطها اسما تعرف به وقد أطلقت على هذه البدعة اسم رواية الواقعية الرقمية " [3]. ويعرفها (رواية الواقعية الرقمية) بكونها " الرواية القادمة ولن تتوقف الرواية عندها ، ولكن ما سيميز هذه الرواية عن غيرها هو قدرتها الدائمة على اتخاذ أشكال مختلفة باستخدام الصيغ المختلفة للتقنيات الرقمية التي هي في تطور مستمر" [4].

وبالتالي فهي مرحلة متطورة من المراحل التي عرفتها الرواية ، وهي التي تستخدم أشكال جديدة ومختلفة مستمدة من العصر الرقمي الذي أنتجها ، وهذه التقنيات في حالة تطور مستمر ومتجدد.

ويمكننا الحديث عن بعض المبدعين الروائيين الذين اعتمدوا الكتابة الرقمية ، ومنهم: السعودية رجاء الصايغ في رواية (بنات الرياض)، والسورية ندى الدنا في (أحاديث الأنترنت) ، والكويتية حياة الياقوت في قصة (المسيخ إلكترونيا)، والمغربية فاطمة بوزيان في قصة (بريد إلكتروني) ، وغيرها.

أما في مجال الشعر التفاعلي فيتفق الجميع على أن أولى القصائد التفاعلية كانت للشاعر الأمريكي " روبرت كاندل" عام 1990م ، بينما تعود الريادة عربيا إلى الشاعر العراقي "مشتاق عباس معن" الذي أصدر أول قصيدة تفاعلية وهي بعنوان "

---

[1]. السيد نجم: المرجع السابق.

[2]. المرجع نفسه.

[3]. محمد سناجلة: المرجع السابق، ص(9.8).

[4]. المرجع نفسه، ص33.

تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق" ، والتي لاقت إقبالا كبيرا من قبل القراء والنقاد على حد سواء ، وقدم حولها هؤلاء قراءات كثيرة في شكل مقالات الكترونية من بينهم محمد اسليم – فاطمة البريكي- إيمان يونس..و غيرهم.

وقد انبهروا ببلاغتها اللفظية وبراعتها السمعية البصرية على أثر توظيف تقنيات الوسائط الفائقة كالمؤثرات السمعية البصرية المختلفة (الموسيقى- الصور- الرسومات- الأشكال..) ، والتي تضفي أبعادا إضافية على القصيدة.

و شهدت القصائد التفاعلية بعد ذلك غزارة في الإنتاج وتعددا في المظاهر وتنوعا في البرامج والتقنيات ، ومن بين هذه القصائد ، قصيدة " قصيدتان لبيت الوحيد" لمنعم الأزرق ،و قصيدة " سيدة الياهو"لعبد النور إدريس " وقصيدة " يا طيور الأنس غني " ليوسف البلوي...الخ.

من الأجناس الأدبية التي أصابتها عدوى التكنولوجية- أيضا- المسرح، الذي تحول إلى صناعة بالدرجة الأولى ، بعيدا كل البعد عن المسار التقليدي ، وتعود ريادة المسرح التفاعلي عالميا إلى الكاتب " تشارلز ديمر" ، بتأليفه أول مسرحية تفاعلية سنة 1985م على موقعه الإلكتروني ، أما عربيا فالريادة العراقي " محمد حسن حبيب" في مسرحياته الافتراضي والتي بدا بإبداعها سنة 2006م.

ومن البديهي أن يرتبط المسرح بالتفاعلية ، لأنها الصفة الثابتة والمميزة للمسرح عموما، فلا يتحقق نجاح هذا الأخير ، إلا باكتسابه طابع التفاعلية نتيجة تكامل عناصره من أحداث وشخصيات وأفكار وغيرها ، هذا في المسرح التقليدي ، بينما المسرح الرقمي فتتحقق فعاليته من خلال إتاحة الفرصة للمتلقي أن يساهم في إنتاج النص المسرحي ، وذلك عن طريق تكملة الأحداث أو زيادة إحداث أو اختيار شخصيات المسرحية ، وهذا ما لا يتحقق إلا على شاشة الحاسوب وإلا فلا إمكانية للحديث عن مسرحية رقمية.

وهكذا فقد أتاح عصر الوسائط المعلوماتية فرصة ظهور أجناس أدبية جديدة ، جديدة بانفتاحها على الوسائط التكنولوجية الحديثة ، وبتوظيفها لهذه الوسائط والتقنيات والبرامج المستحدثة ، وتتباين هذه الأجناس من حيث مدى قدرتها على استلهام التقنيات الرقمية وتوظيفها في إنتاج نصوصها الإبداعية ، فيمكننا اعتبار أكثر الأجناس الأدبية تأثرا بهذه التقنيات تليها الرواية فالمسرحية ، والدليل على ذلك الكم الهائل من القصائد التفاعلية التي تنشر على صفحات الأنترنت وعلى مواقع المبدعين والأدباء.

أما في مجال التنظير فقد انبرى ثلة من النقاد العرب لمساءلة هذا الجنس الأدبي، وتعود المحاولات الأولى للأستاذ "أحمد فضل شبلول"، في كتابه "أدباء الأنترنت...أدباء المستقبل"، والذي حاول فيه رسم حدود العلاقة بين الأدب والتكنولوجيا، ورصد ملامح تأثير الأنترنت على الأدب والأدباء إلا أن الكتاب لم يفصل كثيرا في أبعاد هذه العلاقة ولم يشر إلى نتائجها وما تمخضت عنه هذه العلاقة من ميلاد أدب جديد هو الأدب الرقمي.

من المنظرين الأوائل لهذا الجنس أيضا (حسام الخطيب) في كتابه " الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المتفرع"، وترى الناقدة فاطمة البريكي أن هذا الكتاب يعد باكورة الأعمال النقدية في هذا المجال، إلا أنه لم يأت بكثير من التفاصيل التي يمكن للباحث في هذا المجال الاتكاء عليها،" ولعل كونه أول من كتب في هذا المجال، وأول من اخترق صفوفه من بين النقاد العرب، وهو سبب عدم وجود كثير من التفاصيل في عمله الذي يظل محتفظا بقيمته كباكورة للإنتاج العربي في هذا المجال البيني الذي يأخذ من كل من الأدب والتكنولوجيا بطرف "[1].

ثم توالت الدراسات والتنظيرات التي ساهمت في التعريف بالأدب الرقمي والتأريخ له تنظيرا وتطبيقا، ونذكر أهمها سعيد يقطين في كتابيه (من النص إلى النص المترابط) و(النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية " نحو كتابة عربية رقمية") وزهور كرام في كتابها (الأدب الرقمي: أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية) ، فاطمة البريكي (مدخل إلى الأدب التفاعلي) ونبيل

[1] . فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص(61، 62).

علي (الثقافة العربية وعصر المعلومات)، إيمان يونس (تأثير الأنترنت على أشكال الإبداع والتلقي) والقائمة طويلة لا يسعنا ذكرها في هذا المقام.

بالإضافة إلى الكتاب التنظيري للروائي "محمد سناجلة" (رواية الواقعية الرقمية)، وحاول فيه التعريف بتياره الأدبي الجديد، الذي حصره في جنس الرواية الرقمية ، وهي الرواية التي تمثل واقع الإنسان الافتراضي وتشخص حالة انتقاله من إنسان واقعي إلى إنسان رقمي وبالتالي فهي" تقدم أدبا يحاول التعبير عن المجتمع الرقمي وبطله الإنسان الافتراضي وتحاول تتبع لحظات تحوله من كينونته الأولى، بوصفه إنسانا واقعيا، يعيش في مجتمع واقعي محدد المعالم، إلى كينونته الجديدة، بوصفه إنسانا افتراضيا، يعيش في الواقع الافتراضي " [1].

ويتوقع الروائي محمد سناجلة أن يرافق "هذا التحول من الإنسان العاقل (الحقيقي/الواقعي) إلى الإنسان الرقمي الافتراضي، انهيار كامل في منظومة القيم الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية التي تحكم مجتمعاتنا"[2].

هذا التوقع مشروع وقريب كل القرب من الحقيقة التي يأبى الجميع البوح بها، وهي كون التكنولوجية الحديثة قد أسرت الجميع واستولت على كل شيء في حياتنا، وسوف يكون لها الأثر البالغ على مقوماتنا خاصة الدينية والاجتماعية ، فالروائي (محمد سناجلة) ورغم إدراكه لهذا الأمر إلا أنه من أكثر الداعين إليه فهو في هذا المقام كمن يبيع التبغ وهو مكتوب عليه " التبغ مضر بالصحة"، والأكيد أننا سنقوم باستهلاكها (الرواية الرقمية) شأنا أو أبينا يوما من الأيام.

من الكتب التنظيرية في هذا المجال –أيضا- نجد كتاب " ما لا يؤديه الحرف(نحو مشروع تفاعلي عربي للأدب)" للشاعر" مشتاق عباس معن"، وعالج فيه تجليات التكنولوجية وتمظهراتها المختلفة في الحياة عموما، وفي الأدب على وجه الخصوص، معرجا على مختلف الأجناس الأدبية التفاعلية التي ظهرت وفقا لظهور الوسائط الجديدة.

ونشير في الأخير إلى جملة المقالات الإلكترونية التي تنشر على صفحات الأنترنت، وعددها لا يعد ولا يحصى، والتي اتخذ كتابها من قضايا الأدب الرقمي مواضيع للمعالجة، ونذكر منهم: محمد اسليم – زهور كرام- إيمان يونس- السيد نجم- سعيد بن كراد- بهيجة إدلبي- حسن سلمان...الخ.

من كل ما تقدم يظهر واضحا أن المنجز العربي الراهن في الأدب الرقمي مازال في مرحلته الجنينية، والإنتاج والتلقي الرقميان مازالا يسيران جنبا إلى جنب بوتيرة ضعيفة، تدفعها من حين لآخر بعض المساءلات والدراسات التي مازالت أيضا في طورها التمهيدي المحصور في التعريف بهذا المستحدث الجديد وبيان خصائصه وأنواعه.

3- **الرواية التفاعلية والإيقاع السردي الجديد:** إن التحولات التي طالت النص الأدبي من جراء توظيفه للوسائط التكنولوجية الحديثة، قد مست جميع جوانبه الشكلية والدلالية ، وحتي طرق تلقيه، مما اكسبه خصائص جديدة مضافة إلى خصائصه التقليدية، هذه الخصائص يمكن أن تتحدد من خلال التقنيات المتعددة الداخلة في بنائه، من صورة وحركة وصوت...و الأكيد ان هذه التقنيات سوف تقدم " نمطا روائيا جديدا، لا على مستوى البنية السردية فقط، أو الشكل، بل على مستوى المتن السردي، أو المضمون، أيضا" [3].

فالنظر في المتن السردي للأدب الرقمي سيقودنا إلى التفريق بين نمطين من الرواية الإلكترونية وهما الرواية التفاعلية والرواية الرقمية أو ما اصطلح عليها سناجلة " رواية الواقعية الرقمية "،فالأولى هي تلك الرواية القائمة على توظيف تقنية النص المتفرع، التي تربط بين عناصر كثيرة مكونة للمتن الروائي سواء كانت أشكالا أو أصواتا أو موسيقى أو رسومات وغيرها، هذه العناصر تسمح للمتلقي بالتفاعل مع النص وإضاءته وتوجيهه الوجهة التي يريدها، بغض النظر عن الموضوع

[1]. المرجع نفسه، ص124.

[2]. محمد سناجلة: المرجع السابق، ص56.

[3]. فاطمة البريكي: المرجع السابق، ص124.

الذي اختاره الروائي ليكون مادة سرده ، أما رواية الواقعية الرقمية فهي الرواية التي تستخدم العناصر السابقة في بنيتها السردية، لكن مضمونها محصور في معالجة واقع الإنسان بانتقاله من الحياة الواقعية إلى الحياة الافتراضية ، فالاختلاف يكمن في المضمون ، وليس في الطريقة.

أما البنية السردية أو الإيقاع السردي الجديد فيستدعي منا التوقف قليلا عنده، لمعرفة السمات التي تغلب عليه، ويمكن إيجازها في النقاط الآتية:

1- السرد المفارق: والناتج عن المفارقات الزمنية الناتجة عن التلاعب بالزمن السردي وبسيرورة الأحداث، ويكون القارئ هو المحرك الرئيسي لها، فله الحرية في أن يقرأ الرواية من أولها كما له الحرية في أن يقراها من وسطها او آخرها ، وهذا يعني أن التركيب القصصي في الرواية التفاعلية، لا يحدّ بالصفحة المطبوعة، المفروضة على الروايات التقليدية، والذي يُلتزَم فيه بصيغة منظمة من القراءة تتقدم للأمام دائما ما لم يختر القارئ تجاوز بعض الصفحات أو فصل كامل من الفصول.

2- السرد المنفتح: ونقصد به السرد الذي تكون نهاياته في الغالب غير ثابتة أو مفتوحة، فكل قارئ ينتهي إلى نهاية مختلفة عما انتهى إليها غيره، لأن الروابط التي تبناها خلال تفاعله مع الرواية تختلف عن الروابط التي تبناها غيره، وما يضمن له هذا الانفتاح كونه قابلا للتغيير مرة بعد مرة، لأن طبيعته تحتمل عددا كبيرا ومختلفا من الإمكانات المتاحة للمتلقي لإدراك النص.

3- السرد المتفرع: كون الرواية تضم أنساقا سردية كثيرة ، وكل قارئ يجد نفسه مشدودا إلى إحداها، فاستعانته بالعناصر غير النصية الملحقة بالنص كالصور، والجداول والرسومات وغيرها، تساعده على إضاءة تفاصيل أخرى في سيرورة الأحداث، وفي المقابل تبقى خيوط أخرى تضم أنساقا سردية مختلفة عن الأولى يعمل قراء آخرون من إحيائها ، فالسرد ليس ثابتا بل متغيرا وليس واحدا بل متعددا ومتفرعا.

4- تعدد الرؤى السردية: النسق السردي منفتح على آفاق متعددة، غير منغلق على رؤية واحدة يتبناها المبدع فقط، لأن المجال مفتوح لجميع المتفاعلين مع النص لتقديم وجهات نظرهم الخاصة، التي من شأنها أن تثري الرواية، وكمثال على ذلك رواية" شروق شمس 69 للروائي الأمريكي "روبرت أرلانوا"، المعروف ب "بوبي رابيد" وتحكي هذه الرواية قصة حقيقية جرت أحداثها في 1969/12/6م ، مات فيها أربعة أشخاص في حفلة موسيقية، وبعد أكثر من ثلاثين سنة، مازالت جريمة القتل ترن كنهاية رمزية للستينات [1].

وموضع الشاهد هنا ،أن الروائي يدعو القراء في نهايتها لإضافة مغامراتهم الافتراضية إلى بنية النص، وكان كل شهر ينشر فصولا جديدة للرواية يدمج فيها مساهمات القراء.

5- كسر النمط الخطي للسرد: وذلك بانفتاحها على مسارات متعددة ، ففي الرواية التفاعلية لا يلتزم المبدع بنمط محدد، أو على الأقل لا يلتزم بالنمط الخطي الأكثر مناسبة للرواية التقليدية، بل كثيرا ما يتجاوزه أو يكسره ويفتح الرواية على آفاق مختلفة بمثابة مسارات متعددة، يمنح من خلالها المتلقي /المستخدم حرية اختيار المسار الأكثر جاذبية له، أو الذي سيحقق له قدرا أكبر من التفاعل.

6- تعدد لغات السرد: نتيجة تعدد الوسائط الداخلة في تركيبته، فالسرد الرقمي منفتح على لغة البرمجة المعلوماتية، فتكون بذلك المؤثرات السمعية البصرية بمثابة لغة سردية، بالإضافة إلى اللغة السردية التي ألفناها في السرد التقليدي.

7- تعدد الفضاءات السردية: تؤطر القصة في الرواية الرقمية ضمن فضاءين ، الفضاء الأول وهو الفضاء العام الذي تدور فيه أحداث القصة، والفضاء الافتراضي الذي تلجه الشخصية وما يضمه من حوارات وعواطف وأفكار، فالقارئ وهو يقرأ

---

[1] . المرجع نفسه: ص117.

الرواية يجد نفسه ينتقل بين هذين الفضاء ين ، فتارة ينفصل عن الأول ليغوص في الثاني ، وتارة ينفصل عن الثاني ليغوص في الأول.

8- تعدد الشخصيات: ولا يقصد به توظيف عدد كبير من الشخصيات ، وإنما يقصد به أن تتقمص الشخصية الواحدة عدة شخصيات وهذا راجع لتعدد الفضاءات التي تشغلها الشخصية الواحدة، فمن خلال تنقل الشخصية بين الفضاء الواقعي والفضاء الافتراضي، يمكنها أن تنتحل عدة أدوار دون ان يؤثر ذلك على سيرورة الأحداث.

9- التعالق النصي: يعتبر التعالق النصي سمة بارزة في الرواية التفاعلية، وتظهر أشكاله من خلال الوقفات التي تكون عبارة عن نصوص شعرية أو مقاطع موسيقية أو مقاطع غنائية وحتى لوحات ومناظر وصور ، فتحدث وقفة في السرد تمنح استراحة للقارئ.

لا يمكن الجزم بأننا قد ألمنا بكل سمات البنية السردية الجديدة ، نظرا لقلة المتن الروائي الرقمي، من جهة وقلة الدراسات التطبيقية عليها من جهة أخرى ، ما عدا ما قامت به الناقدة المغربية زهور كرام في كتابها " الأدب الرقمي: أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية " ، حين اشتغلت على روايتي " شات "و "صقيع" لمحمد سناجلة " إلا أنها رأت أن الأولى هي الرواية الرقمية العربية الأكثر نضجا، على عكس "صقيع" التي لم تعتبرها رواية أصلا، حيث تقول: " اختياري لرواية سناجلة "شات" لم يكن وراءه اختيار الجنس الأدبي (الرواية)، ولكن منطلقي كان الاشتغال على أكثر النصوص الرقمية العربية نضجا، والتي تسمح مساحتها البنائية والفنية بالتفكير في معنى النص الأدبي الرقمي."شات" تعد رواية رقمية عربية، تتوفر على مكونات مهمة تسمح لها بالانتماء داخل الأدب الرقمي. وبالفعل فقراءتي لها جعلتني أقف عند تحولات النص الروائي في بعده الرقمي. أما النص الثاني الذي اشتغلت عليه نقديا "صقيع" "لسناجلة" أيضا فلم اعتبره رواية لاعتبارات تمس منطقه وشكل بنائه" [1].

تبقى الدراسات التطبيقية قليلة في هذا المجال ،و تحتاج إلى تراكم إبداعي يسمح بقراءة نقدية ومعرفية رائدة للتجربة الرقمية العربية، ومن ثمة وضع تصور عام لها يساير تطور الأدب ويساير تطور نظرياته.

4- الأدب الرقمي: واقعه وآفاقه المستقبلية. تباينت آراء النقاد والمبدعين حول الأدب الرقمي، بين مؤيد له تأييدا مطلقا، وبين رافض له رفضا قاطعا، وبين معتدل مقتنع بأنه واقع مفروض لابد من قبوله شأنا أو أبينا.

من المرحبين بالأدب الرقمي رواده على رأسهم " محمد سناجلة"، الذي تنبأ بزوال الكتاب الورقي في مدة لا تتجاوز العشرين أو الثلاثين عاما، في قوله: " يتجاور الكتاب الورقي المطبوع مع الكتاب الإلكتروني لمدة من الزمن قد لا تتجاوز العشرين أو الثلاثين عاما القادمة، ولكن في النهاية لن يبقى سوى ابن العصر وناقل معناه وسيذهب الكتاب الورقي إلى متاحف التاريخ". يبرر حكمه هذا بكون " النشر الإلكتروني يقدم حلولا لكل المشاكل ، فلا يوجد رقيب يخنق الناشر كما يضمن سرعة انتشار للعمل الأدبي، بجهد يسير وسرعة فائقة وتكلفة قليلة، بالإضافة إلى التواصل الدائم بين الناشر والقارئ دون حواجز.

أما الرافضون له فحجتهم في ذلك كونه لا يلجأ إليه إلا من لا يمتلك الموهبة، والكتابة الرقمية في رأيهم إلا ستار يتستر خلفه أصحاب الموهبة الضعيفة ، كما يركزون على فكرة فقدان الملكية؛ إذ أصبحت المواقع الإلكترونية شبه أسواق مفتوحة تعرض سلعها على القارئ بلا حاجز ولا رقيب ، مما يؤدي إلى غياب الملكية وضياعها.

أما الفريق الثالث فهو الأكثر اعتدالا، إذ يرى أن الأدب الرقمي ما هو إلا صورة من صور الحياة المتطورة، فلا مجال للمزايدة بينهما، بل لابد من التعايش لأن الأدب الرقمي لا يخرج عن حالات تطور الأدب المكتوب ورقيا، ولهذا لا يجب اقتطاعه من تاريخ الأدب الحديث دون مسوغات لذلك، والتعامل على أساس أنه ظاهرة دخيلة على أدبنا العربي.

---

[1] . زهور كرام: المرجع السابق.

وإذا طرقنا باب الساحة الأدبية الجزائرية ، فيظهر جليا أنها تشهد ضعفا كبيرا في التعاطي مع هذا النوع الأدبي الجديد، وهذا يعكس حقيقة ضعف علاقتنا بالتكنولوجية وعدم قدرتنا على مجاراة العصر التكنولوجي وسبر أغواره، ويمكن أن نؤكد ذلك بآراء عدد من المبدعين والنقاد الجزائريين، منهم من تمكنا من الاتصال بهم ومنهم من تعذر علي الأمر، لظروف خارجة عن نطاقنا، ولانشغال بعضهم في الفترة الحالية على أمل معاودة الاتصال بهم في الأيام القادمة - ان شاء الله- وأذكر منهم الأستاذ سعيد بوطاجين (جامعة تيزي وزو)، الأستاذ عيسى لحيلح والأستاذ فيصل الأحمر (جامعة جيجل)، الأستاذ تحريشي (جامعة بشار) ، الأستاذة ليلى لعوير (جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة).

في حين يرى الروائي "لحبيب السايح" إن هذا النوع من الأدب يبقى أدبا افتراضيا، قابلا للطعن فيه، لأسباب أوجزها في قوله:" أنا شخصيا احترم أصحاب هذا الاتجاه والداعين إليه ، لكني في الوقت نفسه لست متحمسا جدا له، لأنه لا يخضع لمعايير النشر المتعارف عليها ورقيا، كما أن هذا النوع من الأدب يبقى افتراضيا وقابلا للطعن فيه، وهو معرض للتلف في أي لحظة، ثم إن الأدب الرقمي يستدعي آلة الحاسوب وهذا لا يساعد على القراءة في كل الأماكن التي يمكن أن تدعو الضرورة إليها، كما هو الشأن بالنسبة إلى الكتاب المطبوع"[1]. وركز في حديثه عن العلاقة بين القارئ الرقمي وبين النص الرقمي ونظيرتها بين القارئ الورقي وبين النص الورقي حيث يقول: "أما العلاقة بين القارئ الرقمي والنص الرقمي فهي افتراضية دائما، ولا تعطي الأحاسيس التي يثيرها القارئ مع الكتاب الورقي، لان هذا الأخير جسد حي له كل صفات الإنسان، ثم إن علاقة الكتاب الورقي بالإنسان علاقة تمتد آلاف السنين، وهذا الأخير جزء من الذاكرة الإنسانية"[2].

أما الروائي "علاوة كوسة" فقد قصر حديثه على التعريف بهذا المستحدث الجديد، معرفا إياه بأنه:" هو الأدب الذي استثمر في مناخ التكنولوجيات الحديثة.. و لا يعني كل ما ينشر من نصوص أدبية في مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، أوالمدونات والمجلات الإلكترونية.. الأدب الرقمي هو اتكاء النص على موازيات نصية أخرى كالصورة والموسيقى وغيرهما" ،و نبه إلى ضرورة الحذر في تعاملنا مع هذا المستحدث والتعامل معه بوعي كاف وذلك في قوله: " لقد منحت التكنولوجيات الحديثة ممكنات كثيرة للنص الأدبي..منحته الانتشار والتحولات الشكلية وهذا الإيقاع المعاصر الكبير وحواره مع فنون كثيرة موازية له، لكن علينا أن ننتبه إلى خطورة هذا الرهان الكبير، وعلينا التعامل معه بوعي "[3]. بينما الروائي حبيب مونسي فقد بدا من المرحبين بهذا النوع الأدبي, بل من المطلعين عليه, فهو يرى أن الروائي لابد أن يكون مكونا في هذا الجانب ، وعليه أن يدخل في هذه المغامرة، لأن الراهن اقتضى ذلك، وهو من جملة الخيارات المطروحة في الساحة الأدبية المعاصرة، لكن هذا لا يعني أن المقروئية الورقية قد تزول يوما وإنما سيبقى لها حضور فوجودها حضاري، حيث يقول: "التجربة الروائية الرقمية يمثلها عربيا "محمد سناجلة" وهي تجربة لا تزال في بداياتها، إذ ليس هناك مخطط لإنجاز رواية تفاعلية عربية مكتملة ، فما تعتمد عليه من روابط تبقى تقنية لدى أقترح أن تكون هذه الروابط ذات حمولات ثقافية معرفية، فمثلا إذا تحدث الروائي عن حدث تاريخي معين، حبذا أن يكون هناك رابط يحيل القارئ على هذا الحدث حتى يكون هناك إثراء للرواية" [4].

أما عن الساحة الأدبية الجزائرية ، فقد علق الروائي قائلا: " لا توجد تجربة روائية رقمية في الجزائر، وتجدر الإشارة إلى تجربة الروائية "زهرة مبارك" المسماة الرواية المسموعة ، ويقصد بها أن تسجل الروائية روايتها بصوتها حتى يتمكن المتلقي من سماع الرواية في أي مكان وزمان"[5].

---

[1]. حوار هاتفي مع الروائي لحبيب السائح، يوم 28 ماي 2017م.

[2]. المرجع نفسه.

[3] حوار هاتفي مع الروائي علاوة كوسة، يوم 29ماي 2017م.

[4]. حوار هاتفي مع الروائي حبيب مونسي، يوم 23 أكتوبر 2017م.

[5]. المرجع نفسه.

أما في مجال النقد فيمكن الأخذ برأي الأستاذ الناقد " محمد ساري " من جامعة الجزائر، الذي يبدو غير متفائل بمستقبل هذا الأدب ، بل وغير مرحب به ، مستندا في حكمه على أسباب تكاد تكون نفسها عند النقاد والمبدعين جميعا حيث يقول:" أنا شخصيا لست ممن يحبذ قراءة الرواية في الجهاز، وإنما أفضل الرواية الورقية، حتى يتمكن القارئ من تدوين ملاحظاته وآرائه وكل ما يتبادر إلى ذهنه، وهذا ما لا يتوفر في جهاز الحاسوب، ومن جهة أخرى هذا النوع من الأدب بقدر سرعة الحصول عليه بقدر سرعة ضياعه وتلفه، وهذه سلبية من سلبياته"[1].

وقد بدا الناقد منحازا إلى الكتاب المطبوع، رفضا مقولة موت الكتاب الورقي معتبرا إياها خرافة غير صحيحة لأن الكتاب الورقي كان وسيظل معمرا ، حيث قال: " وإن كان الأدب الرقمي خيار حضاري هذا يستتبع مجموعة من الآليات أولا، وحتى لو تحقق ذلك فالأدب الورقي يظل معمرا، لان فكرة موت الأدب الورقي خرافة، فنحن نهوّل الأمر وأعطيناه حجما اكبر من حجمه وخير مثال على ذلك الغرب حيث تكلموا على موت الورق ، ولكن وبعد مرور سنوات مازال الكتاب يطبع بملايين النسخ ، ومازال القراء يطالعون الكتاب الورقي "[2].

خاتمة:

ما نستطيع قوله في هذا الخصوص هو أن الأدب الرقمي ثقافة جديدة على مجتمعنا ، وكل جديد لابد أن يوضع على محك التجربة ، حتى يمكن الحكم عليه بالسلب أو بالإيجاب فلا مجال من الهروب من أمر قد صار واقعا مفروضا، فرضته علينا طبيعة الحياة الجديدة وبحكم تقبلنا للمادة التي أنجبته (التكنولوجية) صار تقبلنا له أمرا مفروضا، كما أن الالتفات إلى هذا الأدب خيار حضاري لا مناص منه إذا أردنا مسايرة العصر واللحاق بركب الأمم ، كما أن تجاهل المتغير التكنولوجي الجديد قد يؤدي إلى تهميش الأدب في عالم أصبحت التكنولوجية هي الهواء الذي يتنفسه، وإيمانا مني بأن تجاهل الجديد إيذان بموت القديم فالأفضل اللعب على الحبلين إلى أن ترجح كفة على الأخرى، والزمن كفيل بذلك.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أونج. والترج: (1994م)، الشفاهية والكتابية، تر: حسن البنا عز الدين، دط، الكويت، عالم المعرفة.

2_ البريكي فاطمة: (2006م)، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ط1، المغرب، المركز الثقافي العربي.

3-فاطمة البريكي: (2005م)، الرواية التفاعلية ورواية الواقعية الرقمية، موقع ميدل إيست أولاين.

4_ بوتز فليب: ما الأدب الرقمي؟ تر: محمد أسليم، العدد35، مجلة علامات.

5-حمداوي جميل: (2016م)، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، ط1، شبكة الألوكة.

6-سلمان حسن: اكتشف متعة أدب الواقعية الرقمية مع سناجلة، العدد 10375، جريدة الشرق الأوسط.

7-سناجلة محمد: رواية الواقعية الرقمية، كتاب إلكتروني.

8-كرام زهور: (2010م)، الأدب الرقمي حقيقة أدبية تميز العصر التكنولوجي، العدد6438، جريدة القدس العربي.

9-نجم السيد: الصورة وواقع الأدب الافتراضي ، موقع ستار تايمز.

10- وليك رونيه، وارين أوستن: (1992م)، نظرية الأدب، تر: عادل سلامة ، دط، دار المريخ.

11-سعيد يقطين: (2008م) ، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، ط1 ، المغرب ،المركز الثقافي العربي.

12-حوار هاتفي مع الروائي السائح لحبيب، يوم 28 ماي2017م.

13-حوار هاتفي مع الناقد ساري محمد يوم 30ماي2017م.

14-حوار هاتفي مع الروائي كوسة علاوة يوم 29 ماي2017م.

15_حوار هاتفي مع الروائي مونسي حبيب يوم 23 أكتوبر2017م.

[1] . حوار هاتفي مع الناقد محمد ساري، يوم 30 ماي 2017م .

[2] . المرجع نفسه.

ثنائية الظّلم واللّوم عند القيسيّ الأندلسيّ
"دراسة تحليليّة في المستويات اللغويّة"

د. نوال عبد الرحمن الشوابكة-د. حنان إبراهيم عمايرة
– كلية الآداب – جامعة البلقاء التطبيقية- الأردن

الملخص: تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف عند قصيدة من قصائد عبد الكريم القيسيّ الأندلسيّ "وددتُ أناسًا لم يراعوا الوداد لي"، لنكشف فيها عن معاناة الشاعر وألمه من الظّلم الذي وقع عليه، مصوّرًا فيها المشاعر التي سيطرت عليه عند إحراق حانوته تجبّرًا وعدوانًا. وذلك من خلال قراءة القصيدة قراءة تحليليّة في مستوياتها اللغويّة المتعددة؛ حيث دُرست اختيارات الشاعر الصوتية والتركيبية والمعجميّة الدلاليّة التي ساهمت في إيصال معاناة الشاعر للقارئ.

الكلمات المفتاحيّة: عبد الكريم القيسيّ، إحراق حانوته، قراءة تحليليّة، الصوتيّة والتركيبيّة والمعجميّة.

Abstract :This study aims to analyze one of Abdelkarim al-Qaisi al-Andalusi’s poems “I havestrong passion for some folks who haven’t maintained it” to reveal the poet is suffering due to the injustice that has been inflicted upon him. It also aims to portray the emotions that seized the poet when his tavern, was burned viciously.
The study reads the poem analytically, studying the effect of the poet’s choices at the various linguistic levels: phonetic, syntactic, lexical, and semantic and the way they convey the poet is suffering to the reader.

Key Words: Abdelkarim al-Qaisi, tavern burning, analytical reading, linguistic levels

الشاعر القيسيّ الأندلسيّ: اسمه وحياته

يُعدّ ديوان القيسيّ المصدر الوحيد الذي أمدّنا بمعلومات عن اسم الشاعر، وجزء من مراحل حياته، أشار إليها هو نفسه في مقدمة ديوانه، وفي بعض مقطوعاته الشعريّة؛ حيث " يقول عبد الله سبحانه المرتجى عفوه وإحسانه وغفرانه، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسيّ..."[1]. ولم تُعرف كنيته، فقد أشار محقّقا الديوان إلى أنّ هناك بياضًا قبل اسم الشاعر في مخطوط الديوان، وافترضا أن يكون البياض مكان كنية الشاعر، غفل عنها الناسخ أو سقطت من الأصل.[2]

أمّا مولده، فعلى الأرجح أنّه ولد في العقد الأول من القرن التاسع الهجريّ في مسقط رأسه بسطة، في أسرة اهتمّت بتربيته الدينيّة، وبتعليمه علوم الدين واللغة والأدب، ممّا أهّله أن يتولّى بعض المناصب الدينيّة؛ كالإمامة[3] والخطابة والتوثيق[4]. كما عُيّن واليًا على منطقة لم يذكر اسمها ثم عُزل عنها[5]. ويبدو أنّ لوالده دورًا كبيرًا في هذه النشأة؛ حيث يشير الشاعر إلى مدى احترامه وتقديره له، فيدعوه بـ "مولاي"[6] ويصفه بنظر عينيه وأنّه قطعة الكبد[7].

وللقيسيّ زوجة أشار إليها في قصائده في الأسر[8] وثلاثة أبناء؛ ابنان توأمان هما الحسن والحسين، وقد توفيا بإثر بعضهما فرثاهما في قصائده والابن الثالث أحمد[9].

---

[1] القيسيّ، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، (ت أواخر القرن التاسع الهجري) (1988)، الديوان، ط2، تحقيق، جمعة شيخه، ومحمد الهادي الطرابلسي، تونس، قرطاج، المؤسسة الوطنية للترجمة، بيت الحكمة، ص 8.
[2] المرجع السابق، المقدمة، ص8.
[3] المرجع السابق، المقدمة، ص1، القصيدة 47، ص122.
[4] المرجع السابق، القصيدة، 13، ص65.
[5] المرجع السابق، القصيدة 317، ص472، ق318، ص 473.
[6] المرجع السابق، القصيدة 47، ص122.
[7] المرجع السابق، القصيدة 39، ص 106.
[8] القيسيّ، الديوان، القصيدة 2، ص 28.
[9] المرجع السابق، المقدمة، ص10-11. (ق 237، ص370).

أمّا تاريخ وفاته، فلم يرد تاريخ محدد لذلك، غير أنّ ديوانه أمدّنا ببعض الإشارات الدّالة على تقدّمه في العمر، فالشيب غزا رأسه، وقد ذكر أنّه بلغ الأربعين[1].، ثم ذكر في قصائد أخرى أنّه بلغ الخمسين[2] "وليس مستبعدًا أن يكون شاهد عيان على سقوط آخر معقل للعرب بالأندلس مجسّمًا في غرناطة عاصمة دولة بني الأحمر"[3].

محطات صعبة في حياة القيسيّ: تعرّض القيسيّ لمحن أثّرت كثيرًا في حياته، ومنها:

. الأسر: وقع القيسيّ في أسر النّصارى، وبقي مدّة يُعتقد أنّها طويلة، فجلّ قصائده في ديوانه عن محنة الأسر، وقد أشار محقّقا الديوان إلى أنّ أسباب الأسر في عصره كثيرة ذلك أنّ العلاقات بين قشتالة ودولة بني الأحمر في القرن التاسع الهجري، لئن مرّت بفترات سلم وهدنة فقد كانت في أغلب الأحيان علاقات حرب متواصلة، كما أنّ الحدود بين الجانبين لم تكن مستقرة ولا آمنة، فلا يستغرب أن يكون القيسيّ قد وقع في كمين في الطريق، وهو يتنقل بين مدن المملكة أو سقط أسيرًا في إحدى هجمات الجيوش النّصرانيّة على أرض الإسلام"[4].

. إحراق حانوته: أثّر إحراق حانوت القيسيّ في نفسه تأثيرًا كبيرًا، فهو مورد رزقه، والمكان الذي يلتقي فيه بأصدقائه؛ حيث يتناقشون في مختلف جوانب الحياة، فيشكون لأنفسهم سوء الأوضاع في بلادهم من تردٍّ للأوضاع الاقتصاديّة وحروب وفتنٍ داخليّة وخارجيّة، وينشدون أشعارهم ويتجاذبون أطراف الحديث في كثير من قضايا الشعر والأدب والدين، فلا نستغرب غضبه الشديد وحنقه حين قام بعض منافسيه وأعدائه بإحراق حانوته فحقد على" بلده وأهلها، فتحوّل لومه قدحًا وعتابه ثلبًا، وتعريضه تشنيعًا"[5]، فيقول[6]:

فقد سئمتْ نفسي المقام ببلدةٍ تغيّر فيها مَنْ تخذتُ خليلًا

. العزل: فقد عُزل القيسيّ من بعض الخطط مرتين؛ حيث عُزل من خطة التوثيق وخطبة الجامع[7]، وعُزل في المرة الثانية من ولايته لمنطقة من دولة بني الأحمر، لم يذكر اسمها[8].

الملامح العامة لشعر القيسيّ: نجد في ديوان القيسيّ الأغراض الشعريّة التقليديّة ذاتها؛ فهناك المدح، والتعريض، والغزل الصريح بالمؤنث وبالمذكر، والزهد والشكوى، والوعظ، والدعاء؛ حيث يقدم القيسيّ لكلّ قصيدة بذكره المناسبة التي قيلت فيها وبمن قيلت، وقد تراوحت قصائد الديوان بين القصر - وهي جلّ ديوانه - والطول - وهي قليلة جدًا - فقصائده الطويلة جاءت في وصفه لمحنته في الأسر، وفي مدحه للرسول -صلّى الله عليه وسلّم-؛ حيث جاءت قصائده في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام" ضربًا من الرحيل الخياليّ في سيرة النبيّ عليه السلام، لعلّ الشاعر أراد بها تحقيق راحة نفسيّة، وانعتاق خياليّ من كابوس الأسر الذي كان يجثم عليه"[9].

لقد أظهرت قصائد القيسيّ تجربة الشاعر الذاتيّة والاجتماعيّة؛ حيث عكست لنا شاعريته في شكواه من الزمان وأهل بلده، لا سيّما بعد إحراق حانوته وأسر النّصارى له وظروف الأسر القاسية التي عانى منها؛ فكشفت قصائده عن

---

[1] المرجع السابق، القصيدة 263، ص 407، ق 266، ص 410.

[2] المرجع السابق، القصيدة 309، ص 462.

[3] المرجع السابق، مقدمة الديوان، ص 14، ق 289، ق 235.

[4] المرجع السابق، مقدمة الديوان، ص12، 14، ق 289، ق 235.

[5] القيسي، مقدمة الديوان، ص13، وانظر القصيدة 49، ص127، القصيدة 165، ص277، القصيدة 188، ص310، القصيدة 189، ص311، القصيدة 190، ص312.

[6] المرجع السابق، القصيدة 49، ص 127.

[7] المرجع السابق، القصيدة 13، ص65.

[8] المرجع السابق، القصيدة 318، ص473، القصيدة 317، ص472، القصيدة 319، ص474.

[9] القيسيّ، الديوان، تقديم صالح بن رمضان، مجلة دراسات أندلسيّة، العدد الأول، مطبعة المغاربة للطباعة والنشر والإشهار، ص 102.

ملامح حزنه وألمه وشعوره بالغربة وخيبة الأمل، وهو يرى سنوات حياته تنقضي وتضيع بين قضبان السجن وخوفه الشديد على مفارقة الحياة ومَن أحبّهم فالخوف من الموت أخذ يشغل حيزًا من تفكيره ويمنعه من النوم.[1]

المستويات اللغويّة في قصيدة القيسيّ" وددتُ أناسًا لم يراعوا الوداد لي"

عبد الكريم القيسيّ الأندلسيّ شاعر الحزن والمعاناة، ذلك الشاعر الذي عانى من الضعف السياسيّ الذي مرّت به الأندلس في آخر عهدها، وتجلّى هذا الحزن في أشعاره التي عبّرت عن محنٍ ثلاث وهي: الأسر والعزل وإحراق حانوته الذي يعدّ مورد رزقه ومقرّ عمله.

وفي قصيدته " وددتُ أناسًا لم يراعوا الوداد لي" نجده يتحدث عن محنة حرق الحانوت، بسبب ظروف الحياة الاقتصادية في مملكة غرناطة، والقارئ لهذه القصيدة يجدها تدور حول محور رئيس وهو المقارنة بين حاله وحال الأعداء، ولعل حقول المقارنة هي التي وسّعت المعجم الشعريّ عند الشاعر، فقد ارتكز القيسيّ بشكل واضح على الألفاظ والأوصاف المتعلّقة بالأحاسيس القلبيّة والمشاعر النفسيّة والقيم الخلقيّة، فشكّلت معجمًا خاصًّا يعبّر عن المضمون الدلاليّ الذي يسعى الشاعر إلى تحقيقه.

ولكي تتضّح المضامين التي تناولها الشاعر في هذه القصيدة؛ لابدّ من الوقوف على المستويات: المعجميّة والصوتيّة والتركيبيّة والدلاليّة التي ساهمت في بناء النّص الشّعريّ، وتشكيل رؤية الشاعر في التعبير عن حزنه ولومه.

والقارئ لهذه القصيدة يجدها تتمحور حول ثلاثة أبعاد وهي:

- الأبيات من (1-14) المقارنة بين صفاته الإيجابية والصفات السّلبيّة للقوم الذين أذوه.
- الأبيات (15-21) الإشارة إلى حادثة حرق الحانوت.
- الأبيات (22-42) الإشارة إلى الصراع بينه وبين القوم الذين آذوه في مصدر رزقه.

ويمكننا استقراء هذه المحاور في عدةّ مستويات، نذكر منها:

أولًا: المستوى المعجميّ:

تكشف المفردات المعجميّة التي اختارها الشاعر عن الدلالات التي يسعى للتعبير عنها، وعن الهموم التي يرغب في بثّها للمتلقّي، فالعلاقات التي أقامها بين المفردات المنتظمة في النّص الشّعريّ تعكس أبعادًا دلاليّة ساهمت في التعبير عن انفعالات الشاعر وأفكاره، ومن أبرز العلاقات التي ظهرت بين المفردات على المستوى المعجميّ: الطباق، والترادف، والوصف.

الطباق:يُعرّف أبو هلال العسكري، المطابقة بأنّها: "الجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار[2]"

وممّا يلفت انتباه الدارس كثافة حضور الحقول التضاديّة في النّص الشعريّ، لا سيّما أنّ القصيدة تقوم على المقارنة بين إيجابيّة الشاعر وسلبيّة الأعداء الذين جاروا عليه وحرقوا حانوته الذي يشكّل مصدر رزقه وقوّته، لذا نجده منذ مطلع القصيدة يفعّل الطباق ليكشف عن سوء الأعداء وقبح أفعالهم، يقول عبد الكريم القيسيّ في مطلع القصيدة [3].

وَدَدْتُ أُناسًا لم يُراعُوا الودادَ لي   وَما سِمْتُـهُـمْ بالسوء حبّة ِ خَرْدَلِ

وعادُوا وفي العهد منّي بودّهمْ   على مقتضى طبعي وفاء ِ السّموْءِلِ

---

[1] المرجع السابق، تحقيق، جمعة، شيخة، ومحمد الهادي الطرابلسي، ص411.

[2] العسكري، أبوهلال، الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت395هـ)، (1981)، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ص (339).

[3] الديوان، القصيدة، 299، ص449.

يبدأ الشاعر مطلع قصيدته بالتعبير عن ودّه للقوم الذين قابلوه بعدم مراعاة هذا الودّ وقابلوا الوداد بالعداوة، ونلحظ أنّ الشاعر أراد أن يوجّه المتلقّي إلى قضية عدم الوفاء عبر مجموعة من المفردات التي تتناقض مع وفائه، إضافة إلى التناوب بين ضمير المتكلم العائد على الشاعر وضمير الجمع الغائب العائد على الأعداء:

ودد+ تُ + + أناساً .... لم يراعـ + وا + الوداد + لـ+ ي

فعل الود + ينسب للشاعر+ "الأعداء نعتهم بكلمة....... لم يراع +الواو+ الوداد +للشاعر

"أناسا" كلمة نكرة

في مقابل الوداد من الشاعر نجد أناسا آخرين ....- لم يراعوا الوداد - عادوا العهد

فالشاعر طوّع المعجم اللغويّ؛ ليؤكّد دلالة وفائه للقوم في مقابل ذلك نجد الحقول المعجميّة والدلاليّة تؤكد الغدر والخيانة عند أناسٍ نعتهم بأنّهم الأعداء، فالطباق انسجم مع ثنائية الضمائر والإشارات التناصيّة في قوله "ما سِمْتُهم بالسوءِ حبّةَ خردل" فهو لم يُسء إلى هؤلاء القوم بأقل القليل من السوء فيستنكر كيف لهم أن يحقّقوا له هذا الحجم من الضرر؟!.

وفي دائرة الطباق نجد الشاعر يوظّف الطباق بصورتيه؛ طباق الإيجاب وهو الأكثر تمثّلا في القصيدة، ومن ذلك قوله[1]:

وأذكـرهم سـرّا وجهرًا وإنْ جفـَوا وأبدَوا عـظيـمًـا لـيـس بالمتحمَّلِ

فهو يذكر هؤلاء القوم في كلّ حال، في السرّ والجهر، وبالرغم من جفائهم إلّا أنّه ما زال يذكرهم، ويستطيع القارئ أن يستشف من هذا التّطابق والتّضاد مدى تضحيات الشاعر من أجل هؤلاء القوم وفي المقابل يعكس لنا سوء طباعهم ولؤمهم وصفاتهم السلبيّة.

أما النوع الآخر من الطباق، فهو طباق السلب، ومن النماذج عليه قول الشاعر[2]:

وراعيتـــه إذ لم يراعوه ضِلّةً وصار لديهم منهلًا أيّ منهَلِ

وإنْ أحرَقُوا حانوت ـِ مِثلي تعدّيًا فلم يَحرقوا منه سوى طيبِ منزِلِ

يظهر طباق السلب بين البيتين السابقين، بين المفردة ونقيضها المسبوق بحرف النفي "لم"، فنجد:

- راعيته................ (لم) يراعوه
- أحرقوا................ (لم) يحرقوا.

وإن كان الضّد يظهر حسنه الضدّ فإنّنا أمام نصٍّ يلحّ على الضدّية ليكشف عن الأبعاد الدلاليّة والنفسيّة المسيطرة على الشاعر ولعلّ هذا ما يفسّر توظيف الطباق في أكثر من كلمة في البيت الشعريّ الواحد وهو ما يعرف عند البلاغيين بالمقابلة، ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر[3]:

فيُجْزَوْنَ في الدنيا بسـوءٍ مُعجَّلٍ وَيـُجْـزوْنَ في الأخرى ببؤسٍ مـؤجـَّـلِ

فما بين الجزاء المعجّل في الدنيا والمؤجّل في الآخرة نجده يعبّر عن أمنيته النفسيّة بأن يكون هذا الجزاء جزاء بائسًا يتناسب مع فعلهم السيئ، فالشاعر يتمنى أن يكون جزاء الأعداء كأفعالهم السيئة التي حرقت مصدر رزقه.

الترادف: يمثّل الترادف صورة من صور التوسّع المعجميّ في حقول المعنى المتقاربة، وهناك من يعدّه شكلًا من أشكال التكرار المعنويّ الدلاليّ؛ إذ يتكرر المعنى أو ما يقاربه أو ينتمي إلى حقله مع الإتيان بلفظ جديد، ففي الترادف تدل ألفاظ أو

---

(1) القيسي، الديوان، ق299، ص449.

(2) المرجع السابق، ص450

(3) القيسي، الديوان، ص 451

كلمات عدّة مختلفة ومنفردة على مسمّى واحد دلالة واحدة[1]، ويفسر الترادف وفق النّص الذي يرد فيه، فهو محكوم به ويفهم في ظله الدلالة التي يسعى الشاعر إلى تحقيقها، ويمكننا أن نلحظ التوسّع المعجميّ في الحقول المترادفة في النماذج الآتية[2]:

إلا هي ملاذي ملجئي متعلّقي   مُعيني مُقيلي عُدّتي الدّهر مأملي

وبالمصطفى الهادي الشفيع محمد   إلى الله في كشف الكروب توسّلي

يكشف الشاعر في البيتين السابقين عن المفردات المتقاربة في الدلالة ليعبّر عن أمله في الانتقام ممّن ألحق به الأذى، بل إنّ الترادف يفسّر حجم العمق الإيمانيّ الذي يتمتّع به الشاعر، ولذا نلمس في بعض الترادفات شيئًا من الأمل النفسيّ والاعتزاز بالذات ومن هنا نجده يقول[3]:

أنا الذهب الإبريز بالنار قيمتي   لدى الخُبْر عند الناس تسمو وتعتلي

فهو كالذهب ثابت لا تتغيّر مبادئه بل تسمو وتعتلي على الرغم من وضوح حقيقة الضرر الذي ألحقوه به، يقول[4]:

كأن الأذى مفروضُه واجب الأدا   عليهم وليس الفَرْضُ مثلَ التنفُّلِ.

فإذا كان الشاعر يرادف بين "الفرض و "الواجب" في الأداء فإنّ الدلالة تعمّقت باندغام تقنية الترادف مع التكرار والطباق، وهذا ما يفسّر لنا تكرار كلمة "الفرض" ليؤكد دلالة الأذى الذي يقوم به الأعداء على وجه الإلزام والوجوب ليوضّح ملامح صورتهم السلبية التي لا تحمل إلّا الأذى على الشاعر فهم لم يفعلوا فعلتهم من باب التنفّل والاختيار وإنّما هو واجب إلزاميّ؛ إلحاق الضرر بالشاعر القيسيّ، ويبدو أن إلحاح الشاعر في الأسلوب يؤكّد الدلالة التي لا تحمل مجالًا للشك.

الوصف: يشكّل الوصف لوحة من المفردات المعجميّة التي تلحق بالموصوفات لتبيّن أحوالها وهيئاتها، ممّا يعني أنّها تحقّق توسعًا معجميًّا في حقول هذه الموصوفات، وهذا ما نجده في تعريف الوصف عند قدامة بن جعفر إذ يقول: " الوصف إنّما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات[5]".

ولعلّ الوصف هو الحقل المعجميّ الأكثر تمثّلًا عند الشعراء، فكما يقول القيرواني: "الشعر – إلا أقلّه – راجع إلى باب الوصف، ولا سبيل لحصره واستقصائه[6]".

وفي هذه القصيدة نجد الأوصاف الإيجابيّة ظهرت في بعدين، هما:

أولًا: البعد الأخلاقيّ المتصل بالشاعر عبد الكريم القيسيّ، ويقابل هذا البعد الصفات السلبيّة للقوم الذين ألحقوا الضرر به، وفي هذا البعد نجد الشاعر يتوسّع في حقل صفاته الإيجابية، فتصبح المتواليات الوصفيّة نموذجًا للتوسّع في الحقل المعجميّ ومن الأمثلة على ذلك[7]:

وألقاهم طلق المحيّا سماحة   بوجه له من بشره متهلّل

فالشاعر يصف حاله عند ملاقاة أولئك القوم الذين غدروه فقد كان يلقاهم برحابة عبّر عنها بالصفات الآتية " ألقاهم" طلق المحيا

---

[1] الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت816هـ)، (1969)، التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، ص210. والسيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (ت911هـ)، (1987)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى وآخرون، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، ج1، ص402 وما بعدها.

[2] القيسي، الديوان، ص451.

[3] القيسي، الديوان، ص450.

[4] المرجع السابق، ص450.

[5] ابن جعفر، قدامة، أبو الفرج، (ت337هـ)، (1963)، نقد الشعر، تحقيق، كمال مصطفى، بدون ط، مصر، مكتبة الخانجي، بغداد، مكتبة المثنى، ص134.

[6] ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، (ت473هـ)، (1964)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط5، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، الجيل، ص294.

[7] القيسي، الديوان، ص449.

سماحة

بشر الوجه

متهلّل

لعلّ المتوالية من المواصفات السابقة توضّح توسّع الشاعر في مدحه لذاته، ولعلّ هذا الحيّز من الحضور الوصفيّ يعكس انفعالات الشاعر النفسيّة في رفضه لفعل القوم؛ لأنّه كان يقدّم لهم كلّ ما يمكنه من الخير والحبّ، ولكنّهم قابلوه بالنقيض، وفي هذا الموضع نجد فيليب هامون يشير إلى أنّ الوصف يوسّع الشبكة المعجميّة والدلاليّة يقول: "فكلّ وصف هو بناء في شكل النّص لشبكة دلاليّة شديدة الكثافة تحدده مرتبية علاقات رئيسيّة أو ثانويّة[1]".

فالعلاقة بين مرتبات الوصف في هذه القصيدة تقوم على الثنائيّة بين الصفات كما أشرنا سابقًا، فالصفات الإيجابيّة عند الشاعر يقابلها صفات سلبيّة عند القوم، ومن ذلك قوله[2]:

فَمِن مُكثِرٍ فيما استحلّ من الأذى   ودان به مستهزئًا أو مقلّلِ.

فهذا أذاه باللسان قد انجلى   وذا باليد الشلّاء للعين ِ يَنْجَلِي.

يتوسّع الشاعر في صفات القوم فتأتي الموصوفات "الاسميّة والفعليّة" لتعبّر عن سوء أفعالهم، فالأعداء نجد منهم:

- المكثر /والمقلّل/ ممّن يستحلّ الأذى.
- المكثر /والمقلّل/ ممّن يدين بالأذى.
- المكثر /المقلّل/ ممّن يستهزئ بالشاعر.
- المؤذي بلسانه.
- المؤذي بفعله "باليد الشلّاء".
- صفات الأفعال السيئة التي يفعلونها ظاهرة جليّة للعين.

تمثّل شبكة الموصوفات السلبيّة السابقة بُعدًا دلاليًا يستدلّ به على سوء الأخلاق التي يتحلّى بها أولئك القوم، وممّا لا شكّ فيه أنّ الشاعر اتكأ على هذه المتواليات الوصفيةّ ليعبّر عن انفعالاته النفسيّة، ويصرّح بتظلّمه من أفعالهم السيئة، وقد نجح في تكوين الصورة عنهم لسببين، أولهما التوسّع في الحقل الوصفيّ، والثاني لثنائيّة المقارنة بين هذه الموصوفات.

ثانيًا: البعد الديني المرتبط بوصف البعد الإيمانيّ في نفس الشاعر، ووصف القرآن، وذكر أوصاف النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، ومن الأمثلة على ذلك، قول الشاعر في وصف القرآن[3]:

ضروبٌ من ألقاب البديع به انجلتْ   بدائعها من مُجمَل ومفصّل.

فالشاعر يتوسّع في ذكر أوصاف القرآن الذي تجتمع فيه:

- ألوان البديع / فيه البدائع المنجلية
- فيه المجمل من الآيات / فيه المفصّل من الآيات

جاء الموصوف واحدًا والموصوفات متعددة ليتوسّع المعجم اللغويّ في بيان فضائل الموصوف وعظمته في نفس الشاعر، ومن مثل ذلك أيضًا نجده يصف الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام بقوله[1]:

[1] هامون، فيليب، (2003)، في الوصفي، ط1، ترجمة: سعاد تريكي، قرطاج، بيت الحكمة، ص32. .

[2] القيسي، الديوان، ص450.

[3] القيسي، الديوان، ص451.

- وبالمصطفى الهادي الشفيع محمّد إلى الله في كشف الكروب توسّلي.

تتوالى أوصاف الحبيب -صلى الله عليه وسلّم -في نهاية القصيدة لتعكس البعد الإيمانيّ في نفس الشاعر، ذلك البعد الذي يرتقي به من منزلة الضعف إلى منزلة القوة، فالشاعر يقابل أفعال القوم السيئة بالدعاء والتوكّل على الله، وهو يتأمل أن تُكشف كربته بفضل شفاعة المصطفى الهادي الشفيع محمد -عليه الصلاة والسلام-. فالتوالي في هذه الصفات يبرّر الأمل والتوسّل في كشف الكرب الذي يمرّ به.

ثانيًا: المستوى الصوتيّ:

الإيقاع والموسيقى الخارجية:يُعرّف الإيقاع أنّه "وحدة النغمة التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو في البيت، أي توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من الكلام أو في أبيات القصيدة[2]"

وقصيدة عبد الكريم القيسيّ قصيدة كلاسيكيّة البناء، تقوم على النظام العموديّ ذي الشطرين، هذا النظام الذي يقوم على أوزان مكوّنة من متحرّكات وسواكن تنتظم وفق نسق محدد لتعبّر في كّل نمط موسيقيّ عن أغراض شعريّة متناسبة مع طبيعة هذه الأوزان، يقول حازم القرطاجنّي: "ولمّا كانت أغراض الشعر شتّى، وكان منها ما يقصد به الجدّ والرصانة، وما يقصد به الهزل والرشاقة، وجب أن يحاكي الشاعر تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان، ويُخيلها للنفوس، فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، فالعروض الطويل تجد فيه أبدًا بهاء وقوة، وتجد للبسيط بساطة وطلاوة[3]".

وقصيدة عبدالكريم القيسيّ نُظمت كلماتها على تفعيلات البحر الطويل، تلك التفعيلات التي تتّسع للتعبير عن مشاعر الأسى والحزن، فالأصوات التي بنت موسيقى الكلمات الخارجية ساهمت في إيصال انفعالات الشاعر النفسيّة، فقد انبنت كلمات القصيدة على وحدات صوتية ومقاطع موزونة على تفعيلات البحر الطويل، وقد أشار إبراهيم أنيس في بحثه الذي جاء بعنوان "العاطفة والوزن" إلى "أنّ الغربيين ربطوا بين وزن الشعر ونبض القلب الذي يقدّره الأطباء في الإنسان السليم بعدد (76) مرّة في الدقيقة، ويرون أنّ هناك صلة وثيقة بين نبض القلب وما يقوم الجهاز، وقدرته على النطق، بعدد من المقاطع، ويقدّرون أن الإنسان في الأحوال العادية يستطيع النطق بثلاثة من الأصوات المقطعية كلّما نبض قلبه نبضة، وقد عرفنا أنّ بحرًا كالطويل يشتمل على ثمانيةٍ وعشرين صوتًا مقطعيًّا، أمكننا أن نتصوّر أنّ النطق ببيت من الطويل يتمّ خلال تسع نبضات من نبضات القلب، فنغمة الإنشاد لا بدّ وأن تتغيّر تبعًا للحالة النفسيّة للشاعر، فهي عند الفرح سريعة وثابتة، وعند الحزن بطيئة وحاسمة"[4].

وهذا البحر الذي يتّسع في عدد مقاطعه لأحزان الشاعر، فالطويل السالم يتكون من تنويعات التفعيلات، فقد جاءت (مفاعيلن) في صورتين هما:"مفاعلن" و "مفاعي"، وأما تفعيلة (فعولن) فقد جاءت بصورة (فعول)، وبين تكرار هاتين التفعيلتين المختلفتين وبين تنويعات الموسيقى ينطلق القيسيّ في التعبير عن أحزانه في قافية لامية تبوح عن أحاسيسه الظّلم والعدوان، واللام من الحروف التي يصفها ابن الجزري بالحروف المذلقة، أي التي تخرج من ذلق اللسان بسهولة ويسر، والتي جمعت في عبارة "فرّ من لب[5]".

ب - الإيقاع الداخليّ:

تجلّى الإيقاع الداخليّ بوضوح في صورتين، هما: التكرار والجناس.

---

[1] المرجع السابق، ص451

[2] الفاخوري، محمود، (1996)، موسيقى الشعر العربي، مديرية الكتب والموسيقى، والمطبوعات الجامعية، ص 167،166.

[3] انظر: القرطاجنّي، حازم بن محمد، أبو الحسن (ت648هـ)، (1966)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق، محمد الحبيب، تونس، ص269.

[4] أنيس، إبراهيم، (1952)، موسيقى الشعر، ط2، القاهرة، مطبعة الإنجلو المصرية، ص 175.

[5] ابن الجزري، الحافظ، أبوالخير محمد بن محمد الدمشقي: (ت833هـ)، (بدون سنة)، النشر في القراءات العشر صحّحه وراجعه، علي محمد الضبّاع، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، ج2، ص200.

- التكرار:

التكرار في الاصطلاح:" تكرار كلمة أو لفظ أكثر من مرّة في سياق واحد لنكتة ما، وذلك إمّا للتوكيد، أو لزيادة التنبيه أو للتهويل أو للتعظيم[1]"

ومن خلال توظيف الشاعر للتكرار فإنّ القارئ يلمح التكرار منذ البيت الأول ويجده ملمحًا أسلوبيًّا بارزًا عنده، ويمكننا إبراز صور التكرار من خلال الجدول الآتي:

رقم البيت	نوع التكرار	عدد التكرارات	دلالات التكرار
1 +2	تكرار أسماء / أفعال "وددت/الوداد/ودّهم"	3	ضياع الوداد بينه وبين الأعداء الذين حرقوا حانوته.
2	تكرار أصوات " صوت الدال "عادوا/عهد/ودهم	3	صوت الدال انفجاريّ يحمل دلالات الرفض لخيانة الأعداء في مقابل وفاء عبد الكريم القيسي
4	تكرار أسماء شاهد /شاهد	2	أفعال الأعداء شاهدة على صنيعهم وهو يخلّد هذا الصنيع في نظمه شعرًا.
4	تكرار أسماء أعدل/ معدّل	2	الشاعر يتحرّى العدالة ولكنّها ضاعت حين حُرق حانوته.
5	تكرار أسماء / هلْهلاً/مهلهِل	2	الاعتزاز بقدرته الشعرية التي من خلالها يوثّق أفعالهم المهلهلة.
6+11	تكرار أفعال /أسماء - أرعى/رعي - راعيته /لم يراعوه	4	يبيّن تضحياته ومراعاته المتكررة التي صنعها مع القوم الذين خالفوا ودّه وحبه.
9+14+15+13 + 16+ 23	تكرار الأسماء إذاية/أذى/ الأذى/ أذاه/ الأذى/ الأذى/ أذاهم	5	الإشارة إلى تعرّضه للأذى من غير ذنب. والتكرار يعكس حجم الألم والأذى الذي تعرّض له نتيجة حرق حانوته
10	تكرار أسماء عذل/عذّل	2	يكشف عن تعرّضه للعذل نتيجة وقوفه للحق، فالتكرار يشير إلى حجم اللّوم الذي تعرّض له.
12	تكرار أسماء - التأويل/التأوّل - رأيا/رأيهم	2 2	- التكرار يدلّ على أن تأويل القوم ورأيهم لم يكن صوابًا. فالتكرار يعكس انفعالات الرفض عند الشاعر
15	تكرار أفعال انجلى /ينجلي	2	انجلاء الحقيقة وظهور الجانب السيء في القوم الذين حرموه من مصدر رزقه.
16	تكرار الأسماء مفروضة/ الفرض	2	يؤكد من تكراره على الطبيعة السيئة فيهم.
19+33	تكرار أفعال/أسماء أحرقوا/يحرقوا/إحراق/حرقه	4	– الإشارة إلى ألمه من حرق الحانوت.
22	تكرار أسماء سلاحي/سلاحهم	2	الإشارة إلى غضب الشاعر ولذا نجده يأتي على ذكر الأسلحة.
28+29	تكرار أسماء العلم/العلوم	2	الإشارة إلى قيمة العلم في نفس القيسي.
35	تكرار أفعال وأسماء - رحت/راحوا - الظهر/بظهر	2 2	- التأكيد على الفرق بين صفات الشاعر وصفات القوم الخائنين.

[1] انظر، ابن معصوم المدني، علي بن نظام الدين، (ت1119هـ)، (1968)، أنوار الربيع في ألوان البديع، تحقيق: شاكر هادي شكري، النجف الأشرف، مطبعة النعمان، ج5، ص 34-35.

36	تكرار أفعال فيجزون/ويجزون	2	- يؤكد على الجزاء الذي سيلاقونه في الدنيا والآخرة.
38+40+42	تكرار أسماء لفظ الجلالة "الله"	4	- التأكيد على لجوئه إلى الله في مصيبته.

يبدو ممّا سبق اتكاء الشاعر الواضح على التكرار، ويغلب تكرار الأسماء على تكرار الأفعال، ومما يفعّل من تقنيّة التكرار انسجامها مع باقي العناصر المكوّنة للبنية النّصية، فدلالة التكرار، تمحورت حول المقارنة بين صفات الشاعر الإيجابيّة المتصلة بالأبعاد الإيمانيّة، وصفات القوم الذين أتوا على حرق حانوته، وأشار في غير موضع إلى الظّلم والألم النفسي الذي وقع عليه من هؤلاء القوم، وهذا ما يذكرنا بموقف ابن رشيق من دلالات التكرار حين ربط التكرار بالغايات والبواعث النفسيّة التي تثير أحاسيس القائل، وتسوقه نحو استعمال هذا الأسلوب فيقول:" ولا يجب للشاعر أن يكرر اسمًا إلّا على جهة التشوّق والاستغراب، إذا كان في تغزّل أو نسيب...أو على سبيل الإشارة إليه بذكر... أو على سبيل التقرير والتوبيخ.. أو على جهة الوعيد والتهديد إن كان عتاب موجع[1]" .

ويتبيّن من توظيف القيسيّ للتّكرار أنّ عتابه ولومه كان موجعًا وجعًا عبّر عنه بتكرار كلمات الأذى والأذاية في "ستة مواضع "وهو لا يلبث أن يعبّر عن هذا الأذى بتكراره للكلمات الدالة على الحرق في "أربعة مواضع "لذا نجده يضرع للمولى -جلّت قدرته- لدفع هذا الضرر عنه ومن هنا نجده يطلق الدعاء مكررًا في أربعة مواضع، وكأنّها معادل موضوعيّ ونفسي يرد الألم عن نفسه وإذايته باللجوء إلى الدعاء للخالق جلّت قدرته ليزيل عنه ألم هذه المصيبة.

ثالثًا- المستوى الدلاليّ: استطاع الشاعر أن يجسّد أبعادًا دلاليّة متعددة في قصيدته، ويمكننا القول إنّ التناص من التقنيات التي ظهرت عند الشاعر للتوسّع في المستوى الدلاليّ؛ ولا يخفى على الدارس أنّ التناص من المصطلحات النقديّة التي حظيت باهتمام النقاد قديمًا وحديثًا، فالقدماء أشاروا إلى السرقات الشعرية والاقتباسات والتضمين، "فالاقتباس والتضمين شكلان من أشكال التناص يستخدمها بغرض أداء وظيفة فنيّة أو فكريّة منسجمة مع السياق الشعريّ[2]"

وأمّا المحدثون فقد توسّعوا في دلالات أخذ النّصوص من بعضها، فالنّص فضاء متعدد الأبعاد، فهو مصنوع من كتابات مضاعفة نتيجة لثقافات متعددة تدخل كلّها بعضها مع بعض في حوار ومحاكاة ساخرة وتعارض[3]، فالنّص كما ترى جوليا كريستيفيا "هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات وكلّ نص هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى[4]".

وفي هذه القصيدة تظهر صورة التوسع الدلاليّ عن طريق ملامح التناص في الأبيات، وفيها تنعكس ثقافة الشاعر في منظومة الأبيات التي أحال الشاعر فيها إلى نصوص أخرى، ففي مطلع القصيدة، الذي قال فيه القيسيّ[5]:

وددتُ أناسا لم يُراعوا الودادَ لي وما سِمْتُهُمْ بالسّوءِ حبَّة ِ خرْدَلِ

في هذا البيت نجد القارئ يستدعي البنية النّصية الأعمق المتمثلة في قوله تعالى:﴿ *يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ* ﴾[6].

فالقارئ حين يقرأ النّص يرتدّ إلى بنية عميقة تحيله إلى النّص القرآني في سورة لقمان، ليكشف المعنى العام وهو أن الله لا يخفى عليه شيء ولو كان في أدق الأمور، فالخردل نبات صغير الحجم، ورغم صغره المتناهي يعلمه الله، ومن هذا المعنى نجد الشاعر يكشف عن أنّه قدّم الودّ للقوم ولم يضمر لهم أقل القليل من السوء، فالشاعر اتكأ على النّص القرآني وحوّره بما يخدم المعنى الذي يسعى إلى تحقيقه.

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج2، ص74.
[2] انظر: أحمد الزعبي، (1995)، التناص نظريا وتطبيقيا، ط3، الأردن، إربد، مكتبية الكناني، ص16. .
[3] بارت رولان ، (1999)، همسة اللغة، ترجمة: منذر عياشي، حلب، مركز الإنماء الحضاري، ص83.
[4] عزام، محمد، (2001)، النّص الغائب – تجليات التناص في الشعر العربيّ، دمشق، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ص 28.
[5] القيسي، الديوان، ص449.
[6] سورة لقمان، آية 16.

ومن صور التناص الأدبي، ما قاله الشاعر في البيت الثاني في القصيدة[1]:

وعادوا وفي العهد منّي بودّهم   على مقتضى طبعي وفاء السموأل.

فالشاعر أراد أن يعبّر عن وفائه لقومه، بإحالاته إلى قصّة وفاء السموأل، الذي فضّل أن يسلّم ابنه للقتل على أن يفرّط في الأمانة التي تركها امرؤ القيس عنده. إذ يقال أنّ امرأ القيس صاحب "قفا نبك" استودع السموأل دروعًا كانت ملوك كندة يتوارثونها ملكًا عن ملك، فطلبها ملك الحيرة الحارث بن أبي شمّر الغسّاني وألحّ في تطلابها، فلمّا حجبت عنه سار إلى السموأل (وقيل: بل وجّه إليه الحارث بن ظالم) فلمّا دهم الجيش السموأل، أغلق الحصن دون من دهمه، فأخذ له ابنٌ كان خارج الحصن في متّصد له، فخيّر الحارث السموأل بين دفع الدروع التي في حِرْزِهِ وقتل ابنه، فاختار السموأل الوفاء بالذمة وأعطاها ورثة امرئ القيس[2]، فالشاعر يحيل القارئ إلى قصة السموأل ليعبّر عن وفائه، وإنّما هو أوفى منه للقوم الذين اعتدوا على حانوته، ومن هذا المعنى نستقرئ دلالة الاستنكار من الشاعر فهو يستنكر خيانة أولئك القوم رغم وداده ووفائه. والعملية التناصيّة هنا تكشف في حقيقتها التفاعل بين النّصوص، فالقارئ كما قال سعيد يقطين "يجهد نفسه لتفكيك النّص بهدف معاينة علاقته بغيره من النّصوص التي حاول أن يستوعبها ويتمثّلها ويحوّلها في بنيته النّصية لتصبح جزءًا أساسيًا من بنيته وبنائه[3]".

ولعلّ الاتكاء على قصّة السموأل يعبّر عن أبعاد دلاليّة متعددة ففيه معنى الوفاء من الشاعر، ومعنى الألم الذي تعرّض له من القوم الذين بادلهم الودّ والوفاء فبادلوه الخيانة وما زال يؤكد وفاءهُ بالإحالات التناصيّة فنجد قوله[4]:

وأرعى لهم من القديم الذي مضى   ومرّ سريعًا رعي قَدْحِ ابنِ مُقْبلِ.

فالشاعر يحيل في بيته السابق إلى بيت الكميت في لاميّته المشهورة المؤيدة لثورة زيد بن علي بن الحسين على الأمويين، فقد قال الكميت[5]:

خرجت خروجَ القدْحِ ِقَدْحَ ابن مقبلِ   على الرغم من تِلْكَ النَّوابحِ والمُشْلِي

عليّ ثياب الغانيات وتحتها   عزيمة امرئ الوالي أشبهت سلّة النّصلِ

أمّا المعنى الذي أراد الشاعر القيسيّ أن يوصله من هذه الأبيات فهو أن أعماله التي قدّمها لأولئك القوم مرّت سريعًا دون أثر كما مّر الكميت من أمام سجّانه دون أن يشعر. وهكذا نجد أن التناص كشف ساهم في تحقيق الأبعاد الدلاليّة التي سعى الشاعر إلى تحقيقها، مصوّرًا معاناته والظلم الذي وقع عليه عند إحراق حانوته.

---

[1] القيسي، الديوان، ص449.

[2] الأصفهاني، أبو فرج، علي بن الحسين، (ت356 ه)، (1997)، الأغاني، ط2 جديدة، بيروت، لبنان، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربيّ، ج9، ص 68 . 69 . وانظر: ابن قتيبه، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري، (276ه)، (1423ه)، الشعر والشعراء، د.ط، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ج1، ص120.

[3] يقطين سعيد، (1989)، انفتاح النّص الروائي، النّص والسياق، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 91.

[4] القيسي، الديوان، ص449.

[5] جاء في كتاب الأغاني أن خالد بن عبدالله القسري لما سمع بأبيات الكميت السابقة وقد كان واليًا على العراق من قبل هشام بن عبدالملك، وكان هذا الوالي حاقدا على الكميت، فأخذه إلى السجن، ولكن الكميت استطاع أن ينجو بأعجوبة، وذلك أنه بعث زوجه واسمها (حبي) وكانت تحمل عاطفة الولاء لبني هاشم، فزارته في سجنه، وألبسته ثيابها وتنقّب بنقابها، وخرج حرّا طليقا، وقد أبصره بعض الفتية لدى خروجه فقال متغرّبا : ما ننكر من هذه المرأة إلا يبسا في كتفها، ولكن لم يفطن إليه، وتابع الكميت سيره منشدا، وقال الأبيات السابقة:

- خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل   على الرغم من تلك النوابح والمشلي
- عليّ ثياب الغانيات وتحتها   عزيمة امرئ الوالي أشبهت سلة النّصل .

فعمد الوالي لزوجة الكميت ليعاقبها، عند ذلك تدخّل قومها من بني أسد، قائلين للوالي: ما سبيلك على امرأة حرّة فدت بعلها بنفسها؟ فخشي من سوء العاقبة وخلّى سبيلها .

الأصفهاني، الأغاني، تحقيق دار إحياء التراث العربي، ج17، ص16، وانظر: الأصفهاني الأغاني، تحقيق، إحسان عباس، و إبراهيم السعافين، وبكر عباس، بيروت، دار صادر، ج17، ص200.

المصادر والمراجع

. القرآن الكريم
. الأصفهانيّ، أبو الفرج، علي بن الحسين (ت 356 ه)، (1997)، الأغاني، ط 2جديدة، بيروت، لبنان، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي.
- أنيس، إبراهيم، (1952)، موسيقى الشعر، ط2، القاهرة، مطبعة الانجلو المصرية.
. بارت، رولان، (1999)، همسة اللغة، ترجمة، منذر عياشي، حلب، مركز الإنماء الحضاري.
. الجرجانيّ، علي بن محمد الشريف (ت 816ه)، (1996)، التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان.
. ابن الجزريّ، الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقيّ، (ت 833 ه)، (بدون سنة) النشر في القراءات العشر، صحّحه وراجعه، علي محمد الضّباع، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة.
. ابن جعفر، قدامة، أبو الفرج، (ت 337 ه)، (1963)، نقد الشعر، تحقيق، كمال مصطفى، د.ط، مصر، مكتبة الخانجي، بغداد، مكتبة المثنى.
. ابن رشيق القيرواني، أبو علي، الحسن بن رشيق، (ت 463 ه)، (1964)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط5، تحقيق، محمد محيي الدين بن عبد الحميد، بيرت، دار الجيل،
. الزعبي، أحمد، (1995)، التناص نظريًا وتطبيقيًا، ط3، الأردن، إربد، مكتبة الكنانيّ.
. السيوطيّ، عبد الرحمن جلال الدين، (ت911 ه)، (1987)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق، محمد جاد المولى وآخرين، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية.
. عزام، محمد، (2001)، النّص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربيّ، دمشق، منشورات اتحاد الكتّاب العرب.
. العسكريّ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت 395 ه)، (1981)، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، بيروت، لبنان، دار الكتب.
. الفاخوري، محمود، (1996)، موسيقى الشعر العربيّ، مديريّة الكتب والموسيقى، والمطبوعات الجامعيّة.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري، (276ه)، (1423ه)، الشعر والشعراء، تحقيق، أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث.
. القرطاجنيّ، حازم بن محمد، أبو الحسن، (ت 648 ه)، (1966)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق، محمد الحبيب، تونس.
. ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، (ت463ه)، (1964)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط5، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل.
. القيسيّ، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، (ت أواخر التاسع الهجري)، (1988)، الديوان، عبد الكريم القيسي، ط2، تحقيق، جمعة شيخة، محمد الهادي الطرابلسي، تونس، قرطاج، المؤسسة الوطنية للترجمة، بيت الحكمة.
- القيسيّ، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، (ت أواخر القرن التاسع الهجري) (1988)، الديوان، ط2، تحقيق، جمعة شيخة، ومحمد الهادي الطرابلسي، تونس، قرطاج، المؤسسة الوطنية للترجمة، بيت الحكمة، تقديم صالح بن رمضان، مجلة دراسات أندلسيّة، العدد الأول مطبعة المغاربة للطباعة والنشر والإشهار.
. ابن معصوم المدنيّ، علي بن نظام الدين، (ت 1119 ه)، (1968)، أنوار الربيع في ألوان البديع، تحقيق شاكر هادي شكري، النجف الأشرف، مطبعة النعمان.
. هامون، فيليب، (2003)، في الوصفي، ط1، ترجمة سعاد تركي، قرطاج، بيت الحكمة.
. يقطين، سعيد، (1989)، انفتاح النّص الروائي، النّص والسياق، بيروت، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء.

تجليات المكان في الشعر الجزائري القديم

أ.إيمان بوقردون

جامعة العربي التبسي – تبسة

المُلخص:احتل المكان في الشعر العربي مساحة واسعة ، وكانت بداياته مع الطلَل الذي جسد مشكلة المصير الإنساني ثم بدأت الأبعاد المكانية للإنسان تتبلور وتتطور بتطور الحياة وأصبحت له قيمته الكبرى ورمزيته التي تشده إلى الأرض ، والشعر الجزائري حلقة من سلسلة الأدب العربي ، وللمكان فيه حيز كبير وهو ما تثبته النصوص الشعرية بحديثها عن أماكن طبيعية أو تاريخية وأعلامها كثر أمثال بكر بن حماد التاهرتي ، وابن خميس التلمساني ، وكثيرا ما عُدَ المكان مرجعية للشعراء ، وَلَشعر الحنين وشعر الاغتراب وشعر المنفى أكبر دليل على تعلق هؤلاء الشعراء ببيئتهم وشغفهم بأماكن أصبحت رافدا لتجاربهم الشعرية.

الكلمات المفتاحية : الشعر الجزائري القديم ، المكان ، شعراء الجزائر، البقاع المقدسة.

Abstract

The place in the Arabic poetry occupied a large area, and its beginnings with the paralysis that embodied the problem of human destiny and then started the spatial dimensions of man crystallize and evolve in the evolution of life and has become a great value and symbolism to the ground, and Algerian poetry is one of the series of Arabic literature, The text of the poetry is evidenced by its talk about natural or historical places and its flags, such as Bakr ibn Hammad al-Tahrati and Ibn Khamis al-Tlemisani. The place is often considered a reference for poets, and nostalgia and alienation and exile felt the greatest proof that these poets attached to their environment and their passion for places A test of their poetic experiences.

مقدمة : اهتم الشعر العربي بالتعبير عن مكامن النفس البشرية بكل تفصيلاتها وتجاربها ،ويعتبر المكان جزءا من هذه التفاصيل والتجارب فقد انتقل من حدوده المادية إلى دائرة الرمزية ، فله بعده الدلالي الذي من خلاله تتجسد العلاقة بين الإنسان ومحيطه ،ناهيك عن كونه أحد العناصر المكونة للعمل الفني ، فأحيانا يكون الحيز الذي تتحرك خلاله الشخصيات لصنع الأحداث ، وأحيانا أخرى يكون أهم عنصر منتج لهذه الأحداث.

1. **المكان المفهوم والدلالة :**جاء في لسان العرب " المكان الموضع ، والجمع أمكنة ، وأماكن جمع الجمع "[1] ومكنته من الشئ وأمكنته منه فتمكن منه واستمكن ، وأما أمكنني الأمر فمعناه أمكني من نفسه."[2]

وفي التنزيل الحكيم وردت لفظة مكان بمعنى المستقر،ومنها قوله تعالى :" **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا** "[3] أي اتخذت لها مكانا نحو الشرق ، وقال تعالى : "**وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ** " [4] ، ووردت بمعنى المنزلة الرفيعة في آيات عديدة منها قوله تعالى :" **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** "[5] ويقال الناس على مكانتهم أي على استقامتهم "[6]

أما رؤية الفلسفة للمكان فقد اتفق فيها الفلاسفة المسلمون مع اليونان " وقد أفادوا من فكرة اقرار أرسطو بوجود المكان ، وعدم تأثره بما يحتوي من أجسام متمكنة فيه ، ومن الذين افادوا من فلسفة ارسطو المكانية الكندي والفارابي ، وأجمع هؤلاء الفلاسفة وغيرهم أن المكان هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده ويرادفه الحيز "[7]

1أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور : لسان العرب ،المجلد 13 ، دار صادر بيروت ،ط1 ،1998، ص :223.

2 الزمخشري : أساس البلاغة ، تحقيق باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ، ج2 ،ط1 ،1998 ، ص :223.

3 سورة مريم: 16

4 سورة ق :41

5 سورة مريم :57

6 الرازي : مختار الصحاح ، تحقيق وتعليق مصطفى ذيب البغا ، دار الهدى , للطباعة والنشر, عين مليلة ، الجزائر، ط4, 1990 ، ص 399

7 جميل صليبا : المعجم الفلسفي , بيروت لبنان ، د ط ،1994 ،ص 412.

2. **المكان في الشعر العربي :** يحتل المكان حيزا كبيرا في الشعر العربي وهو ما تثبته النصوص الشعرية بحديثها عن أماكن طبيعية أو تاريخية سواء تصدرت مقدمات القصائد أو تخللت متونها ، وهي تدل على ارتباط الشاعر في مختلف تجاربه ومواقفه بالمكان ، ولذا فقد حمل في القصيدة دلالة عميقة.

" وللمكان قيمته الكبرى ورمزيته التي تشده إلى الأرض ،فمنذ أن يكون الانسان نطفة يتخذ من رحم الأم مكانا يمارس فيه تكوينه البيولوجي والحياتي حتى إذا حان المخاض وخرج هذا الجنين يشم أول نسمة للوجود الخارجي كان المهد هو المكان الذي تتفتح فيه مداركه، وتنمو فيه حواسه وبعد المهد تتبلور الأبعاد المكانية للإنسان بصور أوضح من البيت والمدرسة والشارع "[1] .

ولعل أول ما يطالعنا في القصيدة العربية الجاهلية الطلل ، " إذ تعد تجربة الطلل من أعمق التجارب الشعرية لما لها من دلالة على مشكلة المصير الانساني ولما لها من صلة مباشرة ليس بوجدان الشاعر أو عواطفه فحسب , وإنما بتلك الآهات الحزينة التي أملاها على الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي إليها بالحرمان من أرض الوطن ، من أرض اعتاد عليها ، وبالحنين غلى الاستقرار وإلى المقام"[2] ، فتواجد الطلل بكثرة في الشعر الجاهلي ما هو دلالة على سطوة المكان على النفس الشاعرة وحضوره العميق في ذاتها ،فهؤلاء الشعراء أحسوا بالغربة واكتووا بنار البعد والفرقة فبيئة الجاهلي مقفرة مجدبة قاحلة تضطر قاطنيها دائما للترحال والبحث عن الأفضل ولكنها تترك في النفس أثرا عميقا بالاغتراب .

وحينما عرف العرب الحواضر انعكست تجلياتها في أشعارهم وبلورها الشاعر ضمن وعيه الجمالي بالمكان إلى دروس وصفية أو مدحية ، حنين أو مراثي تبرهن على تاريخية هذا الشعر ، وانخراطه في هموم المرحلة من جهة ، وعلى كفاء ته في التعبير عن موقفه إزاء المدينة ضمن حدود ما رسمته نظرية الشعر في تراثنا العربي ،" وما أتاحته خبرته بالحضارة والمدن آنذاك من جهة أخرى" [3] إذا فالارتباط بالمكان ضل حيا جليا في الشعر العربي وإن اختلفت صوره وطريق تعبير الشاعر عنه ، فاختفاء المقدمات الطللية أو تراجعها لم يلغ الحديث عن المكان بل تطور وتعددت أشكاله بتغير الظروف وتطور الحياة ، ففي العصر الأموي تطور شعر الغربة الذي يتمحور حول المكان ، حيث ظهرت ألوان جديدة من التعابير تصور غربة النفي والسجن وذلك بسبب اضطراب الأحوال السياسية في ذلك العصر ، فقد أصبح النفي سلاحا حادا في يد حكام بني أمية تجاه خصومها ومعارضيها ومثال ذلك الشاعر أبو قطيفة الذي نفى من المدينة إلى الشام ، يقول[4] :

أقر مني السلام إن حبت قومي	**وقليل لهم لدي الســــــلام**
أقطع الليل كله باكتــــــئاب	**وزفير فما أكـــــاد أنـــام**
نحو قومي إذا فرقت بيننا الدار	**وحادث عن قصدها الأحلام**

أما في العصر العباسي فقد تنوعت أشكال الغربة وذلك لتطور الاوضاع السياسية حيث نكل العباسيون بإتباع الدولة الاموية ، ومما لاشك فيه أن الغربة والحنين إلى الموطن الأصلي ، ولعل خير من مثل هذه الغربة في العصر العباسي المتنبي ، يقول :[5]

مــامقــامي بأرض نخـــــــــلة إلا	**كمقام المسيح بين اليهـود**

1 أحمد زنيبر: جمالية المكان في قصص إدريس الخوري , التنوخي للطباعة والنشر، الرباط ,ط1 ، 2009 ،ص :17.

2 صالح مفقودة : دروس في الأدب الجاهلي والأموي ،ج 1 ، شركة الهدى ، عين مليلة الجزائر ،د ط ،2004 ، ص : 37

3 إبراهيم رماني : المدينة في الشعر العربي الجزائر نموذجا ،دارهومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،ص : 34

4 أبو الفرج الأصبهاني : الاغاني : تحقيق عبد السلام هارون ، دار الكتب المصري ، القاهرة ،ج1 ، 1945، ص:28

5أبو الطيب المتنبي : الديوان ، شرح أبي البقاء العكبري ، مصر، ج1 ، ص : 17.

أنا في أمـــــــــة تداركهـــا ا لله غريب كصالح في ثمـــود

إذا فالمكان له مساحة واسعة في الشعر عبر عصوره ، وكثيرا ما عد مرجعية للشعراء ، وَ لَشعر الحنين وشعر الاغتراب وشعر المنفى أكبر دليل على تعلق الشاعر بيئته وأمكنته التي اعتاد علها ولا أفضل من الشعر وقوالبه ليَصب فيه هذه الأحاسيس والعواطف ، "فحينما يريد الشاعر أن يعبر عن أفكاره ويبحث عن جسم يوضح من خلال ذلك يجد الصورة إما في الشعر أو الرسم أو النحت ، ويؤكد لنا اتحاد الفكرة أو الشعور بالصورة حقيقة نقدية مألوفة ، هي أننا لا نستطيع أن نجد صورا ناجزة للتعبير عن مشاعرنا وأفكارنا بل علينا إذ أردنا أن نحتفظ لهذه العواطف والأفكار بأصالتها أن نقدمها للآخرين في صورتها الخاصة"[1]، إذ تجسد هذه الصور تجاربنا ومواقفنا وكذا الأماكن التي وقعت فيها .

"والصورة من حيث أهدافها ترمي إلى التعبير عما يتعذر التعبير عنه ، وإلى الكشف عما يتعذر معرفته ، هي إذن وسيلة من الوسائل الشعرية التي يتصرف المتكلم فيها لنقل رسالته ، وعقد الحوار والاتصال مع المتلقي "[2].

إن الشاعر يفكر بالصور ، والتعبير بالصورة هو لغة الشاعر التلقائية التي لا يتعلمها ،ولا يحتاج إلى الاعتذار عنها ، وإذا كان الإنسان – وليس الشاعر فحسب – يدرك المحسوسات ويتعرف عليها قبل المجردات ، "ويفكر بالتعبير وليس المفردات فقد اقتربنا من القول بأن الشعر هو اللغة الإنسانية الأولى من حيث هو تعبير ذو طبيعة حسية يخضع لنوع من التنظيم أو التشكيل يُبين عن شعور بلغ درجة الانفعال ، فحرك الخيل الذي تأطر في سلسلة من الصور"[3].

وما أجمل هذه الصور حينما تسكب فيها عاطفة الحنين إلى الوطن والشوق إلى أماكن لها في قلب الشاعر الأثر الكبير.

3. المكان في الشعر الجزائري القديم

إذا كان لشعراء المشرق فضل السبق في ظهور هذا النوع من الشعر المعبر عن الأشواق غلى الأوطان وما يشابهه ، فإن شعراء الأندلس والمغرب قد ساروا على خطاهم بل وفاقوهم أحيانا، ذلك أن نشاط الرحلة والتنقل بين الأمصار قد كان رائجا بشكل كبير لدي الجزائريين فإما طلبا إلى المعرفة أو الزيادة في العلم أو بحثا عن الرزق في أقطار الارض البعيدة ، أو هروبا من فتنة أو حرب أو جور سلطان أو كيد عدوان .

والعربي بطبعه يعشق أرضه ويخرج منها كرها لا طواعية ، لذا نجد الحنين يستحوذ على قلبه ، فكل مجد أو نصر أو فرح يراه أفضل لو كان في أرضه خاصة عند كريم الأصل الذي لا ينسى مهده الأول وربوع صباه فعبر من له منهم قدرة على النظم عن عواطفهم في قصائد مزجوا فيها بين حنينهم لديارهم وشكواهم من الغربة ،وما فيها من بعد وحرمان ، فالمكان إذن يعني " الارتباط الجذري بفعل الكينونة لأداء الطقوس اليومية للعيش وللوجود ، لفهم الحقائق الصغيرة ، لبناء الروح وللتراكيب المعقدة والخفية وتدمج كلية الحياة في صورة مكانية "[4]

والشاعر الجزائري كغيره من الشعراء متعلق بيئته متشبع بثقافة مجتمعه ومرتبط بطبيعة بلاه وجمالها الساحر ، وكل مكان فيها يحمل من الذكرى الكثير ، وهو ما خلف في الشعر المغربي تواجدا كثيفا لشعر الطبيعة وهو في أحضانها فإذا ما ابتعد عنها طار إليها حنينا وشوقا وعلى الرغم من هذا الحب الشديد للأرض لم يجد بُدا من الرحلة ، لأن الترحال " مستمد من أسطورة البعث ، أما الانغلاق في مكان واحد دون التمكن من الحركة فإن هذه الحالة تعبر عن العجز وعد القدرة على الفعل أو التفاعل مع العالم الخارجي أي مع الآخرين ."[5]

---

[1] عزا لدين اسماعيل :الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ،دار العودة ،بيروت ، ط3 ، 1981 ،ص 135

[2] رابح بوحوش : اللسانيات وتطبيقاتها عل الخطاب الشعري ,دار العلوم ، ط 1 ، 2006 ،ص 152.

[3] محمد حسن بد الله : الصورة والبناء الشعري ، مكتبة الدراسات الأدبية ،دار المعارف ،1981 ،ص : 43.

[4] حبيب مونسي : فلسفة المكان في الشعر العربي ، مطبعة اتحاد العرب ، دمشق ، ط1 ، 2001 ، ص :17.

[5] ياسين النصير: اشكالية المكان في النص الأدبي : دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،د ط ، 1986 ، ص 359.

وأول من يطالعنا من شعراء الجزائر في العهد الرستمي – ذلك العهد المبكر للشعر الجزائري القديم شاعر مجهول يرثي تيهرت 296 هـ ، وقد زحفت عليها جيوش الفاطميين فقتلت أميرها اليقظان بن اليقظان وطائفة من أسرته ، وبهذا تقوضت أركان هذه الدولة التي شع نورها طويلا وكانت مهدا للحضارة الجزائرية الاسلامية العريقة ولكن نأسف على عدم حصولنا إلا على ما نَدُر من شعره ، يقول :[1]

خليلي عوجا بالرسوم وسلمـــا — على طلل أقوى وأصبح أغبـــرا

ألما على رسم بتيهرت داثـــــــر — عفته الغوادي الرائحات فأقفرا

كأن لم تكن تيهرت دارا لمعشـــر — فدمرها المقدور فيمن تدمـــرا

ويظهر التقليد للقصيدة المشرقية واضحا من خلال استهلال الأبيات بمقدمة طللية يبكي فيها أماكن كانت دارا له ولأهله ولأحبته ، فما بقي منها إلا أثارا ودمن اندثرت وأغبرت .

كما نجد آخر يصف مدين تنس وهي عبارة عن ميناء صغير على ضفة البحر المتوسط بولاية الشلف أسسه في العهد الرستمي بحارة أندلسيون كانوا يترددون على السواحل الجزائرية وهو سعيد بن واشكل التهيريتي والذي لا نعلم شيئا عن حياته إلا أنه من شعراء العهد الرستمي بتهيرت التي نشأ بها ثم انتقل إلى مدينة تنس وبقي فيها إلى وفاته ، يقول:2

نأى النوم عني واضمحلت عرى الصبر — وأصبحت عن دار الأحبة في أسر

وأصبحت عن تاهرت في دار معـــزل — وأسلمني مر القضـــاء من القدر

إلي تنس دار النحـــــــوس فإنـها — يسـاق إليها كل منتقـــص العمر

بلاد بها البرغوث يحمل راجـــــلا — ويأوي إليها الدنيا في زمـــر الحشر

ويزحف فيها الهام في كل ساعـــــة — بجيش من السودان يخلب بالوتر

إنه وصف لاذع لهذه المدينة وما دفعه الى ذلك هو حنينه إلى تيهرت لذلك وضعها في مجال للمقارنة بمحل اقامته آنذاك تنس ، فلا شيء يحل محل تيهرت ولذا رسم لمقامه الجديد صورة سوداء فهي محل للبراغيث والحيوانات المتوحشة ثم يطالعنا الشاعر علي بن أبي الرجال وهو من شعراء القرن الخامس للهجرة " أحد دهاة السياسة الواردين على القيروان من تيهرت ويذكر المؤرخون أن هذا الرجل هو الذي لقن المعز بن أبي باديس مذهب مالك وكرهه في مذهب الشيعة وقد روى له ابن رشيق أشعارا كثيرة "3، قال وهو في تيهرت يتشوق لأهله بالقيروان4 :

ولي كبد مكلومة من فراقـــــكم — أطمئنها صبرا على ماأحبـــتت

تمنتكم شوقا إليكـــم وصوبة — عن الله أن يدني لها ماتمـــنت

عيني جفاها النوم وأعتادها البكا — ء غذا عن ذكر القيروان استهلت

ألفاظ الشاعر منتقاة وإن قلت الأبيات ، فالمعاني كثيفة وعواطف الشوق مزدحمة في عباراته والصدق بين جلي فيها ،كما تصادفنا أبيات للشاعر حماد بن علي الملقب بالبين وهو من شعراء ق 6 هـ ، وقد حصلنا من أدبه على هذه الأبيات التي يشكو فيها ألم الاغتراب ويحن إلى وطنه إلى المكان الذي كان ينعم فيه بصفو العيش ، يقول5 :

لمن أتشكى ماأراب من الدهــــــــر — وقد ضاق بي عن حمل أيسره صدري

---

[1] مبارك الميلي : تاريخ الجزائر قديما وحديثا ، بيروت ، ج2 ، ط2 ،1959 ،ص :57 .

[2] محمد بن رمضان شاوس ,الغوفي بن حمدان : إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر,دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2011 ،ص ،58.

[3] أحمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2006، ص 119.

[4] المرجع نفسه :ص 120.

[5] العماد الاصفهاني : خريدة القصر ،ج 1 ، ص :58

وقل الذي يجدي التشكي وأي مـــن	أرجيه في يومي لقاصمـــــــة الظهر
أراني قد أصبحت في قصـــــر باجة	غريبا وحيدا في هــــــوان وفي قصـر
فقيرا لمـــــن قــد كنت أغنى بنيلــه	وأنعم في أيامــــه مــــده العمـــر
أرتق عيشا كدرا الدهر صـــــفوه	وصيره بعد إنجبار إلى الكســـــــر

إلى غيرها من الأبيات التي يشكو فيها ألم الفراق الذي كدر صفو أيامه ، وكسر قلبه وجعله وحيدا ، فالشاعر هنا يحن إلى عهد ولى وترك في قلبه حسرة وحزنا عميقين ولعل أكثر من جسد المكان في الشعر الجزائري القديم واستنفد الكثير من طاقته هو شاعرنا ابن خميس التلمساني" وهو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن محمد بن عمرو الحميري الحجري الرعيني نسبة إلى حجر ذي رعين."[1] ، ولد بتلمسان وبها نشأ وترعرع ، وكان له قدر من الثقافة الأدبية والدينية ، فقد " تعلم كما تعلم أبناء عصره، حيث بدأ في المرحلة الأولى من حياته بحفظ القران الكريم بكتاتيب أو مساجد المدينة ، ثم انتقل في مرحلة ثانية فأقبل على دراسة النحو واللغة والأدب والفقه ، وأخيرا تخصص في العلوم الدينية والعقلية والأدبية ."[2]

وما ساعده على ذلك المكان الذي كان يعيش فيه ، فتلمسان آنذاك كانت تعج بالعلم والعلماء ، وحركة الآداب والفنون فيها ازدهرت وراجت وقد ساعد هذا لا محالة في تكوين شخصية ابن خميس الثقافية .

ولابن خميس مع الترحال حديث " فقد رحل إلى فاس ولما اتهم فيها بالزندقة عاد إلى تلمسان ولما حوصرت من قبل يوسف بن عبد الحق المريني غادر إلى سبتة فرحب به أمراؤها ، ولكنه كثرت عليه الدسائس ،جاز إلى الأندلس فغرناطة بجوار راعيه ابن الحكيم ، وحين دبر خصومه لمقتله وقتلوه قتلوا معه شاعره ابن خمَيس ."[3]

وما حديثنا عن هذه الجولات والصولات إلا لنثبت أن لابن خمَيس رحلة مع المكان والتنقل والترحال ولابد لهذا كله أن يؤثر على تجربته الشعرية ويطغى عليها في أحيان كثيرة ، فكما لم تغادر تلمسان ذهنه يوما لم تغادر أيضا قصائده ،فبعده عنها حرك أشواقه وأشعل نيران حبه ولهفته لتلك الأرض ومراتع صباه التي أحبها وأركان شبابه التي هام بها ، هذا الشباب الذي حن إليه فقد غادر تلمسان في ريعان عمره ، تلك الفترة الخصبة بالمواقف والغنية بالتجارب والكثيفة بالذكريات ، يقول [4] :

وعهدي بها والعمر في عنفوانه	وما شبابي لا أجين ولا مطخ
قرارة تهيــــام ومغنى صبابـــــة	ومعهد أنس لا يلذ به لطخ

ولما كان المنزل والحي الذي يسكنه الشاعر مركزا ليجمعوا الأحبة والأهل الأقربين فإن البعد عنه سيولد الاشتياق والرغبة في انتهاء الفراق ، يقول :[5]

ويا داري الأولى بدرب مغيـــلة	وقــــد جد غيث في بلاها وإرداء
أحن لها ما أطت النيب حولها	وما عاقها عن مورد الماء أضماء.

فالبيت بالنسبة لابن خمَيس رمز للأمان والحب والاستقرار واجتماع العائلة ، ومن الأماكن التي حن إلها الشاعر وتغن بها شوقا وأملا في العودة غلها ساقية الروم وهي معلم تاريخي بناها الرومان قبل الاسلام ، وهي رمز من الرموز التي تتكثف عندها الذكريات ويسترجع الماضي بكل تفاصيله في صرخة تحمل في طياتها أشواقا إلى كل ما فيه رائحة الوطن ، يقول :[6]

---

[1] عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، المكتب التجاري للنشر بيروت، ج 2 ،ط1 ،1971 ، ص 204.

[2] طاهر توات : ابن خميس شعره ونثره ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، د ط ،1991 ،ص46.

3 بتصرف :شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، دار المعارف ، ط 1،1995، ص :136.

4 محمد بن رمضان شاوس ، الغوثي بن حمدان: إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2011 ،ص :419.

5أحمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري ، ص : 226.

[6] المرجع نفسه : ص : 232.

لساقــية الرومي عندي مزيـــــة وإن رغمت تلك الرواسي الرواشح.
فكم لي عليها من غدو وروحـــــة تساعــدني فيها المنى والمنــــــائح
فطرف على تلك البساتين بــارح وطـــــــرف إلى تلك الميادين جامح
تحار بها الأذهـــــان وهي ثواقب وتهفو بها الأحـــــلام وهي بوارح.

لقد ارتبط المكان في شعر ابن خميس بتجربة الحنين وكل أبياته تقريبا تجمع عواطفا تتراوح بين حنين إلى تلمسان وربوعها وأماكنها باختلافها وأمل في الرجوع إليها.

ولطالما كانت الطبيعة هي مبعث إلهام للشاعر صحراء كانت أم سهلا أم هضابا ، وقد نحى ابن خميس منحى شعراء الأندلس الذين افتتنوا بطبيعتهم وسحرهم جمالها وإن كان قد أضاف إلى الوصف لمسة الحنين إلى كل مكان في تلمسان ، يقول واصفا شلال الوريط وهو أحد مصادر ذكرياته الجميلة في معرض تشوقه على تلمسان :[1]

نسيت وما أنسى الوريط ووقـفة أنافح فيها روضة وأنـافــــــــــح
مطلا على ذاك الغدير وقد بدت لإنسان عيني من صفـــاه صفائح
أماؤك أم دمعي ؟عشية صدقت علية فينا ما يقول المكاشـــــــح
فراح ينصب من رأس شاهـــق بمثل حلاه تستحث القرائـــــــح
أرق من الشوق الذي أنا كـــاتم وأصفى من الدمع الذي أنا ســافح

لا ينسى الشاعر هذه الصورة الطبيعية المبهرة التي تجلت فيها قدرة الخالق سبحانه وتعالى وهو يبثها همومه وأشواقه ،ثم يجمع الشاعر شتاته ويلم بكل مكان عاش بها في تلمسان ويحشد تلك الذكريات كلها في قصيدة استهلها بذكر تلمسان وهي من أجمل ما قيل في شعره:[2]

تلمسان جادتك السحاب اللواقح وأرس بـــــواديك الرياح اللواقح
وسح علي ساحات بابا حيـــادها ملـــث يصــــافي ويصـــــــافح
يطير فؤادي كلـــما لاح لامــــع وينهل دمعي كلما نـــاح صــــادح
ففي كل شفر من جفوني مائـح وفي كل شطر من فــؤادي قادح
فما الماء إلا مـا تـسح مدامــعي وما النار إلا ما تحن الجوائــــح
كتــمت هواها ثم برح بي الأسي وكيف أطيق الكتم والدمع فاضح

استفتح الشاعر قصيدته بذكر تلمسان وهذا إن دل عن شيء فإنما يدل على عظمتها في نفسه ويردف ذلك بالدعاء لها بالغيث النافع الطيب فهي أحب البلاد إلى قلبه ويتجلى ذلك في مدامعه التي فضحت أشواقه فلم يقدر على إخفائه وانفجر خاطره شوقا وحنينا .

واحترق فؤاده ألما لفارقها الذي لم يكن له يَد فيه ، وما زاد القصيدة بهاء وجلالا بلاغة الشاعر وإجادته في اختيار الألفاظ وخلق التناغم بينها ففي شعره الكثير من اللطائف والطرائف.

4. البقاع المقدسة في الشعر الجزائري القديم

إذا كان فؤاد الإنسان يتعلق ببيت عاش فيه ،أو مدينة نشأ بها، أو ركن قضى فيه من عمره وترا ، فما بالك ببيت الله الحرام ذلك البيت الذي تهوي إليه أفئدة الناس من كل فج عميق ، ذلك المكان الذي يمثل أكبر مُجمع يلتقي فيه الغني

[1] محمد بن رمضان شاوس ، الغوثي بن حمدان: إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر ،ص :421.
[2] أحمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري ، ص : 232.

والفقير والعزيز والحقير والكبير والصغير فيتساوى فيه الجميع لأنهم في ضيافة الله رب العالمين ، إذ يمثل ذلك المكان رمزا ليس للمسلمين فحسب – بحكم أنه يمثل شعيرة من شعائر الإسلام – وإنّما رمزيته ممتدة إلى ما قبل الاسلام ففي الجاهلية كانت رعاية البيت وإطعام الحجيج والسقاية والسَدانة شرفا تتسابق عليه القبائل .

ومنذ بزوغ فجر الإسلام تغيرت المقاصد ، وأصبح الملتقى السنوي يعقد فتقصده الأرواح طامعة في التطهير راجية وجه القدير أن تعود إلى ديارها وقد مُسحت عنها ذنوب السنون ، وهم يتمنون لو أن هذا الملتقى يتكرر على مدار السنة ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

أيها الراكب المجد ابتكــــــار قد قضى من تهامة الأوطــــارا
من يكن قلبه صحيحا سليمـــا ففؤادي بالخيف أمـــسى معارا
ليت ذا الدهر كان حتما علـــينا كل يــــوم حجة واعتمـــــارا

"وفي الشعر العربي بالعصر الأموي وما بعده من عصور إلى العصر الحديث صورٌ كثيرة جدا تعكس مدى تأثر الشعر والشعراء برحلة الحج ومشاهده ووسائل الوصول إليه ."[1]

فهو المكان الذي تتعرى فيه الأنفس وترتقي فيه الأرواح ، نعم إنها مكة التي أوصى بها الرحمان خيرا ، إنها البلد الامين ومهبط الوحي ومهوى الأفئدة.

وقد شغل فضاء ذلك المكان المقدس الشعراء بمحطاته المتتابعة من وقوف على عرفات ، ومبيت في مزدلفة ورمي الجمار أيام منى ، وفي الطواف حول البيت العتيق وفي السعي بين الصفا والمروة ، وقبل ذلك وبعده شغف الوصول وحزن الوداع.

إذا فتأدية فريضة الحج من أهم دوافع ارتحال المغاربة عموما والجزائريين خصوصا منذ العصور الغابرة ، فتلك الرحلات المغربية كان وراءها " دافع ديني قبل كل شيء ، وإن الرغبة الملحة كانت تساور النفوس هي مغادرة الأوطان تأدية لفريضة الحج ، فابن العبدري وابن رشيد وابن بطوطة كلهم غادروا أوطانهم للقيام بهذه المهمة الدينية ."[2]

إن لهذا المكان قداسته ولطالما كان مُلهما للشعراء فمشاهدتهم أفواج الحجيج المغادرة لأداء فريضة الحج تجعل الشعر ينطق معبرا عن هذه الرغبة الجامحة متمنيا ان يكون بينهم ، فإن تحققت له هذه الأمنية فاضت قرائحه معبرة عن جلال المكان وروحانيته.

" وللأندلسيين والمغاربة وضعهم التاريخي الجغرافي الذي يجعل شوقهم وحنينهم إلى تلك البقاع أكثر تميزا وأكثر حرقة من أشواق الاخرين ، وإذا أضفنا إلى هذا الوضع التاريخي الجغرافي طبيعة المواصلات آنذاك وصعوبتها في البر والبحر ، وعرفنا أن مفهوم الاستطاعة يعني فيما يعنيه القدرة على تحمل أعباء الرحلة ماديا ومعنويا ، وهي متطلبات وتكاليف لم يكن باستطاعة معظم الناس تحملها وأمام شعور بعضهم بالعجز عن أداء هذا الواجب الشرعي فإنه لا يبقى لهم الأمل والتمني." [3]

وبالرغم من المشقة والبعد فالشوق لذلك المكان يزيد ويتوهج وتزول عنده كل المتاعب ، فهواؤه يشفي العليل وتربته كأنها لؤلؤ تتشرف بها الأقدام وهي تدوسها.

ومن شعراء الجزائر الذين عبروا عن أشواقهم لذلك المكان محمد بن الجنان البجائي في قصيدة يناجي فيها ركبا سائرا إلى مكة المكرمة ، يقول[4] :

ياحادي الركب قف بالله ياحادي وارحـــم صبابة ذي نأي وإبعاد

---

[1] عبد العزيز الرفاعي : الحج في الأدب العربي ، المكتبة الصغيرة ،ط1 ،1975 ، ص :40.

[2] محمد بن أحمد شقرون : مظاهر الثقافة المغربية ، دار الثقافة ، المغرب ،1985 ،ص :171.

[3] الربعي بن سلامة : الشوق والحنين إلى البقاع المقدسة في الشعر الأندلسي والمغربي ، منظمة شعب الأندلس ، 2009 .

[4] محمد بن رمضان شاوش : الغوثي بن حمدان : إرشاد الحائر في أدباء الجزائر : دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011 ، ص :339- 340.

ماينبغي عنك إلا ان تصيــح لـه	سمعا ليسأل عمن حل بالـوادي
فهــل لديك عن الأحباب من خبر	وهل نزلت بذاك الربع والنادي
بين الجوانح نار للجوى وقـــدت	فإن قدرت فأخمد بعض إخماد
أشتاقهم فإذا رمت الوصول بهم	ألقى القواطع عن إلف بمرصاد
من لي بهم والنوى تبدي مناقضتي	وتبذل الوعد لي منهم بإبعــــاد

لقد مزج الشاعر في هذه القصيدة – وهي طويلة وبليغة –بين الذات والموضوع ، فروحه متلهفة إلى قدسية المكان وشرف الزمان وهو يبلغ أشواقه عليها تطير إلى هناك ومنهم أيضا محمد بن الحسن التميمي القلعي :[1]

ولا عجــب إن فارق الجسم قلبه	فحيث ثوى المحبوب يثوي المتيم
وما ضرهم لو ودعوا يوم أودعوا	فؤادي بتذكار الصبابة يضـــرم
وإني لأدعو الله دعوة مذنـــــب	عسى أنظر البيت العتيق وألثم
فيا طــولى شوقي للنبي وصحبــه	ويا شـــد ما يلقى الفؤاد ويكتم
توهمت من طول الحساب وهوله	وكثرة ذنبي كيف لا أتـــــوهم
إليك رسول الله أرفـــع حاجـتي	فأنت شفيع الخلق والخلق هيم

لقد جمع الشاعر هنا بين شوقه للبقاع المقدسة وحنينه للرسول صلى الله عليه وسلم وأمنيته أن تقترب هذه الرحلة عساها تغسل ذنوبه وتطهر نفسه.

ومن الشعراء الجزائريين الذين اكتووا بنار الشوق لذلك المكان البارك ابراهيم التازي نزيل وهران والذي خرج حاجا فاخذ عن مشايخ مكة والمدينة ولما عاد بقي حنينه إلى تلك الديار يشده فليس من سمع عن ذلك المكان المقدس كمن رآه وعاش فيه ، يقول :[2]

ماحال من فارق ذاك الجمال	وذاق طعم الهجر بعد الوصال
والعقل منه ذاهب والحشــا	ملتهب والجسم يحكي الخـــيال
ياقبح الله النوى إنــــــــه	قتل بلا سيف وداء عضــــال
وبارعا الله زمــــــانا مضى	بالأنس في وارف تلــك الضلال
وما ألـــــذ العيش في قربها	في ربه بذل العطــــا والنوال
يا سادتي يا صفوتي يـاذوي	بري وشكري يا كـــرام الفعال
كان ســــروري بكم وافرا	وبدر سعـــدي مشرقا في كمال
فانخسف البدر وراح الهنا	ما كان ذا يخـــطر من بـبال

إنها قصيدة بالغةٌ يغلب عليها أنس القرب والتواجد في تلك الأراضي المقدسة من جهة ولوعة البعد والتحصر على وداع أطهر بقاع الأرض والنأي عن سادة وصفوة الخلق ، فهي أرض المصطفى المختار.

وللمدينة المنورة أشواق وأشجان فهي الأرض الطيبة والبقعة المباركة التي أوى إليها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأختار أن يدفن بها وهو ماجعل شاعرنا أبا محمد عبد الله البسكري يستقر بها بعد أن دفعه الشوق إليها ، يقول :[3]

دار الحبيب أحق أن تهواهـــا	وتحـــن من طرب إلى ذكراهــا
وعلى الجفون متى هممت بزورة	يا ابن الكرام عليك أن تغشاها

---

[1] المرجع السابق: ص :369-370.

2 المرجع نفسه : ص : 566-567.

[3] المرجع السابق : ص : 445-446.

فلاأنت انت إذا حللت بطيبــة	وظللت ترتع في ضـــــلال رباها
لاتحسب المســـك الذكي كتربها	هيهات أين المســـك من رباها
طابت فإن تبغي التطييب يافتى	فــأدم على الساعات لثم ثراها

ومن الشعر الذي كان المكان محوره أيضا موشحة بالغة الروعة عن البقاع المقدسة ، وهي جليلة المبنى جميلة المعنى لعمر المنقلاتي الجزائري ، الذي كان له باع كبير في التوشيح ، يقول :[1]

وقل لعرب جياد	سكنـــــاهم في فؤادي	ذكر الخيام
مع ساكن الخيم	والبان والعلـــــــم	أصل الغرام
بلغ سلاما كثيرا	عشية وبكـــــــورا	من مستهام
من ذكر واد العقيق2	أدمعـــــــه كالعقيق	له انسجام
بالله زمزم بليلي	لنا نهارا وليـــــــلا	فالقلب هام
مهما يهب النسيم	من نحو أرض الحطيم 3	والإستسلام
إن التهاب جماري	في يـــــوم رمي الجمار	هـــل ياغلام
عرفت في عرفات	الحســـن والحسنات	والاغتنـــام

تجلى المكان في طيات القصائد الجزائرية القديمة وكان حضوره قويا ، فشعراء العهد الرستمي هاموا بتيهرت وأحبوها وابن خميس هام بتلمسان وربوعها ، وغيرهم كثر ، وقد امتزجت تجاربهم بالمكان في محطات كثيرة إما حبا للوطن ،أو ألما لنفي او سجن أو ابعاد , أو شوقا لاماكن مقدسة حال بينهم وبينها البعد ، وأيا يكن فالمكان بالنسبة للشاعر الجزائر قديما وحديثا جزء من تجربته الإنسانية وركن من أركانها.

وانطلاقا مما ذكرنا فالمكان إذن له علاقة وطيدة ببقية المكونات الفنية للشعر من شخوص وأزمنة ورؤى ، وهو علامة مضيئة في حياة البشر بالنظر إلى دوره الكبير في تحديد تصرفاتهم، والشاعر الجزائري كغيره من الشعراء يتأثر بكل ما حوله، يعشق أرضه وكل ما يربطه بها ، فإذا ما نأ ى عنها جذبه الحنين والشوق إليها، فحوَّل المكان من فراغ متوَهم تشغله الأجسام إلى رمز يحمل دلالات متباينة، فالبيت رمز للأمان والاستقرار، والوطن رمز للانتماء والاحتواء، والطبيعة بأماكنها المختلفة الجامدة والحية رمز للتأمل وتفريغ الأحزان، وهذا ما ضمن الحياة للمكان في الشعر العربي مادامت تجارب الإنسان حية لا تنتهي .

قائمة المراجع والمصادر:

القران الكريم رواية حفص عن عاصم .

1. إبراهيم رماني : المدينة في الشعر العربي الجزائر نموذجا . الجزائر ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، .
2. أبو الطيب المتنبي : الديوان ، شرح أبي البقاء العكبري ، مصر، ج1 .
3. أبو الفرج الأصبهاني : (1945)الاغاني : تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ،دار الكتب المصري ، ،ج1
4. أحمد الطمار: (2006.)تاريخ الأدب الجزائري ، الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية ،

[1] محمد بن رمضان شاوش : الغوثي بن حمدان : إرشاد الحائر في أدباء الجزائر ،ج 3-4 ،ص :67.

[2] واد العقيق : اسم واد بالحجاز يبعد عن المدينة المنورة بعشرة أميال.

[3] أرض الحطيم : وهو المدار بالبيت من جهة الميزاب ، ويسمى الحجر أيضا.

5. أحمد بن رمضان شاوش : (2011 ،) الغوثي بن حمدان : إرشاد الحائر في آدباء الجزائر : ،الجزائر ،دار البصائر للنشر والتوزيع .
6. أحمد زنيبر : (2009 .)جمالية المكان في قصص إدريس الخوري (ط1 .) ، الرباط التنوخي للطباعة والنشر,
7. جميل صليبا : (1994)المعجم الفلسفي , (د ط.) لبنان، بيروت ،
8. حبيب مونسي (2001): فلسفة المكان في الشعر العربي (ط1)، دمشق. مطبعة اتحاد العرب
9. رابح بوحوش (2006): اللسانيات وتطبيقاتها عل الخطاب الشعري (ط 1),دار العلوم.
10. الرازي : (1990)مختار الصحاح (ط4)، تحقيق وتعليق مصطفى ذيب البغا ،الجزائر ، دار الهدى , عين مليلة.
11. الربعي بن سلامة : (2009)الشوق والحنين إلى البقاع المقدسة في الشعر الأندلسي والمغربي ، منظمة شعب الأندلس ،
12. الزمخشري : (1998)أساس البلاغة (ط1) ، تحقيق باسل عيون السود ،بيروت لبنان ،دار الكتب العلمية ، ج2 .
13. شوقي ضيف : (1995)تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات (ط1)، دار المعارف ،
14. صالح مفقودة : (2004)دروس في الأدب الجاهلي والأموي (د ط)،ج 1 ، الجزائر ،شركة الهدى ، عين مليلة ،
15. طاهر توات : (1991) ابن خميس شعره ونثره (د ط)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية
16. عادل نويهض : (1971)معجم أعلام الجزائر (ط1) بيروت ، المكتب التجاري للنشر ، ج 2 .
17. عبد العزيز الرفاعي : (1975) الحج في الادب العربي ، (ط1)المكتبة الصغيرة.
18. عزالدين اسماعيل : (1981)الشعر العربي المعاصر (ط3) ،بيروت .، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ،دار العودة
19. العماد الاصفهاني : خريدة القصر ،ج 1 .
20. مبارك الميلي (1959): تاريخ الجزائر قديما وحديثا ،(ط2) بيروت ، ج2 .
21. محمد بن أحمد شقرون : (1985 .) مظاهر الثقافة المغربية، المغرب ، دار الثقافة
22. محمد بن رمضان شاوس ,الغوفي بن حمدان : (2011) إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر الجزائر. ,دار البصائر.
23. محمد حسن بد الله : (1981) الصورة والبناء الشعري ، دار المعارف . مكتبة الدراسات الأدبية ،
24. ياسين النصير : اشكالية المكان في النص الأدبي(،د ط) : بغداد ،دار الشؤون الثقافية العامة.
25. ابن منظور: (1998) لسان العرب (،ط1)،المجلد 13 ، بيروت دار صادر

أثر ظاهرة التغير المناخي على الأمن القومي للدول العربية-الجزائر أنموذجا-

د.مفيدة بن لعبيدي
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة باجي مختار-عنابة

ملخص: في أواخر القرن الماضي شهد العالم تدهورا بيئيا بالغا بفعل الأنشطة الاقتصادية اللاعقلانية، ما أدى إلى اختلال التوازن البيئي ومن ثم حدوث ظاهرة التغير المناخي التي أصبحت تشكل تهديدا حقيقيا للأمن القومي للدول العربية كونها تعد الأكثر تأثرا بالظاهرة تبعا لبعض الاستعدادات الطبيعية من ناحية، إضافة إلى الأنماط الاقتصادية الريعية المرتكزة على الاستخدام المفرط للطاقة الحفرية وما ينجر عنها من تلوث من ناحية أخرى. وعليه سنقوم بتشخيص الواقع البيئي في المنطقة العربية بالتركيز على الدولة الجزائرية بهدف رصد مختلف التهديدات المرتقب حدوثها جراء تفاقم ظاهرة التغيرات المناخية، ومن ثم محاولة اقتراح بعض التدابير اللازمة لاحتواء الظاهرة والحد من آثارها السلبية.

الكلمات المفتاحية: التغير المناخي، الأمن القومي، المنطقة العربية، الهجرة القسرية، التنمية المستدامة.

Abstract

Late last century, the world has serious environmental degradation due to irrational economic activities led to ecological imbalance and then occurrence of the phenomenon of climate change, which has become a real threat to national security of Arab Countries being the most affected by the phenomenon, because of the economic modes concentrated on the high use of fossil energy. Therefore we will diagnose the environmental situation in the Arab Region focusing on the Algerian state in order to various threats expected as a result of climate change, and then propose the necessary measure to contain the phenomenon and reduce their impact.

Key Words: Climate Change, National Security, the Arab Region, Forced Migration, Sustainable Development.

مقدمـــــة: عرفت الأنظمة البيئية **Ecosystèmes** تدهورا خطيرا بفعل اتباع الدول لسياسات تنموية مرتكزة على التصنيع والاستخدام المفرط لمصادر الطاقة المؤدية إلى زيادة انبعاث غازات الدفيئة الملوثة **Gaz à Effets de Serre** والتي تعد عاملا رئيسيا في حدوث وتفاقم ظاهرة التغيرات المناخية**Changements Climatiques** كتحد عالمي يعوق تحقيق الأمن البيئي ويهدد استمرارية الحياة على كوكب الأرض. ويعد الوطن العربي أكثر المناطق عرضة لمظاهر وأثار التغير المناخي خاصة في ظل استمرار الاعتماد على مصادر الطاقة التقليدية ممثلة بالنفط، الفحم والغاز الطبيعي، يضاف إلى ذلك الاستعدادات الطبيعية للمنطقة العربية التي تجعلها عرضة للجفاف، التصحر، الانجراف...

وتؤكد التوقعات المناخية أن حدوث ارتفاع في درجات الحرارة بين 0.5 - 3 ° في كل من **الجزائر**، **تونس والمغرب** سوف يؤدي مستقبلا إلى **ندرة مائية** بسبب انخفاض كمية الأمطار بنسبة 20%، ومن ثم انخفاض المياه السطحية الجارية بين 20- 30% وكذا انخفاض نسبة تجدد المياه الجوفية ما يجعل البلدان المذكورة على عتبة **الندرة المائية وانعدام الأمن الغذائي** بحلول العام 2050، الأمر الذي يطرح تهديدات مباشرة على الأمن القومي للدول العربية من خلال تهديد وجوده واستمرار تلك الدول كوحدات سياسية نتيجة **تزايد الحروب والنزاعات البيئية** الناجمة عن ندرة الموارد الطبيعية.

هذا وسوف يؤثر التغير المناخي على حركة السكان متسببا في ارتفاع معدلات النزوح و**الهجرات القسرية** جراء عوامل بيئية طاردة من قبيل: موجات الحر الشديدة، ارتفاع مستوى سطح البحر الذي يفضي بدوره إلى إغراق واختفاء العديد من الدول الجزرية والساحلية... الأمر الذي يخلف خسائر معتبرة ولا حصر لها على صعيد المناطق والدول التي **تتدفق منها وإليها** موجات الهجرة، ومن ثم خلق تهديدات أمنية واسعة النطاق وتغذية عوامل اللاستقرار السياسي.

الإشكالية: هناك عدد من الإشكاليات الشائكة والمتشعبة التي تترتب على تفاقم ظاهرة التغير المناخي وأثرها على الأمن القومي للدول العربية لا سيما ما تعلق منها بمشكل الهجرة القسرية ; جراء العوامل المناخية الطاردة لتجمعات سكانية

واسعة النطاق بحثا عن أماكن آمنة الأمر الذي يساهم في تغذية النزاعات الدولية بفعل الضغط على الموارد الطبيعية خاصة بين دول الجوار ذات المصادر المشتركة للموارد وعلى رأسها المياه، إضافة إلى تهديد **الأمن الغذائي** حيث أكدت تقارير منظمة الصحة العالمية تناقص المخزون السمكي والزراعي مستقبلا إذ سيعاني حوالي 800 مليون نسمة خاصة في إفريقيا سوء التغذية جراء عوامل مناخية.

وهناك إشكال آخر يتعلق **بالوضعية القانونية** للمهاجرين أو كما يصطلح عليهم **اللاجئين البيئيين** في الدول المستقبلة، وهل من سبيل لحماية حقوقهم باعتبارهم **ضحايا** عوامل خارجة عن نطاق السيطرة في ظل غياب إطار قانوني دولي متفق عليه، لا سيما إذا علمنا بأن اتفاقية جنيف حول اللاجئين لسنة 1951 لم تتضمن تدابير قانونية خاصة باللاجئ البيئي؟ إضافة إلى **التكلفة المادية للإدماج السياسي والسوسيو ثقافي** للمهاجرين البيئيين في الدول المستقبلة في ظل **الأزمات الاقتصادية والأمنية الراهنة** في عدد معتبر من دول العالم، وعليه سوف يتم ترجمة هذه الإشكالية في الأسئلة التالية:

- فيما تتمثل التهديدات الأمنية المرتقب حدوثها في المنطقة العربية وفي الجزائر على وجه التحديد بفعل تفاقم ظاهرة التغيرات المناخية؟
- كيف سيؤثر تغير المناخ على الخارطة السكانية للدول العربية؟ وما هي التداعيات السياسية، الاقتصادية والسوسيو-ثقافية لموجات الهجرة القسرية جراء عوامل مناخية؟
- في ما تتمثل السياسات المقترحة للتكيف مع مخاطر التغير المناخي في المنطقة العربية؟ وهل من سبيل لتفعيل آليات العمل العربي المشترك لدواعي إنسانية وبيئية بعد أن فشلت الدواعي السياسية؟

الفرضيات

- إن تفاقم ظاهرة التغير المناخي يشكل تهديدا صارخا للأمن القومي للدول العربية جراء تنامي موجات الهجرة القسرية.
- كلما تزايدت موجات الهجرة لدواعي مناخية، تغذت عوامل اللاستقرار السياسي والنزاعات بين الدول العربية بسبب الضغط على الموارد الطبيعية.
- كلما تم التحول عن اقتصاد الريع في المنطقة العربية، تم الحد من مظاهر التغير المناخي وتقليص التهديدات الأمنية في المنطقة.
- إن تعزيز آليات التعاون العربي المشترك يعد السبيل الوحيد للتخفيف من تداعيات التغير المناخي على حركة السكان في المنطقة العربية.

خطة الدراسة

أولا/كيفية حدوث ظاهرة التغير المناخي.

ثانيا/الاهتمام الدولي بظاهرة التغير المناخي وطرح مفهوم الاستدامة.

ثالثا/مظاهر التغير المناخي وآثارها على الأمن القومي للدول العربية والجزائر على وجه الخصوص.

أولا/كيفية حدوث ظاهرة التغير المناخي

1/اختلال التوازن البيئي: يمثل التوازن البيئي عملية دقيقة ومستمرة تقتضي المحافظة على مكونات النظام البيئي بأعداد وكميات مناسبة رغم نقصانها وتجددها المستمرين بفضل الدورات البيولوجية الكبرى مثل:دورة الكربون، النيتروجين والأكسجين التي تحدث بصفة متزامنة[1]، ومن المعروف أن الأرض في الأساس كوكب بارد والمصدر الرئيسي للطاقة يأتي من الشمس، ويتشكل مناخ الأرض من توازن تلك الطاقة مع العمليات الكيميائية والظواهر الفيزيقية، فكلما زادت نسبة

[1] جمال كامل العبايجي، عادل مشعان ربيع، **الاحتباس الحراري**، مكتبة المجمع العربي، عمان، 2009، ص ص15،16.

الغازات الحابسة للحرارة في الجو، أدت إلى تكوين غلاف حول الأرض له قدرة عالية على امتصاص الحرارة، الاحتفاظ بها لفترة طويلة وإشعاعها مرة أخرى مما يزيد درجة الحرارة وهو ما يسمى بظاهرة الدفيئة[1]Green House.

تسمح هذه العملية بمرور الأشعة الشمسية القصيرة الموجات التي يمتصها سطح الأرض، وعندما يسخن الأخير تنبعث منه أشعة طويلة الموجات يحبس معظمها في الطبقة السفلى لتحافظ على درجة حرارة الأرض 15 درجة °، ولولا وجود تلك الغازات لكانت حرارة الأرض-18 درجة ° وانعدمت الحياة، لكن تزايد الغازات خاصة: co_2، الميثان، الأوزون، النيتروز وبخار الماء في الغلاف الجوي زاد احتباس الشعاع الأرضي الطويل الموجات فارتفعت حرارة كوكب الأرض، وكلما زاد co_2 ب0.3 - 0.6% تزايدت درجة حرارة الأرض ب2-4درجة ° محدثة تغيرات مناخية عنيفة[2] .

وتشير التوقعات المناخية إلى ترجيح ارتفاع حرارة الأرض ب3-5 درجة° العام 2100 وب4-8 درجة° في العروض العليا في فصل الشتاء والخريف، وبين 2- 3 درجة° في المناطق المدارية فيصاحبها الجفاف، الفيضانات، الأعاصير المدارية، زيادة الأمطار ب10-20%، تزايد الرطوبة[3]...

2/العوامل الطبيعية المساهمة في حدوث ظاهرة التغير المناخي

✓ **التغيرات الفلكية**

تتمثل في حركة دوران الأرض حول الشمس بما يؤثر على توزيع الأشعة الشمسية على الأرض ومناخها،

✓ **العوامل الجيولوجية**

مثل زحزحة القارات خلال العصور الغابرة وما لها من أثر في تغيير مساحة، شكل وموقع تلك القارات، المحيطات والجبال، ما أدى إلى تعاقب فترات رطبة وجافة على الأرض على النحو الآتي:

2-1البراكين: إن الحركات العنيفة التي عرفتها الكرة الأرضية أدت الى انفجارات بركانية غيرت مكونات الغلاف الجوي وطبقاته المختلفة، ويوضح علماء المناخ أن كوكب الأرض في 100.000سنة الأخيرة عرف عدة دورات مناخية بين الواحدة والأخرى 7 آلاف سنة، لذا فالتغيرات المناخية الراهنة ماهي إلا استمرار لنشاط المجموعة الشمسية التي تؤثر على الكواكب المختلفة والغلاف الجوي، فالنشاط البركاني وما يحدث عنه من زيادة انبعاث ملوثات جديدة في الغلاف الجوي يؤدي إلى إحداث تغيرات مناخية .

2-2**الحرائق:** تمثل الغابات رئة العالم لعملها على امتصاص غاز CO_2 وإطلاق الأكسجين إلى الغلاف الجوي، وتؤدي الحرائق إلى إضافة نسب كبيرة من غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو ما يساهم بدوره في حدوث التغير المناخي.[4]

3-العوامل البشرية المتسببة في حدوث التغيرات المناخية

-التصنيع وزيادة انبعاث الغازات الملوثة خاصة CO_2، فطبقا لتقرير منظمة الأرصاد الجوية فإن معدل تركيز الأخير بلغ نسبة ppm369.2 عام**2000**، ويتوقع وصوله عام **2100** بين 540-970 جزء في المليون،

-إزالة الغابات التي تمثل نظاما بيئيا شديد الصلة بالإنسان وتغطي 28%من قارات العالم بما يؤدي إلى خلل كبير في التوازن المطلوب بين نسبتي الأكسجين وco_2 في الهواء،

-تغيير المعالم الطبيعية من خلال: بناء السدود، تجفيف البحيرات، ردم المستنقعات، استخراج المعادن وفتح الشوارع[5]،

[1] علي أحمد غانم، **الجغرافيا المناخية**، ط2، دار المسيرة، عمان،2007، ص ص56،57.

[2] جمال كامل العبايجي، عادل مشعان ربيع، مرجع سابق، ص66.

[3] علي أحمد غانم، مرجع سابق، ص ص283،284.

[4] علي أحمد غانم، مرجع سابق، ص285.

[5] المرجع نفسه، ص ص286،287.

-جعل البيئة مكانا لفضلات الإنسان الهائلة وآلاف الغازات الكيميائية حيث تطرح سنويا 1000 مادة كيميائية جديدة، إضافة إلى استعمال المبيدات، الأسمدة، المنظفات والتسرب النفطي في البحار والمحيطات،

-التلوث الحراري بفعل استخدام الحرارة في تبريد محطات إنتاج الطاقة ومخلفات المفاعلات النووية التي يكون معظمها طويل الإشعاع، بالإضافة إلى التجمعات البشرية وما ينتج عنها من تلوث ضوضائي وكيميائي[1].

على اعتبار أن الأمن مفهوم شامل، معقد ومتعدد الأبعاد تتضافر فيه العوامل الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية والثقافية، فإن اختلال التوازن البيئي الذي ينتج عنه مجموعة من التقلبات المناخية المذكورة آنفا سوف يؤدي على المدين المتوسط والبعيد إلى تدهور خطير للأنظمة الإيكولوجية:المناخ، التربة، المياه، الهواء، التنوع الإحيائي...ينجم انتشار الأمراض والأوبئة وتهديد الصحة العمومية، تراجع مردودية الرأسمال الطبيعي ما يفضي بدوره إلى انعدام الأمن الغذائي ومن ثم نزوح وهجرة تجمعات سكانية واسعة بحثا عن بيئة أكثر أمنا وسلاما ما يشكل مصدرا رئيسيا لتغذية الصراعات والنزاعات بين الدول جراء ندرة الموارد ومحصلة ذلك تهديد الأمن القومي للدول العربية.

ثالثا/الاهتمام الدولي بظاهرة التغير المناخي وطرح مفهوم الاستدامة

يتضح اهتمام المجتمع الدولي بمشكل التغير المناخي من خلال سلسلة من المؤتمرات الدولية متعددة الأطراف التي اهتمت ببحث أبعاد الظاهرة وتداعياتها ومن ثم اقتراح الآليات الكفيلة بالتصدي لها على المديين المتوسط والبعيد نذكر منها:

1-مؤتمر استكهولم5-17 جوان 1972: نظمته الأمم المتحدة حول البيئة الإنسانية وقد مثل خطوة نحو الاهتمام العالمي بالبيئة، إذ ناقش للمرة الأولى القضايا البيئية وعلاقتها بالفقر مؤكدا أن غياب التنمية أشد أعداء البيئة، كما انتقد المؤتمر الحكومات التي لازالت تستبعد البيئة عند التخطيط للتنمية، وقد صدرت عن هذا المؤتمر أول وثيقة دولية « Rapport of The United Nation Concern The Human Environment ». تضمنت توصيات تدعو لاتخاذ تدابير من أجل حماية البيئة وإنقاذ البشرية من الكوارث.

شد الانتباه إلى **ظاهرة تغير المناخ** على أنها ظاهرة عابرة للحدود متعددة التأثيرات، وتمت متابعة هذا الاهتمام بعمل العديد من الدراسات وتشكيل مجموعات للعمل أخذت صورتها النهائية في شكل **الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتغيرات المناخية** IPCC والتي أنشأتها منظمة الأرصاد العالمية (WMO) 1988، وقد قامت الهيئة المذكورة بإعداد مسودة لاتفاقية تغير المناخ 1992 لتثبيت تركيزات غازات الاحتباس الحراري GHGs في الغلاف الجوي عند مستوى يحول دون وقوع كوارث مدمرة[2].

2- مؤتمر قمة الأرض الأولى - ريو دي جانيرو-جوان 1992 : تسمى كذالك الاتفاقية الإطارية لتغير المناخ Convention Carde de Changement Climatique تم تحضيرها بالاعتماد على التقرير الأول لخبراء الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيير المناخ سنة 1990، وقعت الاتفاقية من طرف 186 دولة وهدفها الرئيسي**تثبيت تركيز غازات الدفيئة وتحقيق التنمية المستدامة**، و قد أقرت الاتفاقية:

- حماية النظام المناخي لصالح الأجيال الحالية والمستقبلية وفقا للمسؤوليات المشتركة وتأخذ البلدان المتقدمة مكان الصدارة في مكافحة تغير المناخ والآثار الضارة المترتبة عليه،
- وجوب اتخاذ الدول الأطراف للتدابير والإجراءات الوقائية للحد من أسباب ظاهرة تغير المناخ وتخفيف آثارها[3].

---

[1] جمال كامل العبايجي، عادل مشعان ربيع، مرجع سابق، ص ص78،79.

[2] Lavoisier, « Le Développement Durable », **Revue Française de Gestion**, (HERMES), N152, 2004, P118.

[3] جمال كامل العبايجي، عادل مشعان ربيع، مرجع سابق، ص153.

3-بروتوكول كيوتو/اليابان1997: وقع البروتوكول من طرف 159 دولة هو أول اتفاق عالمي واضح بالحد من انبعاث الغازات الدفيئة والحفاظ على الغلاف الجوي كما أقر عددا من الآليات: **آلية التنفيذ المشترك** Joint Implementation تتم مشروعاتها في ما بين الدول المتقدمة، **آلية التنمية النظيفة** Clean Development Mechanism تتم مشروعاتها بين الدول المتقدمة والنامية، **وتجارة الانبعاثات** Emissions Trading، أكد البروتوكول ضرورة توفير التمويل اللازم لتنفيذ مشروعات التكيف ونقل التكنولوجيا وبناء قدرات الدول، وقد دخل حيز التنفيذ يوم 16 فبراير 2005 وحظي بتواقيع 175 دولة ملزمة بخفض استخدام الوقود الفحمي وانبعاث غازات الاحتباس الحراري بمقدار:

- 5.2 % للدول الصناعية مقارنة بانبعاثات عام1990،
- الإتحاد الأوروبي 8%،
- روسيا 15%،
- كندا واليابان6% ،
- وقيوداً أقل على الدول النامية والصاعدة-الصين والهند -خلال فترة الالتزام الأولى 2008-2012.[1]

4-القمة العالمية للتنمية المستدامة جوها نسبورغ 2002

تسمى أيضا قمة الأرض الثانية وضعت الأساس ومهدت الطريق لاتخاذ إجراءات عملية لتمكين دول العالم من تنفيذ المبادئ والاتفاقيات التي تمخضت عن مؤتمري ستوكهولم، ريو وعلى البرنامج العالمي المعروف باسم **جدول أعمال القرن 21**، حددت القمة أهدافا جديدة للتصدي للمشاكل البيئية مثل:

- إنتاج واستخدام المواد الكيميائية بحلول 2020 بواسطة سبل لا تعود بالضرر على صحة البشر والبيئة،
- المحافظة على الأرصدة السمكية أو إعادة الأرصدة المستنفذة إلى المستويات التي يمكن أن تنجح عن طريقها أقصى قدر من الأرصدة المستدامة،
- التحول نحو الطاقة البديلة بإدراج محور حول تعهدات كمية من الدول لنسب استعمال الطاقات المتجددة من إجمالي الطاقة المستخدمة في مختلف الصناعات الاستهلاكية[2].

5-مؤتمر بالي 3- 14ديسمبر2007/ أندونيسيا: ناقش قضية التغير المناخي وأصدر تقريرا متشائما عن البيئة تمحور حول زيادة حرارة الأرض ورفع شعار "**حتمية التضامن الإنساني في عالم منقسم**" وضرورة الإنصات إلى "**صوت من لا صوت لهم على الصعيد السياسي: فقراء العالم الثالث وأجيال الغد**"، كما أكد المؤتمر على:

- الالتزامات المستقبلية لدول المرفق الأول لفترة ما بعد 2012/فترة الالتزام الثانية،
- محاولة الدول المتقدمة ضم بعض الدول النامية الصاعدة إلى الالتزام بخفض نسب محددة من غازات الاحتباس الحراري،
- الاتجاهات الجديدة لتطوير آلية التنمية النظيفة والأبحاث المتعلقة بالرصد والمراقبة،
- تقارير الإبلاغ الوطنية وموضوع نقل التكنولوجيا.

6-قمة المناخ كوبنهاجن 2009 7- 18 ديسمبر/ كوبنهاجن

استهدف القمة خفض درجة الاحتباس إلى 2درجة° آفاق العام 2020، غير أنها شهدت عددا من الخلافات المعهودة لاسيما بين الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي والدول الناشئة ومن بينها الصين، الهند والبرازيل، فلم يتم التوصل إلى تحديد

---

[1] نيرمين سعد، "بروتوكول كيوتو وأزمة تغيير المناخ"، **مجلة السياسة الدولية**، (مركز الأهرام)، عدد 143، 2001، ص ص 206، 207.

[2] Annuaire Economique Géopolitique Mondial, **L'état du Monde 2001/2002,** Edition la Découverte, Paris, 2001, p31.

واضح لنسب خفض الانبعاثات الكربونية، إضافة إشكالية التمويل التي تطالب بها الدول النامية لمواجهة الاحتباس الحراري وتطوير تقنيات نظيفة، لكنها انتهت باتفاق يقضي بتبني إستراتيجية 20/3:

- تحسين 20% فعالية الطاقة،
- حد20% انبعاث غاز GE_S مقارنة مع انبعاثات عام 1990،
- استخدام نسبة20% الطاقة المتجددة من الاستهلاك الكلي للطاقة سنة 2020[1].

7-مؤتمر ديربان/جنوب إفريقيا 2011: بحضور 120 دولة و20 ألف مسؤول حكومي ودبلوماسيين مناخيين، حاول المؤتمرون الضغط على الدول الكبرى للتوصل لاتفاقية شاملة ملزمة،كما درس مواضيع نقل التكنولوجيا النظيفة، تمويل الصندوق الأخضر للمناخ وتقديم المساعدة للدول الأقل نموا، تفعيل الدبلوماسية المناخية وتوسيع مجالها بالإضافة إلى إجبار القوى الكبرى على مراقبة ملوثاتها ومحاولة إرساء دعائم اقتصاد أخضر[2].

8-قمة المناخ نيويورك 23 سبتمبر 2014

جمعت القمة مائة من رؤساء الدول، الوزراء، قادة المنظمات الدولية وممثلي المجتمع المدني، هدفها تعبئة الدعم والإرادة السياسية اللازمة للوصول إلى اتفاق دولي بشأن تغير المناخ سنة 2015، ومن أهم من نتائجها:

- إعلان نيويورك بشأن الغابات الذي تضمن التزاما بخفض تناقص مساحة الغابات الطبيعية بحلول 2020،
- التعهد بمبلغ 2.3 مليار$ أمريكي للصندوق الأخضر للمناخ،
- إطلاق التحالف العالمي من أجل الزراعة الذكية مناخيا وكذا التحالف الجديد لرؤساء البلديات21.

9-قمة المناخ فرنسا 30 نوفمبر-11 ديسمبر 2015

شاركت فيه 195 دولة بهدف الحد من انبعاث غازات الدفيئة، وبعد أسبوعين من المحادثات تم إقرار اتفاق باريس الملزم قانونيا للدول الموقعة عليه والذي تضمن عددا من المسائل المتعلقة بتغير المناخ منها:

- وقف ارتفاع درجة حرارة الأرض وإبقائها دون 2° مقارنة بعصر الثورة الصناعية،
- وضع آلية مراجعة للتعهدات الوطنية التي تبقى اختيارية مع مراجعة إجبارية سنة 2020،
- المساعدة المالية لدول الجنوب لتمويل التحول نحو الطاقة النظيفة في الدول الأكثر تأثرا بالاحتباس الحراري[3].

كافة المؤتمرات الدولية سالفة الذكر ترجمت وعيا كبيرا بمخاطر التغير المناخي والتهديدات الجديدة التي يطرحها على المستويات الأمنية، الاقتصادية والإنسانية مؤكدة ضرورة التحول نحو اقتصاد أخضر ونمط تنمية مستدامة صديقة للبيئة، كما ألزمت الاتفاقيات المناخية الأطراف الموقعة عليها بالتحول نحو الطاقة النظيفة والمتجددة، الزراعة العضوية والذكية مناخيا...بهدف تحقيق الأمن الغذائي والحفاظ على نصيب الأجيال المستقبلية من الثروة والموارد، ولأن استمرار اقتصاديات الريع المرتكزة على مصادر الطاقة التقليدية سوف يضاعف درجة حرارة الأرض بفعل تركيز غازات الاحتباس الحراري في الغلاف الجوي الأمر الذي يؤدي إلى وقوع كوارث بيئية مدمرة.

ثالثا/مظاهر التغيرات المناخية وآثارها على الأمن القومي للدول العربية والجزائر على وجه التحديد

---

[1] Eloi Laurant, « Sommet de Copenhague », **Revue Problèmes Economiques**, (La Documentation Française), France, 2009, pp18,19.

[2] شكراني الحسين، "تقرير عن مؤتمر ديربان حول التغيرات المناخية"، **مجلة المستقبل العربي**، (مركز دراسات الوحدة العربية)، عدد 13، مارس2012، ص ص220،221.

[3] Conférence des Parties Vingt et Unième Session, Adoption de l'Accort de Paris, 30 novembre- 11 décembre 2015, disponible sur: www.cop21.gouv.fr

1-مظاهر التغير المناخي: تتجلى ظاهرة التغير المناخي في عدد من المظاهر منها: اتساع طبقة الأوزون، الاحتباس الحراري، الأمطار الحمضية والضباب الدخاني، ويترتب عن كل منها جملة من التهديدات سوف نوضحها في ما يلي:

1- 1 اتساع الأوزون: إن تحلل **مركبات الكلورفلوروكربون** بفعل الأشعة فوق البنفسجية القوية يحرر ذرات مركبات الكلور فيتسبب ذلك في ثقب الأوزون وقد بدأ الاهتمام بهذا المشكل منذ 1970 حين تم رصد ثقب في الأوزون فوق القارة القطبية الجنوبية، ويؤدي نقص تركيز الأخير في المجرة السماوية إلى زيادة كمية الأشعة فوق البنفسجية التي تصل إلى الأرض محدثة تغيير في العوامل الوراثية لبعض الكائنات الدقيقة كما تؤثر في سلسلة الغداء ومن ثم تهديد التنوع البيولوجي، ويمكن رصد **الآثار** التالية[1]:

-نفاذ الأوزون بمعدل10% يؤدي إلى إصابة 1.7مليون شخص سنويا بمرض المياه البيضاء بفعل الأشعة فوق البنفسجية وإصابة العين بمرض الماء الأزرق إضافة إلى تحطيم حمض D.N.A المسؤول عن نقل الصفات الوراثية،

-إصابة حوالي 180.000 شخص سنويا بسرطان الجلد بفعل التعرض إلى الأشعة فوق البنفسجية ومرض إعتام عدسة العين،

- حد الرؤية وتعطيل وظائف الرئة عبر إلحاق الضرر بالعوالق النباتية في المصادر المائية التي تساهم في اغتناء المحيط بالأكسجين،

-تهديد التنوع البيولوجي والتأثير على الشعاب المرجانية بفقدان لونها المميز وتحولها إلى اللون الأبيض بسبب الطحالب وحيدة الخلية،

- إعاقة نمو المحاصيل والأشجار بظهور البقع على أوراق النباتات، تغيير ألوانها وتقليل عملية التمثيل الضوئي،

- رفع درجة حرارة الأرض ب5-6 درجة° ما يذيب الجبال ويرفع منسوب المياه وبالتالي إحداث الفيضانات ومن ثم تدهور الآثار واختفاء بعض الشواطئ الساحلية سوف يؤدي إلى زيادة الضغط على المناطق الأخرى[2].

1-2 الاحتباس الحراري: نتيجة تغيير تدفق الطاقة الحرارية من البيئة وإليها بسبب المخلفات الصناعية المشتقة من مادة الكربون الناتجة عن عمليات حرق الوقود والتبريد مثل:ثاني أكسيد الكربون والميثان...تؤدي إلى تسخين سطح الأرض عبر تراكمها في الغلاف الجوي ومنع ارتدادها إلى الفضاء الخارجي سوف يؤدي إلى الارتفاع التدريجي لدرجة حرارة الأرض في العقود المقبلة ب4-5 درجة° الذي ينتج عنه:

- ذوبان القطبين المتجمدين بمقدار نصف متر إلى مترين أي حوالي 20سم سنة 2030 و65 سم نهاية القرن القادم ينتج عنه ارتفاع مستويات البحار وتوسع المحيطات ومن ثم اندثار آلاف الجزر، تهديد المدن، الموانئ ، فيضانات وسيول واختفاء مساحات والأمثلة كثيرة:

*غرق 12مليون ميل^2 من الأراضي الساحلية ما يعادل مساحة قارة أوروبا وإغراق الجزر المنخفضة وتشريد ملايين البشر وخسائر اقتصادية،

*فقدان الجبل الإفريقي الجليدي **كلمنجارو** 82%من الجليد،

*فقدان جزيرة **كرين لاند**/القطب الشمالي50 بليون طن في مياه المحيطات سنويا وإذا ذابت بصورة كلية سوف يرتفع منسوب المياه في العالم ب7%،

* ستتلاشى الكتلة الجليدية للمنتزه الشهير في **مونتانا** كليا آفاق 2070،

* سوف يذوب 4/3 الثلوج المتراكمة في **جبال الألب** آفاق العام 2050 مؤدية إلى فيضانات مدمرة في أوروبا،

---

[1] المعهد الدولي للتنمية المستدامة، بالتعاون مع المكتب التنفيذي للأمين العام للأمم المتحدة، "نشرة قمة المناخ"، المجلد 172، 2014، متاح على الرابط التالي: http//www.iisd.ca

[2] عادل مشعان ربيع، **التوعية البيئية**، مكتبة المجمع العربي، عمان، 2009، ص ص54،55.

-موجات حارة وفترات جفاف وأعاصير زائدة الشدة،

- انخفاض الإنتاج الزراعي والحيواني العالمي وتشريد أعداد هائلة من السكان وخلق عشرات الملايين من اللاجئين البيئيين الجدد في العالم.[1]

-اختفاء الدول الجزرية: السيشل/إفريقيا، بنغلادش/آسيا، جزر المالديف، وجزر المارشال، المناطق الساحلية المنخفضة في شمال إفريقيا خاصة شمال دلتا النيل، الجزء الأوسط غرب إفريقيا،

-زيادة معدلات التبخر وبالتالي زيادة الضغط على مصادر مياه الزراعة، الصناعة والاستهلاك البشري وزيادة الأتربة والملوثات الصناعية يؤدى إلى تدهور نوعية المياه ومن ثم الندرة المائية،

-وفاة 150 ألف شخص سنويا حسب تقديرات منظمة الصحة العالمية بفعل الاحتباس الحراري والعدوى بالأمراض المنتقلة عن طريق الحشرات كالملاريا، الحمى الصفراء، التهاب السحايا، الكوليرا، التسمم الغذائي والتهابات الدماغ الفيروسية،

-زيادة الضغط على مصادر الطاقة لأجهزة التبريد في المنازل[2].

3-1 الأمطار الحمضية Acid Rain: ظاهرة حديثة العهد تزامن ظهورها مع بداية الثورة الصناعية في منتصف القرن 19 وهي نتيجة الإشعاعات الناتجة عن احتراق الوقود المستخرج، خصوصا أكسيد الكبريت والنتروجين الذي يندمج ببخار الماء في الهواء لتشكيل الأحماض، سببها الرئيسي المراكز الصناعية الضخمة التي تحرق كمية ضخمة من الوقود في الهواء يوميا، لها العديد من الآثار السلبية على المسطحات المائية، الزراعات المختلفة والحياة البحرية.

ففي السويد نحو 20.000 من بحيراتها 90.000 تأثرت بدرجات متفاوتة بالحموضة وحوالي 4000 بحيرة منها نقصت فيها الثروة السمكية أو اختفت كليا، كما تؤثر على النباتات ذات المحاصيل الموسمية فتجرد الأشجار من أوراقها وتحدث خللا في التوازن الشاردي للتربة فيضطرب الامتصاص في الجذور والنتيجة خسارة في المحاصيل وموت الغابات، إضافة إلى تهديد الأمن الغذائي حيث أكدت تقارير منظمة الصحة العالمية معاناة حوالي 800 مليون نسمة مستقبلا في الدول الفقيرة من سوء التغذية بفعل مشاكل بيئية[3].

4-1ظاهرة الضباب الدخاني: تعاني المدن الكبيرة من ظاهرة الضباب الدخاني الناتج عن تفاعلات كيميائية ضوئية والسبب في ذلك يعود إلى وقود السيارات الذي يتعرض إلى الأشعة فوق البنفسجية الآتية من الشمس فيؤدي إلى كوارث حقيقية خاصة في الدول الصناعية الكبرى، ففي عام 1925 أدت الظاهرة في مدينة لندن إلى كارثة راح ضحيتها 4000 شخص بفعل تركز الملوثات في منطقة قريبة من سطح الأرض هذا وتسبب الظاهرة عددا من الاضطرابات الصحية والأمراض مثل:آلام الرأس، الحنجرة والقصبات، حالات التحسس الشديدة، الاختناق، اضطراب الرؤية، خفض حرارة الجسم، تلف أنسجة النبات ونقص التمثيل الضوئي، مع خسائر اقتصادية يعادل 250$ سنويا جراء تدمير البيئات الطبيعية وتتعدى الآثار إلى سنوات مقبلة[4].

2-آثار التغير المناخي على الأمن القومي للدول العربية عموما والجزائر على وجه التحديد : يمكن رصد الآثار والتهديدات التي يطرحها مشكل التغير المناخي في عدد من المؤشرات اخترنا منها: مؤشر الهجرة القسرية، مؤشر التمتع بحقوق الإنسان ومؤشر تراجع مردودية الموارد الطبيعية على النحو الآتي تبيانه:

1-2الهجرة القسرية جراء عوامل مناخية عامل لتغذية الحروب النزاعات الدولية

---

[1] جمال كامل العبايجي،عادل مشعان ربيع،مرجع سابق،ص ص114،115.

[2] عادل مشعان ربيع، مرجع سابق، ص56.

[3] المرجع نفسه، ص58.

[4] أحمد حلاق، **الاستشعار والتغيرات المناخية والآثار الناتجة عنها**، المجموعة البيئية للأبحاث الهندسية، متاح على الرابط التالي: www.env-gro.com

أشارت **المنظمة الدولية للهجرة** في أحد تقاريرها إلى الوتيرة المتسارعة لما اصطلحت عليه **بالمهاجرين الإيكولوجيين** والذي من المتوقع أن يبلغ حوالي 100 مليون مهاجر بيئي بحلول سنة 2025 و200 مليون سنة 2050 أغلبهم من القارة الإفريقية التي تتميز بموجات الجفاف، التصحر، عدم الاكتفاء الذاتي، تهديد التنوع البيولوجي...إضافة إلى نقص فادح على مستوى الموارد المالية والبنى التحتية لا سيما في الجزء الجنوبي من القارة وتحديدا منطقة القرن الإفريقي:الصومال، أريتيريا، إثيوبيا والتي تسجل 150 ألف حالة وفاة سنويا حسب تقديرات **منظمة الصحة العالمية** بفعل الاحتباس الحراري والعدوى بالأمراض المنتقلة عن طريق الحشرات كالملاريا، الحمى الصفراء، التهاب السحايا، الكوليرا، التسمم الغذائي والتهابات الدماغ الفيروسية[1]. وحتى الجزء الشمالي من القارة والذي يتسم بتطور ملحوظ مقارنة مع جنوب الصحراء فلن يسلم بدوره من الآثار السلبية للتغيرات المناخية التي تهدد تجمعات سكانية **بالتهجير** لانعدام الموارد وغياب مقومات الحياة بفعل تعاقب موجات شديدة الحرارة، فترات جفاف وأعاصير تؤدي إلى انخفاض الإنتاج الزراعي والحيواني وتشريد أعداد هائلة من السكان، كما تشير تقديرات **برنامج الأمم المتحدة للبيئة** بأن الارتفاع التدريجي لدرجة حرارة الأرض في العقود المقبلة ب4-5 درجة° سوف يهدد عددا من المناطق في إفريقيا بالاختفاء نتيجة ارتفاع مستوى سطح البحر مثل **جزر السيشل** وشمال إفريقيا والجزء الأوسط **غرب إفريقيا** مما ينذر بفقدان مساحات زراعية شاسعة ومنشآت مختلفة ومن ثم تشريد الملايين من البشر [2].

إذن من المتوقع أن تنشب العديد من النزاعات والقلاقل بين عدد من الدول عموما والعربية تحديدا بفعل التداعيات المناخية التي سوف تقضي على المدى المتوسط والبعيد على مقومات الحياة في مناطق مختلفة من الوطن العربي خاصة في القارة الإفريقية، وبالتالي سوف لن تجد التجمعات السكانية المهددة بظروف مناخية قاسية خيارا بديلا عن الهجرة الدائمة أو المؤقتة عن مواطنها الأصلية متجهة نحو عوالم مجهولة ومصير يكتنفه الغموض حيث لا حماية، لا حقوق ولا ضمانات لمستقبل أفضل بعد أن قضى التغير المناخي على مهن، مساكن وحتى مواطن شعوب بأسرها، سوف تجد نفسها مجبرة على الصراع الدائم والمستمر من أجل البقاء والحصول على الموارد.

2-2 تهديد التمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية بدوره عامل تهديد لمشروعية الدولة وسياساتها

لم يعد الحديث في مجال حقوق الإنسان مقتصرا على الحقوق السياسية والاقتصادية، حيث أصبحت الحقوق البيئية التي تضمنها الجيل الثالث لحقوق الإنسان والتي يطلق عليها **الحقوق الخضراء** من أهم الحقوق على الإطلاق بل الأصل والأساس الذي تتفرع عنه كافة حقوق الإنسان الأخرى ونذكر منها:الحق في بيئة صحية وآمنة، الحق في التنمية، الحق في تقرير المصير، الإرث المشترك للإنسانية...غير أن تفاقم ظاهرة التغير المناخي سوف يكون له بالغ الأثر على التمتع بالحقوق المذكورة وهو ما سيتم تبيانه.

2-2-1الحق في بيئة آمنة وصحية: مع مطلع التسعينات من القرن الماضي شدد المجتمع الدولي على استدامة التنمية فظهر وعي بيئي وانطلقت دعوات إلى الاعتراف الرسمي بأهمية حماية البيئة من منطلق حقوقي نتج عنه اعتماد الحق في التمتع ببيئة صحية وآمنة سنة1983[3] بهدف حماية بقية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية خاصة الحق في الحياة والصحة وما يتبعهما من امتيازات من جهة، وحماية استمرارية الدولة ومشروعيتها خاصة مع تنامي الوعي البيئي لدى الشعوب والأفراد من جهة أخرى، ولهذا الغرض قامت هيئات الأمم المتحدة المعنية بالبيئة عام 1990 بتعداد جملة من الحقوق ذات الصلة بالحق في بيئة

[1] International Organization of Migration, **Migration and Climate Change**, No. 31, IOM Migration Research Series, Geneva, 2008, p22

[2] International Organization of Migration (IOM), **The State of Environmental Migration 2015**, Sciences Po, SEM 2015, pp16,17.

[3] جون هـ .نوكس، **تقرير الخبير المستقل المعني بمسألة التزامات حقوق الإنسان المتعلقة بالتمتع ببيئة آمنة ونظيفة وصحية ومستدامة**، مجلس حقوق الإنسان، الدورة الثانية والعشرون، ص ص4،5.

صحية منها ;الحق في عدم التعرض للتلوث، الحق في حماية وصون الهواء، التربة، المياه، النبات والحيوان، الحق في الحصول على غذاء صحي والحق في الحصول على المعلومات الخاصة بالبيئة[1]...

لذا حظيت العلاقة بين حقوق الإنسان والبيئة في العقدين المنصرمين باهتمام كبير، **فتغير المناخ سيشكل أخطارا مباشرة وغير مباشرة على الكثير من الحقوق** منها:الحق في الحياة وفي الغذاء، الحق في الصحة، الحق في تقرير المصير بل وفي جميع حقوق الإنسان، وفي ديسمبر 2009 اجتمع الدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة بشأن تغير المناخ وأصدروا بيانا مشتركا لفتوا من خلاله الانتباه إلى الأخطار التي يلحقها تغير المناخ بحقوق الإنسان[2] لذا لم يعد هناك حل عدا اللجوء إلى"**خضرنة** "تلك الحقوق لأن التمتع بها مرهون بتوافر بيئة سليمة وداعمة.

وعند تشخيص الواقع البيئي في الجزائر نجد أن التلوث بكافة أنواعه والذي يتربع على قائمة التحديات البيئية بسبب السياسة التنموية الاقتصادية المنتهجة منذ الاستقلال حتى يومنا هذا القائمة على صناعة تعتمد استهلاكا مكثفا للطاقة ما يشكل تهديدا صارخا لحقوق الإنسان البيئية المذكورة أعلاه، حيث نسجل عددا معتبرا من الوحدات الصناعية الملوثة للهواء مثل:الرايس حميدو ومفتاح بالعاصمة، مصنع زهانة/وهران ومصنع حامة بوزيان/قسنطينة... وحوالي 12 وحدة إنتاجية أخرى موزعة على التراب الوطني[3].

يضاف إلى ذلك سوء الصرف الصحي الذي يصب مباشرة في الأحواض المائية فمثلا حوض واد سيبوس الذي يقع في المنطقة الشمالية الشرقية يمتد على مساحة 6471 كلم لإقليم 7 ولايات يتلقى يوميا ملوثات صناعية من المدن والمصانع الواقعة على ضفافه نسبتها 4.5 مليون م^3 منها 3 ملايين م^3 زيوت صناعية مستعملة[4]، الأمر الذي يجعل حق المواطن الجزائري في التمتع ببيئة آمنة وصحية موضع شك.

2-2-2الحق في التنمية: في ستينات القرن العشرين تغير مدلول التنمية حيث تأكد عدم إمكانية الاعتماد على العوامل الإقتصادية فحسب واتسع المفهوم ليشمل عددا من العوامل السياسية، الاجتماعية والثقافية وتعزز هذا التوجه بإعلان الحق في التنمية سنة 1986 والذي يحق بموجبه لكل إنسان ولجميع الشعوب **المشاركة** في تحقيق التنمية **والتمتع بها**، عبر إقامة نظام اقتصادي جديد يقوم على التعاون، التضامن الدولي، إنهاء حالة التبعية والاستغلال وتقليل الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة.

ركز الإعلان على الإنسان كموضوع رئيسي في التنمية وأنه من واجب الدولة وضع سياسات تنموية ملائمة، كما تطرق إلى مسألة تمكين المرأة، إضافة إلى وجوب تبني الدول لتدابير تشريعية لإعمال الحق في التنمية بفعل العلاقة الترابطية القائمة بين التنمية، البيئة وحقوق الإنسان، خاصة إذا علمنا بأن الحق في التنمية حق مركب، غير قابل للمساومة، ووسيلة للتمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية كونه قائم على تكريس المساواة والتعاون في العلاقات الدولية، وبالرجوع إلى المادة الأولى من إعلان الحق في التنمية نجدها تؤكد بأن "الحق في التنمية حق من حقوق الإنسان غير قابل للتصرف وأنه من خلاله يمكن إعمال جميع حقوق الإنسان وحرياته الأساسية إعمالا تاما، وقد بينت الفقرة 02/المادة 06 من الإعلان ذاته; بأن جميع حقوق الإنسان متلاحمة ومترابطة وينبغي إيلاء الاهتمام على قدر المساواة لإعمال وتعزيز حماية جميع تلك الحقوق.[5]

نستخلص مما سبق بأن تغير المناخ عامل تهديد مباشر لحقوق الإنسان فالتدهور البيئي بسبب التقلبات المناخية يتعارض مع الحق في بيئة آمنة، سليمة وصحية، كما أن تدهور الأنظمة الإيكولوجية سوف يؤدي إلى تراجع مردودية

---

[1] ماس أحمد سانتوس، **الحق في بيئة صحية**، الوحدة 15، دائرة الحقوق، ص ص297،296.

[2] جون ه نوكس، مرجع سابق، ص ص9،8.

[3] عبد النور ناجي، **السياسات العامة البيئية في الجزائر، مدخل إلى تحليل السياسات العامة**، منشورات جامعة باجي مختار- عنابة 2008-2009، ص90.

[4] ناصر مراد ناصر، "التنمية المستدامة وتحدياتها في الجزائر"، **مجلة بحوث اقتصادية عربية**، عدد4، ربيع 2009، ص ص123،122.

[5] أنظر إعلان الحق في التنمية.

الثروات والموارد الطبيعية ومن ثم يقلل من فرص الأفراد والجماعات في التمتع بالحق في التنمية، ويتعدى إلى تهديد الحق في تقرير المصير حيث يجبر أعداد هائلة بل ومجتمعات بأسرها في النزوح والتنقل القسري من مواطنها.

وفي ظل عجز الدولة عن مجابهة واحتواء التغيرات المناخية من خلال سياسات راشدة وعقلانية ومن ثم عدم تأمين الحد الأدنى من الحقوق والحريات لمواطنيها تتآكل مشروعيتها شيئا فشيئا ولا تحضى سياساتها بالتأييد والقبول من طرف المجتمع الأمر الذي يهدد الاستقرار السياسي والمجتمعي بل ويؤثر على استمرارية نظام الحكم القائم خاصة مع تنامي الوعي البيئي وانتشار الأحزاب والجمعيات الخضراء.

2-3 تراجع مردودية الموارد الطبيعية يؤدي إلى انعدام الأمن الغذائي

من آثار التغير المناخي على الدول العربية: **الندرة المائية** بسبب ظاهرة NINO التي تحدث تغييرا منتظما في اتجاه الرياح فيرافقها تغيرات في توزيع الأمطار وعدم القدرة على التنبؤ بهطلوها، مما يؤدي إلى انخفاض كمية الأمطار بنسبة 20% وكذا انخفاض نسبة تجدد المياه الجوفية ما يجعل بلدان شمال إفريقيا على عتبة الندرة المائية **وانعدام الأمن الغذائي** بحلول العام[1] 2050. كما يتوقع انخفاض الإنتاج الزراعي ب21% بحلول العام 2080 مع ذروة في الانخفاض ب40% في كل من الجزائر والمغرب بفعل ارتفاع درجة الحرارة ب1.5 درجة° لتصبح المنظومة البيئية أكثر صحراوية.

كل ذلك سوف يؤدي إلى انخفاض مستوى الإنتاجية أو فقدانها مع فقدان أنواع حيوية هامة وتمليح مخزون المياه الجوفية، وبحلول 2080ستعاني المنطقة العربية أعلى نسبة جفاف في العالم الأمر الذي يؤدي إلى تزايد النزاعات وتفاقمها بفعل الضغط على الموارد الطبيعية خاصة في الدول ذات المصادر المشتركة للمياه وهي حاليا تنطبق على 65% من الأحواض النهرية العربية[2].

وبالعودة إلى الجزائر نجد أنها تعاني شحا في الموارد المائية لأن 95% من الإقليم خاضعة لمناخ جاف مع تذبذب في نسب المغياثية على النحو التالي:400 مم للأمطار تقتصر على 150 كلم من الشريط الساحلي، 100-400 مم في منطقة الأطلس التلي لتنخفض عن 100 مم/السنة في المنطقة الجافة جنوبا[3]. وإذا كانت الموارد المائية في الجزائر تتشكل من المياه **السطحية** التي تقدر بحجم المتوسط السنوي لمياه الأمطار وتصل إلى 12.4 مليار م^3 تعني الشرق الجزائري وتتركز ب90% في المنطقة التلية لوحدها فلا تستفيد الأحواض المنحدرة في الهضاب العليا سوى 10% من المياه[4].

أما المياه الجوفية فتتسم بصعوبة أكبر في التعبئة وبأسعار عالية لاسيما في الجنوب، حيث الاحتياطات الأساسية كامنة في الحقول المائية الأحفورية العميقة ولا تتجدد إلا بأحجام ضعيفة، وتتوفر الجزائر فيما يخص الموارد القابلة للتعبئة على سقف سنوي يقدر ب 11.5 مليار م^3 ما يجعلها من البلدان **المصنفة تحت خط الندرة في وفرة الماء المحدد دوليا ب2000 م^3 سنويا/الساكن** فوفرة المياه الحالية المقدرة ب 353 م^3/ساكن ستنخفض أفق 2020 بعدد السكان المتوقع 44 مليون إلى 261م^3 سنويا الساكن[5].

3-آليات مواجهة ظاهرة التغير المناخي: يمثل نمط التنمية المستدامة/المتواصلة والخضراء الحل الوحيد والأنجع لحماية البيئة والحد من مظاهر وآثار التغير المناخي، كونها تنمية تستجيب لحاجات الأجيال الحالية دون المخاطرة بقدرة الأجيال المستقبلية على إشباع حاجياتها، كما أنها تنمية تتسم بالشمول والإنصاف كونها تدمج جميع الأبعاد الاقتصادية، التقنية،

---

[1] بلقيس عثمان، **تقرير التنمية الإنسانية العربية:رسم خارطة تهديدات تغير المناخ وتأثيرات التنمية الإنسانية في البلدان العربية**، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2010، ص ص14،15.

[2] المرجع نفسه، ص17.

[3] Ministère de l'Aménagement du Territoire et de l'Environnement, **Plan National d'Actions pour l'Environnement et le Développement Durable (PNAE-DD)**, Janvier 2002, p34, disponible sur : http://www.matet.gov.dz

[4] شريف رحماني، **تقرير حول حالة ومستقبل البيئة في الجزائر**، وزارة تهيئة الإقليم والبيئة، ماي2001، ص ص28،29.

[5] مجلة نور،"تحلية المياه البحر حتمية مائية بالنسبة إلى الجزائر"، **مجلة مفصلة لمجمع سونطراك**، ديسمبر2005، ص ص 51،52.

السياسية والبيئية على نحو متوازن ما يجعل مخرجات العملية التنموية أكثر عقلانية وقبولا لدى المجتمع، لذا فإن مقومات وآليات التنمية المستدامة وحدها الكفيلة بمكافحة ظاهرة التغير المناخي وتقليص تبعاتها السلبية على الدول، المجتمعات والشعوب على النحو التالي:

- ترشيد استغلال الموارد الطبيعية والأخذ في الحسبان **قاعدة المخرجات** أي تكوين مخلفات لا تتعدى قدرة استيعاب الأرض لها حاليا ومستقبلا و**قاعدة المدخلات** باستعمال مصادر طبيعية متجددة،
- التحول نحو تكنولوجيا أنظف وأكفأ قريبة قدر المستطاع من انبعاثات الصفر،
- دمج البيئة في المشاريع الاقتصادية وصناعة القرار وتبني سياسات التوقعات والوقاية الفعالة،
- تعميم وسائل قياس الانبعاثات لتشجيع استخدام تقنيات التحكم في التلوث واستخدام وسائل النقل الخفيف كالدراجات[1]،
- تثبيت نمو السكان لما يفرضه من ضغوط حادة على الموارد الطبيعية،
- إشراك جميع الفئات بما فيها المرأة كونها المدبر الأول للموارد البيئية والمعنية بتربية الأطفال تربية بيئية لذا وجب الاستثمار في تعليم وصحة المرأة لصالح التنمية المستدامة،
- عقلنة استخدام الأراضي الزراعية، مكافحة التصحر وحماية التنوع البيولوجي،
- ردم الفجوة بين العلماء المتخصصين في مجال البيئة وصناع القرار السياسي،
- الشراكة العالمية ومطالبة الدول الصناعية بالوفاء بالتزاماتها في اتفاقيات تغير المناخ سيما ما تعلق بالمساعدة المالية الدول النامية، نقل التكنولوجيا وبناء القدرات للتأقلم مع التغيرات المناخية،
- الحفاظ على الغابات وإعادة التشجير وتطوير استخدام الطاقة المتجددة: الشمس ، الرياح، الكتلة الحيوية...
- تفعيل الإعلام البيئي وتعميم التربية والتوعية البيئة[2].

الخاتمة

لاحظنا من خلال بحثنا لأثار ظاهرة التغير المناخي على الأمن القومي للدول العربية كيف أن عددا من التهديدات المتنوعة سوف تخيم في المستقبل القريب على الدول العربية وعلى الجزائر تحديدا حال عدم أخذ تدابير وإجراءات وقائية، وعلى رأسها مشكلة الهجرة القسرية لدواعي مناخية والتي تضيف أعباء جديدة على المناطق والدول المستقبلة لموجات المهاجرين الإيكولوجيين بما يفرض ضغطا كبيرا وصراعا دائما على الموارد الطبيعية الأساسية. يضاف إلى ذلك مشكل سوء التغذية وانعدام الأمن الغذائي نتيجة تدهور الأنظمة الإيكولوجية وتراجع مردودية الرأسمال الطبيعي بما يؤثر في النهاية على التمتع بحقوق الإنسان الأساسية خاصة الحق في الحياة، الحق في الغذاء، الحق في بيئة صحية والحق في التنمية...

وعليه يمكننا التأكيد على ضرورة تكثيف جهود التعاون البيئي العربي المشترك للتقليل من أثار التغير المناخي على المنطقة العربية وكذا الجزائر، وذلك من خلال تغيير جذري يمس الأنظمة الاقتصادية الريعية القائمة على الاستهلاك الواسع للوقود الحفري، وتحقيق تحول سلس ومخطط نحو اقتصاد أخضر مستدام يرتكز على الثروة المتجددة من قبيل الزراعة أو السياحة خاصة وأن الجزائر تمتلك مقومات مثالية في هذين المجالين.

التوصيات

---

[1] Christian Brodday, **Le Développement Durable et l'Aménagement de Territoire : les Enjeux du Débat Actuel en France**, El Maârif, Rabat, 1999, pp33, 34.

[2] معهد الموارد العالمية بالتعاون معPNUD، **موارد العالم 1992-1993 دليل البيئة العالمية صوب التنمية المستدامة**، مركز الأهرام للنشر والترجمة، القاهرة، 1992، ص6.

- اتخاذ الدول العربية التدابير اللازمة للوفاء بالالتزامات الدولية بموجب اتفاقيات الحد من التغير المناخي،
- تنويع مصادر الطاقة وتشجيع التحول العاجل نحو الطاقة البديلة والمتجددة،
- إيلاء الاهتمام للزراعة والسياحة كقطاعات منتجة للثروة،
- التركيز على دور الإعلام والتوعية البيئية للحد من مخاطر التغيرات المناخية،
- تكثيف الحملات التحسيسية وإشراك فعاليات المجتمع المدني في التوعية بخطورة الظاهرة وأبعادها المستقبلية.

قائمة المراجع

أولا/فئة الكتب

1-بالعربية

-العبايجي، جمال كامل، عادل مشعان ربيع (2009)، **الاحتباس الحراري**، عمان، مكتبة المجمع العربي.

-علي أحمد غانم(2007)، **الجغرافيا المناخية**، ط2، عمان، دار المسيرة.

- مشعان، عادل ربيع(2009)، **التوعية البيئية**، عمان، مكتبة المجمع العربي.

-معهد الموارد العالمية بالتعاون معPNUD (1992)، **موارد العالم 1992-1993 دليل البيئة العالمية صوب التنمية المستدامة**، القاهرة، مركز الأهرام للنشر والترجمة.

-ناجي، عبد النور،(2008-2009) **السياسات العامة البيئية في الجزائر: مدخل إلى تحليل السياسات العامة**، منشورات جامعة باجي مختار-عنابة.

2-بالفرنسية

-Annuaire Economique Géopolitique Mondial(2001), **L'Etat du Monde 2001/2002,** Paris Edition la Découverte.

-Brodday Christian(1999), **Le Développement Durable et l'Aménagement de Territoire :les Enjeux du Débat Actuel en France**, Rabat, El Maârif.

3-بالإنجليزية

-International Organization of Migration(2008), **Migration and Climate Change**, No. 31, IOM Migration Research Series, Geneva.

-International Organization of Migration (IOM) (2015), **The State of Environmental Migration**, Sciences Po, Geneva.

ثانيا/فئة المقالات

1-بالعربية

-سعد نيرمين (2001)،"بروتوكول كيوتو وأزمة تغيير المناخ"، **مجلة السياسة الدولية**،القاهرة، (مركز الأهرام)، عدد 143.

-شكراني الحسين (مارس2012)، "تقرير عن مؤتمر ديربان حول التغيرات المناخية"، **مجلة المستقبل العربي**،بيروت، (مركز دراسات الوحدة العربية)، عدد 13.

-مجلة نور (ديسمبر 2005)،"تحلية المياه البحر حتمية مائية بالنسبة إلى الجزائر"، الجزائر،**مجلة مفصلة لمجمع سونطراك**.

-ناصر مراد (ربيع 2009)، "التنمية المستدامة وتحدياتها في الجزائر"، **مجلة بحوث اقتصادية عربية**، عدد.4

2-بالفرنسية

-Eloi Laurant, « Sommet de Copenhague » (2009), **Revue Problèmes Economiques**, France, (la Documentation Française).

-Lavoisier(2004), « Le Développement Durable **», Revue Française de Gestion**, Paris,(HERMES), N152.

ثالثا/التقارير

-برنامج الأمم المتحدة للبيئة(2003)، **تقرير متابعة حول الوضع البيئي في العالم العربي**، المكتب الإقليمي لغرب آسيا.

-جون هـ .نوكس، **تقرير الخبير المستقل المعني بمسألة التزامات حقوق الإنسان المتعلقة بالتمتع ببيئة آمنة ونظيفة وصحية ومستدامة**، مجلس حقوق الإنسان، الدورة الثانية والعشرون.

-رحماني شريف (ماي2001)، **تقرير حول حالة ومستقبل البيئة في الجزائر**، وزارة تهيئة الإقليم والبيئة.

- عثمان بلقيس(2010)، **تقرير التنمية الانسانية العربية:رسم خارطة تهديدات تغير المناخ وتأثيرات التنمية الإنسانية في البلدان العربية**، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

رابعا/المواقع الإلكترونية

1-بالعربية

-إعلان الحق في التنمية، متاح على الرابط:www.ohchr.org

-المعهد الدولي للتنمية المستدامة بالتعاون مع المكتب التنفيذي للأمين العام للأمم المتحدة(2014)، **نشرة قمة المناخ**، المجلد 172، متاح على الرابط: http//www.iisd.ca

-حلاق أحمد، **الاستشعار والتغيرات المناخية والآثار الناتجة عنها**، المجموعة البيئية للأبحاث الهندسية، متاح على الرابط: www.env-gro.com

-سانتوس ماس أحمد، **الحق في بيئة صحية**، الوحدة 15، دائرة الحقوق، متاح على الرابط: www.unep.org

2-بالفرنسية

-Conférence des Parties Vingt et Unième Session(30 Novembre- 11 Décembre 2015), **Adoption de l'Accort de Paris**, disponible sur : www.cop21.gouv.fr

-Ministère de l'Aménagement du Territoire et de l'Environnement(Janvier 2002), **Plan National d'Actions pour l'Environnement et le Développement Durable (PNAE-DD)**, disponible sur **:** http://www.matet.gov.dz

أساليب التحري الخاصة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية في القانون الجزائري

أ.برينيس عزالدين

كلية الحقوق . جامعة باجي مختار. عنابة

ملخص: تشكل الجريمة المنظمة عبر الوطنية تحديات تواجه الاجهزة الامنية والقضائية، من حيث الرصد والمتابعة والتحقيق، ونظرا لطابع السرية ولدقة العمليات وتطورها باستخدام احدث الوسائل والتقنيات في ممارسة انشطتها، وكذا امتداد نشاطها خارج الحدود او ارتباطها بعناصر اجنبية مستفيدة من سياسات العولمة وحرية التجارة والانفتاح، لذلك سارعت الدول مؤخرا الى البحث عن طرق لمواجهتة الظاهرة من خلال التعاون الدولي وتعزيز اجراءات البحث والتحري والتي سميت بأساليب التحري الخاصة، ورغم ملائمة هذه الإجراءات وفعاليتها إلا أنها ما تزال تثير عدة تساؤلات تمس بالحريات الفردية.

الكلمات المفاتيح: الاجرام المنظم، اساليب التحري الخاصة، الحريات الفردية.

Abstract:Transnational organized crime is a challenge for security and judicial services in terms of monitoring, follow-up and investigation, due to its confidential nature, as well as the accuracy of operations and the use of the latest methods and techniques in carrying out their activities, as well as the extension of its activities that cross borders and its link with foreign elements benefiting from the policy of globalization and free trade and openness, for that the countries have recently rushed to find ways to deal with this scourge, based on international cooperation and on the strengthening of research and investigation procedures known as "special investigation methods" "and in spite of these procedures and their effectiveness, they raise several issues, in particular those affecting individual freedoms.

مقدمة: اغلب الجرائم المنظمة، ترتكب بواسطة جماعات سرية تستغل اشخاصا يتم اختيارهم وانتقاؤهم وفق ضوابط صارمة، وتستخدم احدث الاساليب في ممارسة انشطتها، كما تمتد عملياتها خارج الحدود لارتباطها بعناصر اجنبية، وفي ظل العمليات الاجرامية المنظمة عبر الحدود تقف اجهزة التحقيقات الجنائية المحلية عاجزة لرصد الجريمة والمتابعة والتحقيق حالة وقوعها وهذا لتقيدها بقوانين شكلية ذات طابع وطني لا يتجاوز دائرة اختصاص محددة. كما ان الطرق والأساليب الكلاسيكية للتحقيق والتحري رغم ما حققته من نتائج مجدية، فإنها ظلت محدودة أمام خطورة هذه الجرائم، التي تزداد مع ظاهرة العولمة.

في ظل هذه التحديات اتجهت الدول مؤخرا إلى البحث عن طرق لمواجهة حركة الجريمة المنظمة العابرة للحدود تقوم على التعاون الدولي في مجال المكافحة، ومساعي لإبرام اتفاقيات إقليمية ودولية من شانها أن تحقق إجراءات البحث والتحري واكتشاف الجرائم المنظمة من أهمها: اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية المعتمدة من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك بتاريخ 2000/11/15 والتي صادقت عليها الجزائر بموجب المرسوم الرئاسي رقم 55/02 بتاريخ 2002/02/05.

استحدثت اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية أساليب التحري الخاصة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية وقد نصت المادة 20 منها على انه: "تقوم كل دولة طرف، ضمن حدود إمكانياتها ووفقا للشروط المنصوص عليها في قانونها الداخلي، إذا كانت المبادئ الأساسية لنظامها القانوني الداخلي تسمح بذلك، باتخاذ ما يلزم من تدابير لإتاحة الاستخدام المناسب لأسلوب التسليم المراقب، وكذلك ما تراه مناسبا من استخدام أساليب تحر خاصة أخرى، مثل المراقبة الإلكترونية أو غيرها من أشكال المراقبة، والعمليات المستترة، من جانب سلطاتها المختصة داخل إقليمها لغرض مكافحة الجريمة المنظمة مكافحة فعالة".

ولهذا فقد أدرج المشرع الجزائري، في إطار تنفيذ الجزائر التزاماتها الدولية نصوصا تتضمن أساليب جديدة متعلقة بالتحري تساير تطور الجريمة المستحدثة، وذلك ضمن قانون 22/06 المؤرخ في 20/ديسمبر 2006 المعدل والمتمم لقانون الإجراءات الجزائية وإصدار قوانين خاصة منها القانون 18/04 المؤرخ في 2004/12/25 المتعلق بالوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية وقمع الاستعمال والإتجار غير المشروع بها والقانون 01/06 المؤرخ في 2006/02/20 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته والقانون 06/05 المؤرخ في 2005/08/23 المتعلق بمكافحة التهريب والقانون 04/09 المؤرخ في 2009/08/05 المتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها والتي تطرقت في أحكامها إلى أساليب التحري الخاصة.

وهذه الأساليب للتحري الخاصة منها ما هي داخلية كأسلوب التسرب واعتراض المراسلات السلكية واللاسلكية وتسجيلها والتقاط الصور، ومنها ما هي ذات طابع دولي كعمليات المراقبة والتسليم المراقب سواء ما تعلق منها بالأشخاص أو الأموال. إلا انه ورغم ما أثير حول الحماية الدستورية للحياة الخاصة من انتهاكات، فان المشرع رجح حماية المصلحة العامة على مصلحة الخاصة. وبالمقابل وضع ضمانات قانونية، تتمثل أساسا في ضوابط إجرائية لممارسة هذه الأساليب وإعطاء حماية جزائية تكفل حرمة الحياة الخاصة للأفراد.

وفي هذا السياق تطرح إشكالية الموضوع حول: تحديد مفاهيم أساليب التحري الخاصة ومدى انسجام النصوص القانونية المتضمنة لها؟،ما هي الضمانات القانونية لصحتها ؟ مدى حجية الدليل المستمد من هذه الأساليب؟

المبحث الأول: مراقبة الأشخاص وتتبع الأموال والأشياء

نصت المادة 16 مكرر من قانون الإجراءات الجزائية المستحدثة بالقانون 22/06 المؤرخ 2006/12/20 المعدل والمتمم لقانون الإجراءات الجزائية على هذا الأسلوب للتحري إذ انه: "يمكن لضباط الشرطة القضائية، وتحت سلطتهم أعوان الشرطة القضائية، ما لم يعترض على ذلك وكيل الجمهورية المختص بعد أخباره، أن يمددوا عبر كامل الإقليم الوطني عمليات مراقبة الأشخاص الذين يوجد ضدهم مبرر مقبول أو أكثر يحمل على الاشتباه فيهم بارتكاب الجرائم المبينة أعلاه في المادة 16 أعلاه أو مراقبة وجهة أو نقل أشياء أو أموال أو متحصلات من ارتكاب هذه الجرائم أو قد تستعمل في ارتكابها". وما يلاحظ على نص هذه المادة أن المشرع الجزائري حدد شروط هذا الأسلوب دون أن يعرفه، كما جاءت المادة ضمن مجال تمديد الاختصاص المحلي لضباط الشرطة القضائية، بالرغم أنه استحدث فصلين مستقلين يدخلان ضمن التحقيق الابتدائي والمتعلق بأسلوب اعتراض المراسلات والتسجيل والتقاط الصور وأسلوب التسرب، ولعل المشرع الجزائري سلك نهج المشرع الفرنسي، هذا الأخير نص على مراقبة الأشخاص والبضائع ضمن تمديد الاختصاص لضباط الشرطة القضائية في المادة 18 ف 4 من قانون الإجراءات الفرنسي. كما يلاحظ من خلال نص المادتين 16 مكرر و65 مكرر 05 من قانون الإجراءات الجزائية أن المشرع يحاول التفرقة بين نوعين من المراقبة، الأولى يقصد بها المراقبة العادية أي التتبع والملاحظة سواء تعلق الأمر بالأشخاص أو الأموال أو الأشياء والثانية يقصد بها المراقبة الإلكترونية والتي تعتمد أساسا على التصنت الهاتفي والتسجيل والتصوير وهو ما نصت عليه اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة عبر الوطنية في مادتها 20 المتعلقة بأساليب التحري الخاصة.

المطلب الأول: مفهوم عملية المراقبة: عملية المراقبة تنصب إما على الأشخاص أو الأموال، ويعني بمراقبة الأشخاص هي وضع الأشخاص المشتبه بهم لارتكابهم جنحة أو جناية تتعلق بالجرائم الموصوفة بالخطيرة والتي تناولتها المادة 16 من قانون الإجراءات الجزائية على سبيل الحصر، ومنها الجريمة المنظمة عبر الوطنية، تحت المراقبة المباشرة لأفراد الضبطية القضائية لترصد تحركاتهم وتنقلاتهم والأماكن التي يتردد عليها المشتبه بهم واتصالاتهم بالأشخاص الآخرين. أما مراقبة الأموال فهي مراقبة العمليات المالية التي تؤدي في الأخير إلى تبييض العائدات الإجرامية وتحويلها إلى أموال مشروعة تمول

بها الجرائم المنظمة بصفة عامة [1]، وتكون عمليات المراقبة سواء داخليا أو دوليا للعمليات البنكية في المؤسسات المالية والتي يشتبه في تحويل العائدات الإجرامية بهدف غسل الأموال [2]. لقد نص القانون 01/05 المؤرخ في 2005/02/06 المتعلق بالوقاية من تبييض الأموال وتمويل الإرهاب ومكافحتهما المعدل والمتمم بالأمر رقم 02/12 المؤرخ 2012/02/13 في مادته 15 على استحداث هيئة متخصصة سميت بخلية معالجة الاستعلام المالي[3] تضطلع بتحليل ومعالجة المعلومات التي ترد إليها من قبل السلطات المؤهلة.[4] وقد تنصب المراقبة على الأشياء، من خلال عملية التسليم المراقب لارتباطها بالتهريب، إلا أن استعمال الأساليب الخاصة بشأنها يختلف باختلاف الوسائل المجرمة المراد تهريبها فقد تكون مخدرات أو أموال بغرض تبييضها، كما قد تكون أسلحة أو أعضاء بشرية أو أطفال ونساء بغرض الدعارة الدولية.

المطلب الثاني: شروط صحة المراقبة: حدد قانون الإجراءات الجزائية شروط لصحة المراقبة، حتى لا تكون وسيلة للتعسف وسوء استعمال السلطة ويشترط لصحتها ما يلي:

1. مباشرة هذا الأسلوب من طرف ضابط الشرطة القضائية دون غيره: وهو ما نصت عليه المادة 16مكرر من قانون الإجراءات الجزائية والتي حددت ضابط الشرطة القضائية وتحت سلطتهم أعوان الشرطة القضائية القيام دون سواهم بأسلوب المراقبة.

و تحدد المادة 15 من قانون الإجراءات الجزائية الأشخاص والفئات الذين يتمتعون بصفة ضابط الشرطة القضائية ويتعلق الأمر ب: رؤساء المجالس الشعبية البلدية، ضباط الدرك الوطني، محافظو الشرطة، ضباط الشرطة، ذوو الرتب في الدرك الوطني الذين أمضوا ثلاث سنوات وعينوا بقرار مشترك من وزير الدفاع ووزير العدل، مفتشو الأمن الوطني الذين قضوا ثلاث سنوات خدمة وعينوا بقرار من وزير الداخلية ووزير العدل، ضباط وضباط الصف التابعين للأمن العسكري والمعينين بقرار مشترك بين وزير الدفاع الوطني ووزير العدل. وتحدد المادة 19 من قانون الإجراءات الجزائية أعوان الشرطة القضائية وهم موظفو مصالح الشرطة وذوو الرتب في الدرك الوطني ورجال الدرك ومستخدمو مصالح الأمن العسكري الذين ليست لهم صفة ضابط الشرطة القضائية. من خلال ما سبق فان المشرع الجزائري استثنى أعوان الشرطة القضائية من ممارسة هذا الأسلوب، كما لم يخول لأعوان الجمارك القيام بأسلوب التسليم المراقب لكونهم لا يتمتعون بصفة ضابط الشرطة القضائية[5]، رغم ما تخوله المادة 258 من قانون الجمارك، لأعوان الجمارك من سلطة البحث عن الجرائم الجمركية بكل الطرق الأخرى منها على وجه الخصوص المعلومات والشهادات والمحاضر وغيرها من الوثائق التي تسلمها سلطات البلدان الأجنبية في إطار التعاون الدولي لمواجهة الجريمة المنظمة بعد تحول الجريمة الجمركية إلى جريمة

---

[1] - نصت اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لعام 2000 في مادتها 7، على توصيات للدول الأطراف للقيام بتدابير مكافحة غسل الأموال، وتقابلها المادة 14 من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد لعام 2003 صادقت عليها الجزائر بموجب المرسوم الرئاسي رقم 128/04 بتاريخ 2004/04/19. الجريدة الرسمية عدد 26 لسنة 2004.

[2] - نصت المادة 58 من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد على استحداث الدول في نظامها القانوني لوحدة معلومات استخبارية مالية تكون مسؤولة على تلقي التقارير المتعلقة بالمعاملات المالية المشبوهة وتحليلها وتعميمها على السلطات المختصة، وتقابلها المادة 7 . 1 (ب) من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية.

[3]- المرسوم التنفيذي رقم 127/02 المؤرخ في 2002/04/07 يتضمن إنشاء خلية معالجة الاستعلام المالي وتنظيمها وعملها.

[4]- تنص المادة 21 من قانون الوقاية من تبييض الأموال وتمويل الإرهاب ومكافحتهما: " ترسل مصالح الضرائب والجمارك بصفة عاجلة تقريرا سريا إلى الهيئة المتخصصة فور اكتشافها، خلال قيامها بمهامها الخاصة بالتحقيق والمراقبة، وجود أموال أو عمليات يشتبه أنها متحصله من جناية أو جنحة، لا سيما الجريمة المنظمة أو المتاجرة بالمخدرات أو المؤثرات العقلية أو يبدو أنها موجهة لتمويل الإرهاب.

[5]- طبقا للمادة 241 من قانون الجمارك يعتبر أعوان الجمارك من أعوان الشرطة القضائية المؤهلين إلى جانب ضباط الشرطة القضائية وأعوانهم المنصوص عليهم في قانون الإجراءات الجزائية لإثبات الجرائم الجمركية عن طريق إجراءات الحجز والتحقيق الجمركيين. د/ أحسن بوسقيعة، المنازعات الجمركية، دار النشر النخلة، الجزائر، الطبعة الثانية، 2001، ص 160.

عابرة للبلدان، وهذا ما استدعى تضافر جهود دول عديدة للتصدي لها، ولن يتأتى ذلك إلا بتبادل المعلومات والمستندات[1].
ونجد على الصعيد الأوربي انه بعد إلغاء الرقابة على الحدود الداخلية بين دول الاتحاد الأوربي بعد إعلان اتفاقية Schengen واكتمالها بمعاهدات التنفيذ بتاريخ 1990/06/19 ومن اجل سد الفراغ الأمني تم إنشاء هيئة تعاون امني تضم أعضاء للضبطية القضائية من الشرطة والجمارك والدرك الوطني Centre de coopération policière et douanière (C C P S) يوجد فيها معلومات دقيقة حول الجريمة العابرة للحدود ومعلومات الخاصة بعمليات التدخل والمراقبة والمتابعة[2]، لقد أثبتت عمليات التسليم المراقب فعاليتها لتفكيك شبكات إجرامية منظمة، مع الأخذ بالاحتياطات الضرورية من اجل احترام حقوق المشتبه فيهم[3]. وعلى ضوء ذلك اصدر المشرع الفرنسي قانون رقم 1264/91 المؤرخ في 1991/12/19 خول الجمارك إلى جانب شرطة الضبطية القضائية والدرك مراقبة نقل المخدرات والمؤثرات العقلية بصفة سرية، وإرجاء تدخلهم ضد منفذي هذه النشاطات حتى اللحظة التي يقضي بأنها مناسبة والتي تسمح بالتعرف والقبض على الشركاء المرسلة إليهم البضاعة.

1. أن تبنى على أسباب جدية: وهو ما عبر عنه المشرع في نص المادة 16 مكرر من قانون الإجراءات الجزائية بمصطلح "مبرر مقبول" يعني وجود أفعال تبدو منها عناصر إجرامية خطيرة، وتشكل إحدى عناصر الجرائم المذكورة في المادة 16 من قانون الإجراءات الجزائية وتقدير هذه الجدية يرجع أساسا إلى وكيل الجمهورية المختص إقليميا[4].
2. تقييد المراقبة بالغرض المقصود منها: بحيث يجب أن يكون الغرض واضح الحدود والمعالم وهو كشف النشاط الإجرامي في صورته المنظمة.
3. أن تتعلق المراقبة بالجرائم المذكورة على سبيل الحصر في نص المادة 16 من قانون الإجراءات الجزائية وهي:

- جرائم المخدرات: والمقصود هنا أفعال المتاجرة بالمخدرات حسب النص الفرنسي والذي جاء بعبارة "trafic de drogue ".
- الجريمة المنظمة عبر الحدود الوطنية: لم يعرفها المشرع الجزائري وفي غياب ذلك نرجع إلى اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية والتي تنص في المادة الثانية فقرة أ :" يقصد بتعبير جماعة إجرامية منظمة جماعة ذات طابع هيكلي تنظيمي، مؤلفة من ثلاثة أشخاص أو أكثر، موجودة لفترة من الزمن وتعمل بصورة متضافرة بهدف ارتكاب واحدة أو أكثر من الجرائم الخطيرة والأفعال المجرمة وفقا لهده الاتفاقية، من أجل الحصول، بشكل مباشر أو غير مباشر، على منفعة مالية أو منفعة مادية أخرى" [5].

---

[1] - تنص المادة 33 من الأمر 06/05 المؤرخ في 2005/08/23 المتعلق بمكافحة التهريب : "يمكن اللجوء إلى أساليب تحر خاصة من اجل معاينة الجرائم المنصوص عليها في هذا الأمر وذلك طبقا لقانون الإجراءات الجزائية". وتنص المادة 40 من نفس القانون على انه: "يمكن السلطات المختصة بمكافحة التهريب أن ترخص بعلمها وتحت رقابتها حركة البضائع غير المشروعة أو المشبوهة للخروج أو المرور أو الدخول إلى الإقليم الجزائري بغرض البحث عن أفعال التهريب ومحاربتها بناء على إذن من وكيل الجمهورية المختص". وتعتبر المخدرات بضاعة بمفهوم المادة 05 من قانون الجمارك وهذا ما استقر عليه اجتهاد المحكمة العليا وهي معنية بإجراءات المراقبة. د/ أحسن بوسقيعة المنازعات الجمركية في ضوء الفقه واجتهاد القضاء، دار الحكمة، الجزائر، 1998، ص 42. والمستشار/ سيدهم مختار، تهريب المخدرات في قانون الجمارك، مجلة الجمارك، عدد خاص، مارس 1992، دار الثورة الإفريقية، الجزائر، ص 32.

[2] Frédéric Debove et François Falletti , Précis de droit pénal et de procédure pénale, 2ème édition, presse universitaires de France puff 2007, P456

[3] Jean Paul laborde, état de droit et crime organisé, Dalloz, 2005, P 1984

[4] - من الأسباب التي تدعو المحقق إلى الاعتقاد أو الاشتباه بان الجريمة موضوع التحقيق جريمة منظمة نجد الأسباب التالية: نوع الجريمة، الجاني وعلاقاته المشبوهة، المجني عليه ووضعه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، الأشياء المتعلقة بالجريمة من أموال أو ممتلكات ووثائق ومستندات، المعاملات المالية والتجارية التي يرد ذكرها في التحقيق. محمد الأمين البشري، التحقيق في قضايا الجريمة المنظمة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1999، ص 139.

[5] - *في تعريفات الجريمة المنظمة، انظر: د/ محمد عبد الله حسين العاقل، النظام القانوني للجريمة المنظمة عبر الدول، دار النهضة العربية*، مصر، 2010، ص 31. ود/ احمد جلال عزالدين، الملامح العامة للجريمة المنظمة، مركز البحوث والدراسات العامة لشرطة دبي، الإمارات العربية المتحدة، 1996.

- الجرائم الماسة بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات: وهي الجرائم المنصوص عليها في قانون العقوبات القسم السابع مكرر من المادة 394 مكرر إلى 394 مكرر 07 المستحدث بموجب القانون 15/04 المؤرخ في 2004/11/10 المعدل والمتمم لقانون العقوبات.

- جرائم تبيض الأموال: وهي الأفعال المنصوص والمعاقب عليها في قانون العقوبات القسم السادس مكرر من المادة 389 مكرر إلى 389 مكرر 7 المستحدث بموجب القانون 15/04 المؤرخ في 2004/11/10 المعدل والمتمم لقانون العقوبات، وكذا بموجب القانون 01/05 المؤرخ في 2005/02/06 المتعلق بالوقاية من تبييض الأموال وتمويل الإرهاب ومكافحتها المعدل والمتمم.

- جرائم الإرهاب: وهي الأفعال المنصوص والمعاقب عليها في قانون العقوبات القسم الرابع مكرر من المادة 87 مكرر إلى 87 مكرر10 المستحدث بموجب الأمر 11/95 المؤرخ في 1995/02/25 المعدل والمتمم لقانون العقوبات.

- جرائم الصرف: وهي تلك الجرائم التي تشكل مخالفة للأحكام المقررة في الأمر 22/96 المؤرخ في 1996/07/09 المعدل والمتمم والمتعلق بقمع مخالفة التشريع والتنظيم الخاصين بالصرف وحركة رؤوس الأموال من وإلى الخارج، وكذلك التنظيمات التي يصدرها بنك الجزائر بخصوص عمليات الصرف " نظام بنك الجزائر 2007 " والمرتبط أساسا بعدم القيام ببعض الإجراءات وعدم الحصول على التراخيص المطلوبة في مجال المعادن النفيسة والأحجار الكريمة وحركة صرف النقود الورقية والمعدنية وإجراءاتها.

4. إخطار وكيل الجمهورية: يتعين إخطار وكيل الجمهورية المختص إقليميا وعدم معارضته لأجل مباشرة المراقبة. عمليا يلاحظ أن الأخطار يكون شفويا وهذا ما يقلل من الضمانات القانونية لحقوق الأفراد وحرياتهم الأساسية. ما يؤاخذ عليه المشرع في هذا المجال، عدم تقريره لأي جزاء أو بطلان قانوني، يترتب على عدم احترام هذه الشروط، وكذلك لم يحددها بمدة زمنية مثله مثل المشرع الفرنسي، على خلاف المشرع البلجيكي حددها بمدة شهر قابلة للتجديد في حدود 06 أشهر كلما تعلق الأمر بالجرائم الخطيرة [1].

المبحث الثاني: اعتراض المراسلات وتسجيل الأصوات والتقاط الصور:التصنت على الاتصالات هو اعتداء خطيرا على الحريات الشخصية، لا سيما على حرمة الحياة الخاصة وقدسية سريتها، ويشكل اعتداء على حقوق الدفاع للشخص المشتبه فيه بارتكابه أو محاولة ارتكابه جرما جزائيا[2]، وقد فرض المشرع الجزائري الحماية الجنائية على الحديث الخاص الذي يجرى بالهاتف أو في مكان مغلق لا يمكن دخوله إلا لأشخاص يرتبطون مع بعضهم بصلة خاصة، ولا يمكن للخارج عنه أن يشاهد ما يجري بداخله أو أن يسمعه، واعتبر استراق السمع عليها أو تسجيلها أو نقلها جريمة إذا تم شيء من ذلك بغير رضا المجني عليه[3]، إلا انه ومن اجل مواجهة التطور الحاصل في الجريمة واستعمالها أحدث التقنيات، مع بروز أصناف جديدة من الجرائم المنظمة الخطيرة كان على المشرع الجزائري، تحديث المنظومة القانونية بسن نصوص تضفي الشرعية اللازمة على الأساليب الخاصة، التي يلجأ إليها ضباط الشرطة القضائية، وقد عدل المشرع قانون الإجراءات الجزائية بموجب القانون 22/06 المؤرخ في 2006/12/20 واستحدث فصلا رابعا تحت عنوان اعتراض المراسلات وتسجيل الأصوات والتقاط الصور، المواد 65 مكرر5 إلى 65 مكرر10، وأجاز صراحة لرجال الضبطية القضائية مباشرة أعمال التصنت الهاتفي والتقاط الصور وتسجيل الأصوات بمقتضى المادة 65 مكرر 05 من قانون الإجراءات الجزائية.

---

1 - السيد بن كثير عيسي، الإجراءات الخاصة المطبقة على الجرائم الخطيرة، نشرة القضاة.الجزائر، العدد 63، ص80.

2 - وهذه الحريات كفلها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948 في المادة12 منه التي نصت على انه: "يحضر الاعتداء على حرمة الحياة الخاصة والعائلية للفرد أو على حرمة منزله ومراسلاته, ولكل فرد الحق في الحماية ضد أي نوع من هذه الاعتداءات." د/ نادر عبد العزيز شافي، نظرات في القانون، الجزء الثاني، التصنت واعتراض وسائل الاتصال، منشورات الحلبي القانونية، بيروت، الطبعة الأولى، 2011، ص 169.

3 - د/ محمد زكي أبو عامر، الإجراءات الجنائية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، الطبعة الأولى، 2010، ص 656.

المطلب الأول: مفهوم اعتراض المراسلات والتسجيل والتقاط الصور: يقصد بالمراسلات جميع الخطابات المكتوبة، سواء أرسلت بطريق البريد أو بواسطة رسول خاص، وكذلك المطبوعات والطرود والبرقيات، التي توجد لدى مكاتب البريد أو البرق، كما تعد من قبيل المرسلات الخطابات التي تكون في بطاقة مكشوفة متى كان واضحا أن المراسل قصد عدم اطلاع الغير عليها دون تمييز[1]، وهناك من يرى أن المراسلات يقصد بها التخابر والاتصال بين الأفراد فيما بينهم سواء بالكتابة أو غيرها أي سواء كانت رسائل بريدية أو مكالمات هاتفية [2]. والملاحظ على المشرع الجزائري عندما تكلم على اعتراض المراسلات في المادة 65 مكرر5 من قانون الإجراءات الجزائية قد حدد نوع المراسلات، وهي تلك التي تتم بواسطة وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية. وهو بذلك قد أستبعد الخطابات الخطية أو الرسائل البريدية أو الجرائد أو المطبوعات أو الطرود لدى مكاتب البريد من اعتراضها، ما لم تكن هذه الأوراق أو الأشياء متعلقة بجريمة وقعت ومفيدة للكشف عن الحقيقية فيجوز ضبطها وحجزها [3]، وقد يكون ضبط هذه الأوراق أو الأشياء النتيجة التي يسفر عنها إجراء التفتيش [4]، لكنه قابل لأن يحدث دون تفتيش.[5]

ان مفهوم الاتصالات السلكية واللاسلكية حددها القانون 03/2000 المؤرخ في 2000/08/05 المحدد للقواعد المتعلقة بالبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية، في المادة 08 فقر 11 منه على أنها «كل تراسل أو إرسال أو استقبال علامات أو إشارات كتابات صور أو معلومات مختلفة عن طريق الأسلاك أو البصريات أو اللاسلكي الكهربائي أو أجهزة أخرى كهربائية » وتتخذ الرسائل في العصر الحديث عبر التلغراف، التلكس، الفاكس، البريد الإلكتروني، الرسائل قصيرة عبر الهاتف النقال، إلا أن المشرع لم يحدد مفهوم اعتراض المراسلات، فهل يقصد بها التصنت الهاتفي أم مجرد الاطلاع عليها؟ أو يمتد إلى أكثر من ذلك ليشمل كل ما له علاقة بوسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية كالبرقيات، الفاكس، التلكس، الرسائل القصيرة للجهاز المحمول، المواقع المفتوحة على شبكة الانترنيت ؟ بالرجوع إلى المادة 08 فقر 11 من قانون 03/2000 المتعلق بالبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية نجدها تنص على كل مراسل أو إرسال أو استقبال علامات أو إشارات كتابات، صور أو أصوات أو معلومات مختلفة عن طريق الأسلاك أو البصريات أو اللاسلكي، وهذا يعني أن كل إشارة أو كتابة أو صورة أو صوت مهما كانت وسيلة الاتصال يصلح أن يكون محلا للاعتراض [6]. ومن ثم يمكن أن ينصب اعتراض المراسلات المذكورة في المادة 65 مكرر 05 على المسائل الثلاث التالية :

أولا: مراقبة المراسلات والاتصالات وتسجيلها: وأهم صوره، مراقبة الاتصالات الهاتفية وتسجيلها واعتراض وسائل الاتصال.

- مراقبة الاتصالات الهاتفية وتسجيلها: مراقبة الاتصال تعني بالضرورة التصنت عليها، وهو الاستماع سرا بوسيلة أي كان نوعها إلى الكلام له صفة الخصوصية أو سري صادر من شخص ما أو متبادل بين شخصين أو أكثر دون رضا أي من هؤلاء[7]. وفي مجال التصنت على المكالمات يمكن أن نميز بين نوعين من التصنت، التصنت الإداري أو الأمني الذي تجريه السلطة الإدارية أو السياسية بهدف جمع المعلومات المتعلقة بالأمن الوطني والحفاظ على الموارد الاقتصادية والعلمية

---

[1] - د/ احمد فتحي سرور، الوسيط في قانون الإجراءات الجنائية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993، ص 9.

[2] - د/ دريد بشراوي، التصنت والرقابة على المخابرات السلكية واللاسلكية، بحث منشور في مجلة العدل، بيروت، عدد2، 1997، ص23.

[3] - **وهذا ما نصت عليه المادة 45-2 الفقرة 1 من قانون الإجراءات الجزائية، كما تنص الفقرة 3 من المادة 45-2 على انه يجب عند تفتيش أماكن يشغلها شخص ملزما قانونا بكتمان السر المهني أن تتخذ جميع التدابير اللازمة لضمان احترام ذلك السر. وتنص على ذلك أيضا المادة 83 الفقرة 2 من نفس القانون.**

[4] - وهو ما نصت عليه المادة 45-2 الفقرة 6 من قانون الإجراءات الجزائية.

[5] - وهو ما تنص عليه المادة 84 من قانون الإجراءات الجزائية.

[6]- وهو ما ذهب إليه المشرع الفرنسي وسماه الاتصالات الالكترونية بموجب قانون 669/04 المتضمن الاتصالات السلكية واللاسلكية.

[7]- د/ محمد زكي ابو عامر، المرجع السابق، ص 657.

والوطنية ودرء كل خطر يهدد الدولة والمجتمع وينطوي تحته التجسس العسكري والعلمي[1]، والتصنت القضائي الذي يتم بناء على إذن قضائي صادر من سلطة قضائية وتحت إشرافها سواء كانت جهة المتابعة ممثلة في وكيل الجمهورية أو من جهة التحقيق من طرف قاضي التحقيق.

- تسجيل الأصوات: يشمل الكلام المتفوه به بصفة خاصة أو سرية من طرف شخص أو عدة أشخاص في أماكن خاصة أو عمومية ويتم على شريط تسجيل بحفظ الإشارات الكهربائية على هيئة مخطط مغناطيسي بحيث يمكن إعادة سماع الصوت والتعرف على مضمونه.

- اعتراض وسائل الاتصال الأخرى: نظرا لشمولية مفهوم الاتصالات السلكية واللاسلكية، لكل من الكتابات والإشارات، التي تتم عبر وسائل الاتصال، وتطور طرق المعاملات بما فيها التوقيع الإلكتروني، أي التعاقد عبر شبكة الأنترنت، أصبح من الممكن تمرير جرائم اقتصادية ومالية عبر هذه القنوات. وتكون مراقبة وضبط هذه المراسلات باستخدام شبكة " إيشلون ECHLON " ذلك أن كل إرسال بواسطة الفاكس أو التلكس أو البرق يحمل رقم سري، ورقم هاتف المرسل، تاريخ وساعة الإرسال مما يسهل مع ذلك ضبط الكتابات المرسلة ومعرفة أطرافها.

ثانيا: مراقبة الاتصالات الإلكترونية وتفتيش المنظومة المعلوماتية وفقا لأحكام القانون 04/09 المتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها:

جاء القانون 04/09 الصادر بتاريخ 2009/08/05 ليضع أعمال التصنت الإداري أو الأمني في إطار الشرعية الدستورية [2]، التي تكفل سرية المراسلات، وذلك بإقرار رقابة السلطة القضائية، كما تضمن مفاهيم أدق لعملية مراقبة الاتصالات الإلكترونية وتفتيش المنظومة المعلوماتية، ووسع من دائرة الجرائم المسموح فيها اللجوء لهذا النوع من أسلوب التحري، وحدد الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال وكذا مفهوم المنظومة المعلوماتية والاتصالات الإلكترونية وذلك في المادة 02 منه.

1. مراقبة الاتصالات الإلكترونية: عرفت المادة 02 فقرة (و) من القانون 04/09 المقصود بالاتصالات الإلكترونية بأنه كل تراسل أو إرسال أو استقبال علامات أو إشارات أو كتابات أو صور أو أصوات أو معلومات مختلفة بواسطة أي وسيلة الكترونية. ونصت المادة 03 منه على انه يمكن لمقتضيات حماية النظام العام أو لمستلزمات التحريات أو التحقيقات القضائية الجارية وضع ترتيبات تقنية لمراقبة الاتصالات الإلكترونية وتجميع وتسجيل محتواها.

2. تفتيش المنظومة المعلوماتية: عرفت المادة 02 فقرة (ب) من القانون 04/09 مفهوم منظومة معلوماتية وهي أي نظام منفصل أو مجموعة من الأنظمة المتصلة بعضها ببعض أو المرتبطة، يقوم واحد منها أو أكثر بمعالجة آلية للمعطيات تنفيذا لبرنامج معين. ونصت المادة 03 من القانون 04/09 على انه يجوز لمقتضيات حماية النظام العام أو لمستلزمات التحريات أو التحقيقات الجارية القيام بإجراءات التفتيش والحجز داخل منظومة معلوماتية.

ثالثا: التقاط الصور: إن هذا النوع من المراقبة الإلكترونية يسمى بالمراقبة البصرية، التي تتم من خلال كاميرات وأجهزة خاصة تلتقط الصور والصوت، لوضعية شخص أو عدة أشخاص على الحالة التي كانوا عليها، وهي عبارة عن معاينة مادية مرئية لحالة شخص أو عدة أشخاص على الوضعية التي كانوا عليها وقت التصوير. ولقد سمح التطور العلمي بالحصول على صور الأشخاص من مسافات بعيدة باستخدام نوع من الكاميرات تسمى Cameras Cinématographiques مزودة بجهاز تلسكوبي ووضعها في مكان ملائم أو استخدامها على وسائل متحركة كالتي نستخدم على طائرات صغيرة الحجم. والملاحظ أن المشرع الجزائري نص في الفقرة 02 من المادة 65 مكرر5 من قانون الإجراءات الجزائية فيما يتعلق بالتقاط

1- د/ نادر عبد العزيز شافي، المرجع السابق، ص 176.

2- تنص المادة 46 من الدستور الجزائري على انه: لا يجوز انتهاك حرمة حياة المواطن الخاصة، وحرمة شرفه، ويحميهما القانون. سرية المراسلات والاتصالات الخاصة بكل أشكالها مضمونة، لا يجوز بأي شكل المساس بهده الحقوق دون أمر معلل من السلطة القضائية.

الصور أن يكون ذلك في مكان خاص على عكس الأمر عندما يتعلق بالتقاط وتسجيل الكلام أن يكون سواء في أماكن عمومية أو خاصة [1].

المطلب الثاني: الشروط والإجراءات المتعلقة باعتراض المراسلات وتسجيل الأصوات والتقاط الصور: إن اللجوء إلى هذا الأسلوب يساعد السلطات الأمنية والقضائية على كشف الجرائم الخطيرة والقبض على فاعليها والمشتركين فيها وضبط الأدلة والوقائع الجرمية أو الأعمال التحضيرية التي تسبق الفعل الجرمي، الأمر الذي يقتضي التوفيق بين هاتين المصلحتين المتضاربتين، مصلحة الفرد وحقوقه وحرياته الخاصة، ومصلحة الدولة والمجتمع والأمن الوطني، وعلى هذا حرص المشرع على سن جملة من الشروط لمباشرة هذا الأسلوب.

الفرع الأول : شروط صحة الاعتراض والتسجيل والتصوير وفقا لقانون الإجراءات الجزائية

1. مباشرة هذا الأسلوب من طرف ضابط الشرطة القضائية دون غيره: وهو ما نصت عليه المادة 65 مكرر8 من قانون الإجراءات الجزائية والمادة 65 مكرر9 من نفس القانون على انه: "يحرر ضابط الشرطة القضائية المأذون له أو المناب محضرا عن كل عملية اعتراض". والمشرع بذلك استبعد أعوان الشرطة القضائية من ممارسة هذا الأسلوب أي اعتراض المراسلات والتسجيل والتقاط الصور، وهذا نظرا لحساسية وخطورة الإجراء الذي يمس بحرية وحرمة الأفراد الخاصة.

2. أن لا يتم اللجوء إليه إلا في الجرائم المحددة حصرا: وهي الجرائم المنصوص عليها في المادة 65 مكرر 05 دون غيرها من الجرائم، نظرا لخطورتها ويتعلق الأمر بجرائم المخدرات، الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية، الجرائم الماسة بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات، جرائم تبيض الأموال، جرائم الإرهاب، جرائم الصرف، جرائم الفساد.

3. الحصول على إذن مكتوب: تشترط المادة 65 مكرر5 من قانون الإجراءات الجزائية وجود إذن مكتوب من وكيل الجمهورية المختص أو قاضي التحقيق وتحت مراقبتهما المباشرة ويجب أن يتضمن الإذن البيانات التالية:

. ذكر العناصر التي تسمح الإذن بالتعرف على الاتصالات المطلوب اعتراضها،

. تحديد الأماكن المقصودة سواء كانت سكنية أو غيرها،

. ذكر الجريمة التي تبرر اللجوء إلى هذا الأسلوب،

. المدة الزمنية في الإذن والتي لا يمكن أن تتجاوز 4 أشهر قابلة للتجديد ضمن نفس الشروط الشكلية والزمنية. والملاحظ هنا أن المشرع الجزائري، لم يتطرق إلى مسألة ضرورة إيداع نسخة من الإذن في ملف الإجراءات ولم يشترط أن يكون الإذن مسببا بالرغم من خطورة الإجراء ومساسه بالحياة الخاصة للأفراد وهذا على خلاف المشرع الفرنسي الذي اشترط تسبيب الإذن.

الفرع الثاني: شروط صحة مراقبة الاتصالات الإلكترونية وتفتيش المنظومة المعلوماتية في القانون 04/09:جاء القانون 04/09 المتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ليضع شروطا خاصة لهذه العمليات، كما وسع من دائرة الجرائم المسموح فيها اللجوء إلى هذا الأسلوب الخاص من أساليب التحري، فبالإضافة إلى الشرط الخاص بمباشرة هدا الأسلوب من طرف ضابط الشرطة القضائية دون غيره نجد أن المشرع قد عدل في الشرطين الآخرين وهو ما نبينه في ما يلي:

1. الجرائم التي يجوز اللجوء فيها لهذا الأسلوب: نصت المادة 4 و5 من القانون 04/09 على هذه الحالات وحصرتها في: . الوقاية من الأفعال الموصوفة بجرائم الإرهاب أو التخريب أو الجرائم الماسة بأمن الدولة وهي الجرائم المنصوص عليها ضمن المواد 61 إلى 96 مكرر من قانون العقوبات.

---

[1]- على خلاف التشريع المصري في المادة 206 من قانون الإجراءات الجنائية المصري فانه يرخص للسلطات القضائية سلطة مراقبة المحادثات السلكية واللاسلكية وتسجيل المحادثات التي تجري في مكان خاص فقط، ولا يضفي أي حماية جنائية على مراقبة أو تسجيل الأحاديث التي تجرى في مكان عام ولو تناول اخص شؤون قائله، لأنه لا يجوز للشخص أن يفرط في أسراره ثم يطلب حماية القانون من بعد.

ـ حال توفر معلومات عن احتمال اعتداء على منظومة معلوماتية على نحو يهدد النظام العام أو الدفاع الوطني أو مؤسسات الدولة آو الاقتصاد الوطني.

ـ مقتضيات التحريات أو التحقيقات القضائية عندما يكون من الصعب الوصول إلى نتيجة تهم الأبحاث الجارية دون اللجوء إلى المراقبة الإلكترونية.

ـ في إطار تنفيذ طلبات المساعدة القضائية الدولية المتبادلة.

2. وجوب الحصول على اذن قضائي مكتوب من السلطة القضائية المختصة: نصت الفقرة الثانية من المادة 4 من قانون 04/09 على انه عندما يتعلق الأمر بحالات الوقاية من الأفعال الموصوفة بجرائم الإرهاب أو التخريب أو الجرائم الماسة بأمن الدولة، فان النائب العام لدى مجلس قضاء الجزائر يكون هو المختص بمنح الإذن لضباط الشرطة القضائية المنتمين إلى الهيئة الوطنية للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحته، ويسري هذا الإذن لمدة (6) أشهر قابلة للتجديد.

إن الإشكال المطروح حول هذا الأسلوب للتحري المتضمن المراقبة الإلكترونية وتفتيش المنظومة المعلوماتية فيما يتعلق حصر الجرائم هو: هل يوجد تعارض بين ما جاء به قانون الإجراءات الجزائية، وما ينص عليه القانون 04/09 المتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها؟

يتبين من خلال السياق العام للقانونين وباستقراء الحالات الأربعة التي نصت عليهم المادتين 3 و4 من القانون 04/09 انه لا يوجد تعارض، ذلك أن الحالات الثلاث الواردة بالفقرات أ، ب، د من المادة 4 من القانون 04/09 تشير إلى حالات تتعلق بالوقاية أساسا أو بالمساعدة القضائية الدولية، أما الحالة المنصوص عليها بالفقرة ج من المادة 4 والخاصة بمقتضيات التحريات والتحقيقات القضائية عندما يكون من الصعب الوصول إلى نتيجة تهم الأبحاث الجارية دون اللجوء إلى المراقبة الإلكترونية، وهي بذلك نجدها مقيدة بالمادة 4 من القانون والتي نصت على إمكانية اللجوء إلى هذا الأسلوب لمستلزمات التحريات أو التحقيقات القضائية الجارية وفقا للقواعد المنصوص عليها غي قانون الإجراءات الجزائية، ويعني ذلك أن يبقى هذا الأسلوب محصورا في الجرائم المنصوص عليها بالمادة 65 مكرر5 من قانون الإجراءات الجزائية نظرا لتعقدها ومراعاة لخصوصية هذا الأسلوب الذي من شانه المساس بالحياة الخاصة للغير.

الفرع الثالث : الإجراءات الخاصة بأسلوب الاعتراض والتسجيل والتصوير: لا يشترط تنفيذ الإذن بهذا الأسلوب علم ورضا الأشخاص الذين لهم حق على الأماكن السكنية أو غير السكنية التي تجرى عليها أعمال الاعتراض والتسجيل. فبعد حصول ضابط الشرطة القضائية على الإذن يقوم بتنفيذ العميلة وفق المراحل التالية:

1. تسخير الأعوان المؤهلين لدى مصلحة عمومية أو خاصة : لأجل التكفل بالجوانب التقنية أعطى المشرع صلاحية لضباط الشرطة القضائية تسخير الأعوان العاملين بالمصالح والوحدات والهيئات المتخصصة في ميدان الاتصالات السلكية واللاسلكية سواء تابعة للقطاع العام أو الخاص، ويكون ذلك بموجب مقرر تسخيره يكلف العون بتنفيذ ما ورد فيها، والتي تسمح له الدخول إلى المحلات السكنية أو غيرها حتى خارج المواعيد المقررة في المادة 47 من ق.ا.ج، مع احترام أحكام المادة 45 من ق.ا.ج والمتعلقة بعدم المساس بالسر المهني. ويلتزم العون المسخر بحفظ الأسرار سواء المتعلقة بالجوانب التقنية أو ما أكتشفه أو عاينه أثناء عملية الدخول تحت طائلة الجزاء المقرر في قانون العقوبات.

2. وضع الترتيبات التقنية: أن عملية التسخير هذه تندرج في إطار وضع الترتيبات التقنية لاعتراض المراسلات، لأن الجانب التقني لابد له من مختصون في الميدان، على اعتبار أن الترتيب التقني يتمثل في توفير وتركيب وتشغيل التجهيزات الخاصة بالمراقبة للمحادثات أو الاعتراض، وما دام أن هذا الأخير يكون على المراسلات التي تتم عن طريق الوسائل السلكية واللاسلكية، فان النطاق التقني يتم على كل من الشبكة الهاتفية الخطية الثابتة أو الخلوية. وتوجب وضع الترتيبات التقنية الدخول إلى المحلات السكنية أو غيرها، دون علم أو رضا أصحاب تلك الأماكن، وأن تتم هذه الترتيبات من اجل

التقاط وتثبيت وبث وتسجيل الكلام المتفوه به، بصفة خاصة أو سرية من طرف الشخص، والتقاط الصور له بدون حاجة إلى موافقة المعني.

3. تحرير محضر عن العملية: يلزم ضابط الشرطة القضائية بتحرير محضرين يتضمن الأول الجوانب القانونية، ويتعلق بعملية الاعتراض من خلال المعلومات المطلوب تسجيلها وأماكن التسجيل وبداية ونهاية التسجيل، والثاني الجوانب التقنية، ويتعلق بتحديد الآلة أو الجهاز المستعمل والعون المسخر وكذا المكان سواء تعلق الأمر بالتثبيت أو البث أو الالتقاط.

4. نسخ ووصف وترجمة التسجيلات: تلزم المادتين 65 مكرر 9 و10 من قانون الإجراءات الجزائية ضابط الشرطة القضائية أن يقوم بوصف أو نسخ التسجيلات على محضر، فضلا عن حفظ الدليل أو الدعامة المتعلقة بالتسجيل وختمها مع وضع شريط التسجيل ضمن حرز مغلق لوضعها بين يدي القضاء.

المطلب الثالث: حجية المحاضر المتضمنة وصف ونسخ المراسلات والصور والمحادثات المسجلة: لم يتطرق المشرع الجزائري إلى القوة الثبوتية لهذه المحاضر المحررة عن طريق المراقبة الإلكترونية، وهو ما جعلها تخضع للقواعد العامة للإثبات طبقا لنص المادة 212 و215 من قانون الإجراءات الجزائية، رغم أن هذا الأسلوب وضع لغرض مكافحة الإجرام الخطير ومنه الجريمة المنظمة مكافحة فعالة، والسبب في ذلك أن ما يحصل عليه بأسلوب التصنت من أدلة صوتية لا يعول عليه قانونا في إدانة الأشخاص، كون الأحكام القضائية تبنى على اليقين الذي لا يقبل الشك، وما يقلل من أهمية الأخذ بالتسجيل الصوتي أو التسجيل السمعي البصري جملة من التحفظات، أهمها إمكانية تقليد الأصوات أو صعوبة تمييزها، رغم انه يمكن اللجوء إلى الخبرة الفنية للمعمل الجنائي في تحديد البصمة الصوتية، ومع ذلك لا يتمتع التسجيل بالقوة الثبوتية، ويبقى له قيمة استدلالية يساند بقية الأدلة.

المبحث الثالث: التسرب: نصت عليه المادة 20 من اتفاقية الأمم المتحدة المتعلقة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية بعبارة "العمليات المستترة"، وقد تبنى المشرع الجزائري هذا الأسلوب لأول مرة في القانون رقم 01/06 المؤرخ في 2006/02/20 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته في المادة 56 منه والتي تنص على انه: "من اجل تسهيل جمع الأدلة المتعلقة بالجرائم المنصوص عليها في هذا القانون، يمكن اللجوء إلى التسليم المراقب أو إتباع أساليب تحر خاصة كالترصد الإلكتروني والاختراق، على النحو المناسب وبإذن من السلطة القضائية المختصة". لكن المشرع في هذا النص لم يبين أو يحدد مقصود الاختراق ولا كيفية اللجوء إليه ومباشرته، مما أبقى هذا النص جامدا إلى غاية تعديل قانون الإجراءات الجزائية بموجب القانون 22/06 المؤرخ في 2002/12/20 أين تم تحديد مفهوم التسرب في المواد 65 مكرر11 إلى 65 مكرر18 منه.

المطلب الأول: مفهوم التسرب: يقصد بالتسرب وفقا للمادة 65 مكرر 12 من قانون الإجراءات الجزائية قيام ضابط أو عون الشرطة القضائية، تحت مسؤولية ضابط الشرطة القضائية المكلف بتنسيق العملية لمراقبة الأشخاص المشتبه في ارتكابهم جناية أو جنحة بإيهامهم انه فاعل معهم أو شريك لهم أو خاف، وله في ذلك استعمال هوية مستعارة. وقد تطرقت العديد من التشريعات الجزائية إلى هذه التقنية كأسلوب في التحري من بينها القانون الإجراءات الجزائية الفرنسي في المواد 706/81 إلى 87 /706 منه. وعليه يكون التسرب فعل ماديا إيجابيا يسمح بالولوج أو التوغل داخل مكان أو هدف أو تنظيم يصعب الدخول إليه أو ما يسمى بالمكان المغلق لكشف نوايا الجماعات الإجرامية المنظمة[1]، يقوم به ضباط الشرطة القضائية أو إحدى أعوانه تحت مسؤوليته بمراقبة الأشخاص المشتبه فيهم بارتكاب إحدى الجرائم المنصوص عليها حصرا في القانون، ولا يتم اللجوء إلى هذا الأسلوب إلا عند الضرورة الملحة التي تقتضيها إجراءات التحري والتحقيق.

1- انظر في تعريف الجريمة المنظمة د/ محمد شريف بسيوني، الجريمة المنظمة عبر الوطنية، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004، ص 9. ود /هدى حامد قشقوش – الجريمة المنظمة، القواعد الموضوعية والإجرائية والتعاون الدولي، دار النهضة العربية القاهرة، الطبعة الأولى، 2006 ص 18.

المطلب الثاني: شروط مباشرة التسرب: حدد المشرع الجزائري جملة من الشروط والإجراءات القانونية التي يجب توافرها لإضفاء طابع الشرعية على عملية التسرب، كما أحاطه بضمانات قانونية لتسهيل مهام القائمين به لبلوغ أهدافهم ونصت المادة 65 مكرر15 من قانون الإجراءات الجزائية على هذه الشروط وهي:

1. مباشرة التسرب من طرف ضباط وأعوان الشرطة القضائية: وهم المحددين في نص المادة 15 و19 من قانون الإجراءات الجزائية، ورغم أن القانون رقم 06/05 المؤرخ في 2005/08/23 المتعلق بمكافحة التهريب نص في مادته 33 على انه يمكن اللجوء إلى أساليب التحري الخاصة المنصوص عليها في قانون الإجراءات الجزائية إلا انه لم يؤهل أعوان الجمارك لذلك، على خلاف المشرع الفرنسي فانه أعطى لأعوان الجمارك مباشرة التسرب بموجب المادة 67 مكرر من القانون 204/04 المؤرخ في 2004./03/09

2. وجوب الحصول على الإذن: لا يمكن مباشرة عملية التسرب والكشف عن الجرائم المنصوص عليها قانونا في المادة 65 مكرر 05 من قانون الإجراءات الجزائية إلا بعد الحصول على إذن من وكيل الجمهورية المختص إقليما أو قاضي التحقيق بعد إخطار وكيل الجمهورية، ويجب أن يتضمن الإذن بالتسرب الشروط والبيانات الشكلية الآتية تحت طائلة البطلان.

. أن يكون الإذن مسببا: يتعين أن يكون الإذن متضمنا للأسباب الداعية لاتخاذه، كأن يكون تحديد الجناة وضبطهم أصبح مستحيلا أو على الأقل يصعب الوصول إليهم بالوسائل التقليدية للتحري. وأن تكون هذه الأسباب مبنية على تحريات جدية يتخذ منها أسباب لإجراء عملية التسرب ويخضع تقدير جدية التحريات إلى وكيل الجمهورية أو القاضي التحقيق.

. أن يكون الإذن مكتوبا: والكتابة خير وسيلة لإثبات الإجراء وتحديدا للآثار المترتبة عليها.(1)

. أن تذكر الجريمة التي تبرر اللجوء إلى هذا الأسلوب: وهي الجرائم المحددة على سبيل الحصر في المادة 65 مكرر 5 من ق.ا.ج والتي سبق ذكرها.

. أن يحدد الإذن هوية ضابط الشرطة القضائية المنسق للعملية: وهو الذي تتم عملية التسرب تحت مسؤوليته وإشرافه، ويذكر اسمه ولقبه ورتبته والمصلحة التي يعمل بها.

ـ تحديد المدة الزمنية للعملية: حسب نص المادة 65 مكرر 15 من قانون الإجراءات الجزائية يجب أن لا يتجاوز 04 أشهر، ويتم تمديدها طبقا لمقتضيات التحري أو التحقيق وبنفس الشروط الشكلية والموضوعية، وذلك بتحديد دقيق لتاريخ بداية التسرب ونهايته، نظرا لما يقتضيه هذين التاريخين من أهمية لصحة لإجراءات، وينتهي التسرب بنفس الأوضاع والشكليات المقررة لمباشرته، وذلك بموجب أمر صادر من وكيل الجمهورية أو قاضي التحقيق حتى قبل انتهاء المدة المحددة في الإذن بالتسرب، مع مراعاة الاستثناء الذي أوردته المادة 65 مكرر 17 من قانون الإجراءات الجزائية، الذي يقضي بإمكانية تجديد الإذن بالتسرب لمدة 04 أشهر أخرى، إذا لم يتمكن العون المتسرب من توقيف نشاطه في ظروف تضمن أمنه. وفي كل الأحوال ولصحة الإجراءات يجب أن تودع نسخة من الإذن بالتسرب في ملف الإجراءات بعد الانتهاء من عملية التسرب.

3. أن لا يتم اللجوء إليه إلا في الجرائم المحددة على سبيل الحصر: وهي نفس الجرائم الذي سبق ذكرها حسب ما نصت عليه المادة 65 مكرر 11 من قانون الإجراءات الجزائية والتي أحالت بشأنها إلى المادة 65 مكرر من نفس القانون.

المطلب الثالث: الحماية القانونية للمتسرب: إن عملية التسرب عملية منسقة ومنظمة بدقة، تهدف إلى مراقبة أشخاص مشتبه بهم في بعض الجرائم المحددة قانونا في المادة 65 مكرر 05 من قانون الإجراءات الجزائية، فهو أسلوب خطير على حياة منفذه، وحتى لا يكتشف أمره أجاز له المشرع القيام ببعض الإعمال الإجرامية لكسب ثقة عناصر التنظيم الإجرامي، والكشف عن مخططات التنظيم المعقد، فله ارتكاب بعض الأفعال سواء بصورة المشاركة أو المساهمة أو الإخفاء، رغم أنها أفعال يجرمها القانون ويعاقب عليها، إلا أن المشرع وتسهيلا لكل العقبات المادية والقانونية، أجاز للعنصر المتسرب القيام

1. يرتب المشرع الجزائري على تخلف الكتابة في الإذن البطلان على عكس الإخطار الذي يكون عادة شفويا.

ببعض الأفعال المحددة في نص المادة 65 مكرر 14 من قانون الإجراءات الجزائية، دون أن يكون مسؤولا جزائيا عنها، وسمح له باستعمال هوية مستعارة غير هويته الحقيقية، كما جرم كل فعل يؤدي للكشف هن الهوية الحقيقية للعنصر المتسرب وعاقب على ذلك بعقوبة الجنحة المشددة.

1. الأفعال المبررة التي يرتكبها العنصر المتسرب وكذا الأشخاص المسخرون: وهذه الأفعال إما أن تكون أفعال مباشرة للمساهمة الجنائية أو أعمال اشتراك ومساعدة أو أعمال إخفاء.

المساهمة الجنائية: وهي الأفعال المنصوص عليها بنص المادة 41 من قانون العقوبات والتي تعني بتضافر نشاط عدة جناة من اجل تحقيق نتيجة إجرامية واحدة، من بينهم نشاط العنصر المتسرب. ويجب التفريق هنا بين مفهوم الإيهام ومفهوم التحريض، إذ نكون أمام تحريض بوليسي عندما يكون ذهن المشتبه فيه خاليا من النية الإجرامية، ويقوم ضابط الشرطة القضائية أو العون بدفعه إلى ارتكابها، فتتأثر إرادته ويقوم بالنشاط الإجرامي لتحقيق النتيجة. أما إذا كانت الجريمة ثمرة تفكير المتهم وحده ونتاج لإرادته الحرة، واقتصر دور ضابط الشرطة القضائية أو العون على تسهيل الإجراءات المؤدية إلى وقوع الجريمة، بعدما كانت قد اختمرت في نفس المتهم وتمت بإرادته فعلا فإنها لا تكون جريمة تحريضية [1]. أما الإيهام الذي نصت عليه المادة 65 مكرر12 من قانون الإجراءات الجزائية فهو مسايرة المشتبه فيه في مسلكه الإجرامي لأجل الكشف على تركيبة الجماعة الإجرامية المنظمة وأعمالها، وهذا الإيهام هو تحريض للحصول على دليل وليس بتحريض على الجريمة.

أفعال المساعدة: وهي الأفعال المحددة في نص المادة 42 من قانون العقوبات، والتي تقضى معاونة الفاعل أو الفاعلين على ارتكاب الأفعال التحضيرية أو المسهلة أو المنفذة للجريمة مع علمه بذلك، أو الاعتياد على تقديم مسكن أو ملجأ أو مكان للاجتماع لواحد أو أكثر من الأشرار الذين يمارسون اللصوصية أو العنف ضد أمن الدولة أو الأمن العام أو ضد الأشخاص أو الأموال مع علمه بسلوكهم الإجرامي. وعليه فالمتسرب في صورة الشريك يقوم بإيهام المشتبه فيهم من خلال قيامه بالأعمال التحضيرية المستعملة أو المساعدة أو المنفذة لهذه الجرائم أو تقديم مسكن أو ملجأ ومسايرتهم في السلوك الإجرامي إلى حين الإيقاع بهم متلبسين بجرمهم.

. أفعال الإخفاء: وهي الأفعال المنصوص عليها في المادة 387 من قانون العقوبات، والتي تقتضي إما أفعال السيطرة المادية أو السيطرة القانونية، وإما الاحتجاز المادي للشيء المتحصل عليه من جناية أو جنحة مع علمه بذلك، ويكون للعنصر المتسرب من خلال إيهام مرتكبي الجرائم السالفة الذكر بأنه واحد منهم، القيام بأفعال إخفاء للأشياء التي يتم الحصول عليها من خلال ارتكاب هذه الجرائم سواء كليا أو جزئيا. ومن اجل ذلك أجازت المادة 65 مكرر 14 من قانون الإجراءات الجزائية عند الضرورة القيام بالأفعال التالية :

. اقتناء أو حيازة أو نقل أو تسليم أو إعطاء مواد أو منتوجات أو وثائق أو معلومات متحصل عليها من ارتكاب الجرائم أو مستعملة في ارتكابها.

. استعمال أو وضع تحت تصرف مرتكبي الجرائم الوسائل ذات الطابع القانوني أو المالي وكذا وسائل النقل أو التخزين أو الإيواء أو الحفظ أو الاتصال.

تجدر الإشارة إلى أن الأشخاص المسخرين لذلك، يقصد بهم المرشدون أو المخبرون السريون الذين يشكلون إحدى مصادر التحري وقد شملهم المشرع بالحماية بموجب هذا النص.

يطرح التساؤل هنا بشان هذه الإجازة، هل هي صورة من صور الأفعال المبررة والتي تقتضي (لا جريمة) أم هي صورة من صور انعدام المسؤولية والتي تقتضي (لا عقوبة) أي مانع من موانع العقاب؟. نجد أنه بالرغم من أن المشرع نص صراحة

---

[1]- د/ سليمان عبد المنعم، النظرية العامة لقانون العقوبات، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2000، ص 652.

على انعدام المسؤولية، غير انه يجب فهم النص في سياقه العام وتدرج هذه الأفعال ضمن الأفعال المبررة التي أذن بها القانون طبقا للمادة 39 من ق.ع والتي تنفي وصف الجريمة عن الأفعال المذكورة.

2. حماية الهوية الحقيقية للمتسرب: أجازت الفقرة الثانية من المادة 65 مكرر 12 من قانون الإجراءات الجزائية للعنصر المتسرب سواء كان ضابط شرطة قضائية أو أحد أعوانه، استعمال " هوية مستعارة " بدلا عن هويته الحقيقية، وذلك في كل الأفعال التي يرتكبها أثناء مباشرة عملية التسرب، والهوية المستعارة تتطلب اختيار اسم خلافا للاسم الحقيقي والتعامل به أثناء مرحلة التسرب، وإذا كان المشرع الجزائري لم يحدد لنا كيفية إعداد واستعمال الهوية المستعارة، يبقى ذلك من الأمور التقنية التي يختص بها ذوي الاختصاص في المجال الأمني. وبعيدا عن إشكالية الهوية المستعارة فان المشرع الجزائري أعطى حماية جزائية للهوية الحقيقية للعنصر المتسرب، من خلال تجريم كل فعل يؤدي إلى إظهارها، وفي ذلك قضت الفقرة الثانية من المادة 65 مكرر 16 من قانون الإجراءات الجزائية على انه "يعاقب كل من يكشف هوية ضباط أو أعوان الشرطة القضائية بالحبس من سنتين(02) إلى خمس (05) سنوات وبغرامة من 50.000 دج إلى 200.000 دج". وتشدد العقوبة من 05 إلى 10 سنوات والغرامة من 200.000 دج إلى 500.000 دج إذا تسبب كشف الهوية في أعمال عنف على هؤلاء الأشخاص أو على أزواجهم أو أبنائهم أو أصولهم المباشرين وتشدد العقوبة أيضا إذا تسبب كشف الهوية إلى وفاة الأشخاص المذكورين سابقا وتكون العقوبة من 10 إلى 20 سنة حبس وغرامة 500.000 دج إلى 1.000.000 دج.

3. إعطاء ضمانات زمنية لإنهاء عملية التسرب: في حال أمرت الجهة القضائية، بوقف العملية قبل انتهاء المدة المحددة أو في حال انتهاء المدة دون تجديدها، فانه للعون المتسرب مواصلة النشاطات المبررة إلى الوقت الضروري والكافي لتوقيف عملية المراقبة في ظروف تضمن أمنه، دون أن يكون مسؤولا جزائيا، على أن لا تتجاوز مدة (4) أشهر، ويشترط هنا إخطار القاضي الذي اصدر الرخصة بذلك، أما إذا انقضت المدة القانونية من دون أن يتمكن العون المتسرب من توقيف نشاطه في ظروف تضمن أمنه، فهنا للقاضي أن يرخص بتمديد هذه المدة 04 أشهر أخرى على الأكثر.

المطلب الرابع: الإجراءات المتبعة ومدى حجية المحاضر: نصت المادة 65 مكرر13 من قانون الإجراءات الجزائية على وجوب أن يقوم ضابط الشرطة القضائية المكلف بتنسيق العملية بإعداد تقرير، يتضمن العناصر الضرورية لمعاينة الجرائم، على ألا تتضمن التقارير المعدة من طرف الضابط المكلف بتنسيق العملية، العناصر الضرورية لمعاينة الجرائم التي قد تعرض العنصر المتسرب للخطر، وكذلك الأعوان المسخرين معه، وذلك لاحتمال اكتشاف أمره من طرف الجماعات الإجرامية. ونصت المادة 65 مكرر15 من نفس القانون على وجوب إيداع الإذن بالتسرب في ملف الإجراءات بعد الانتهاء من عملية التسرب.

لم يتطرق المشرع الجزائري لتقدير الدليل الذي قد ينتج عن مباشرة عملية التسرب، فلم يعطى للتقارير والمعاينات التي يقوم بها العنصر المتسرب والتي يتم إعدادها من طرف الضابط المنسق أي قوة ثبوتية، وترك تقدير ذلك لقضاة الموضوع الذين توكل لهم مسألة تقدير الدليل وفقا للأحكام العامة للإثبات الجنائي، رغم فعالية هذا الأسلوب في خرق التنظيمات الإجرامية وكشف عناصرها وهياكلها وإجهاض مخططاتهم الإجرامية وضبط الأدلة والوقائع الجرمية إلى جانب خطورته على العنصر المتسرب، إذ ليس من السهل نجاح مهمة العنصر المتسرب بإيهام عناصر التنظيم، الذي يعمل في سرية منظمة ويستخدم أشخاصا يتم اختيارهم وانتقاؤهم وفق ضوابط صارمة.

يجوز تعزيز هذا الدليل أثناء التحقيق والمحاكمة بشهادة الضابط المكلف بتنسيق العملية حسب ما نصت عليه المادة 65 مكرر 18 من قانون الإجراءات الجزائية بصفته شاهدا عن العملية [1]، وتكون الشهادة سواء أمام قاضي التحقيق أو

[1] - والشهادة في مفهوم القانون هي رواية شخص لما شاهده أو سمعه أو أدركه بحاسة من حواسه، وتكون من إجراءات التحقيق متى تمت بالشكل القانوني أمام قاضي التحقيق. د/ احمد شوقي الشلقاني، مبادئ الإجراءات الجزائية في التشريع الجزائري، الجزء الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثالثة، 2003، ص 247.

قاضي الموضوع، وهذه الشهادة هي سماعية على ما تلقاه من تقارير من طرف العنصر المتسرب، والسؤال المطروح ما جدوى الشهادة إذا كان الضابط المنسق للعملية في مواجهة مع المتهمين، خاصة انه لم يعاين أي فعل، ما عدا انه تلقى تقريرا من طرف العنصر المتسرب ؟، ويمكن أن يصعب عليه حتى التعرف على المتهمين إذا عرضوا أمامه، كما أن ذلك يعرضه للخطر عند الكشف عليه بصفته المشرف على عملية التسرب، ذلك أن الجريمة المنظمة لا تنتهي بمجرد ضبط الجناة فيها كما هو الحال في الجريمة العادية، بل يظل الخطر ماثلا بعد اكتشاف الجريمة والقبض على الجناة لوجود عناصرها الحقيقية طلقاء خارج الأسوار، ومن ثم لا يمكن أن تكون لشهادة الضابط المكلف بعملية التنسيق أي فائدة أو قيمة قانونية.

الخاتمة:

من خلال الدراسة التي تعرضنا لها نصل إلى أن الأساليب الخاصة للتحري والتحقيق هدفها الأساسي ضبط الجريمة ومرتكبيها وجمع الدليل والمعطيات ومعرفة الإمكانيات المادية والبشرية للمنظمة الإجرامية والسعي لضبط الجريمة في حالة تلبس، وذلك بعد استغلال الضابط المكلف بعملية التنسيق للمعلومات التي يقدمها العنصر المتسرب، وقد يصعب ضبط الجريمة في حالة تلبس فيكتفي عناصر الضبطية القضائية بسرد معاينات مادية للجرائم المرتكبة دون توقيف الفاعلين، كما تعد أساليب التحري الخاصة ناجحة جدا في الكشف عن الجرائم والحد منها وقد ثبتت نتائجها في كثير من الجرائم الخطيرة ومنها الجريمة المنظمة عبر الوطنية وأنماطها الإجرامية المختلفة خاصة في نشاطات المتاجرة بالمخدرات وتهريب الآثار وتهريب المهاجرين والإتجار بالأشخاص. و عليه نصل إلى جملة من الاقتراحات تتمثل فيما يلي:

1- نص المشرع على مراقبة الأشخاص أو الأشياء أو الأموال لم يحدد مفهومها، ولم يحدد المدة المرخص بها لإجراء عملية المراقبة وإخضاعها فقط لموافقة وكيل الجمهورية المختص إقليميا، كما حصر هذا النوع من المراقبة في مجال التحقيق التمهيدي دون القضائي. ولم يشير إلى وجوب وضع الإخطار في ملف الإجراءات. ولم يرتب أي جزاء عن عدم احترام الشروط الواجب توفرها، وهو ما يستلزم مراجعة تشريعية لإعادة تنظيم هذا الأسلوب من التحري على نسق منضبط ومنسجم مع بقية أساليب التحري الخاصة.

2- بالنسبة للمراقبة الإلكترونية أو ما عبر عنها المشرع باعتراض المراسلات والتسجيل نجد المشرع لم يشترط تسبيب الإذن، أو أن يودع نسخة منه في الملف وهو ما يستلم أيضا مراجعة تشريعية في هذا الخصوص، لضرورة الموازنة بين الحريات الشخصية والمصلحة العامة.

3- الاهتمام بتدريب وتطوير عناصر متخصصة في التحقيق وتزويدها بالعلم والوسائل التقنية الحديثة التي أصبح تشكل آليات وميكانيكية الجريمة المنظمة.

4- تقوية أجهزة تنفيذ القانون وتنظيم توزيعها خاصة الجانب السري والمتخصص في مجال المتابعة وجمع المعلومات الجنائية، ولاشك أن المعلومات التي ترد الأجهزة من الدول المجاورة ومنظمة الشرطة الدولية تفيد كثيرا في إعداد أجهزة تطبيق القانون وتهيئتها لمواجهة الجريمة المنظمة عند وقوعها.

5- إدخال تحسينات على التدريب القائم للارتقاء بالمهارات والمؤهلات لدى موظفي إنفاذ القانون وسلك القضاء، والمساهمة في برامج تدريسية إقليمية مشتركة لتبادل المعلومات بشان التقنيات الناجحة والتكنولوجيا الجديدة.

6- تفعيل الاتصالات السلكية واللاسلكية والمراقبة الإلكترونية في تتبع الأموال المشبوهة داخل المؤسسات المالية مع ضرورة ضمان تعاون المصارف في كشف الحسابات السرية المشبوهة.

المراجع:

القوانين:

1- الدستور الجزائري لسنة 1996 المعدل والمتمم بالقانون رقم 06/16 المؤرخ في 2016/03/06، الجريدة الرسمية العدد 14 بتاريخ 2016./03/07

2- القانون رقم 07/79 المؤرخ في 1979/07/21 المعدل والمتمم بالقانون 10/98 المؤرخ في 1998/08/22 المتضمن قانون الجمارك.

3- القانون رقم 18/04 المؤرخ في 2004/12/25 المتعلق بالوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية وقمع الإتجار غير المشروع بها.

4- القانون رقم 01/05 المؤرخ في 2005/02/06 المعدل والمتمم يتعلق بالوقاية من تبييض الأموال وتمويل الإرهاب ومكافحتهما

5- القانون رقم 01/06 المؤرخ في 2006/02/20 المعدل والمتمم المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته.

6- القانون رقم 04/09 المؤرخ في 2009/08/05 يتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها.

7- الأمر رقم 155/66 المؤرخ في 1966/06/08 المعدل والمتمم المتضمن قانون الإجراءات الجزائية.

8- الأمر رقم 156/66 المؤرخ في 1966/06/08 المعدل والمتمم المتضمن قانون العقوبات.

9- الأمر رقم 06/05 المؤرخ في 2005/08/23 المتعلق بمكافحة التهريب.

10- المرسوم الرئاسي رقم 41/95 المؤرخ في 1995/01/28 يتضمن المصادقة مع التحفظ على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الإتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية، الجريدة الرسمية، العدد 7، لسنة 1995.

11- المرسوم الرئاسي رقم 55/02 المؤرخ في 2002/02/05 المتضمن المصادقة بتحفظ على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية، الجريدة الرسمية، العدد 09 لسنة 2002. واستدراك بالجريدة الرسمية، العدد 71 لسنة 2002.

12- المرسوم الرئاسي رقم 128/04 المؤرخ في 2004/04/19 المتضمن المصادقة بتحفظ على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، الجريدة الرسمية العدد 26 لسنة 2004.

13- المرسوم التنفيذي رقم 127/02 المؤرخ في 2002/04/07 يتضمن إنشاء خلية معالجة الاستعلام المالي وتنظيمها وعملها، الجريدة الرسمية العدد23، لسنة 2002.

الوثائق والاتفاقيات الدولية:

1- اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية، اعتمدت بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 25 الدورة الخامسة والخمسون المؤرخ في 15 نوفمبر 2000.

2- اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الإتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية لعام 1988.

3- اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد لعام 2003.

4- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948 اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة وأصدرته في 1948/12/10.

5- الاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان الموقع عليها في روما بتاريخ 1950/11/04.

المؤلفات:

1-. د/ أحسن بوسقيعة، المنازعات الجمركية، دار النشر النخلة، الجزائر، الطبعة الثانية، 2001.

2- د/ أحسن بوسقيعة المنازعات الجمركية في ضوء الفقه واجتهاد القضاء، دار الحكمة، الجزائر، 1998، ص 42.

3- د/ احمد جلال عزالدين، الملامح العامة للجريمة المنظمة، مركز البحوث والدراسات العامة لشرطة دبي، الإمارات العربية المتحدة، 1996.

4- د/ احمد شوقي الشلقاني، مبادئ الإجراءات الجزائية في التشريع الجزائري، الجزء الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2003.

5- د/ احمد فتحي سرور، الوسيط في قانون الإجراءات الجنائية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993.

6- د/ سليمان عبد المنعم، النظرية العامة لقانون العقوبات، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2000.

7- د/ محمد الأمين البشري، التحقيق في قضايا الجريمة المنظمة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، .1999

8- د/ محمد زكي أبو عامر، الإجراءات الجنائية، منشورات حلبي الحقوقية، بيروت، الطبعة الأولى، .2010

9- د/ محمد شريف بسيوني،الجريمة المنظمة عبر الوطنية، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، .2004

10- د/ محمد عبد الله حسين العاقل،النظام القانوني للجريمة المنظمة عبر الدول، دار النهضة العربية، مصر، 2010.

11- د/ نادر عبد العزيز شافي، نظرات في القانون، ج2، التصنت واعتراض وسائل الاتصال، منشورات حلبي الحقوقية، بيروت، ط1- .2011

12- د /هدى حامد قشقوش، الجريمة المنظمة، القواعد الموضوعية والإجرائية والتعاون الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة،ط1، 2006.

المجلات والمقالات:

1-المستشار/ بن كثير عيسي، الإجراءات الخاصة المطبقة على الجرائم الخطيرة، نشرة القضاة.الجزائر، العدد .63

2-المستشار/ سيدهم مختار، تهريب المخدرات في قانون الجمارك، مجلة الجمارك، دار الثورة الإفريقية، الجزائر، عدد خاص، مارس 1992،

3-د/ دريد بشراوي، التصنت والرقابة على المخابرات السلكية واللاسلكية، بحث منشور في مجلة العدل، بيروت، عدد2، 1997.

4-د/ هشام محمد فريد رستم، الحماية الجنائية لحق الإثبات في صورته، مجلة الدراسات القانونية،العدد 8جوان 1986.

المراجع باللغة الفرنسية:

Article et périodique :

1-Frédéric Debove et François Falletti , Précis de droit pénal et de procédure pénale, 2[ème] édition, presse universitaires de France puff 2007

2- Jean Paul laborde, état de droit et crime organisé, Dalloz, 2005

The contribution of Information and Communication Technology as a reform tool, improving quality services and expenditures control on national healthcare.

Lebrague Mohammed Riad
Laghouat University

Abstract:

The contribution of Digital administration in rationalizing public services management, including healthcare by reducing expenditure percentage on health sector without decreasing the quality of services.

Information and Communication technologies are considered to be an efficient measurement in a sense of driving Heath sector providers to reach their higher levels of performance, ICTs help to add transparency and speed to the movement of information through communication channels, ICT can also provide a rational decision-making process by upgrading from individual to collective decision-making.

Improving the quality of healthcare services can be as well as a result of implementing ICT applications, for instance using a mobile transmissions health devices to keep the on-going doctor patient relationship, and cost reduction tool by following Disease management programs to spread awareness and coordinate between healthcare authorities, suppliers and providers as a medical equipment assembling, production learning techniques.

الملخص:

ساهمت الإدارة الرقمية في التسيير الرشيد لمختلف مصالح الإدارة العمومية بما في ذلك القطاع الصحي من خلال تخفيض نسبة التكاليف المصروفة على المؤسسات الصحية دون المساس بنوعية الخدمات المقدمة.

تعتبر تطبيقات تكنولوجيا الاتصال و المعلومات آلية فعالة في قيادة القطاع الصحي لبلوغ مستويات عليا من الأداء، حيث تساهم في منح ميزة الشفافية و السرعة في انتقال المعلومات عبر قنوات توريد الأدوية والمعدات الاستشفائية، كما يمكن الاعتماد على هذه التطبيقات في ترشيد القرارات وصنعها وذلك بالانتقال من اتخاذ قرار فردي إلى صنع قرارات جماعية لتقليل الأخطاء البشرية وترجيح الرأي الجماعة.

كما أن ثبيت تكنولوجيات الاتصال يساعد في تحسين نوعية الخدمة الصحية عن بعد، من خلال استخدام الأجهزة الطبية المحمولة التي تتيح ميزة البقاء على اتصال دائم بين الأشخاص والأطباء المشرفين، وتخفيض الإنفاق الصحي من خلال إتباع برامج إدارة الأمراض لنشر الوعي الصحي والتنسيق بين المؤسسات الصحية والجهات الموردة للضمان التسيير الرشيد للمخزونات والاستفادة من الخبرات الأجنبية في التصنيع والتجميع للأدوية.

تكنولوجيا المعلومات والاتصال قطاع الصحة والمؤسسات الصحية وسلسلة التوريد ونظام المساعدة على اتخاذ القرار وانفاق على قطاع الصحة ,

Key words:

Information and communication technology: تكنولوجيا المعلومات و الاتصال, Healthcare: قطاع الصحة, Healthcare establishments: المؤسسات الصحية, Supply chain: سلسلة التوريد, Decision-making support system: نظام المساعدة على اتخاذ القرار, Healthcare spending: انفاق على قطاع الصحة,

"Every day we commit our passion, knowledge, and experience to our responsibility to make life better, with outstanding and innovative technology."[1]
Nowadays, technology is implemented in almost every aspect of our daily life; the impact of technology on major industries especially healthcare is very significant.
According to this next table, Health is being demonstrated as the second most searched subject as a sort of utility throughout the virtual world, this proves the importance of the involvement of Technology in healthcare.
Table 1: Major Fields inquired by connected people.

Reasons for people to get connected			
To access entertainment	To access information	To access utilities	To participate in business services
Video	News	Gov't services	E-commerce
Gaming	Jobs	Health	Banking
Music	Sports	Education	Online services
...	...	...	...
To facilitate sharing platforms			
To facilitate communications			

Source: Global IT report 2015, p 40.

The on-going development and improvement of technology has greatly upgraded our lives to mostly better levels; we use technology to control the world in which we live. Technology can be defined as people using knowledge, tools and systems to make their lives and surroundings easier and very comfortable. It can also be known as the knowledge of using tools and machines to do tasks efficiently. It is a fact that technology should enable customers to do more than ever before with better results and lower total cost.
According to well-known organizations throughout the world. Information and Communication Technologies "ICTs" are defined not only as a support tool but also an absolute necessity in terms of strategy.

A brief definition of Information and Communication Technology:

"It refers to anything related to computing technology, such as networking, hardware, software, the Internet or the people that work with these technologies. Many companies now have ICT departments for managing computers, networks, and other technical areas of their businesses. ICT jobs include

[1] Stefan Dräger, Executive Board Chairman at: http://www.draeger.com/sites/enus_us/Pages/Company/Technology-for-Life.aspx

computer programming, network administration, computer engineering, Web development, technical support, and many other related occupations. Since we live in the "Age of information", information technology has become a part of our everyday lives. That means the term "ICT," already highly overused”.[1]

Since all interactive parties in healthcare sector, whether with a direct or an indirect involvement, are convinced of the boost given by ICTs to the industry, in what level the effects of ICTs will appear in our health facilities, hospitals and could their performances be improved?

In business definition, every organization is concerned about many changes in their environment including the constant development, the quality of the service and the cost to achieve their goals; from these points of view and to help answer the main question, we should first ask these three major sub-questions:

1. How could ICTs provide a continuous improvement to healthcare sector?
2. In case of the implementation of ICTs on hospitals and clinics, what would be the positive impacts of their services?
3. In what ways we can notice the contribution of ICTs as tool of lowering expenditure on healthcare without effecting quality?

In the following article, we shall try to mention the involvement of ICTs in the three previous targeted aspects.

I. Utilizing ICTs as a constant developing tool:

Many countries realize that implementing ICTs in health facilities open new and significant opportunities for internal growth; several sectors benefit from data-driven innovation for example diagnosis and treatment, in this section, we shall focus on the efficiency impact of supply chain and decision-making process.

1. ICTs and supply chain efficiency:

The adaptation of Technology in supply chains is taken for several factors, primarily to enhance the standards of services and cost reduction system.

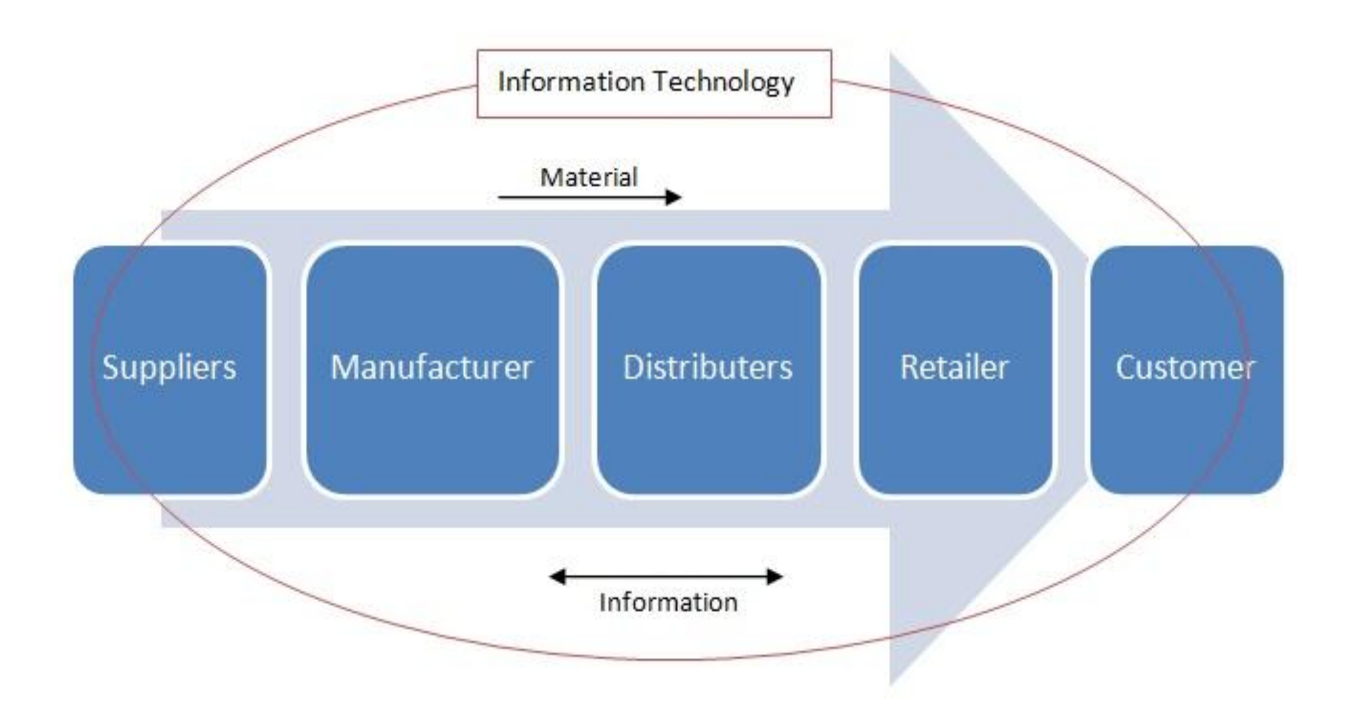
Leaders in healthcare sector could help by using Information technology to harness the power of tech-application to gather information and data, as well as managing operations in separate facilities. IT can improve the supply chain system by make sure that adequate quantities and quality of medicines, drugs and equipment are available at the moment of need.

Researchers have stated the significant importance of managerial skills as a key part in supply chain process are ought to play the strongest role in establishing an IT value, which enable adaptations on supply chain tasks and allow organization strategy to accommodate the use of ICT.

In the past decades, and after paper-based methods were used here in Algeria, the supply chain definition concept changed from “movement of physical material from point of origin to point of consumption” to become recently known as “movement of material and information in the value chain”. The

[1] TechTerms.com, IT, seen at: 29/06/2015, http://techterms.com/definition/IT.

reason behind this, is that organizations have realized the information smoothness flow increases the entire supply chain to be more efficient. Nowadays all information related to healthcare supply chain are extracted, processed and stored in most professional manner using ICT derivatives. This procedure has become a habit and a must go through process, since other facilities whom adopted this method reported a notable advantage and gain.
Researchers concluded that ICT can generate more value. Particularly, the value is created through effective use of technology to upgrade upper stream, downstream and internal operations.
Figure 1: The flow of material and information under Information Technology-



based method.

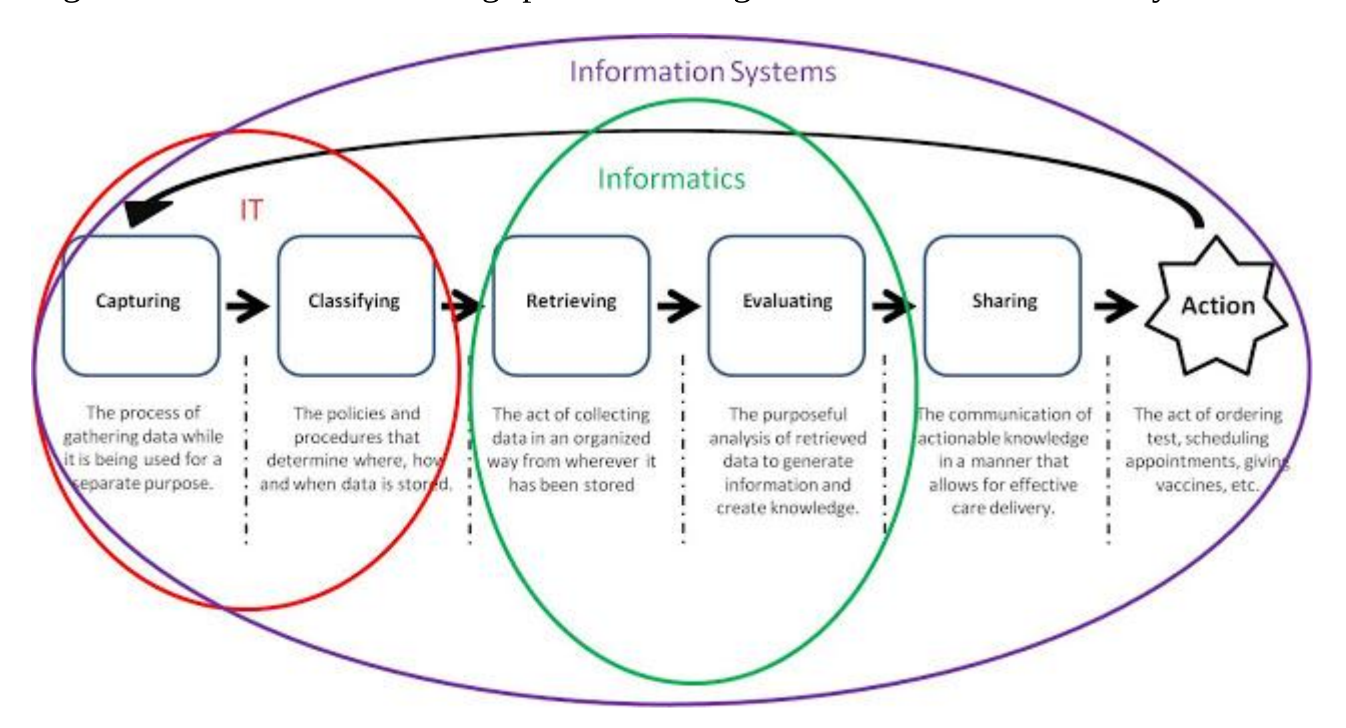
Source: http://www.mbaskool.com/business-articles/operations/1241-information-technology-transforming-supply-chain.html

Information and communication technology can put in disposal all the wanted measurements and tools to smooth the flow of information in order to support coordination and collaboration. Overall, in the above diagram, materials as medicines and supplies flows from left to right. Whereas, information sharing is required by both ways as a feedback.

2. ICTs and Decision Support System:

Health Information Technology “HIT” is considered to be the ultimate source for decision-making, although it is not sufficient. Decision makers need the right combination hardware, software, platform and trained staff in HIT. These major decision-making support system tools “DSS” shall guarantee an accurate and transparent call, which will ultimately boost the sector towards better services.

More importantly ICTs should enable an effective Group Decision-Making Support System "Group DSS", which will reduce single personal decisions errors.
The focus must be maintained on ensuring that knowledge for improved decision-making is made available not only to healthcare staff, but to patients as well.
Figure 2: A decision-making plan involving IT in an information system



environment.

Source: http://www.johnshowaltermd.com/2011_03_01_archive.html

The following case scenario explain how the Health department in Hong Kong applied an information system technology after the spread of virus Severe Acute Respiratory Syndrome "SARS", which helped to make more efficient and correct decisions in similar cases in the future.

"After the SARS outbreak of 2003, the Department of Health in Hong Kong modernized its analytics to link many different systems for a better flow of information. In essence, the department took massive amounts of diverse data and linked them together in a social network that took into account how people interact and where. Once these social networks are mapped, the department can identify hotspots to forecast where disease is likely to spread next. Where an outbreak originates determines how it will affect the population, so predicting infection paths shows where and how to deploy resources for maximum effectiveness. The department is now better prepared to fight the next health

emergencies, including a more recent outbreak of Dengue fever. Similar analytics approaches are now being used around the world."[1]

In the following table, we shall see the implication from applying ICT on the most recognized managing systems within an organization, and how healthcare facilities, hospitals and clinics will benefit from it as Decision-Making Support System "DSS".

Table 2: Supply Chain ICTs Applications

	Typical Applications	**Application Focus**	**Contribution to Competitiveness**
Transaction	• Enterprise Resource Planning (ERP) • Warehouse Management Systems (WMS) • Transportation Management Systems (TMS)	• Accuracy • Consistency • Economies of scale • Efficiency	• Required to support business operations today
Communication	• Supply Chain Event Management (SCEM) • Radio-Frequency Identification (RFID) • Collaborative Planning, Forecasting and Replenishment (CPFR)	• Accuracy • Coordination • Speed of communication • Visibility	• May maintain position relative to competitors but will not be a sustainable competitive advantage
Relationship Management	• Customer Relationship Management (CRM) • Advanced Planning and Scheduling (APS)	• Customer relevance • Resource utilization • Responsiveness	• Can provide extended competitive advantage by achieving more precise customer service capability and better resource utilization

Source: Logistics Quarterly, Official Magazine of The Logistics Institute, September 2007.

II. Implementing ICTs to improve healthcare services:

Integrating and connecting ICTs will strengthen people to live healthier lives and to actively participate in further required treatments. The continuous care allow patients to obtain self-health responsibility towards each other more efficiently throughout time. Moreover, technological devices both mobile and connected will also play an important role to maintain communication and interactivity between patients and doctors despite the distance and timing issues.

[1] World economic forum, Global IT report 2015,p82.

Health diagnosis devices have been designed to keep the constant flow of information, by creating an accessible information platform either nationally or internationally between developed and developing countries, as a result, healthcare management shall be easier than ever before.

1. The use of status monitoring devices:

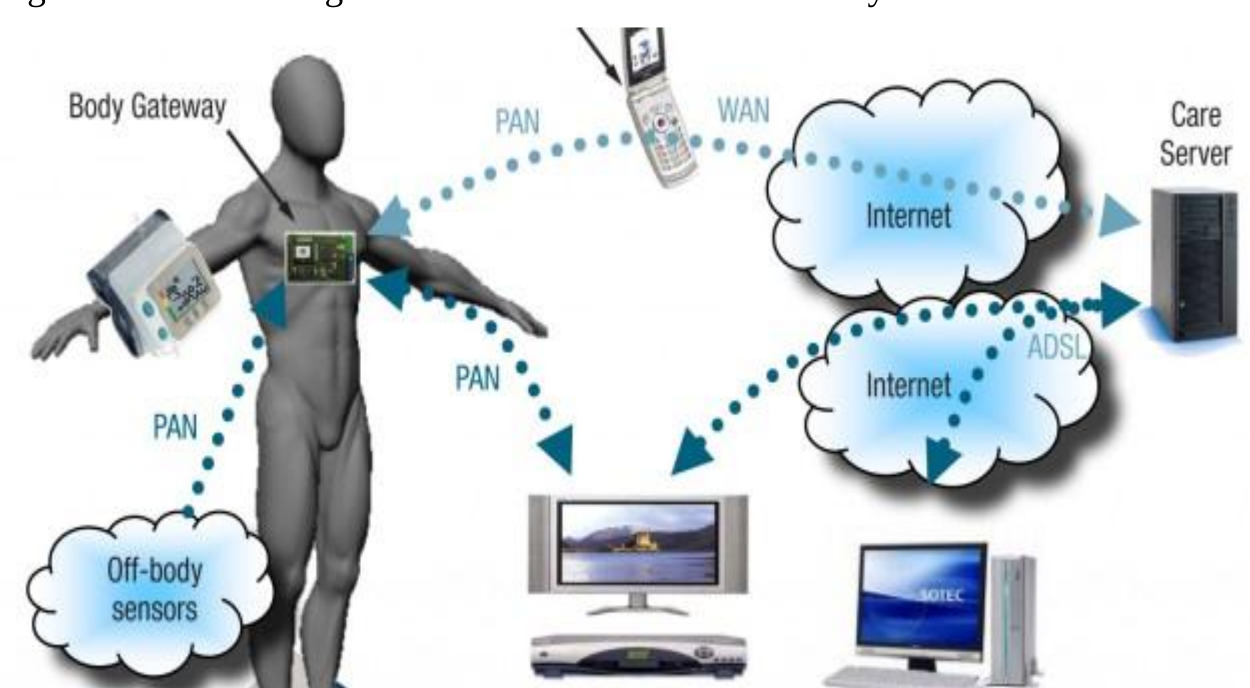
Medical devices, nowadays, are a great procedure to gather data about individuals' healthcare. In developed countries, these wide range of products, from simple bandages to the most sophisticated life-support equipment, are the most dependable source of information for diagnosis, preventing illness and treatment. The diverse and continuous upgrade of healthcare grant a significant enhancement of quality and efficiency to it, it also helps improve the quality of life of those with disabilities.

Wearable medical devices, which present a small percentage of medical devices, offer a vast advantage in monitoring and early-detection of symptoms. Promote public health, and boost health self-care.

Health monitoring system combine electronic medical devices include a suite of responsive sensors and integrated variety of components will contribute on information gathering, processing and storage, also known as Body Gate Way "BGW".

The next diagram illustrates an overview of wearable sensors that monitor vital signs and physiological parameters such as electrocardiogram (ECG), heart rate, body activity, blood pressure and weight. data will be transmitted for analysis by doctors and specialists.

Figure 3: A monitoring sensor suit and data transmission system.



Source: The Body Gateway: mHealth Platform for Wearable Devices, Vanni Saviotti, STMicroelectronics, Medsmagazine, january 2012.

Large, medium and small companies are seeing an unmissable opportunities to penetrate Health Monitoring Devices Market, the lucrative chances have driven a vast number of active companies in information and communication technology to invest a large amount of capital in this field, to name few of them for instance GOOGLE, DEL, GE ..etc.

"The global market for health ICT products and services is estimated at US$ 96 billion and growing. In Europe, this sector includes a number of large European-based companies as well as an estimated 5,000 small- and medium-sized enterprises "SMEs" operating in various subsectors of e-health. E-health is considered one of the six most promising lead markets of the European Union. Greater adoption of health ICTs is, therefore, projected to increase the demand for developers and skilled workers to implement, support, and use these technologies."[1]

2. Improving Doctor-Patient and Doctor-Doctor relationship:

Doctors-Patient relationship approach "involves physicians understanding the patients' perspectives, being responsive to the needs of patients (and in some cases their families), and sharing treatment-relevant power with patients and their families."[2] This care-based relationship includes reference not only to doctor-patient-doctor liaisons but also to other patient-practitioner relationships and amongst clinicians working together for patients' benefit.

In this subject, we could state that ICTs shall permit the establishment of Doctor-Dorctor relationship as well, and it could appear in background check ups, consulting meetings to exchange information, expertise and decision-making … etc. The following chart demonstrate a general overview of a similar situation.

Figure 4: Doctor-Doctor relationship throughout ICTs applications.



[1] World economic forum The Global Information Technology Report 2013, p81.

[2] Williams GC, Frankel RM, Campbell TL, Deci EL, et al. Research on relationship-centered care and healthcare outcomes from the Rochester biopsychosocial program: a self-determination theory integration. Families, systems & health. J Collab Fam HealthCare. 2000;18:79–90.

Source: http://file.scirp.org/Html/7-2680048_42397.htm

"This figure depicts how digital technologies such as the internet, online networks, mobile devices, tracking devices can facilitate the collection of different sources of information in life sciences and medicine. With advances in Information Technology (IT), data obtained from clinical (left lower side), research (centre up), different mobile/tracking devices (left middle side) and information from public institutions (left upper side) and private companies/databases (right upper side) have been accumulating in "in house" servers and in the cloud (centre). All this "big data" can now be stored and shared using online tools and networking. This new concept enables data and models to be shared by health professionals and patient communities in an open-source manner. The collected data is secured by encryption/de-identification and analysed using different tools such as bioinformatics, biostatistics and computational predictive models to facilitate personalized medicine decisions. Clinical reports for translational medicine are generated and could be used in the clinic by health professionals in order to improve patient care. Abbreviations: EMR: Electronic Medical Record, EHR: Electronic Health Record, HGB: Human Genome Browser; HIE: Health Information Exchange, WGS: Whole Genome Sequencing, FDA: Food and Drug Administration, HIPPA: Health Insurance Portability and Accountability Act, NCBI: National Centre for Biotechnology Information. Figure design by Eduardo B. F. Junior."[1]

Maintaining an developing an E-health relationship rely on an effective flow of data, either objectively or subjectively, and could take many forms verbal, visual, emotional or tactile. The information exchange between recipients and healthcare providers may have been initiated from numerous sources, including people, medical records, reports, articles, the web, and other mass media sources; basically all ICT applications. Which these measurements shall definitely increase productivity, upgrade services' quality in a shorter period of time with a lower cost.

III. The role of technology in healthcare cost reduction:

Many healthcare authorities accept the inevitable decisions to decrease hospitals and health centres budget without affecting their services' quality, this would be a hard formula to set up, and it demands highly trained staff and professional equipment to deploy.

The fundamental reason, healthcare providers are unable to reverse, is that they struggle to understand what the actual cost to deliver a patient care. Therefore, few health care providers calculated the actual costs for treating a given patient with a given medical condition over a full cycle of care, compared to the outcome results. It is a fact that you can not control and develop what can not be measured, especially in health care. Nevertheless, all what have been said

[1] http://file.scirp.org/Html/7-2680048_42397.htm

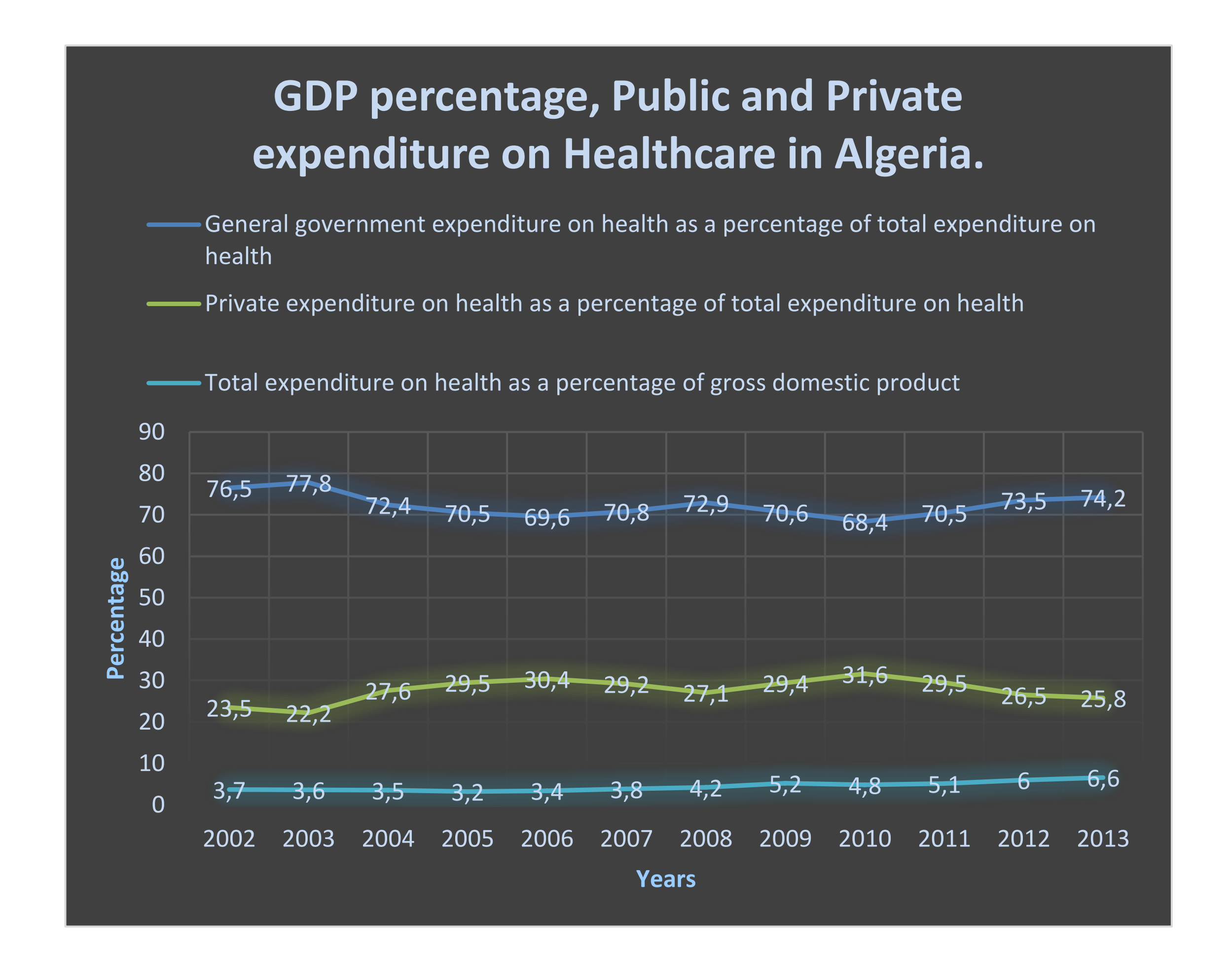
previously could be fixed by exploring the perception of value in healthcare and evaluating its costs cautiously.

"In 2014, the United States is likely to spend more than US$3 trillion on healthcare (almost the equivalent of Germany's entire gross domestic product, or GDP); this figure could rise to around US$4.5 trillion by 2020.2 In the Organisation for Economic Co-operation and Development (OECD) countries, combined public health and long-term care expenditure was around 6 per cent of GDP on average in 2013. This is projected to reach 9.5 per cent in 2060, assuming countries take cost containment measures. With no action on spending, the figure could reach 14 per cent of GDP."[1]

As for Algeria, and according to the World Health Organization "WHO", the expenditure on healthcare is estimated to be 6.6 per cent of the total GDP in the year 2013.[2]

The following graph shows the percentage of public and private funds spent on health sector as well as the total proportion of GDP.

Figure 5: GDP percentage, Public and Private Expenditure on Healthcare in Algeria.



[1] Global IT Report 2015, p87

[2] http://www.who.int/countries/dza/en/

Source: Graph made by the researcher according to World Health Organization, Health Statistics.

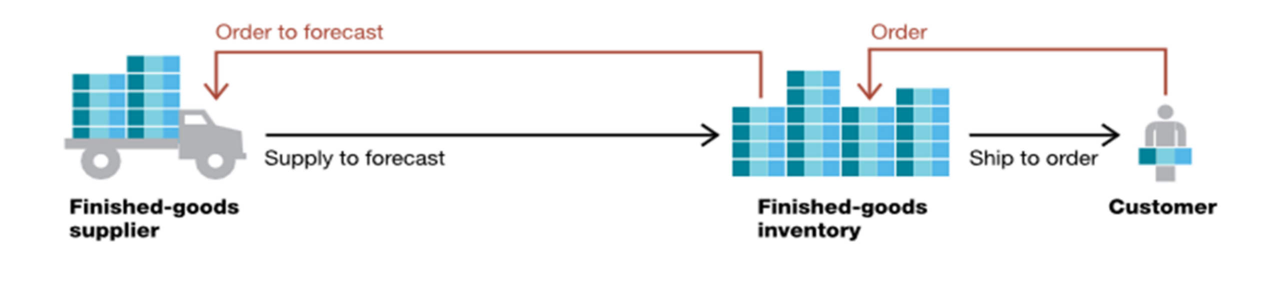
We shall present a few cases, where developed countries applied structural measurements and reforms to cut spending and increase quality at the same time:

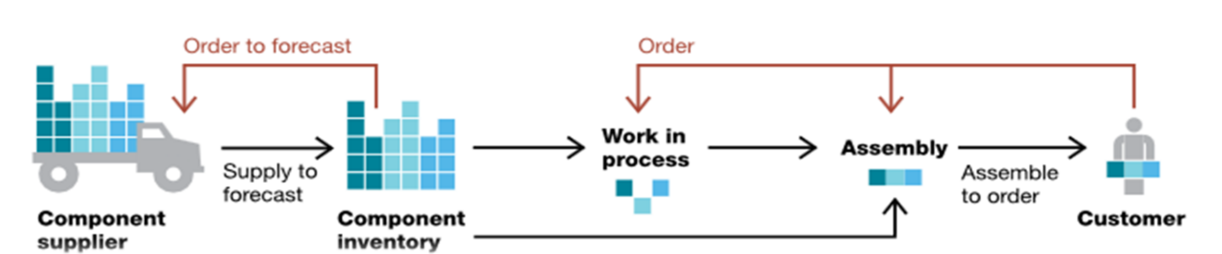
✓ Most developed countries are depending on Disease Management Programs "DMPs" to prevent illnesses from spreading as a money saving technic.

Eleven years ago, "Germany begun implementing "DMPs" nationwide to improve the care delivered to patient with chronic conditions. It is "diabetes DMP", the first to get off the ground, has already lowered the hospitalization rate substantially and reduced per-patient costs."[1]

✓ Re-updating supply chain to suit healthcare facilities, so that budget spent will become less and take advantage of the situation to develop inner supply stations, this diagram explains the general idea of how it can be done about this matter.

Figure 6: Setting up a suitable supply chain system.





Source:
http://www.mckinsey.com/insights/operations/building_the_supply_chain_of_the_future

✓ Another example to reduce capital spent on healthcare from Germany's prospective: Franz Knieps, director general for public health care, health insurance, and long-term care insurance in the German Federal Ministry of

[1] Health International Mag, number 10, 2010, p08.

Health: "Our goal was to give pharmaceutical companies an incentive to concentrate on innovation and not simply to produce follow-on medications. Reference pricing does not prevent a pharmaceutical company from demanding more money for a given drug, nor does it prevent a doctor from prescribing that drug. However, the doctor would have to explain to patients why that drug is necessary."[1]

✓ Mobile monitoring devices' financial benefits are considerably vital, "It has been estimated that medical monitoring will save the United States about $197 billion by preventing adverse effects of chronic disease over the next 25 years."[2]
✓ When it comes to saving money, most healthcare organizations concentrate on cuts on budget and forget about reducing wasted services and products, "A staggering statistics such as the US$1 trillion of waste in the US healthcare system, nearly 80,000 preventable deaths a year, and another 1.5 million people injured by medications. An analytics project that delivers even a 1 per cent improvement can make a huge difference in costs, care, and peoples' lives."[3]
✓ In healthcare, our Jordan Healthcare Initiative is an example of how broadband can connect medical specialists to patients at rural hospitals, saving patients the time and expense of travel and enabling doctors and specialists to collaborate on patient care. Technology can multiply positive impacts for society and through networks, both people and technology Together can make amazing positive transition.
When it comes to enhancing well-being, the opportunities before us are immense. The healthcare industry is only scratching the surface of the value that lies within all the available data. Even tiny improvements in terms of percentage can yield big numbers And a healthier population frees more people to contribute to driving economic growth.

Conclusion:

Over the last century, Information and Communication technology developments have enriched people's lives and stretched global life expectancies, Economy and healthcare growth develop respectively as a consequence. Better health will improve productivity and educational accomplishment. It should also enable individuals to enjoy the fruits of progress and contribute to more development; So that everyone would have the

---

[1] http://www.mckinsey.com/insights/health_systems_and_services/how_germany_is_reining_in_health_care_costs an_interview_with_franz_knieps

[2] LItan R. Vital Signs Via Broadband: Remote Health Monitoring Transmits Savings, Enhances Lives.Available at: http://www.betterhealthcaretogether.org/www/docs/broadband.pdf

[3] Dulin, M., C. Hugh-Jones, M. Pitts, and G. Hughes. 2013. "Applying Data to Improve Patient-Centric and Personalized Medicine." Conclusions Paper presented to the 10th Annual SAS Health Care & Life Sciences Executive Conference Health Analytics: From Big Insights to Big Breakthroughs. SAS Institute, Inc.

possibility to access the best offered possible care, for themselves and their loved ones. However, this vision is becoming harder to achieve. In spite of the global struggle of healthcare towards unmanageable pressure from rising demand and costs.

ICT is one of the prime driving forces for adjustment, Health science field is not spared from the progress of information and communication technology. As an outcome, the healthcare sector is becoming a more information and communication-based community than ever, by its connection to health facilities from hospitals, clinics, pharmacies to customers for sharing information, reducing costs and improving the quality of care.

Our study concluded a few results related to this subject, naming most relevant:

✓ Information and communication technologies play a very important function in any healthcare division.

✓ Using ICTs as channel to facilitate communication and information movement.

✓ Relying on ICT as a gathering, treating and storing data tool.

✓ The significant support role ICTs provide for Decision-making and improving transparent supply chains for better outcomes.

✓ Implementing ICTs applications eliminate communication barriers, for more fluent and flexible channels between doctors and patients.

✓ IC Technologies, if used properly, should save health establishments a considerable amount of expenditure.

✓ It also cut losses and wasted materials and supplies, by identifying the real sections where loss is being made.

✓ ICTs shall propose a national and international alliance opportunities in a sense of information and expertise is shared as well as future collaboration.

From these previous reached results, it would be preferable to point out few recommended procedure, for the national healthcare sector to adopt:

✓ Healthcare authorities should put in service information technology tools for more efficient management.

✓ Using ICT tools to run Disease programs as a prevention and awareness campaign, to keep people out of hospitals and clinics.

✓ Saving time and funds when depending on mobile technological devices to stay connected with their doctors and health supervisors.

✓ Setting up internal communication system to facilitate the making and flow of both decisions and information.

✓ External alliance should appear in cooperation deals with suppliers and providers, as well as all authorities and agencies related to healthcare.

✓ ICT systems can be considered as a cost reduction technique by highlighting the unnecessary services and tasks that causing money drain for the government.

✓ Building up a win-win relationship with communities, charities and societies for awareness.

✓ Involving small and medium sized enterprises “SMEs” to take a supporting role to rationalize government spending.

References:

1. Williams GC, Frankel RM, Campbell TL, Deci EL, et al. Research on relationship-centered care and healthcare outcomes from the Rochester biopsychosocial program: a self-determination theory integration. Families, systems & health. J Collab Fam HealthCare. 2000.
2. Thomas Goetz, executive editor or Wired and author of "The Decision Tree: Taking Control of Your Health in the New Era of Personalized Medicine" articulates a great argument that the end user of health information systems should be the patient.
3. Malloch K, Sluyter D, Moore N, et al. Relationship-centered care: achieving true value in healthcare. J Nurs Admin. 2000.
4. Peter B. Southard, Soongoo Hong, Keng Siau Information Technology in the Health Care Industry, Proceedings of the 33rd Hawaii International Conference on System Sciences - 2000
5. Jean P. Drouin, Viktor Hediger, and Nicolaus Henke, Health care costs: A market-based view, The Mckinsey Quarterly, Health care, September 2008.
6. World Health Organization, World Health Statistics Report 2014.
7. Oscar Boldt-Christmas, Jonathan Dimson and Christian Kloss, Supply and demand strategies for lowering spending on hospitals, Health International 2010, number 10.
8. Nisha Kaul Cooch, Advances and Benefits of Medical Monitoring, Digital Health, p01.
9. Shutao Dong, Sean Xin Xu and Kevin Xiaoguo Zhu, Information Technology in Supply Chains: The Value of IT-Enabled Resources Under Competition, March 2009, pp 18–32.
10. World economic forum, Global IT report 2013.
11. World economic forum, Global IT report 2014.
12. World economic forum, Global IT report 2015.
13. Ivo Vlaev, Ara Darzi, Steve Beales, Michael Hallsworth, Dominic King and Michael Macdonnell, The Five Bad Habits of Healthcare How New Thinking about Behaviour Could Reduce Health Spending, Imperial College London, November 2011.

Normes Algériennes d'audit, contexte et contenu.

Mme. Kazouz Rafika - Pr. Salah Elyas
Université Djillali Liabès

Résumé :
L'audit financier a pour objectif d'assurer la fiabilité de l'information financière présentée dans les états financiers des entreprises afin de sauvegarder l'intérêt général de ses différents utilisateurs (actionnaires, institutions financières, état, clients, investisseurs…). L'importance de l'audit dans la vie économique a incité les spécialistes dans le domaine d'organiser et essayer d'unifier la profession à travers l'émission de normes internationales d'audit (ISA). Ces dernières ont été adoptées par l'Algérie par l'émission de Douze (12) normes d'audit, dans le but de développer et annuler la divergence dans la pratique de l'audit financier en Algérie.
Le but de notre étude de présenter et de discuter le contenu et l'importance des quatre premières normes algériennes d'audit à savoir la norme NAA 210 : Accord sur les termes des missions d'audit, la norme NAA 505 : confirmations externes, la norme NAA 560 : événements postérieurs à la date de clôture et la norme NAA 580 : événements postérieurs à la date de clôture.
Mots clés : Audit financier, normalisation, norme internationale d'audit (ISA), normes algériennes d'audit (NAA).

الملخص:
تهدف مهنة التدقيق المالي إلى ضمان شفافية المعلومة المالية المعروضة في القوائم المالية للمؤسسات، و بالتالي ضمان مصالح مختلف الأطراف المستخدمة لهذه المعلومة. أهمية التدقيق المالي في بيئة الأعمال، كان دافع للهيئات ذات الصلة للقيام بدراسات لضبط المهنة على المستوى الدولي و توحيدها نسبيا، من خلال إصدار معايير تحكمها أثناء التطبيق. تجسد هذا في طرح معايير التدقيق الدولية ISA. بالمقابل، قامت الجزائر بتبني هذه المعايير الدولية من خلال إصدارها لاثني عشر (12) معيارا للتدقيق، بهدف توحيد و الارتقاء بممارسة مهنة التدقيق المالي في الجزائر.
الهدف من دراستنا يتمثل في إبراز محتوى و أهمية أربع أول معايير تدقيق صادرة محليا، و التي تتمثل في كل من: المعيار (NAA 210) اتفاق حول مهام التدقيق، المعيار (NAA 505) التأكيدات الخارجية، المعيار (NAA 560) أحداث تقع بعد إقفال الحسابات و الأحداث اللاحقة، و المعيار (NAA 580) التصريحات الكتابية.
الكلمات المفتاحية: التدقيق المالي، إصدار معايير، معايير الدولية للتدقيق ، معايير الجزائرية للتدقيق (NAA).

Summary:
Financial Audit aims to guarantee transparency of the information contained within the financial statements of institutions, therefore protecting the interests of all parties involved. The importance of Financial Audit in the business environment was the main motivation for the relevant organizations to do research on regulating this profession internationally, and relatively unifying these regulations through creating standards for application.

That was embodied in the International Standards on Auditing (ISA), Algeria adopted these standards by issuing twelve (12) standards for auditing, at the aim of uniting and improving the financial audit profession in Algeria.
The purpose of our study is to show the content and importance of the first four auditing standards issued locally, which are:
The standard (NAA 210) Agreement on Auditing Tasks, the standard (NAA 505) Foreign Confirmations, the standard (NAA 560) Events occurring after closure of accounts and the standard (NAA 580) Written Statements.

Introduction :

L'auditeur est certes aujourd'hui l'un des acteurs essentiels dans la vie économique des entreprises. Le terme « audit » est utilisé souvent en parallèle avec la comptabilité, mais chronologiquement, il est apparu comme discipline après la naissance et le développement de cette discipline avec ses principes et ses théories. Ainsi, la mission de l'auditeur commence après l'achèvement du travail du comptable ; ce type d'audit est appelé « audit comptable et financier », exercé par les professionnels d'audit à savoir les commissaires aux comptes.
Dans l'exercice de leurs missions et afin de réaliser leurs objectifs, les auditeurs doivent suivre des règles précises connues et acceptées à la fois par les émetteurs et récepteurs de l'information financière : les normes d'audit. Ces dernières régissent leurs pratiques, tout comme la comptabilité qui est organisée par des normes de comptabilité.
A l'échelle internationale, l'organisme normalisateur dans les domaines de la comptabilité et l'audit est la Fédération Internationale des comptables (IFAC) qui, à travers ces deux comités, publie et modifie en permanence des normes de comptabilité et d'audit. L'IASB est d'abord chargé de réaliser et d'émettre les normes internationales d'informations financière (IFRS) et, à travers l'IAASB, les **Normes Internationales d'Audit** (**ISA**) sont publiées ; ces dernière représentent l'un des mots clé de notre étude.
En Algérie, après l'adoption de l'économie de marché, plusieurs réformes économiques et financières ont été amorcées, et d'autres sont en cours de réalisation. Dans le domaine de la comptabilité, l'adoption des normes internationales de comptabilités (IAS/IFRS) a été faite à travers le passage du plan comptable national (PCN) au système comptable et financier (SCF) par la loi[1] 07-11 qui est rentré en application le 01 janvier 2010. Cette adoption avait un double objectif, celui d'améliorer la tenue et la pratique de la comptabilité et en même temps, de rapprocher la comptabilité nationale de la comptabilité internationale, ce qui permettrait de faciliter la lecture des états financiers des entreprises algériennes par les étrangers (investisseurs, organismes internationaux …)Ensuite, afin d'assurer la bonne application de ces nouvelles normes de comptabilité et, dans le souci de sauvegarder l'intérêt général, c'est-

[1] Loi n 07-11 du 25 novembre 2017, portant système comptable et financier.

à-dire l'intérêt des actionnaires et différents tiers qui sont intéressés par l'information financière, des normes internationales d'audit sont en cours d'adoption, à travers l'émission de **Normes Algériennes d'Audit (NAA).** Douze (12) normes ont été émises et d'autres sont en cours d'émission. Dans cette étude, nous allons traiter le contenu et l'importance des quatre premières normes d'audit émises, qui sont :

- La norme **NAA 210** : accord sur les termes des missions d'audit ;
- La norme **NAA 505** : confirmations externes ;
- La norme **NAA 560** : événements postérieurs à la clôture ;
- La norme **NAA 580** : déclarations écrites.

Ces différentes normes doivent être appliquées par les 2035 commissaires aux comptes algériens recensés en 2017[1] dans le but évidemment d'assurer la fiabilité, la pertinence et la loyauté de l'information financière élaborée et présentée par les entreprises algériennes.

Dans cette étude, nous nous sommes basé sur la problématique suivante :

Après l'émission des premières Normes Algériennes d'Audit, quel est le contenu et l'importance de ces normes ?

Afin de répondre à cette problématique, nous allons aborder :

1. Les concepts de norme et d'audit

Il est important de rappeler la définition de la notion de norme puisque elle est considérée comme un terme clé de notre recherche. Une norme peut être définie d'une manière générale et simple à la fois par une règle, un principe ou un critère auquel se réfère tout jugement. C'est aussi l'ensemble des règles de conduite qui s'imposent à un groupe social. (Définition du Larousse).

L'International Organization for Standardization (ISO) donne la définition officielle suivante de la norme: « La *norme* est un document établi par *consensus* et approuvé par un organisme reconnu qui fournit pour des usages communs et répétés, des règles, des lignes directrices ou des caractéristiques pour des activités ou leur résultats, garantissant un niveau d'ordre optimal dans un contexte donné ».

Dans le contexte de l'audit financier, qui est un domaine très important et particulier à la fois, la mission d'audit des états financier a, selon l'International Federation of Accountants (IFAC) pour objectif: « … de permettre à l'auditeur d'exprimer une opinion selon laquelle les états financiers ont été établis, dans tous les aspects significatifs, conformément à un référentiel comptable identifié ». De fait, l'examen auquel procède un professionnel compétent et indépendant vise fondamentalement l'expression d'une opinion motivée sur la régularité et la sincérité des états financiers

[1] Communiqué du 02/01/2017 Fixant les listes des professionnels inscrits aux tableaux de l'ordre National des experts comptables, la chambre nationale des commissaires aux comptes et de l'organisation nationale des comptables agrées au titre de l'exercice 2017.

Généralement, les définitions de l'audit données par les auteurs convergent vers une mission d'opinion[1], confiée à un professionnel « indépendant » (auditeur interne ou externe), utilisant une méthodologie spécifique et justifiant d'un niveau de diligence acceptable par rapport ***à des normes***

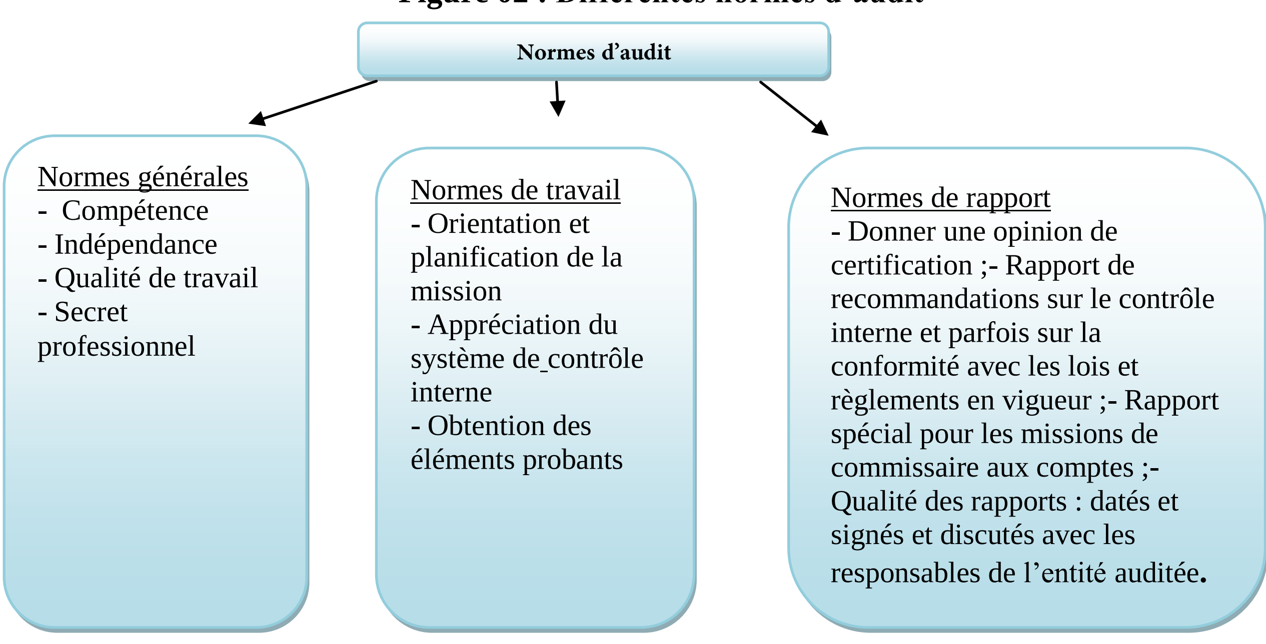
2. **Nécessité et types de normes d'audit :**Pour réaliser une mission d'audit, les professionnels doivent nécessairement respecter des normes dans leurs pratiques. L'objectif de ces normes est de définir à la fois la démarche d'audit et l'organisation de leurs missions. Le respect de ces normes est essentiel pour que les auditeurs puissent s'acquitter de leurs responsabilités.

Les normes d'audit sont définies comme : « l'ensemble des règles que le commissaire aux comptes doit respecter dans l'exercice de ses missions »[2]. Le besoin d'émettre un référentiel normatif international est venu afin de réaliser le double but d'unifier à la fois [3] la profession d'audit au niveau international ainsi que la pratique de l'audit par les professionnels.

L'IFAC, organisme normalisateur international, a édicté les normes internationales d'audit (ISA) appelées à être appliquées sur un niveau mondial dans les pratiques d'audit comptable et financier. Ces normes utilisées par les auditeurs peuvent être classées dans trois catégories tel que montré dans la figure ci-après ; elles constituent le cadre générale pour une mission d'audit:

- Les normes générales ou de comportement,
- Les normes de travail (qui régissent la nature et l'étendue du travail),
- Les normes de rapport

Figure 02 : Différentes normes d'audit



[1] Robert OBERT, et Marie-Pierre MAIRESSE, Comptabilité et audit, manuel et applications, édition Dunod, 4 éd, Paris, 2012, p 418.

[2] https://www.cncc.fr/la-reglementation.html

[3] Charron Claude : Pourquoi des normes d':audit, revue française de comptabilité, n° 236 , octobre 2000,P :05.

Source : O. Ray Whittington, Kurt Pany: principles of auditing, twelfth edition, McGraw-Hill, New York, 1998, p37

2.1- Les normes générales :

La mission d'audit est considérée comme mission qui a ses spécificités.

2.1.1- L'indépendance :

Le commissaire aux comptes doit exercer sa profession et sa mission de d'audit légal en toute indépendance et probité[1].

Le dictionnaire définit l'indépendance comme ; « état de quelqu'un, d'un groupe qui juge, décide, etc., en toute impartialité, sans se laisser influencer par ses appartenances politiques, religieuses, par des pressions extérieures ou par ses intérêts propres »[2].

L'auditeur doit, selon cette définition, non seulement être indépendant dans son comportement mais aussi, il doit apparaitre indépendant aussi aux yeux tiers ; ces derniers étant généralement les utilisateurs du rapport de l'auditeur (actionnaires, état, institutions financières, investisseurs…).

L'auditeur doit de ce fait avoir conscience des facteurs de risques susceptibles de menacer son indépendance[3].

2.1.2- Le secret professionnel :

Les auditeurs ainsi que leurs collaborateurs doivent garder le secret toutes des informations qui concernent leurs clients, plus précisément le secret de leurs affaires. Pour qu'une information soit couverte par le secret professionnel, deux conditions doivent être réunies[4] :

- L'information doit être obtenue par l'auditeur dans l'exercice de sa profession ;
- Elle doit également revêtir un caractère secret.

2.1.2- La qualité de travail :

L'auditeur doit fournir les efforts nécessaires et mobiliser tout les outils pour l'accomplissement de sa mission dans de bonnes conditions, et afin de pouvoir donner un jugement objectif sur la sincérité des états financiers de l'entreprise qui doivent normalement refléter la situation financière réelle de l'entreprise.

2.2 - Les normes de travail :

Comme le montre la définition d'audit ci-dessus, une mission d'audit financier conduit à une certification des états financiers de l'entreprise auditée. Pour ce faire, l'auditeur doit respecter un ensemble de normes appelées : les normes de travail qui traite le déroulement de la mission d'audit, y compris :

- Orientation et la planification de la mission d'audit ;
- Evaluation du système de contrôle interne

---

[1] Art 3, loi n 10-01 du 29 juin 2010 relative aux professions d'expert-comptable, de commissaire aux comptes et de comptable agréé (Journal Officiel n 42, du 11 juillet 2010).

[2]http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais

[3] Antoine MERCIER et Philipe MERLE, audit et commissariat aux comptes, guide de l'auditeur et de l'audité, éd FRANCIS LEFEBVRE, France,2010,p118.

[4] Op cit, p 161.

- Obtention des éléments probants

2.2.1- Orientation et planification de la mission d'audit

Chaque auditeur doit planifier correctement sa mission d'audit, en ce qui concerne le temps, l'équipe de l'audit, les services et activités d'entreprise concernés par la mission d'audit, etc…

- Désigner l'équipe d'audit qui va mener cette mission, c'est-à-dire l'auditeur principal et ses assistants ;
- Les objectifs de la mission d'audit ;
- Les différentes activités, ainsi que les services principaux qui font l'objet de la mission d'audit ;
- Le temps nécessaire pour accomplir cette mission ;
- Le budget inhérent à cette mission (hébergement, transport… ;
- Les documents nécessaires pour l'accomplissement de cette mission ;
- Et enfin, la lettre ou l'ordre de mission qui doit être établi par la direction de l'entreprise.

L'établissement d'un plan de mission peut être considéré comme un outil de contrôle de l'auditeur afin de s'assurer que le programme de la mission d'audit a été exécuté par ses collaborateurs et assistants d'une manière juste et correcte.

2.2.2- Evaluation du système de contrôle interne

A partir de l'étape précédente qui consiste à orienter et planifier la mission, l'auditeur doit passer à la deuxième étape qui représente aussi la seconde étape de la mission d'audit qui est l'évaluation du système de contrôle interne. Ce dernier est défini officiellement par IIA comme « *Une activité indépendante et objective qui donne à une organisation une assurance sur le degré de maitrise de ses opérations, lui apporte ses conseils pour les améliorer, et contribue à créer de la valeur ajoutée. Il aide cette organisation à atteindre ses objectifs en évaluant, par une approche systématique et méthodique, ses processus de management des risques, de contrôle et de gouvernement d'entreprise et en faisant des propositions pour renforcer son efficacité*[1] ».

Les objectifs du contrôle interne sont[2] :

- Le respect des politiques de gestion ;
- La sauvegarde des actifs ;
- La prévention et la détection des fraudes et erreurs ;
- L'exactitude et l'exhaustivité des enregistrements comptables ;
- L'établissement en temps voulu d'informations comptables et financières fiables.

L'évaluation du système de contrôle interne a pour objectif de déterminer les points forts et faibles de ce système. Cet objectif conduit d'une part l'auditeur à identifier les contrôles internes sur lesquels il va s'appuyer, et d'autre part à

---

[1] Jacques Renard et autres Théorie et pratique de l'audit interne, éd Eyrolles, 6 éd, paris,2008,p 51.
[2] Robert OBERT et Marie-Pierre MAIRESSE, op cit ,p534-535.

définir l'étendue de son contrôle des comptes. Pour évaluer ce système, l'auditeur utilise un ensemble d'outils tels que :
-Le contrôle sur pièces;
-Le contrôle de vraisemblance ;
- L'observation physique;
-La confirmation directe ;
-L'examen analytique ;
-Les sondages

2.2.3- L'Obtention des éléments probants

Afin de formuler un jugement objectif et motivé sur la sincérité des états financiers, l'auditeur doit collecter suffisamment de preuves. Ces dernières doivent être correctes et d'une qualité suffisante afin qu'il puisse fonder l'assurance raisonnable lui permettant de livrer sa certification. Les éléments probants sont divers ; ils peuvent être internes comme les pièces et documents qui sont établis au niveau de l'entreprise ou externes à l'entreprise comme les confirmations directes avec les tiers de l'entreprise.

2.3- Les normes de rapport

Les normes de rapport concernent :
- La rédaction de rapports d'opinion (de certification ou non) ;
- La rédaction d'un rapport de recommandations sur le contrôle interne et parfois sur la conformité avec les lois et règlements en vigueur ;
- L'émission d'un rapport spécial pour les missions de commissaire aux comptes ;
- Qualité des rapports : datés et signés et discutés avec les responsables de l'entité auditée.

3. L'International Federation of Accountants *(IFAC)* : fédération internationale des comptables

La normalisation est menée par des organismes de normalisation ; elle consiste à rédiger les normes d'audit et à définir des caractéristiques techniques ou des méthodes qui vont être unifiées et applicables à l'ensemble d'une profession du pays.

Dans le domaine de l'audit, on peut distinguer plusieurs organismes de normalisation internationaux dont l'IFAC fait partie. C'est une organisation qui représente la profession comptable au niveau mondial. Elle a été fondée en 1977 et aujourd'hui elle compte plus de 175 membres et associés dans plus de 3 millions de professionnels de la comptabilité dans ses différents domaines[1].

Comme nous avons déjà cité, une normalisation en audit a pour objectifs de développer la profession de la comptabilité et audit au niveau mondial ; elle a aussi pour mission de publier des normes internationales de qualité à même de

[1] www.ifac.org/about-ifac

minimiser le plus possible les divergences de pratique de l'audit dans les différents pays.
Les Standards Internationaux d'Audit (ISA) sont développés et publiés par International Auditing and Assurance Standards Board ('IAASB) qui est l'un des comités de l'International Federation of Accountants (IFAC).

4. Analyse du contenu des quatre premières normes algériennes d'audit (NAA) :

Après avoir résumé les principaux concepts des normes d'audit, nous allons essayer dans cette partie d'analyser les quatre premières normes algériennes d'audit et de faire une étude comparative avec les normes d'exercice professionnel françaises et les normes d'audit internationales dont les différentes normes françaises et algériennes sont inspirées.

4.1 - Norme NAA 210 : Accord sur les termes des missions d'audit

L'auditeur doit s'assurer que les conditions préalables à un audit sont réunies avant d'accepter sa mission d'audit. Il doit également Ainsi exister une compréhension réciproque entre l'auditeur et la direction de l'entité. Ces conditions et confirmations doivent être mentionnées dans la lettre de mission et confirmées par l'entité.
Le contenu de la lettre de mission selon la NAA 210 se résume dans les éléments suivants :

- L'identité des différentes parties concernées par l'audit ;
- La présentation de la mission et la nature, l'étendu et les objectifs des interventions de l'auditeur ;
- Les responsabilités des différentes parties (auditeur et direction) ;
- La nécessité de l'accès de l'auditeur sans difficulté à tout document comptable, pièce justificative ou informations dans le cadre de ses interventions
- L'identification du référentiel comptable applicable pour l'établissement des états financiers;
- La base de calcul des honoraires et les modalités de règlement ;
- Le planning et la réalisation de l'audit ;
- Limites inhérentes à un audit, compte du risque de contrôle interne et du risque de non détection.

La présente norme a également évoqué le cas d'un audit récurrent, ou l'auditeur doit, soit établir une nouvelle lettre de mission, soit intégrer dans une lettre complémentaire les éléments révisés. Ce cas de figure peut se présenter dans deux situations :

- La première est celle où l'auditeur constate une évolution de la nature ou de l'importance des activités de l'entité.
- La seconde lorsque l'entité fait une demande qui nécessite des diligences supplémentaires de l'auditeur.

Enfin, dans les perspectives d'audits conjoints qui sont le fait d'une mission d'audit réalisée par plusieurs auditeurs, soit une lettre de mission commune doit être établie avec précision de la répartition des travaux ainsi que le budget des honoraires pour chaque auditeur, soit des lettres de mission individuelles.

4.2 Normes NAA 505 : confirmations externes

On entend par : «confirmation externe», un élément probant obtenu par la voie d'une réponse écrite adressée directement à l'auditeur par un tiers sur support papier, électronique ou autre (ISA 505). La mise en œuvre d'une telle procédure a pour objectif de recueillir des éléments probants pertinents et fiables. Selon la norme ISA 500, les éléments probants revêtent plus de fiabilité lorsqu'ils sont :

- Obtenus de sources externes indépendantes de l'entité,
- Recueillis directement par l'auditeur sous forme de document.

Les procédures de la mise en œuvre de cette technique par l'auditeur sont les suivants :

- Déterminer les informations à faire confirmer ou à demander;
- Sélectionner les tiers appropriés (cadastres, clients, banques, avocats, fournisseurs),
- Concevoir les demandes de confirmation en s'assurant que les demandes sont bien adressées et qu'elles précisent que les réponses doivent lui être retournées directement,
- Procéder à l'envoi des demandes aux tiers ainsi que des lettres de suivi au besoin.

Généralement, il existe deux types de demandes de confirmation : fermée et ouverte. La première consiste à recevoir l'accord du tiers, c'est-à-dire affirmer ou infirmer l'information qui est déjà fournie par l'auditeur et qu'il souhaite confirmer par ce tiers. La seconde est une demande où ce dernier doit fournir l'information lui-même.

Évaluation des résultats de la demande de confirmation des tiers

L'auditeur doit évaluer les résultats des demandes de confirmations et les classer sous quatre catégories de réponses:

- La réponse est sans divergence,
- La réponse est jugée non fiable, dans ce cas l'auditeur doit s'assurer de la fiabilité ou non des réponses obtenues. Si ces dernières sont jugées non fiables, il doit en évaluer les incidences sur son évaluation des risques d'anomalies significatives concernés, y compris le risque de fraude, ainsi que sur la nature, le calendrier et l'étendue des autres procédures d'audit,
- En cas de non-réponse, l'auditeur doit mettre en œuvre des procédures d'audit alternatives, permettant de collecter les éléments probants pertinents et fiables ;
- Lorsque la réponse est divergente, l'auditeur doit procéder à une enquête afin de déterminer si les divergences indiquent ou non l'existence d'anomalies.

4.3 La norme NAA 560 : événements postérieurs à la date de clôture

La norme NAA 560 traite les différentes responsabilités de l'auditeur concernant les événements postérieurs à la date de clôture dans une mission d'audit d'états financiers.

Les événements postérieurs sont définis par la norme internationale d'audit (ISA 560) tels les événements survenant entre la date de clôture et la date du rapport de l'auditeur ainsi que les faits dont l'auditeur prend connaissance après la date de son rapport.

Il existe d'autres dates importantes concernées par la présente norme qui sont définies et présentées dans le schéma suivant:

- Date des états financiers: date à laquelle les états financiers ont été établis et les personnes ayant autorité pour les arrêter en ont pris la responsabilité.
- Date d'établissement des états financiers (date d'arrêté) : date indiquée sur le rapport d'audit portant sur les états financiers.
- Date du rapport de l'auditeur : date à laquelle ces états sont approuvés par l'organe délibérant
- Date d'approbation des états financiers : date à laquelle les états financiers audités sont mis à la disposition des tiers, ainsi que le rapport de l'auditeur le cas échéant.
- Date de publication des états : date à laquelle les états financiers audités sont mis à la disposition des tiers, ainsi que le rapport de l'auditeur le cas échéant.

Dans le tableau suivant, nous allons aborder les différentes dates d'événements postérieurs et les procédures à mettre en œuvre par l'auditeur.

Tableau (01) : Dates d'événements postérieurs à la date de clôture et les procédures à mettre en œuvre.

	Période →	Procédures à mettre en œuvre
Evénements postérieurs survenus :	1/ Entre la date de clôture et la date du rapport de l'auditeur	L'auditeur doit mettre en œuvre des procédures d'audit pour obtenir d'éléments probants suffisants et appropriés afin de s'assurer que tous les événements survenus dans cette période ont été détectés et vont être ajuster.
	2/ Entre la date de son rapport et la date de publication des états financiers	- l'auditeur n'est pas tenu à faire un audit d'états financiers après la date de son rapport ; - Si l'auditeur prend connaissance avant la date de publication des états financiers, il doit d'abord d'entretenir avec la direction et les responsables de la gouvernance. Ensuite, déterminer si les états financiers doivent être modifiés. Si c'est le cas, comment la direction compte ajuster.
	3/Après la publication des états financiers	Après la publication d'états financiers, l'auditeur n'est pas dans l'obligation de mettre en œuvre des procédures d'audit.

4.4 La norme NAA 580 : Déclarations écrites.

La norme NAA 580 traite de la responsabilité de l'auditeur relative à l'obtention de déclarations écrites de la direction dans le cadre d'une mission d'audit d'états financiers.

La norme ISA 580 définit la déclaration écrite comme : « une affirmation écrite fournie à l'auditeur par la direction pour confirmer certains points ou étayer d'autres éléments probants. Dans ce contexte, les déclarations écrites ne comprennent ni les états financiers, ni les assertions qu'ils contiennent, ni les livres et autres documents comptables ».

Les déclarations écrites constituent pour l'auditeur, d'un coté, une source d'informations importantes et nécessaire pour sa mission sur laquelle il peut s'appuyer pour fonder son opinion sur les états financiers. D'un autre coté, elles sont considérées comme éléments probants pour l'auditeur.

Cette norme indique également qu'une déclaration écrite doit être fournie à l'auditeur avant l'établissement du son rapport (date de la déclaration avant la date du rapport).

L'auditeur doit demander à la direction de lui fournir une déclaration écrite indiquant qu'elle a satisfait à ses responsabilités concernant l'établissement des états financiers conformément au référentiel comptable applicable, y compris le cas échéant, la présentation sincère de ceux-ci, ainsi que le précisent les termes de la lettre de mission.

Afin d'obtenir d'autres éléments probant, l'auditeur peut estimer nécessaire d'obtenir d'autres déclarations écrites.

Conclusion :

L'émission des normes algériennes d'audit (NAA) constitue une étape très importante pour assurer la fiabilité de l'information financière surtout dans cette période de transition vers l'économie de marché. Les quatre premières normes algériennes d'audit analysées dans notre étude visent toutes les formes de missions d'audit qu'elles soient légales ou contractuelles. Elles traitent plusieurs éléments dans différentes étapes d'une mission d'audit, mais nous pouvons dire qu'elles constituent des axes importants d'une mission d'audit.

D'abord, dans la norme NAA 210, l'auditeur ne doit accepter une mission que dans le cas où les conditions sur la base desquelles l'audit sera effectué ont été convenues, ce qui va lui permettre définir ses responsabilités et celles de la direction ; ceci lui permet notamment de collecter tout les éléments probants nécessaires pour juger la sincérité et la régularité des états financiers.

La deuxième norme NAA 505 traite du recours de l'auditeur aux confirmations externes afin d'obtenir des éléments probants plus fiables. La troisième norme NAA 560 évoque les obligations de l'auditeur au regard des événements postérieurs à la clôture. Enfin, la norme NAA 580 spécifie que l'auditeur doit obtenir de la direction des déclarations écrites qui sont considérées comme éléments probants dans un audit des états financiers.

La réalisation des différents objectifs des normes, en ce qui concerne le développement de la profession d'audit et l'unification de sa démarche, ne peut se faire que si les auditeurs professionnels peuvent les mettre en œuvre. Autrement dit, l'Algérie a certes réussi à adopter ces normes internationales, mais leur application dans le contexte algérien reste toutefois un défi crucial à relever par les normalisateurs.

Bibliographie

Ouvrages et Revues:

- Charron Claude : Pourquoi des normes d':audit, revue française de comptabilité, n° 236, octobre 2000.
- MERCIER Antoine et MERLE Philipe, audit et commissariat aux comptes, guide de l'auditeur et de l'audité, éd FRANCIS LEFEBVRE, France,2010.
- OBERT Robert, et MAIRESSE Marie-Pierre, Comptabilité et audit, manuel et applications, édition Dunod, 4 éd, Paris, 2012.
- Renard Jacques et autres Théorie et pratique de l'audit interne, éd Eyrolles, 6 éd, paris,2008.
- Whittington O. Ray, Kurt Pany: principles of auditing, twelfth edition, McGraw-Hill, New York, 1998.

Réglementation :

- Loi n 10-01 du 29 juin 2010 relative aux professions d'expert-comptable, de commissaire aux comptes et de comptable agréé (Journal Officiel n 42, du 11 juillet 2010).
- Loi n 07-11 du 25 novembre 2017, portant système comptable et financier.
- Décision n 002 du 4 février 2016, portant Normes Algériennes d'Audit (NAA 210, NAA 505, NAA 560, NAA 580)
- Communiqué du 02/01/2017 Fixant les listes des professionnels inscrits aux tableaux de l'ordre National des experts comptables, la chambre nationale des commissaires aux comptes et de l'organisation nationale des comptables agrées au titre de l'exercice 2017.

Cites internet :

- www.ifac.org/about-ifac
- www.cnc.dz
- https://www.cncc.fr/la-reglementation.html
- http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/ind%C3%A9pendance/42534?q=ind%C3%A9pendance#42439

Le système bancaire Algérien face à la contrainte de fusion-acquisition : quelques éléments d'appréciation

Raja SEBTI- Pr Ali BENTABET
- Université d'Annaba

Résumé: Les opérations de fusion-acquisition sont devenues un véritable phénomène au sein des économies imbriquées les unes aux autres. La Fusion-Acquisition (F-A) est une opération non sans complexité à mettre en œuvre avec des effets appréciables.

La présente contribution met l'accent sur le diagnostic du système bancaire algérien, son fonctionnement, les règlementations qui encadrent l'activité bancaire et les problèmes que réfractaires et entravant le passage d'une économie administrée à une économie de marché. A terme, se rapprocher des normes internationales des pratiques et des stratégies.

Mots clés : Compétitivité, fusion, acquisition, performance, concentration, concurrence

Abstract: The mergers and acquisitions have become a phenomenon in nested economies to each other. Merger-acquisition (M&A) is an operation not without complexity to implement with appreciable effects.

This paper focuses on the diagnosis of the Algerian banking system, its operations, the regulations that govern banking and refractory problems and hindering the passage of a planned economy to a market economy.

Keywords: competitiveness, merger, acquisition, performance, concentration, competition

الملخص: لقد أصبحت عمليات الاندماج المصرفي ظاهرة واسعة الانتشار في الأسواق العالمية، باعتبارها من أهم الطرق و أفضلها لزيادة حجم المصارف ونموها، إلا أن هذه العملية يصعب تحقيق نجاحها، الذي يرتبط بتحقيق وفورات الحجم.

في هذه الورقة، سنسلط الضوء على تشخيص النظام البنكي الجزائري، والأنظمة التي تحكم الصيرفة ومشاكل الانتقال من اقتصاد مخطط إلى اقتصاد السوق ليكون اقرب من المعايير الدولية في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: القدرة التنافسية ، الاندماج، الاستحواذ، النجاعة، التكتل، المنافسة

Introduction

Dans un contexte marqué de plus en plus, par la montée en puissance des marchés financiers à partir des années 80, qui marque le retour des partisans de l'offre et du courant ultra libéral[*], entérine l'ouverture et l'intégration des économies et à terme l'intensification de la concurrence, couplé avec une prise de risque démesurée.

De ce fait, il devient impératif au système bancaire Algérien de se mettre à niveau dans la perspective d'accéder au savoir-faire, d'améliorer le niveau de sa compétitivité, ainsi que l'éventualité de se repositionner sous forme de stratégie ouvrant la voie à la réalisation des économies d'échelle (F&A, …)

L'objectif de cette étude est de réfléchir sur les voies et les options qui s'offrent aux banques Algériennes en termes de performance qui leur permettent d'atteindre un seuil d'un niveau d'efficience. Les F&A semblent selon nous, constituer le mode de restructuration privilégié sur l'échelle internationale afin de constituer de véritables leaders capables de faire face à la concurrence étrangère. Elles permettent, en effet, d'atteindre la taille critique dans le secteur bancaire et donc la réalisation des économies d'échelle et de gamme. Cependant, le rapprochement des établissements appartenant à deux espaces géographiques distincts, en termes de langue, de culture, de méthode de travail, d'organisation du système (aspects réglementaires, juridiques, fiscaux, …) n'est pas facile à réaliser. Souvent, l'échec de la fusion est lié à tous ces aspects.

Cet article a pour objectif d'analyser la possibilité d'appliquer des opérations de rapprochement pour les banques Algériennes. Le constat est largement partagé : seul le mouvement de concentration de l'industrie bancaire est capable de permettre de mobiliser des ressources susceptibles de financer la croissance économique. Dès lors, se pose la question sur les options disponibles pour restructurer le système bancaire en Algérie ?

Pour répondre à cette question, on a opté pour une méthode qui permet d'analyser la structure interne du SBA, et afin de mener à bien cette étude, il est opportun de rappeler des aspects liés aux diverses approches de F&A, l'accent sera mis sur la définition et les différents types des opérations de F&A (axe1). Le diagnostic du système bancaire Algérien, fera l'objet de notre attention (axe2).

I-Notion sur la Fusion-Acquisition

I-1-Distinction entre fusion et acquisition

La définition des termes "fusion" et "acquisition" est centrale pour débuter notre recherche, car la plupart des écrits sur les F–A, semblent utiliser indifféremment ces deux termes. Pourtant, sur le plan juridique, ces deux opérations sont différentes[1]:

Fusion : on parle de fusion lorsque l'association de deux entreprises (A) et (B) donne une nouvelle entreprise (C) [**].

Acquisition : on parle d'acquisition lorsqu'une société A, dite « acquéreur », achète une participation dans une société B, appelée « cible ou entreprise acquise », lui en donnant le contrôle. Une fusion est la décision mutuellement consentie par des organisations de partager leur possession, alors qu'une acquisition correspond au rachat d'une organisation par une autre organisation[2].

---

[*]Phénomène actuellement remis en cause, du fait de la crise financière mondiale actuelle (Depuis2007-2008). A ce propos, on peut consulter par exemple: R.Boyer in : Feule Régime d'accumulation tirée par la finance, revue de la régulation, Spring 2009

[1]Audrey ASLANOFF, **«La perception de la performance des fusions et acquisitions dans le secteur bancaire»**, Thèse de Doctorat en sciences de gestion, Université de Nice, 2013, p46.

[**]La fusion peut consister également à l'absorption de (B) par (A)

« Les fusions-acquisitions sont des opérations de regroupement ou de prises de contrôle d'entreprises cibles, réalisées par l'intermédiaire d'un achat ou d'un échange d'actions »[1].

I-2- Typologie des fusions-acquisition :

Il est souvent difficile de caractériser les opérations de croissance tant le nombre de dimensions possibles est important, nous en avons retenus quatre[2]:

I-2-1-la fusion latérale ou horizontale :

C'est un rapprochement d'entreprises concurrentes ou potentiellement concurrentes. L'objectif étant d'augmenter le pouvoir de marché du nouvel ensemble et de réaliser des économies d'échelle[3].Dans les fusions-acquisitions horizontales, la création d'un pouvoir monopolistique, sera un motif major des F-A[4].

I-2-2-la fusion verticale :

C'est un rapprochement d'entreprises d'une même filière mais qui n'étaient pas directement concurrentes. Ces opérations s'accompagnent fréquemment de l'internalisation d'une activité qui pouvait se situer en aval ou en amont de la chaine de valeur d'une entreprise donnée[5]. Dans une fusion verticale une entreprise achète un de ses clients (une fusion vers l'arrière) ou une fusion avec ses fournisseurs (une fusion vers l'avant)[6].

I-2-3-la fusion concentrique:

Les fusions concentriques combinent des organisations de différents secteurs, en relation[7]. Elles se produisent entre deux entreprises ayant des technologies de production ou de distribution très similaires. Autrement dit, elles concernent les opérations de regroupement entre firmes de métiers complémentaires, en vue d'étendre leur gamme d'offre et leur base de clientèle[8]. Dans les fusions concentriques il ya une tendance à combiner certaines opérations, en particulier les départements axés sur la technologie et le marketing. Cela se traduira par l'échange d'expertise entre les deux entreprises[9].

---

[2]Gerry Johnson, Richard Whittington, Kevan Scholes, **“Stratégie”**, Pearson Education, France, 2011, p403.

[3]Olivier MEIER et Guillaume SHIER (2009), **« Fusions-Acquisitions : Stratégie-Finance-Management »**, 3ème édition, Dunod, Paris, p08.

[4]MAXM.HABECK.FRITZ KROGER.MICHAEL R.TRAM, **"Après la fusion (7 clés pour réussir l'intégration"**, Dunod, Paris, 2001, p 10.

[5]Franck CEDDAHA, **« Fusions- Acquisitions : Evaluation, Négociation, Structuration »**, Éd. Economica, 2005, p 320.

[6]KYUNG MOOK Lee and JOHANNES M.Pennings, **“Mergers and acquisitions: Strategic-Organizational fit and outcomes”**, 2000 Steinberg Hall-Dietrich Hall, February 1996, p12.

[7]Franck CEDDAHA (2005), op.cit, p 320.

[8]Deborah A.Pikula, **« Mergers &Acquisitions: organizational Culture & HR Issues »**, IRC Press, Queen's University, Canada, 1999, p2.

[9]VerenaKusstatscher, Cary.L Cooper, CBE, **« Managing Emotions in Mergers and Acquisitions »**, New Horizons in Management, Edward Elgar, Cheltenham, UK, Northampton, MA, USA, 2005, p13.

[10]Audrey ASLANOFF, op.cit, p 65.

[11] Deborah A.Pikula, op.cit, p4.

Ces fusions sont réalisées pour accroitre la valeur, lorsqu'une meilleure proposition de valeur est faite au même groupe de clients qu'avant la fusion. Les exemples comprennent les banques qui acquièrent les compagnies d'assurance, ou des consultants en management qui achètent des entreprises de services informatiques.

I-2-4-la fusion conglomérale :

Également appelées « F-A non reliées » ou « F-A obliques », elles consistent au rapprochement de deux firmes fournissant des biens différents[***].Elles correspondent à des rapprochements d'entreprises présentés sur des secteurs sans lien aucun les uns avec les autres[1]. Les entreprises ne sont pas des concurrents produisant des produits similaires (ce qui en ferait une fusion horizontale) et ils ne disposent d'une relation d'entrée-sortie (ce qui en ferait une fusion verticale) [2].

II-1- Un essai de diagnostic du système bancaire Algérien

II-1-1-Le capital minimum des banques et des établissements financiers ou la contrainte règlementaire

Les banques algériennes présentent une faible taille en le comparant avec les homologues arabes ou étrangers. Pour cela, les Pouvoirs Publics Algériens ont procédé, depuis 2004, à l'augmentation du capital minimum des banques et des établissements financiers[3].

Et suite à la mise en place en 2008 du nouveau cadre règlementaire portant sur le capital minimum des banques et des établissements financiers, les banques privées ont eu à renforcer, à compter du Décembre 2009, leurs fonds propres ; l'Etat propriétaire ayant renforcé le capital minimum des banques publiques.

Cette augmentation permet d'atténuer les risques bancaires et constitue l'un des facteurs principaux prix en compte lors du classement des banques mondiales (comme le recommande l'un des piliers du Comité de Bâle. Cette nouvelle exigence a permis de porter le ratio de couverture des risques de crédit par le capital et les réserves (fonds propres de base durs) à 17% à fin 2011 (17,7% à fin 2010 et à 19,1% à fin 2009) [4].

II-1-2-Le degré de concentration

[***]Une fusion se pose lorsque deux ou plusieurs entreprises dans différents marchés produisant des biens non reliés se rejoignent pour former une seule entreprise. Un exemple d'une fusion en conglomérat est celle entre une société de chaussures de sport et d'une entreprise de boissons gazeuses.

[12]Audrey ASLANOFF, op.cit, p 64.

[13]Rajinted Kumar, « **Mergers and Acquisition in banking sector** », a research paper submitted in partial fulfillment for the requirement of the internship, June 2013, Competition Commission of India, p13.

[14] Règlement n 04-01 correspondant au 04 Mars 2004 relatif au capital minimum des banques et établissements financiers exerçant en Algérie.

[15] www.bank_of_algeria.dz, Rapport de sur « **la stabilité du système bancaire Algérien 2009-2011** », Juin 2013, la banque d'Algérie, p18.

Si l'année 2013, a enregistré une nouvelle amélioration des bilans des banques de 6,8%, le système bancaire Algérien est considéré comme fortement concentré et hiérarchisé, puisque les banques publiques restent prédominantes avec une part relative de 85,9% du total d'actifs, contre 14,1% pour les banques privées.

Selon le rapport du (FMI) en 2014, la concurrence au sein du secteur bancaire reste faible en raison de concentration excessive du marché, des fréquents renflouements des banques publiques et de l'insuffisance des règles de gouvernance qui régissent les banques publiques[1]. Il ya plus de concurrence entre les banques du secteur privé.

- **Ressources collectées :**

En effet, selon les différents rapports de la Banque d'Algérie, la part banques publiques dans le total des dépôts bancaires représente 86,6% contre 13,4% les banques privées. Ces dernières années, la progression de l'activité des banques privées est plus soutenue aussi bien sous l'angle de la mobilisation des ressources que de la distribution des crédits. Les données ci-après relatives aux banques et à la caisse d'épargne en témoignent :

Tableau n°01 : l'activité des banques : (en milliards de dinars)

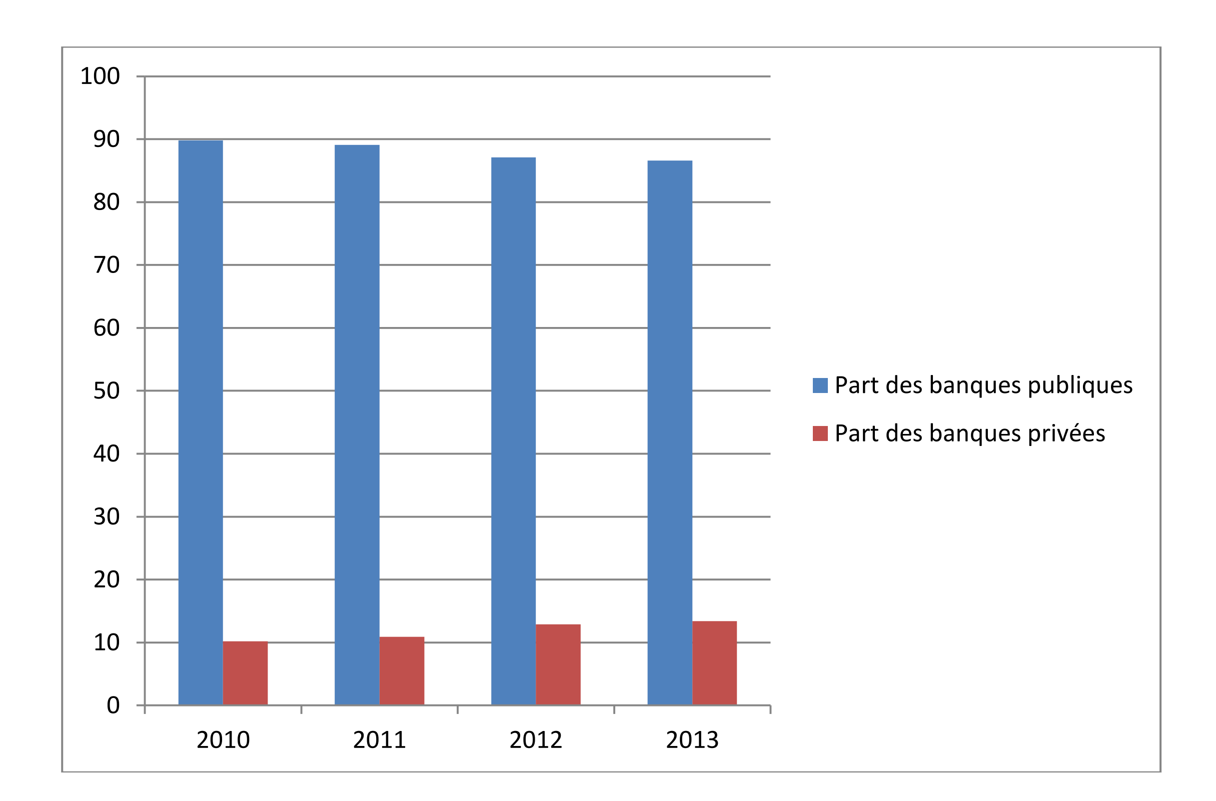
	2010	2011	2012	2013
a)-Total des ressources collectées	5819,1	6733,0	7238,0	7787,4
-part des Banques publiques	89,8%	89,1%	87,1%	86,6%
-parts des Banques privées	10,2%	10,9%	12,9%	13,4%
b)- Total des crédits distribués :	3266,7	3724,7	4285,6	5154,5
-part des Banques publiques	86,8	85,8	86,7	86,5
-part des Banques privées	13,2	14,2	13,3	13,5

Source : tableau réalisé par nous même à partir des Rapports de la banque d'Algérie

Bien qu'en baisse progressive, la part des dépôts des banques publiques reste largement plus importante que celle des banques privées. Avec la baisse des dépôts du secteur des hydrocarbures, qui sont principalement à vue, la part des dépôts à vue collectés par les banques baisse au profit des dépôts à terme[2].

Graphique n°1: Ressources collectées

[16] www.imf.org, Rapport du FMI, **« L'Algérie : évaluation de la stabilité du système financier »**, Juin 2014, p14.
[17] www.bank_of_algeria.dz, Rapport de la Banque d'Algérie sur, chapitre 06, 2013, p75.



Source: réalisé par nous-mêmes à partir du tableau n°2

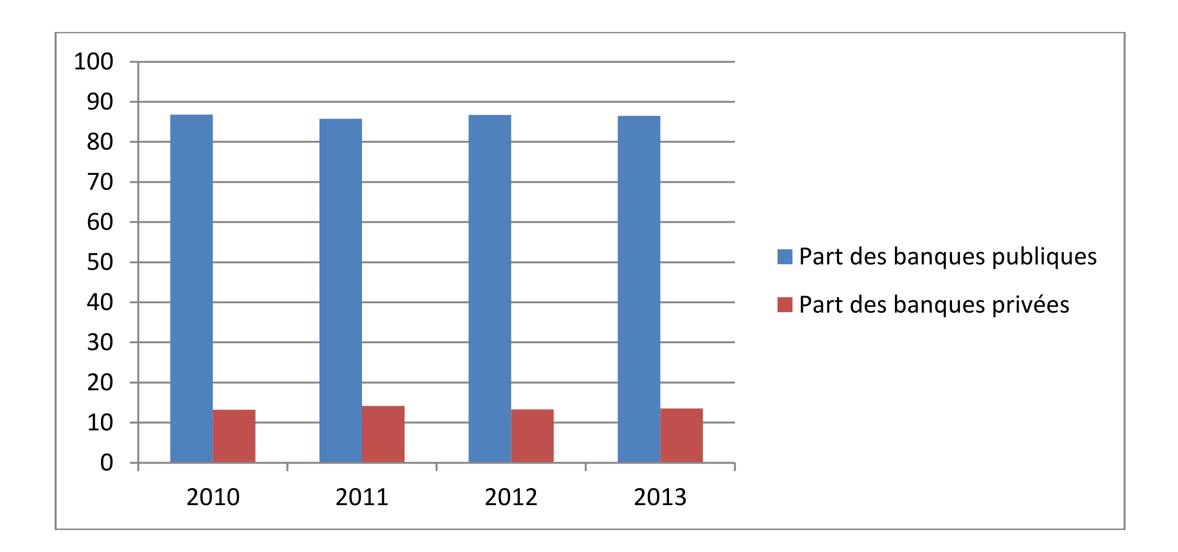
- **Crédits distribués**

Le total des crédits des banques s'établit à 5154,5 Milliards de dinars à fin 2013. L'encours des crédits distribués au secteur public représente 47,2% du total des crédits à l'économie dont 46,7% en crédits directs et 0,5% sous forme d'obligations émises par les entreprises publiques et détenues par les banques. Par ailleurs, si les banques publiques assurent la totalité du financement du secteur public, leur contribution au financement du secteur privé demeure importante, soit 74,4%.Au cours de l'année 2013, le flux des crédits des banques publiques a bénéficié légèrement plus aux entreprises publiques (393,6 milliards de DA) qu'aux entreprises privées et ménages (347,8 milliards de DA), traduisant l'implication des banques publiques dans le financement notamment de grands projets d'investissement dans les secteurs d'énergie et de l'eau[1].

Graphique n°02: Crédits distribués

[18] www.bank-of-algeria.dz, Rapport de la Banque d'Algérie, chapitre 06, 2013, p79.

[****] Après la faillite de la banque El-Khalifa (banque privée Algérienne), en 2003, le gouvernement a imposé aux entreprises publiques l'obligation de traiter exclusivement avec les banques publiques



Source : réalisé par nous-mêmes à partir du tableau n°2

La concentration des dépôts et des crédits dans les banques publiques, s'explique par le relèvement des exigences minimales des fonds propres[****] et l'instauration de limite sur l'investissement étranger[*****] ont en outre influé directement sur l'accessibilité du secteur bancaire, de même que l'absence d'autres possibilités de financement (par exemple au travers des marchés de capitaux).

II-1-3-La faiblesse du réseau bancaire

En effet, l'indice de densité bancaire est très faible en Algérie. À fin 2013, le réseau des banques publiques comprend 1094 agences, celui des privées 315 agences, alors que le nombre des établissements financiers s'établit à 85 contre respectivement 1091,301 et 86 à fin 2012. Les banques publiques sont établies dans l'ensemble des wilayas, alors que les banques privées ont développé leur réseau principalement au nord du pays. Le total des guichets d'agences des banques et établissements financiers s'établit à 1494 contre 1478 en 2012, soit un guichet pour 25600 habitants contre 25370 habitants en 2012. (Comparativement au Maroc où il ya une situation adverse, soit 1,7 guichet pour 10000 habitants). Quant au centre des chèques postaux, son réseau d'agences est plus dense que celui des banques avec 3633 guichets en 2013, répartis sur l'ensemble du territoire national, soit un guichet pour 3290 personnes en âge de travailler contre 3260 personnes en 2012[1].

En effet, le système bancaire Algérien est constitué, à fin 2013, de vingt neuf (29) banques et établissements financiers agréés se répartissent comme suit :

-six(06) banques publiques, dont la Caisse d'épargne ;

[****] Après la faillite de la banque El-Khalifa (banque privée Algérienne), en 2003, le gouvernement a imposé aux entreprises publiques l'obligation de traiter exclusivement avec les banques publiques

[*****] Le régime de l'investissement direct étranger (IDE), exige que la participation étrangère ne dépasse pas 49% des fonds propres, ce qui limite l'accès au secteur financier, notamment.

[19] www.bank of algeria.dz, Rapport de la Banque d'Algérie, chapitre 06, 2014, p80.

-quatorze(14) banques privées à capitaux étrangers, dont une à capitaux mixtes ;
-trois(03) établissements financiers, dont deux publics ;
-cinq(05) sociétés de leasing dont deux privées ;
-une mutuelle d'assurance agricole agréée pour effectuer des opérations de banque qui a pris, à fin 2009, le statut établissement financier.

II-1-4-L'importance des créances compromises dans le secteur bancaire ou le risque élevé de crédit

Ces crédits accrochés ont couté cher tant à l'Etat, au secteur et au consommateur. En effet, les créances douteuses détenues par les banques publiques de l'Etat sur les entreprises publiques (non restructurées et /ou liquidées) ont été reprises par le Trésor Public. Pour le secteur privé, cela s'est traduit par la liquidation des banques en question (affaires BCIA, Union Bank, Khalifa), mais aussi et surtout par la perte de confiance dans les banques privées.

En ce qui concerne l'évolution à fin 2013 des créances des banques sur l'État, la part des banques privées et restée relativement modeste. Les créances sur l'État sont représentées par les bons du Trésor acquis et les avoirs détenus en compte courant. Les créances des banques publiques sur l'Etat sont donc prédominantes du fait des différentes opérations d'assainissement patrimonial des entreprises publiques effectuées par l'État propriétaire par émission de titres.

Cette situation témoigne de comportement loin des référentiels classiques tels que l'impératif de l'équilibre bancaire et financier. Le tableau ci-après montre l'importance des créances détenues sur le Trésor par les banques :

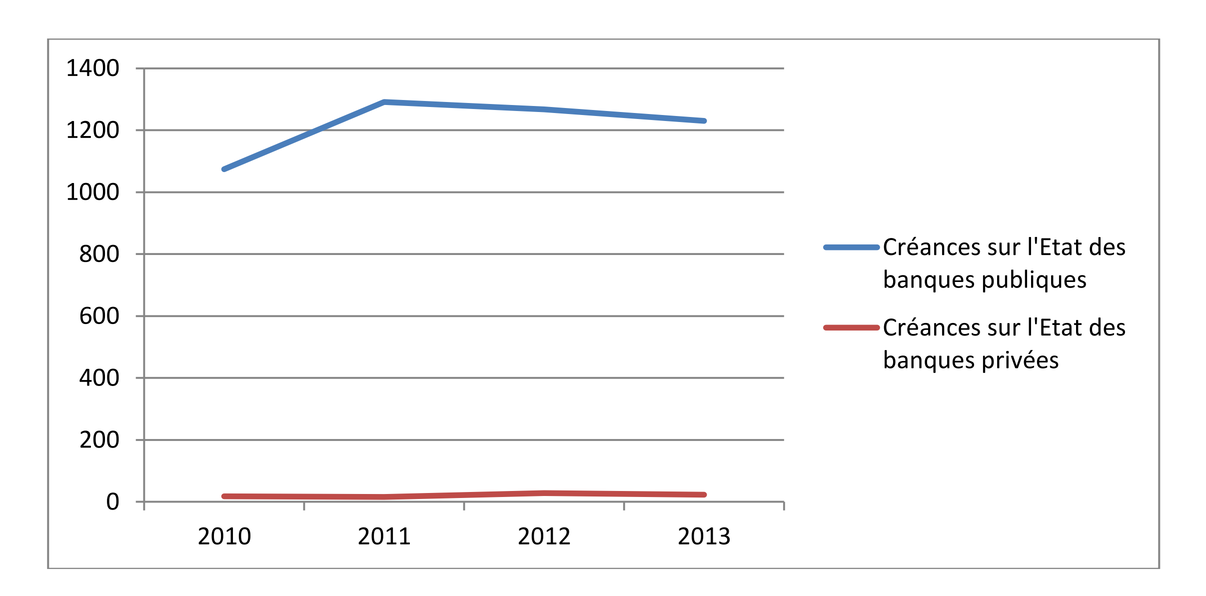
Tableau n°02 : les créances détenues sur le Trésor Public En milliards de dinars

Créances sur l'État des banques	2010	2011	2012	2013
Créances brutes				
a)-Banques publiques	1074,5	1270,9	1266,9	1229,9
dont : obligations de rachat*	320,7	358,7	413,4	325,8
b)-Banques privées	17,6	15,6	27,9	22,9
dont : obligations de rachat*	0,0	0,0	0,0	0,0
Créances nettes : (Banques publiques et privées)	790,9	1017,7	1029,2	930,0

Source : Tableau réalisé par nous même à partir des Rapports de la banque d'Algérie

*Les banques publiques ont vendu une partie des obligations de rachat aux compagnies assurance sur le marché secondaire des titres de Trésor

Graphique n°03: Créances sur l'Etat des banques



Source : réalisé par nous-mêmes à partir du tableau n°3

Bien que le taux des créances non performantes reste encore élevé comparativement aux standards internationaux en la matière, le taux de ces créances nettes des provisionnements constitués, n'est plus que de 3,2% pour l'ensemble du système bancaire Algérien[1].

II-1-5-La quête de la déspécialisation

Les banques Algériennes sont appelées à diversifier leurs activités et à proposer une gamme de produits à l'instar des banques universelles. L'Algérie a depuis la loi 90-10, annulé la spécialisation des banques en leur permettant d'exercer toutes les activités bancaires. Cependant, les banques Algériennes ont, dans une moindre mesure, gardé leur spécialisation pratiquement parlant. Ainsi, pour répondre aux besoins de la clientèle de plus en plus exigeante et diversifiée, et surtout afin de faire face à la concurrence des banques étrangères installées sur le marché bancaire Algérien et qui proposent une panoplie de produits et services financiers, les décideurs publics ont introduit, en 2007, le phénomène de bancassurance en Algérie en permettant aux banques et aux assurances de commercialiser certains produits assurantiels et bancaires.

En outre, pour diversifier ses activités, le système bancaire Algérien doit développer davantage le secteur des banques islamiques, à l'instar des pays arabes où ce modèle bancaire est très développé. En dépit des réformes entreprises à la fin des années 80, relatives à la libéralisation du secteur bancaire et la levée de la spécialisation, les banques publiques continuent d'appliquer les orientations de l'ancien système, alors que cela va contre sens avec les textes actuels. Ainsi, et rien que pour l'exemple, la BADR continue de monopoliser le secteur agricole[2].

[20] www.bank_of_algeria.dz, Rapport de la Banque d'Algérie sur, chapitre 06, 2013, p75.
[21] www.bank-of-algeria.dz, Rapport de la Banque d'Algérie, chapitre 06, 2013, p79.

La BEA est classée souvent parmi les premières à l'échelle maghrébine. Cependant, ce classement ne signifie pas la compétitivité de cette banque sur le marché mais parce qu'elle a tout simplement, le privilège de recevoir la grande part des recettes provenant de la Sonatrach[******]. Les banques en Algérie ne sont donc pas sur le même pied d'égalité où la concurrence loyale est censée être le mot d'ordre.

La CNEP aussi est concernée par cette nouvelle orientation, à financer les investissements de Sonelgaz en en lui accordant 90% de ses crédits d'investissement.

C'est un grand retour au concept-et de la pratique-de la spécialisation bancaire en vogue dans les années 70 qui risque de transformer durablement le paysage bancaire Algérien en l'éloignant de tous les standards internationaux[1].

A l'image de toutes les grandes banques internationales, il s'agissait d'élargir leurs domaines de compétence, renforcer leur professionnalisme, accroître leur rentabilité et diversifier leurs risques

II-1-6-La lancinante question du développement du marché financier

Le développement du marché financier permettra et facilitera la réalisation des opérations de restructuration (privatisations, fusions et acquisitions…), mais également avec le développement organisationnel et administratif du système bancaire dans son ensemble. La Bourse d'Alger est le compartiment secondaire organisé et réglementé du marché financier national, institué par le décret législatif n° 93-10 modifié et complété par la loi 03-04 relatifs aux marchés des valeurs mobilières. Depuis son démarrage effectif à la fin de l'année 1999, la Bourse d'Alger a enregistré l'introduction de quatre titres de capital (actions) dont trois sont actuellement cotés (groupe Saidal, la chaine hôtelière El Aurassi la Compagnie privée d'Alliance Assurances) agrégeant une capitalisation de 15 milliards de dinars et de six titres de créances corporatifs (obligations d'entreprises) émis auprès du grand public dont quatre sont déjà échus.

Malgré la réussite de toutes les opérations d'appels publics à l'épargne réalisées via la Bourse d'Alger, le nombre des sociétés cotées reste modeste et les niveaux des échanges et de capitalisation boursière demeurent relativement faibles compte tenu du nombre colossal des émetteurs potentiellement éligibles au marché boursier et du niveau appréciable de l'épargne nationale dont recèle notre économie. Selon le rapport du FMI, la bourse Algérienne, avec une capitalisation inférieure à 0,1% du PIB, quatre émetteurs d'actions, deux émetteurs d'obligations cotées et quelques milliers d'investisseurs est loin d'atteindre son potentiel de financement de l'économie[2].Parallèlement, les

[22] Yazid TALEB, « **Les banques publiques Algériennes, instruments passifs des choix du Gouvernement** », article apparu, du 30 Septembre 2014, qu'on peut retrouver sur le site : www.Mmaghrebemergent.com, consulté le 10/03/2014

[23] www.imf.org, Rapport du FMI, Juin 2014, « **L'Algérie : évaluation de la stabilité du système financier** », p31.

autorités financières ont reconduit à travers les lois de Finances des années 2009 et 2010 l'exonération fiscale (IRG et IBS) réservée au produits et plus values engagés sur les valeurs mobilières et titres financiers négociés sur le marché boursier[*******].

Par ailleurs, à l'image de plusieurs places boursières émergeantes, un compartiment dédié au financement des Petites et Moyennes Entreprises sera prochainement institué au niveau de la Bourse d'Alger. Ce compartiment permet aux PME de diversifier les alternatives de financement et plus particulièrement celles visant la consolidation de leurs fonds propres (augmentation de capital) et par voie de conséquence le renforcement de leur solvabilité et l'amélioration de leur éligibilité au financement bancaire. « Le compartiment des PME constituera une véritable pépinière pour l'alimentation du marché principal en futures sociétés dites championnes »[1].

Conclusion

Il est évident que les banques demeurent la pierre angulaire du système financier des pays en développement ou en transition. Elles disposent de plusieurs voies de croissance. Selon leurs objectifs, leurs moyens et leurs ressources, elles optent pour la voie qui maximise leurs chances de réussite en prenant en considération les contraintes de l'environnement.

Bien que le système bancaire Algérien s'est engagé dans une vaste réforme, les banques Algériennes font l'objet des critiques des partenaires économiques. L'environnement et les mutations du secteur, incitent à la mise en place de solutions de financement innovantes pour répondre au mieux aux besoins de la clientèle.

Le phénomène de la fusion-acquisition est aujourd'hui une réalité et les décideurs sont tenus d'intégrer cette donne dans leur stratégie, et tirer profit des avantages qu'offrent les choix en matière de regroupement, de fusion et les conclusions en analysant ses déficiences et anticipant les modalités pour corriger les effets négatifs ; car rester en dehors signifie l'isolation et la stagnation économique, et par conséquent, la fusion bancaire en Algérie est importante pour la solidité du système bancaire et financier.

Il importe de trouver des solutions profondes aux déficiences auxquelles fait face le système financier algérien notamment en terme structurel et organisationnel.

Bibliographie

1. ASLANOFF Audrey, **«La perception de la performance des fusions et acquisitions dans le secteur bancaire»**, Thèse de Doctorat en sciences de gestion, Université de Nice, 2013, p46.

[********](Ce levier fiscal a accru significativement les opérations d'emprunts obligataires en raison de l'attractivité de leurs rendements défiscalisés)

[24] www.mf.gov.dz, **« Le marché boursier Algérien»**, (Grands Dossiers et Réalisations).

2. JOHNSON Gerry, WHITTINGTON Richard, SCHOLES Kevan, **«Stratégie»**, Pearson Education, France, 2011, p403.
3. MEIER Olivier et SHIER Guillaume (2009), **« Fusions-Acquisitions : Stratégie-Finance-Management »**, 3ème édition, Dunod, Paris, p08.
4. CEDDAHA Franck, **« Fusions- Acquisitions : Evaluation, Négociation, Structuration »**, Éd. Economica, 2005, p 320.
5. KYUNG MOOK Lee and JOHANNES M.Pennings, **“Mergers and acquisitions: Strategic-Organizational fit and outcomes”**, 2000 Steinberg Hall-Dietrich Hall, February 1996, p12.
6. CEDDAHA Franck (2005), op.cit, p 320.
7. DEBORAH A.Pikula, **« Mergers &Acquisitions: organizational Culture & HR Issues »**, IRC Press, Queen’s University, Canada, 1999, p2.
8. KUSSTATSCHER Verena, COOPER Cary.L, CBE, **« Managing Emotions in Mergers and Acquisitions »**, New Horizons in Management, Edward Elgar, Cheltenham, UK, Northampton, MA, USA, 2005, p13.
9. ASLANOFF Audrey, op.cit, p 65.
10. DEBORAH A.Pikula, op.cit, p4.
11. ASLANOFF Audrey, op.cit, p 64.
12. KUMAR Rajinted, **« Mergers and Acquisition in banking sector »**, a research paper submitted in partial fulfillment for the requirement of the internship, June 2013, Competition Commission of India, p13.
13. Règlement n 04-01 correspondant au 04 Mars 2004 relatif au capital minimum des banques et établissements financiers exerçant en Algérie.
14. www.bank_of_algeria.dz, Rapport de sur **« la stabilité du système bancaire Algérien 2009-2011 »**, Juin 2013, la banque d’Algérie, p18.
15. www.imf.org, Rapport du FMI, **« L’Algérie : évaluation de la stabilité du système financier »**, Juin 2014, p14.
16. www.bank_of_algeria.dz, Rapport de la Banque d’Algérie (2013), chapitre 06, p75.
17. Ibid, p79.
18. www.bank_of_algeria.dz, Rapport de la Banque d’Algérie (2014), chapitre 06, p80.
19. www.bank_of_algeria.dz, Rapport de la Banque d’Algérie (2013), op.cit, p80.
20. DJEMAA Nabil, **« La spécialisation des banques est hors la loi »**, publié dans EL Watan le 02 Juillet 2012, qu’on peut retrouver sur le site : www.djazairess.com, consulté le 10/03/2014
21. TALEB Yazid, **« Le CPA, banque du logement et des oubliés de la middle-class »**, article apparu, du 07 Mai 2013, qu’on peut retrouver sur le site : www.algeria-wach.org, consulté le 10/03/2014
22. TALEB Yazid, **« Les banques publiques Algériennes, instruments passifs des choix du Gouvernement »**, article apparu, du 30 Septembre 2014, qu’on peut retrouver sur le site : www.Mmaghrebemergent.com, consulté le 10/03/2014
23. LAKSACI Mohamed, **« Indépendance des banques centrales et prévention/gestion des crises : expérience Algérienne»**, communication au Symposium des Gouverneurs des banques centrales Africaines, 38ème réunion ordinaire des Conseils de Gouverneurs, 13 Août 2015,



Université Amar Telidji -Laghouat-

DIRASSAT

Revue internationale

N° 60
NOVEMBRE 2017

ISSN 1112-4652